

لماذا نؤمن بإله واحد الآب والابن والروح القدس

منهج متكامل لشرح الإيمان المسيحي من الكتاب المقدس



www.christianlib.com

ملخص لمسلسل من ٨٠ عظة
تأليف وإلقاء

د. اسكندر القمص لوقا
أستاذ بالكلية الاكليريكية - طنطا

تحت رعاية
نيافة الخبر الجليل
الأنبا بولا

أسقف طنطا وتابعها

هدية DVD للعظات الثمانين مع عشرين عظة أخرى في شرح الإيمان للمؤلف

الناشر : مطبوعات صوت الراعي - كنيسة مارجرس - سبورتنج

لماذا نؤمن بإله واحد الآب والابن والروح القدس

سلسلة من ٨٠ عظة أُلقيت على مدى سبع سنوات
بكنيسة الشهيد العظيم مارجرجس
بقرية برما - التابعة لطنطا
ألقاها

د. اسكندر القمص لوقا اسكندر
مُدرس التاريخ الكنسي
بالكلية الإكليريكية القبطية الأرثوذكسية
وكتبَ ملخصها في هذا الكتاب

اسم الكتاب : لماذا نؤمن بإله واحد: الآب والابن والروح القدس.

المؤلف : د/ اسكندر القمص لوقا اسكندر.

جمع تصويري : صوت الراعي - كنيسة مارجرجس - سبورتنج - الإسكندرية.

الناشر : د/ اسكندر القمص لوقا اسكندر.

مطبوعات صوت الراعي كنيسة مارجرجس - سبورتنج - الإسكندرية.

الطبعة : الأولى - مارس ٢٠١٠م.

المطبعة : مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط.

موبايل: ١٢٢١٥٢٨٥٦ . & تليفاكس: ٤٥٩٦٤٥٢ ٣.

رقم الإيداع : ٥٣٢٦ / ٢٠١٠

الترقيم الدولي : 9 - 8538 - 17 - 977 ISBN.: 977 - 17 - 8538 - 9

© جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة للمؤلف



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية ال ١١٧



نيافة الحبر الجليل الأنبا بولا

أسقف طنطا وتوابعها



إهداء الكتاب

إلى أبي وشقيقي ...



جناب القمص جرجس القمص لوقا اسكندر

وهو أول كاهن للكنيسة القبطية الأرثوذكسية بفرنسا منذ أكثر من ثلاثة وثلاثين عاماً إلى الآن. وقد سيم في ٤ أبريل ١٩٧٦ وهو حاصل على دكتوراه في العلوم PhD ودكتوراه الدولة Déta من جامعة السوربون بباريس، وشغل منصب أستاذ في معهد باستير بباريس، وله أبحاث دولية في علم الفيروسات، ويخدم حالياً بكنيسة السيدة العذراء ومارمرقس بباريس.

فهرس الكتاب

| | | |
|----|-------|----------------------|
| ١٥ | | مقدمة الناشر. |
| ١٦ | | مقدمة الكتاب للمؤلف. |
| ٢١ | | قصة هذا الكتاب. |

الآب والابن والروح القدس، والعهد القديم

| | | |
|----|-------|---|
| ٢٥ | | العظة ١ حقائق الإيمان من خلال شعب اليهود - سفر التثنية. |
| ٢٧ | | العظة ٢ حقائق الخلاص على فم أنبياء العهد القديم - سفر إشعياء. |
| ٣٠ | | العظة ٣ احتياج الإنسان إلى الخلاص - سفر المزمير. |

الآب والابن والروح القدس في العهد الجديد

| | | |
|----|-------|---|
| ٣٢ | | العظة ٤ إيمان العهد الجديد من خلال إنجيل يوحنا. |
| ٣٤ | | العظة ٥ السيد المسيح في إنجيل يوحنا البشير. |
| ٣٦ | | العظة ٦ بنوة الإنسان لله في المسيح وشرط التوبة. |

الآب والابن والروح القدس، وقبول الإنسان للسّر

| | | |
|----|-------|--|
| ٣٩ | | العظة ٧ الإنسان في مواجهة السيد المسيح بدون الروح القدس. |
| ٤٢ | | العظة ٨ السيد المسيح في مواجهة الذين يرفضوه والذين يقبلوه. |

الآب والابن والروح القدس، وكيف أعلن السيد المسيح السّر

| | | |
|----|-------|--|
| ٤٧ | | العظة ٩ أحداث ذات مغزى يستخدمها السيد المسيح تشرح سر الآب والابن والروح القدس. |
| ٥١ | | العظة ١٠ مواقف تشرح الوجدانية مع تمايز الآب والابن والروح القدس... |
| ٥٤ | | العظة ١١ الابن بين الله والناس. |
| ٥٩ | | العظة ١٢ معرفة الآب والابن والروح القدس، وأثرها في الوصية. |

الآب والابن والروح القدس في بشارة يوحنا

| | | |
|----|-------|------------------------------|
| ٦٣ | | العظة ١٣ أوصاف للسيد المسيح. |
| ٦٩ | | العظة ١٤ ألقاب للسيد المسيح. |

| | | |
|-----|--|----------|
| ٧٣ | التمايز وعطية الابن بالروح القدس. | العضة ١٥ |
| ٧٧ | حديث السيد المسيح عن الروح القدس. | العضة ١٦ |
| | الآب والابن والروح القدس، والآباء الرسل | |
| ٧٨ | الآب والابن والروح القدس في رسائل الآباء الرسل. | العضة ١٧ |
| ٨٠ | الآباء الرسل قبل وبعد حلول الروح القدس. | العضة ١٨ |
| | الآب والابن والروح القدس، واستعلان الإنسان | |
| ٨٥ | الإنسان واستعلان الآب والابن والروح القدس (أ) | العضة ١٩ |
| ٨٧ | الإنسان واستعلان الآب والابن والروح القدس (ب) | العضة ٢٠ |
| | الآب والابن والروح القدس، وسر التقوى | |
| ٩٣ | سر التقوى الله ظهر في الجسد - مسئولية الإنسان. | العضة ٢١ |
| ٩٦ | سر التقوى الله ظهر في الجسد - المؤمنون بالمسيح. | العضة ٢٢ |
| | الآب والابن والروح القدس، والتبرير | |
| ٩٨ | معنى البر. | العضة ٢٣ |
| ١٠١ | بر الله بيسوع المسيح. | العضة ٢٤ |
| ١٠٤ | بر الله بالإيمان بيسوع المسيح. | العضة ٢٥ |
| ١٠٧ | الآباء الرسل يصفون بر الإيمان بيسوع المسيح. | العضة ٢٦ |
| | الآب والابن والروح القدس، والتقديس | |
| ١٠٩ | معنى التقديس. | العضة ٢٧ |
| ١١٥ | التقديس في العهد الجديد. | العضة ٢٨ |
| | الآب والابن والروح القدس، وبنوة الإنسان لله | |
| ١١٨ | بنوة الإنسان لله في المسيح. | العضة ٢٩ |
| | الآب والابن والروح القدس، والأبدية | |
| ١٢٢ | الحياة الأبدية في سر الآب والابن والروح القدس. | العضة ٣٠ |
| ١٢٥ | كلمة "إلى الأبد" في العهد القديم مع شعب بني إسرائيل. | العضة ٣١ |
| ١٣٠ | كلمة "إلى الأبد" على فم أنبياء العهد القديم. | العضة ٣٢ |

العظة ٣٣ الحياة الأبديّة في العهد الجديد على لسان السيد المسيح. ١٣٥

العظة ٣٤ الحياة الأبديّة في العهد الجديد على لسان الآباء الرسل. ١٤٢

الآب والابن والروح القدس، وهزيمة الشر

العظة ٣٥ هزيمة الشيطان. ١٤٦

العظة ٣٦ هزيمة الخطية. ١٥٠

العظة ٣٧ الإنسان منذ السقوط إلى التقديس. ١٥٤

العظة ٣٨ الآب والابن والروح القدس، بين ثمار الروح والأخلاق. ١٥٩

الآب والابن والروح القدس، وسلوك الإنسان

العظة ٣٩ العجز الإنساني. ١٦٢

العظة ٤٠ العمل الإلهي. ١٦٥

العظة ٤١ الواجب الإنساني. ١٦٩

العظة ٤٢ ثمار الروح. ١٧٤

الآب والابن والروح القدس، والشرية

العظة ٤٣ شريعة الله للإنسان. ١٧٧

العظة ٤٤ تأكيد الشريعة على فم الأنبياء. ١٨١

العظة ٤٥ الشريعة بين موسى والسيد المسيح. ١٨٤

الآب والابن والروح القدس، وشرية العهد القديم

العظة ٤٦ الذبائح والخيمة والهيكل. ١٨٦

العظة ٤٧ الفطير والفصح. ١٩١

العظة ٤٨ شريعة الذبائح والكهنوت. ١٩٤

العظة ٤٩ الشرائع والأحكام والوصايا. ١٩٧

العظة ٥٠ نظرة السيد المسيح والآباء الرسل للناموس. ٢٠١

الآب والابن والروح القدس، والشرية المسيحية

العظة ٥١ سر الصليب. ٢٠٩

العظة ٥٢ أسس الشريعة المسيحية. ٢١٤

| | | |
|-----|--|----------|
| ٢١٧ | مع ميلاد الكنيسة. | العضة ٥٣ |
| ٢٢١ | ارتقاء الوصية. | العضة ٥٤ |
| ٢٢٥ | المؤمن حسب الشريعة المسيحية. | العضة ٥٥ |
| ٢٢٩ | المؤمن مع المؤمنين حسب الشريعة المسيحية. | العضة ٥٦ |
| ٢٣٢ | المؤمن وغير المؤمنين حسب الشريعة المسيحية. | العضة ٥٧ |
| ٢٣٦ | الرجل والمرأة حسب الشريعة المسيحية. | العضة ٥٨ |

الآب والابن والروح القدس، وكراسة الرسل

| | | |
|-----|--------------------------------------|----------|
| ٢٤٠ | المنهج. | العضة ٥٩ |
| ٢٤٤ | شخصية الكارز واتجاهات الكرازة. | العضة ٦٠ |

الآب والابن والروح القدس، وتعبير الكتاب المقدس عن سره

| | | |
|-----|---|----------|
| ٢٤٩ | تعبیر: الخلاص. | العضة ٦١ |
| ٢٥٦ | تعبیر: القوة، والنعمة. | العضة ٦٢ |
| ٢٦٠ | تعبیر: الشركة في المسيح. | العضة ٦٣ |
| ٢٦٤ | تعبیر: سر الله الآب والمسيح. | العضة ٦٤ |
| ٢٦٩ | تعبیر: الميلاد الثاني، وخلق الإنسان العتيق، والخلقة الجديدة.... | العضة ٦٥ |
| ٢٧٣ | تعبیر: البنوة لله، والوراثة لله، والخطبة للمسيح، وعربون الروح.. | العضة ٦٦ |
| ٢٧٧ | تعبیر: قصد الله، والمصالحة، والدعوة. | العضة ٦٧ |
| ٢٨٠ | تعبیر: الوعد، والشهادة. | العضة ٦٨ |
| ٢٨٦ | تعبیر: الوديعه الصالحة، ومعرفة الله. | العضة ٦٩ |
| ٢٩٠ | تعبیر: رجاء الحياة الأبدية. | العضة ٧٠ |
| ٢٩٢ | تعبیر: النور، والحرية، والميراث. | العضة ٧١ |

الآب والابن والروح القدس، ونوال الإنسان عطية استعلائه

| | | |
|-----|------------------------|----------|
| ٢٩٨ | الأسرار الكنسية. | العضة ٧٢ |
|-----|------------------------|----------|

الآب والابن والروح القدس، ونهاية الإنسان

| | | |
|-----|--|----------|
| ٣٠٣ | حقيقة الراقيدين والقيامه من الموت. | العضة ٧٣ |
|-----|--|----------|

الآب والابن والروح القدس، والدينونة

- العظة ٧٤ الدينونة على لسان السيد المسيح. ٣٠٩
- العظة ٧٥ الدينونة على لسان الآباء الرسل (أ) أسرار حول الدينونة. ٣١٥
- العظة ٧٦ الدينونة على لسان الآباء الرسل (ب) تعبير الدينونة ومعانيها. ٣٢٠

الآب والابن والروح القدس، وسفر الرؤيا

- العظة ٧٧ ملامح سفر الرؤيا. ٣٢٤
- العظة ٧٨ السيد المسيح في سفر الرؤيا. ٣٢٧
- العظة ٧٩ الوحداية في رؤى العرش، والتسابيح، وأورشليم السماوية. ٣٣١

الآب والابن والروح القدس، وخطة الله للخلاص

- العظة ٨٠ قبول الاستعلان أو دينونة الإنسان. ٣٣٤

كتب أخرى للمؤلف

- ١ - الإيمان في المسيحية للبسطاء والحكماء. ٣٣٩
- ٢ - أسرار وعقيدة وراء الصليب والقيامة. ٣٤٠
- ٣ - مفتاح سفر الرؤيا أو علو الرؤية في سفر الرؤيا. ٣٤٠
- ٤ - المسيحية والتاريخ الجزء الأول من بدايات التاريخ حتى عصر الاستشهاد. ٣٤١
- ٥ - المسيحية والتاريخ الجزء الثاني الكنيسة في العصور الوسطى. ٣٤٢



بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ ، الإله الواحد. آمين.

مقدمة الناشر

.....

يَسُرُّ كَنِيسَةَ مَارْجَرِيس . سِبُورْتِج - مطبوعات صوت الراعي - أن تقدّم لشعبنا القبطي الحبيب هذا العمل الروحي المُفيد وهو عبارة عن مُلَخَّص لثمانين عظة ألقاها المؤلف بعنوان: لماذا نؤمن ... وهى موجودة على الـ DVD المرفق. وهو يُعتبر منهجاً متكاملًا لشرح الإيمان المسيحي الأرثوذكسي كله ، بطريقة مُنظمة بأسلوب واضح ومبسّط من الكتاب المقدس كما شرحه الآباء. وهو يصلح للدراسة الفردية والجماعية واجتماعات الخدام وإعداد الخدام.

للاستفادة من هذا العمل ، يُفضّل سماع العظة أولاً مع الرجوع للكتاب المقدس ، ثم قراءة مُلَخَّص العظة من الكتاب ثم الانتقال للعظة التالية ، وهكذا لتتابع الأفكار بنظام وتسلسل ، وفي نفس الوقت ستجد فهرس للعظات وعناوينها لتساعدك في اختيار الموضوع الذي تريد سماعه وقراءة مُلَخَّصه. وستجد أن بعض آيات الكتاب المقدس مكررة في أكثر من عظة حتى يكون كل موضوع متكاملًا بذاته عند الرجوع إليه وحده.

نشكر الله على هذا العمل البَنَاء ، ونشكر د. اسكندر القمص لوقا على سماحه لنا بنشره.

الرب قادر أن يُبارك هذا العمل لمجد اسمه القدوس.

ملحوظة : الـ DVD المرفق مع الكتاب به أيضاً ٢٠ عظة متنوعة للمؤلف لشرح الإيمان المسيحي بأسلوب مبسّط .

مقدمة الكتاب للمؤلف

.....

ينظر البعض إلى سر الآب والابن والروح القدس كإله واحد وكأنه معضلة فكرية، وقد يعود هذا الفكر إلى سببين:

أولها: يعود إلى طبيعة الله، والثاني: يعود إلى طبيعة الإنسان.

فإن الله روح تعلق طبيعته عن فكر الإنسان، ولا يمكن تصوّر شيء عن جوهره أو طبيعته أو أزليته، ما لم يسمح هو بإعلان شيء عن ذلك، بصورة أو أخرى للإنسان. أمّا عن وحدانيته فهي لا يختلف عليها إنسان عاقل. كما يدخل ضمن أسرار الله حقيقة خلقه الإنسان، والهدف من خلقه، والنهاية التي يمكن أن ينتهي إليها بعد نهايته الترابية.

ولهذه الأسباب تخبّط الإنسان في تصور حقيقة الله، وبالتالي تخبّط في الصورة التي ينتهي بها الإنسان بعد موته، هل سينتهي كما ينتهي الحيوان أم أن له روحاً خالدة؟ وإن كانت نفسه خالدة فأين مستقرها؟ وما هي علاقة الله بالإنسان في هذا كله. ولعل المقام هنا لا يسمح بتسجيل تصوّرات الإنسان عن الله الغير مُدرّك ونهاية الإنسان الغامضة في حال عدم استعلان إلهي لهذا الأمر. فقد عدّد الإنسان الآلهة حسب احتياجه الإنساني، من آلهة للطبيعة، إلى آلهة للزواج، وأخرى للخصب، وغير ذلك من احتياج للإنسان. كما تصوّر الإنسان حسب مشاعره الإنسانية آلهة للشر وأخرى للخير. كما نظر الإنسان إلى القوى الطاغية في الطبيعة كإحدى مظاهر الألوهية، مثل الشمس أو المحيط. وكان وراء هذا كله إحساس دفين من جهة الإنسان يربطه بالله الخالق، وإحساس آخر باحتياج الإنسان إلى معين في الحياة أو مُنصِف من الظلم. أما عن تصور الإنسان عن نهايته بعد الموت بدون استعلان إلهي فقد تعددت بين إنكار لهذه الحياة، أو اتخاذ مبدأ "نأكل ونشرب لأننا غداً نموت"، أو صورة أخرى من انتقال النفس إلى كائن آخر إنساناً أو حيواناً، أو إلى صورة مادية أخرى للأكل والشرب والمتعة الجنسية مثل بدعة "ماني" في القرن الثاني.

وبناءً على ذلك كله فإنه لا سبيل لمعرفة أي شيء عن حقيقة الله وعلاقته بالإنسان دون أن تتم باستعلان إلهي.

أما السبب الثاني الذي يعيق قبول سر الآب والابن والروح القدس كإله واحد، والذي تتسبب فيه طبيعة الإنسان، هو الحرية التي منحها الله للإنسان في أن يقبل استعلائه أو لا يقبل، أو أن يحيا بالشروع أم يميل إلى الخير. وهنا إذا أعلن الله عن ذاته وأعلن عن نهاية للأبرار ونهاية أخرى للأشرار فمن الطبيعي أن الإنسان الذي يرغب في حياة البر سيسستجيب إلى الاستعلان الإلهي، أما الآخر فسيتجاهل هذا الاستعلان أو يرفضه. وحتى لو كانت رغبة الإنسان للخير لا تقوى عليها قدرته الإنسانية فمن المؤكد أن الله سيعينه للحصول عليها، علماً بأن الإنسان يملك شريعة أدبية يعرف بمقتضاها ما هو الخير وما هو الشر حتى بدون استعلان إلهي.

وإذا أتينا إلى الكتاب المقدس نجد أن الله يستعلن ذاته في عهدين، عهد قديم كان أساسه اختيار شعب اليهود من صُلب إبراهيم وهو شعب مازالت هويته قائمة إلى هذا اليوم، ولا سبيل لإنكار ما كتبه أنبياءه وحُرّصهم على كل حرف فيها، رغم عدم فهمهم لبعض أسرارها أو الانحراف في تفسيرها. وفي هذا العهد - كما سنرى في سلسلة هذه العظات - سنجد تأكيد الله على وحدانيته رغم بعض الحديث عن روحه وابنه، ولكنه اهتم بتأديب الشعب وحَرَصَ على العناية به طالما يحيا في خوف الله وذلك لأنه أعلن عن طريق أنبيائه أنه سيظهر في وسطهم. ورغم تشتتهم حسب ما يحكي التاريخ أكثر من مرة بسبب معصيتهم، فإنهم إلى هذا اليوم ينتظرون ظهوره بالصورة التي يصل إليها فكرهم. وقد أعطى الله لهم علامات كثيرة تشير إليه حال وجوده في وسطهم، منها ولادته من العذراء، ومنها موته على الصليب وثقب يديه ورجليه وطعنه بالحربة. أمّا مشكلة هذا الشعب هي أنه يتصور أن الله مَيّزه عن بقية الشعوب، لكنه لم يفهم مقاصد الله من ذلك، ولهذا لم يعرف السيد المسيح.

أما العهد الجديد في الكتاب المقدس فيبدأ بتحقيق وعود الله حسب الأنبياء بظهوره بين شعب إسرائيل من عذراء ومن روحه القدوس، وأعلن ذلك بصور شتى بداية

من تفسير ما تحدّث عنه الأنبياء، إلى أعمال خارقة يؤكد بها أنه هو الله الظاهر في الجسد، ونهايةً بصلبه وقيامته وصعوده وانسكاب الروح القدس على تلاميذه وشهوده الذين عاشوا معه. ومن خلال هذا الروح القدس تأكد التلاميذ من معرفة السيد المسيح الحقيقية، كما منحهم فهماً لكل أهداف الله من العهد القديم بناموسه وذبائحه وطقوسه، كما أعطاهم الروح القدس قدرة على إعلان سر الآب والابن والروح القدس لكافة الشعوب، كل شعب بلغته، كما كشفت لهم أسراراً كثيرة بعد قيامة السيد المسيح وظهر منها صورة الإنسان التي اختارها له الله بعد الموت، وصورة الإنسان الذي يتقدس بقداسة السيد المسيح وعمل الروح القدس، وارتقت الشريعة المكتوبة إلى شريعة روحية فائقة، على قدر قوة عمل الروح القدس الذي سكبه الله على الإنسان.

وقد ظل السيد المسيح يظهر لتلاميذه أربعين يوماً بعد قيامته ويشرح لهم أسس الكنيسة والإيمان، وشرح لهم أسرار العهد القديم والملوك السماوي المُعد للإنسان.

وعلى ذلك فإن مسلسل هذه العظات تبدأ بحديث العهد القديم عن سر الآب والابن والروح القدس، ثم كيف استعلن السيد المسيح ذاته، وعلاقته بالآب والروح القدس، من خلال أحاديثه، أو أحداث أو مواقف اتخذها لشرح هذا السر، وبالأخص من إنجيل يوحنا الذي كتبه بعد أن تحدّث بقية البشائر الأخرى عن سيرة السيد المسيح.

وبعد ذلك اتجهت العظات إلى شرح عمل الروح القدس، وهو الذي أعلن حقيقة السيد المسيح للإنسان، وكشف له سر الله الواحد الآب والابن والروح القدس، وكيفية خلاص الإنسان من عثرة الخطية والشرور إلى حياة القداسة التي يحيا فيها الإنسان بنعمة الروح القدس الساكن فيه، وشركته مع السيد المسيح.

ثم تشرح العظات سر حياة التقوى التي نالها الإنسان بعد تجسد الله وصار إنساناً بشبهنا، ومنح الإنسان التبرير والتقديس وبنوة الإنسان لله فيه.

وبعد ذلك تتحدّث العظات عن الأبدية، وكيف استعلنها الله للإنسان من خلال سر الآب والابن والروح القدس.

ثم تتجه العظّات إلى شرح احتياج الإنسان إلى العمل الإلهي في التجسد ، وعطية الروح القدس ، لتخلق منه إنساناً قادراً على هزيمة الشر والخطية ، ومنحه ثمار الروح القدس الساكن فيه ، من تقوى ومحبة وارتباط بالآخرين من البشر.

ثم تشرح العظّات أسرار الشريعة في العهد القديم ، ثم شريعة العهد الجديد ، وهى الصورة التي يرغب الله أن يراها في الإنسان بعطية القداسة والاتحاد في جسد المسيح وعلاقة الإنسان مع المؤمنين وغير المؤمنين ، والعلاقات الاجتماعية بكل وجوهها كصورة لأبناء الله على الأرض.

ثم تبدأ العظّات في شرح أسرار علاقة الله بالإنسان ، والتعبيرات المتعددة التي تجعل من سر الآب والابن والروح القدس سبيلاً لحياة الإنسان ، دون أن تدخل في المنعطف الفكري الذي يخص طبيعة الله كآب وابن وروح قدس ، وبذلك تجعل من هذا السر مصدر القوة والنعمة والسلطان على الشر والخطية ، واستعلاناً داخلياً للإنسان يمنحه عربون حياة أبدية بعد الموت كملائكة الله في السماء.

ثم تشرح إحدى العظّات الأسرار الكنسية التي بها ينال الإنسان عطية الله في المسيح بالروح القدس. بعد ذلك تتحدث العظّات عن قيامة الأموات والدينونة ، وصور من الدهر الآتي ، وتنتهي بلمحة عن سفر الرؤيا الذي ينتهي به الكتاب المقدس ، الذي يشرح أسرار علاقة الله بالإنسان حتى يصل إلى مسكن الله مع الناس وهناك تتكشف حقيقة وحدانية الله وكيف استعلن ذاته للإنسان بالصورة التي تجعل من الإنسان خليفة جديدة يُسرّ بها الله.

وما نود أن نؤكد عليه في هذا الكتاب هو استخدامنا للكتاب المقدس وحده كمصدر لفهم سر الآب والابن والروح القدس ، حتى نضع أنفسنا مكان أولئك البسطاء الذين استمعوا إلى كلمات السيد المسيح والآباء الرسل ولم يكن زادهم للفهم سوى محبة لله واستعداداً للتوبة ، ولم يقحموا عقولهم فيما هو فوق إدراكهم ، بل اعتمدوا على ثقتهم في محبة السيد المسيح ورسله ، ويقينهم أن الله يكمل كل نقص في فهمهم ، وبالتالي لا ينحرفون بفكرهم إلى تأويلات بشرية للأسرار الإلهية التي فوق

العقل، وهو ذات المنهج الذي قام به آباء الكنيسة في شرح الإيمان ولا يخرج عن فكرهم. كما أن حديثنا عن الإيمان بالآب والابن والروح القدس كإله واحد ليس فقط من منطلق إننا مسيحيون، بل لأن هذا السر يرتبط بحياتنا ورجائنا بعد الموت وعلاقتنا بالآخرين، وأن إعلاننا عنه هو دَيْنٌ في أعناقنا تجاه الله الذي أحبنا لنعود إلى أحضانه، ومحبة للناس لينالوا من هذا الخلاص والفداء المجاني.

د. اسكندر القمص لوقا اسكندر

طنطا في ١٠ / ٦ / ٢٠٠٩ م

تذكار أول كنيسة على اسم الشهيد العظيم مارجرجس
في الديار المصرية بقرية برما

كُتب أخرى للمؤلف *

- ١ - الإيمان في المسيحية للبسطاء والحكماء.
- ٢ - أسرار وعقيدة وراء الصليب والقيامة.
- ٣ - علو الرؤية في سفر الرؤيا.
- ٤ - المسيحية والتاريخ - جزء أول.
- ٥ - المسيحية والتاريخ - جزء ثان.

* انظر صفحة (٣٣٩) لمعرفة محتوياتها.

قصة هذا الكتاب

.....

كان السؤال لماذا نؤمن بالآب والابن والروح القدس هو ما يشغل فكري منذ نعومة أظافري. ولست أشك لحظة أن هذا السؤال هو بذرة قد وُضعت في قلب الإنسان، لتنمو وتترعرع مع نمو فكر الإنسان.

لم يكن أمامي سوى الكتاب المقدس، ليس لأنني ولدت مسيحياً، بل أنني على يقين الآن - حين أدركت - أن الله كان يحيطني بسياج حتى لا تدخل أفكار غريبة إلى قلبي!! لم تكن هناك معرفة عقلية بالإيمان، ولكن كان هناك عمل "نعمة" تشغل الحيز الذي تنقصه المعرفة. ولعني الآن أفهم قول السيد المسيح حينما "تهلّل يسوع بالروح وقال: أحمّدك أيها الآب، رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفُهاء وأعلنتها للأطفال" (لو ١٠: ٢١).

وحينما تطلّعت إلى الكتاب المقدس، وجدت هناك قصة الخلق وقصة نوح وقصة اختيار إبراهيم وقصة شعب بني إسرائيل مع كثير من الحوادث وأقوال الأنبياء، وهو ما لم يتسع الفكر ليستوعبها في الشباب المبكر، ولكن الإصرار على قراءة الكتاب المقدس كان سبيلاً للنمو في "النعمة ومعرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح" (٢بط ١٨: ٣). ومع هوايتي للقراءة والإطلاع على الفلسفات وهموم البشر التي تدونها كتب الأدب، ومع دراستي بالكلية الإكليريكية، وانفتاحي للإطلاع على عقائد البشر، خرجت من ذلك كله إلى الإدراك على حيرة الإنسان أمام الموت، وضعف الإنسان أمام الشهوة والخطية، وضياح الإنسان في خيالات لما بعد الموت، وإحساسه بما يمكن أن يعوض به ما بعد الموت الذي انتقص منه في حياته على الأرض، وهكذا وجدت الإنسان يحيا في تخبط ما لم يكن على الطريق الصحيح الذي من أجله خلقه الله. ولعل أكثر ما كان يعزيني هو قول الكتاب "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لتكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة، إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح نفسه، حسب مسرة مشيئته، لمدح مجد نعمته ... الذي فيه لنا الفداء بدمه، غفران الخطايا، حسب غنى نعمته، التي أجزّلها لنا بكل حكمة وفطنة،

إذ عرفنا بسر مشيئته، حسب مسرته التي قصدها في نفسه ... الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً ... الذي فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتم بروح الوعد القدوس، الذي هو عربون ميراثنا ... كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح، أبو المجد، روح الحكمة والإعلان في معرفته ... وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة، التي هي جسده " (أفسس أصحاح : ١).

وقد أتيت لي الفرصة أن أتحدث عن هذا الإيمان في إحدى كنائس القرى، لأجيب على السؤال لماذا نؤمن وذلك من أقوال الكتاب المقدس، وكان أمام عيني سر الآب والابن والروح القدس وكيف أنه أحياناً يشكل عقبة فكرية إذا حاول الإنسان أن ينحرف عن مقاصد الله، ويدخل بعقله في الأمور التي لا يجب أن يتعدها، وساعد على ذلك أن أجد أمامي أطفالاً وأناساً بسطاء، ولكن قلوبهم تمتلئ بمحبة عجيبة وشغف للمعرفة وإنصات باهتمام، فلم يكن أمامي سوى أقوال السيد المسيح وتلاميذه التي ألقاها على البسطاء والفلاحين، والتي كان يبدأها بإرسال تلاميذه للدعوة إلى التوبة. وقد كنت أتصور أن الأمر لن يأخذ سوى لقاءات بسيطة أستعرض فيها كيف هيأ الله الشعب اليهودي في العهد القديم لاستقباله متجسداً، وكيف منحه الشريعة لتحفظه، وسبيل التكفير عن خطاياهم بالذبيحة، والعلامات التي وضعها الأنبياء ليفهموا الخلاص الذي أعده في تجسده بينهم، وجعل من تاريخهم رموزاً وشرحاً لما يعده للإنسان من ملكوت سمائي، ثم أعرج بعد ذلك لأقوال السيد المسيح وكيف أعلن ذاته وخلصه، وبذات الأسلوب الذي اتبعه هو وسار عليه أيضاً تلاميذه إلى أن انتهى بسفر الرؤيا، وهو الذي يعطي صورة رمزية لحياة الإنسان منذ خلقته إلى وجوده في السماء وعودته إلى أحضان الله. ولكنني وجدت الأمر يطول إلى سبعة سنوات كاملة في لقاء شهري في قرية برما التابعة لمدينة طنطا. وقد كنت أقوم بتسجيل هذه اللقاءات دون العودة إليها، ولكنها أثمرت كتابين هامين هما " الإيمان في المسيحية للبسطاء والحكماء " وكتاب " علو الرؤية في سفر الرؤيا " وثمانين من أشرطة التسجيل، ثم بتدبير إلهي تمّ تدوين هذه العظات في هذا الكتاب.

وأني إذ أسجد لله من أجل هذه العطية التي لا أستحقها ولم أكن أتوقعها أقدم شكري لله الذي منح ضعفي لساناً يتكلم، وجعل له قبولاً لمن يسمع، وأقام أحياء

لكلمته ونشر ملكوته، فبذلوا الجهد والعطاء إلى أن ظهر هذا العمل إلى النور أرجو من الله أن يجعل هذه الخدمة مقبولة أمامه، وبركة لكل من يسمع ويقرأ بشفاعات والدته الإله القديسة العذراء مريم، وكل صفوف الملائكة وغير المتجسدين والرسل والأنبياء والقديسين، وصلوات قداسة البابا شنودة الثالث وشريكه في الخدمة الرسولية نيافة الأنبا بولا أسقف طنطا ولعظمتهم المجد دائماً.

شكر واجب:

أتقدم بوافر الشكر لنيافة الحبر الجليل الأنبا / بولا، لمباركته هذا العمل ووضعه تحت رعايته.

كما أقدم الشكر لجناح القمص / جرجس منصور الذي فتح لي أبواب كنيسة مارجرس بقرية برما، لإلقاء هذه السلسلة وشجعني عليها. كما أشكر جناب القمص / بولا صليب كاهن كنيسة العذراء مريم بإبيار، لمؤازرته وصلاته لأجلي. كما أقدم شكري الجزيل لصوت الراعي بكنيسة مارجرس سبورتنج - الإسكندرية، كذلك دير مارمينا العجايبى بمريوط، وكل من ساهم في إخراج هذا العمل للنور. ولإلهنا الشكر دائماً.

د . اسكندر القمص لوقا اسكندر

الآب والابن والروح القدس، والعهد القديم

العظة (١)

حقائق الإيمان من خلال شعب اليهود - سفر التثنية

لماذا نؤمن بالآب والابن والروح القدس.

لماذا نبحث عن الله؟

لماذا نبحث عن عدم الخطية؟

وهل الإيمان بالسيد المسيح هدفه خلاص الإنسان أم تعليم الأخلاق؟

فما هي حقيقة الإيمان؟ وما هو معنى إيماننا بإله واحد الآب والابن والروح

القدس، وما هو أثر ذلك في حياتنا؟

الحقيقة أن الإيمان هو " سر " (١ تي ٣: ٩). وهو الذي يحكم علاقة الله بالإنسان في

حياته ما قبل الموت وبعد الموت (١ كو ٢: ٧)، (أف ١: ٩)، (أف ٣: ٣)، وأنه يرتبط بعودة

الإنسان إلى معرفة الله، واستعلان مشيئة الله للإنسان بعد أن فقد الوجود في حضرة

الله بالمعصية.

وعلى هذا فالأمر في غير قدرة الإنسان مهما قدّم من صلاة أو صوم أو تقدمات.

الإيمان هو عودة إلى تقديس الإنسان، وهو عمل إلهي يؤهّل الإنسان أن يلتقي بالله في

السماء بجسد ممجد روحاني لا يحتاج إلى مأكّل أو مشرب لأنها حياة روحية

كملائكة الله.

وعلى صفحات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد يكشف لنا الله أسرار

علاقته بنا، ولماذا أوجدنا؟ ولماذا نحيا الآن في العالم، ولماذا نموت وإلى أين نمضي.

وقد بدأ الله باختيار شعب إسرائيل، ثم نجد في سفر التثنية الذي يعتبر تلخيص

لأسفار موسى النبي: التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، يوضّح الله سر اختياره

لشعب بني إسرائيل ليقوّمه، ويلقّنه مبادئ معرفة الله الحقيقية كنموذج لبقية

الشعوب، ويعلن لهم تجسده في وسطهم. فيكلمهم على لسان موسى النبي:

" هل سمع شعب صوت الله يتكلّم من وسط النار كما سمعت أنت، وعاش؟ "

(ث ٤: ٣٣).

"اعلم اليوم وردد في قلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق، ... ليس سواه" (تث ٤: ٣٩).

ثم يؤكد عليهم "تكونون قديسين لأنني أنا قدوس" (لا ١١: ٤٤)، (خر ١٩: ٦)، (لا ١٩: ١)، (لا ٢٠: ٧)، (لا ٢٠: ٢٦)، (تث ٦: ٧)، (لا ١١: ٤٥)، (ابط ١: ١٦). وشرح علاقته بهم:

"ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب، التصق الرب بكم" (تث ٧: ٧)، "بل من محبة الرب إياكم، وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم" (تث ٧: ٨)، وعن امتلاكهم لميراث الشعوب حولهم يقول لهم الله: "لا تقل في قلبك حين ينفبهم الرب إلهك من أمامك قائلاً: لأجل برِّي أدخلني الرب لأمتلك هذه الأرض" (تث ٩: ٤).

ورغم هذا أيقن الإنسان أن اللقاء مع الله بهذا الجسد ليس في مقدوره "إن عُدنا نسمع صوت الرب إلهنا أيضاً نموت" (تث ٥: ٢٥).

ولكن الله أظهر عطفه ومحبه "أنتم أولاد للرب إلهكم" (تث ١٤: ١)، "إسرائيل ابني البكر" (خر ٤: ٢٢).

ومع هذا الإعلان الإلهي للإنسان ومنحه الحرية للاختيار، طلب منه "تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به، لأنه هو حياتك" (تث ٣٠: ٢٠)، "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك" (تث ٦: ٥)، "احفظ فرائضه ووصاياه" (تث ٤: ٤٠)، فإن أحب الإنسان الخطية فسيخسر حياته الأبدية مع الله التي هي ملكه. وهو الوحيد الذي يمنحها للناس. وكما أحب الله الإنسان رغم خطيته أو صاه "أحبوا الغريب" (تث ١٠: ١٩). وأعلن الله أن عهوده مع الإنسان رغم أنها أحياناً تأخذ مظهراً خارجياً مادياً إلا أن وراءها عمقاً روحياً، لهذا قال: "اختنوا غرلة قلوبكم" (تث ١٠: ١٦).

ثم أوضح لهم الله أن يثبتوا في مواعيده ولا ينخدعوا بدعوة غير دعوته، وبهذا يصير ذلك امتحاناً لهم "إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلماء، وأعطاك آية أو أعجوبة، ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها ... فلا تسمع ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم، لأن الرب إلهكم يمتحنكم ... وذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم يقتل ... فتتزعون الشر من بينكم" (تث ١٣: ١-٥).

وأخيراً يعلن الله عن تجسده في وسطهم " يُقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون " (تث ١٨ : ١٥)، " أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك " (تث ١٨ : ١٨) .
فحينما يتكلم الله ويقول مثلي، ثم يعود ويقول مثلك، فهو يشير إلى أخذه جسداً يظهر لهم كإنسان مثل موسى النبي، وبهذا كان السيد المسيح الذي أخذ شبهنا من الروح القدس والعذراء مريم، إلهاً كاملاً وإنساناً كاملاً، وحينما ظهر بين الناس أدركوا أنه المقصود بهذه النبوة (يو ٦ : ١٤)، (يو ٧ : ٤٠).

الآب والإبن والروح القدس، والعهد القديم

العظة (٢)

حقائق الخلاص على فم أنبياء العهد القديم - سفر إشعياء

بعد أن رأينا أهداف الله من شعب بني إسرائيل في سفر التثنية، يمكننا أن نرى كيف تابع الله مع هذا الشعب مقاصده معهم، وتذكيرهم بواسطة الأنبياء عن هدفه النهائي في خلاص الإنسان.

وإن كان إشعياء قد تنبأ كثيراً عن حياة السيد المسيح وآلامه وصلبيه حتى أطلق عليه الآباء " النبي الإنجيلي " وكأنه أحد كُتَّاب فصول العهد الجديد، إلا أننا سنتابع فقط مقاصد الله والأهداف من هذه النبوة.

يقول إشعياء: " أنت إلهي أعظمك. أحمداً اسمك لأنك صَنَعْتَ عَجَباً. مقاصدك منذ القديم أمانةٌ وصدقٌ " (إش ٢٥ : ١)، وهنا يشكر إشعياء الله على ما رآه من خلاص للإنسان بعين النبوة.
ثم يتحدث إشعياء كيف أن الله سيكشف عن خلاصه للإنسان، ويرفع عنه عار الخطية بفداء السيد المسيح، وتقديسه على جبل الجلجثة فيقول: " ويني في هذا الجبل وجه النقاب. النقاب الذي على كل الشعوب، والغطاء المغطى به على كل الأمم. يبلع الموت إلى الأبد، ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه، وينزع عار شعبه عن كل الأرض " (إش ٢٥ : ٧).
ومن الواضح أنه يتحدث هنا ليس فقط عن شعب إسرائيل بل عن فدائه لكل الأمم حيث هزم لهم الموت بصليبه وقيامته لأن " عار الشعوب الخطية " (أم ١٤ : ٣٤).

حينئذٍ تجيب الشعوب بقولها: "هؤذا هذا إلهنا انتظرناه فخلصنا" (إش ٢٥: ٩).
ثم يوضح إشعياء تقديس الإنسان بتناوله ذبيحة السيد المسيح كخبز "يصنع رب
الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة سمان" (إش ٢٥: ٦).
وهنا يتعجل إشعياء ظهور السيد المسيح وفداءه وتقديسه للإنسان فيقول: "ففي
طريق أحكامك يارب انتظرناك" (إش ٢٦: ٨). ويشير هنا إلى اشتياق الإنسان إلى القداسة
بسبب انكساره أمام الخطية.

ثم يتعجب إشعياء كيف أن الله الغير مدرك يظهر كإنسان بين البشر فيقول:
"حقاً أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلص" (إش ٤٥: ١٥)، وهنا يتضح قصد إشعياء أن
الله ليس مجرد محتجب لأنه غير منظور أو غير مدرك فقط، بل إنه في احتجابه
كإنسان صار منظوراً ومخلصاً. ولكن الله يجيبه "مصور الأرض وصانعها ... لم يخلقها
باطلاً ... لم أتكلم بالخفاء في مكان من الأرض مظلم. لم أقل لنسل يعقوب: باطلاً اطلبوني ...
التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض" (إش ٤٥: ١٨-٢٢)، "قد قربت برّي لا يبعد وخالصي
لا يتأخر" (إش ٤٦: ١٣). ثم يؤكد "يأتي الفادي إلى صهيون" (إش ٥٩: ٢٠)، أي سيظهر في
وسط بني إسرائيل.

ثم يشير الله إلى عدم قدرة الإنسان على خلاص نفسه فيقول: "فرأى أنه
ليس إنسان، وتحير من أنه ليس شفيع. فخلصت ذراعه لنفسه، وبرّه هو عضده" (إش ٥٩: ١٦). ولعلّ
الله يقصد بتعبيره "تحير" هو حقيقة فساد البشر "ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحداً"
(مز ١٤: ٣)، (رو ٣: ١٠). ولهذا ظهر الله القدوس كإنسان لأن الذبيحة التي تقدّس
الإنسان وتصنع فداءه لا بد أن تكون إنسان قدوس بلا شر. أي الله المتجسد. وفي هذا
يترجاه إشعياء "الآن يا رب أنت أبونا. نحن الطين وأنت جابلنا ... ولا تسخط كل السخط يارب،
ولا تذكر الإثم إلى الأبد" (إش ٦٤: ٨-٩).

عند ذلك يشير الله إلى حقيقة الابن الواحد مع الآب والروح القدس ثم تجسّد
الابن في الزمان فيقول: "منذ وجوده أنا هناك والآن السيد الرب أرسلني وروحه" (إش ٤٨: ١٦).
فيستعجله إشعياء ويقول: "ليتك تشق السموات وتنزل! من حصرتك تنزل الجبال"
(إش ٦٤: ١).

أما عن ظهور الابن كإنسان فيصبح ذلك كامتحان يفصل بين التائبين الذين يقبلوه والأشرار الذين يرفضوه، بل سيصير سبب غيرة وحسد من رؤساء الكهنة - البنائين - فيقدمونه للموت فيصير بذلك خلاصاً "حجراً، حجر امتحان، حجر زاوية كريماً، أساساً مؤسساً: من آمن لا يهرب" (إش ٢٨: ١٦). "الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية" (مز ١١٨: ٢٢)، (مر ١٢: ١٠). وفي هذه الحالة "يُمحى عهدكم مع الموت، ولا يثبت ميثاقكم مع الهاوية" (إش ٢٨: ١٨).

ثم يشير إلى دحر الشيطان "في ذلك اليوم يُعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لويathan، الحية الهاربة ... ويقتل التنين الذي في البحر" (إش ٢٧: ١). أي بالمعمودية.

وحينما يتحد الإنسان بجسد السيد المسيح ويثبت فيه وينال قداسته يصبح كغصن في كرمة هي السيد المسيح فيقول إشعياء: "غُثُوا للكرمة المشتهاة" (إش ٢٧: ٢). ولهذا قال السيد المسيح: "أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذي يثبت فيّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير، لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" (يو ١٥: ٥).

ولمّا كان السبيل لنوال عطية السيد المسيح وتقديسه وفدائه هو بالروح القدس يقول الرب على لسان إشعياء: "ويأتي الفادي إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية في يعقوب، يقول الرب. أما أنا فهذا عهدي معهم، قال الرب: روحي الذي عليك، وكلامي الذي وضعته في فمك لا يزول من فمك، ولا من فم نسلك، ولا من فم نسلك، قال الرب، من الآن وإلى الأبد" (إش ٥٩: ٢٠-٢١).

ثم يشير إلى عمل المعمودية "أسكب روحي على نسلك ... على مجاري المياه" (إش ٤٤: ٣-٤). وعن الكنيسة يقول إشعياء: "افرحوا مع أورشليم وابتهجوا معها، يا جميع مُحبيها ... لكي ترضعوا وتشبعوا من ثدي تعزياتها ... ويحضرون كل إخوانكم من كل الأمم ... إلى جبل قُدسي أورشليم" (إش ٦٦: ١٠-٢٠)، أي أن الخلاص هو لكل البشر.

أما عن الذين يعتمدون على ذراعهم أو ذراع بشر للخلاص فيوصفون كمن عاد إلى حياة العبودية في أرض مصر "ويل للذين ينزلون إلى مصر للعبودية ... ولا يطلبون الرب" (إش ٣١: ١). أما عن الحياة الأبدية فيقول الرب على لسان إشعياء: "لأنني هاأنذا خالق سموات جديدة، وأرضاً جديدة، فلا تُذكر الأولى ولا تخطر على بال" (إش ٦٥: ١٢).

العظة (٣)

احتياج الإنسان إلى الخلاص - سفر المزامير

كتب داود معظم المزامير، كما اختبر داود العلاقة بالله منذ أن دهنه صموئيل النبي بالدهن المقدس وهو صبي، واختبر حياة الحرب أمام جليات وحروبه مع الفلسطينيين، واختبر حياة الملك والمسئولية عن الشعب، وذاق مرارة العداوة أيام شاول، وقيام ابنه أبشالوم عليه، واتهامه جوراً من شمعي أحد رعاياه، وقاد أسيرة كبيرة بمشاكلها، كما اختبر أيضاً السقوط في الخطية والتوبة عنها، ولهذا فصراخه في المزامير هي صورة حية للمناجاة مع الله والاحتياج إلى خلاصه وفدائه وتقديسه في معظم ظروف الحياة ! وهكذا يقول داود: " عرفني يارب نهايتي ومقدار أيامي كم هي؟ فأعلم كيف أنا زائل ... إنما كخيال يتمشى الإنسان " (مز ٣٩: ٤ - ٦)، " انتظراً انتظرت الرب، فمال إليّ وسمع صراخي " (مز ٤٠: ١).

فمهما كان الإنسان غنياً ويملك كل شيء، فهو محتاج إلى الله وحينما يهتدي إلى الله يقول: " أصعدني من جُبِّ الهلاك، من طين الحمأة وأقام على صخرة رجلي. ثَبَّتْ خطواتي " (مز ٤٠: ٢)، فمعرفة الله الحقيقية هي الوقوف على أرض صلبة.

وقد يخطئ الإنسان إذا تصوّر أن كل علاقة الله بالإنسان هي مجرد تنفيذ وصايا طمعاً في جنات أو كسبيل لمحو سيئات، ولكن الحقيقة أن الإنسان يدرك تماماً ما هو الشر والخير أما عن النظرة الصحيحة للوصية فهي أن " شهادات الرب صادقة تُصير الجاهل حكيماً. وصايا الرب مستقيمة تُفَرِّح القلب. أمر الرب طاهر يُنير العينين " (مز ١٩: ٧ - ٨)، أي أنها في النهاية تهيي الإنسان لقبول السيد المسيح وما كانت الوصية أبداً أن يعمل الإنسان صالحات ليزيل سيئات، وهنا يعلن الله " سرُّ الرب لخائفيه، وعهده لتعليمهم " (مز ٢٥: ١٤). فكلما يتوب الإنسان إلى الله أكثر يكشف له أسرار أكثر وأكثر!

ومقابل ذلك يصرخ الإنسان " كما يشاق الأيل إلى جداول المياه، هكذا تشاق نفسي إليك يا الله " (مز ٤٢: ١)، ويعلن مدى احتياجه لروح الله " عطشت نفسي إلى الله إلى الإله الحي. متى أجيئ وأترأى قدام الله؟ " (مز ٤٢: ٢).

وحينما يصطدم الإنسان بعقبة الخطية والموت يقول: "الأخ لن يُفدي الإنسان فداءً، ولا يُعطيَ الله كفارةً عنه" (مز ٤٩: ٧). أي إن الفداء لا بد أن يكون بعمل إلهي وبواسطة الابن المتجسد. فيتعجل داود ذلك ويقول: "يا جالساً على الكروبيم أشرق ... أيقظ جبروتك، وهلمَّ لخلاصنا" (مز ٨٠: ١-٢) ولعل المقصود بالجبروت هو قوة المحبة والاتضاع التي تجعل الله يتخذ جسداً بل ويموت عن الإنسان.

وحينما ينال الإنسان الخلاص ويتقبل روح الله يمكنه القول: "ما أكرمَ رحمتك يا الله! فبنو البشر في ظلِّ جناحك يحتمون. يروون من دَسَم بيتك، ومن نهر نِعَمك تسقيهم. لأن عندك ينبوع الحياة. بنورك نرى نوراً" (مز ٣٦: ٧-٩).

أما إذا فسد الإنسان فما أسهل أن ينكر الله ليحيا في الشر "قال الجاهل في قلبه ليس إله. فسدوا ورجسوا رجاسة" (مز ٥٣: ١)، (مز ١٤: ١).

أما إذا ندم الإنسان على خطيته فيقول: "ما الفائدة من دمي إذا نزلت إلى الحفرة؟ هل يحمّدك التراب؟ هل يُخبر بحَقِّك؟ استمع يارب وارحمني. يارب كن معيَّاً لي" (مز ٣٠: ٩-١٠)، أي أن الإنسان لا يستطيع أن يحيا بالصلاح والقداسة إلا بواسطة الله نفسه. وهنا يصرخ الإنسان "أحبك يارب، يا قوَّتِي" (مز ١٨: ١)، "الرب صخرتي وحصني ومنقذي" (مز ١٨: ٢)، "أدعو الرب الحميد، فأتخلص من أعدائي" (مز ١٨: ٣)، وما هي أعداء الإنسان سوى الشيطان والموت والخطية.

فأين يلتقي الإنسان بالله على الأرض، إنه في مسكنه حيث جسده ودمه. أي في الكنيسة فتكون عربون لوجوده في السماء حيث يسكن الله "ما أحلى مساكنك يارب الجنود! تشاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب ... العصفور أيضاً وجد بيتاً" (مز ٨٤: ١-٣) وسواء هنا أو في السماء "تترنم لك روحي ولا تسكُت. يارب إلهي، إلى الأبد أحمّدك" (مز ٣٠: ١٢).



الآب والابن والروح القدس في العهد الجديد

العظة (٤)

إيمان العهد الجديد من خلال إنجيل يوحنا

إذا انتقلنا إلى العهد الجديد من الكتاب المقدس لنجيب على السؤال لماذا نؤمن بآله واحد الآب والابن والروح القدس؟ يمكننا أن نختار إنجيل يوحنا، ثم نلتقي برسائل الآباء الرسل الذين شرحوا حقائق الإيمان ثم نتقل إلى السفر النبوي الذي يشرح الحاضر والمستقبل في سفر الرؤيا.

وقد كتب يوحنا إنجيله بعد متى ومرقس ولوقا، فكان أن ركّز في إنجيله على أقوال السيد المسيح التي تشرح سر الآب والابن والروح القدس، مع بعض من المعجزات التي تؤكد لاهوته، ثم حوارات كثيرة للسيد المسيح مع الرؤساء والخطاة والتلاميذ وبقية الشعب بما يعيننا على الإجابة على السؤال لماذا نؤمن بالآب والابن والروح القدس. يشرح يوحنا سر التجسد في كلمات موجزة "الله لم يَرَهُ أَحَدٌ قط. الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خَبَرٌ" (يو ١: ١٨) فآله غير منظور ولا يستطيع إنسان أن يراه، ولكننا رأيناه حينما اتخذ الابن جسداً بالروح القدس من السيدة العذراء مريم. وهكذا ظهر بين البشر من هو قدوس بلا شر ولا يحمل عقوبة الموت كنسل آدم، وبالتالي فإن مات كإنسان فهو القادر على القيامة لأنه خالق الحياة. وكذلك إن مات كإنسان فإنه بسبب قداسته وعدم ميراثه لحكم الموت فهو يصبح ذبيحة كفارة عن الإنسان لأنه بقيامته يكون قد رفع حكم الموت عن الإنسان، ولهذا فإن لم يصنع السيد المسيح أي معجزة فنحن يكفيننا منه تجسده وموته وقيامته. لذلك نطق هو بقوله: "لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة" (يو ١٢: ٢٧).

كما أن تجسد السيد المسيح وموته وقيامته وصعوده بجسد القيامة إلى السماء أنار للإنسان طريق الحياة، بعد أن تخبط كثيراً فيما هو بعد الموت لهذا نطق أيضاً بقوله: "أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة" (يو ٨: ١٢). وقد أكمل السيد المسيح عطيته للإنسان أنه بموته وصعوده، أرسل روحه القدوس وسكبه على البشر، وبهذا أعطى الإنسان أن يكون نوراً للآخرين "أنتم نور العالم" (مت ٥: ١٤).

ثم يكمل يوحنا عن الابن المتجسد " والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحد من الآب، مملوءً نعمةً وحقاً " (يو ١٤: ١٤) وهنا يستخدم يوحنا تعبير " الكلمة " ليس بمعنى الكلمة المنطوقة من الإنسان، فالكلمة هنا تعبير مترجم عن كلمة " اللوغوس " اليونانية، والتي كانت معروفة لفلاسفة اليونان قبل ميلاد السيد المسيح، وتشير عندهم إلى مفاهيم مختلفة، منها العقل الإلهي، أو قانون العالم وقدره المحتوم وغير ذلك، وكان هؤلاء الفلاسفة كانوا بمثابة أنبياء للوثنيين، أما القديس يوحنا فقد استخدم التعبير الذي يعرفونه كمدخل للكراسة لهم بالسيد المسيح.

وهنا يصل بنا يوحنا إلى أن خلق الله للإنسان كان عمل محبة، ثم كان فداؤه أيضاً عمل محبة لهذا ينقل كلمة السيد المسيح لنيقوديموس " لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية " (يو ٣: ١٦)، وتشير كلمة " الوحيد " هنا إلى أن السيد المسيح رغم طبيعته الجسدية الكاملة لكنه هو بذاته الله الذي أخذ جسد إنسان من روحه القدس و"عجينة البشرية"^(١) من أحشاء السيدة العذراء مريم، لكي يكون بذلك الإنسان القدوس الذي بلا شر وبلا دينونة، ويكون ذبيحة كفارة عن الإنسان، ويقدّس الإنسان بقداسته حينما يسكب روحه القدوس على البشر.

وعلى ذلك فإن كل من يرفض القداسة بسبب شروره يكون مستوجب الدينونة "وهذه هي الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور. لأن أعمالهم كانت شريرة " (يو ٣: ١٩).

ثم ينقل يوحنا البشير قول يوحنا المعمدان " الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع، والذي من الأرض هو أرضي، ومن الأرض يتكلم " (يو ٣: ٣١) فيقارن المعمدان بذلك بين نفسه ومعه بقية الأنبياء وبين السيد المسيح، أي النور الذي أشرق للإنسان وأظهر طريق الله، الذي يغلب الموت ويمنح البشر قوة قيامته، ويُنعم على البشر بالتقديس بروحه القدوس. وبهذا تكون النتيجة " الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله " (يو ٣: ٣٦).

(١) كما نقول في التسبحة.

الآب والابن والروح القدس في العهد الجديد

العظة (٥)

السيد المسيح في إنجيل يوحنا البشير

إذا ألقينا نظرة إلى ملامح إنجيل يوحنا يمكننا أن نلاحظ كيف قدّم يوحنا السيد المسيح للأمم و لليهود.

فبالنسبة للأمم فقد أوضح لهم أن ما يدور في فكر الإنسان عن الله، والذي وصل به إلى حقيقة اللوغوس (التي سبق وتحدثنا عنها)، فإن ما فكروا أنه هو اللوغوس أي "الكلمة" هو الذي كان "في البدء" و"كان عند الله" و"كان هو الله" و"به كان كل شيء" (يو ١: ١ - ٢)، وهو ما يشرح تمايز الابن عن الآب رغم الوحدةانية.

وهكذا أوضح حقيقة الابن بكونه كان عند الله و كان هو الله، وأن العالم قد كوّن به ولم يعرفه العالم حينما صار إنساناً وأنه تجسد وسط خاصته أي بنى إسرائيل (يو ١٠: ١١ - ١٢)، وأنه "صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده كما لوحيده من الآب" (يو ١: ١٤).

وبالنسبة لليهود قال يوحنا: "الله لم يرَه أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر" (يو ١: ١٨)، ثم ذكّرهم بشهادة يوحنا المعمدان (يو ١٩: ١ - ٢٤) وأن "الناموس بموسى أُعطي، أما النعمة والحق فبسوع المسيح صارا" (يو ١: ١٧)، وأنه هو "حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو ١: ٢٩) بناء على خلفية اليهود في فهم ذبيحة الكفارة.

وأظهر يوحنا البشير تطلّع اليهود إلى "النبي" الذي تحدّث عنه موسى أنه مثل الله ومثل الإنسان وأنه يشير إلى السيد المسيح (تث ١٨: ١٥)، (تث ١٨: ١٨)، وأظهر كيف أن المعمدان أشار إليه وأنه هو الذي ينتظرونه وأنه هو ابن الله الذي يُعمّد بالروح القدس (يو ١: ٣٣). كما أوضح يوحنا البشير أن السيد المسيح لم يخدع اليهود بأنه أخفى عنهم أنه هو الله الظاهر في الجسد بل أكد يوحنا أنهم اتهموه بأنه جعل نفسه إلهاً حينما قال: "أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو ٥: ١٧) ولهذا وجّه اللوم لهم "لا تظنوا أنى أشكوكم إلى الآب يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم" (يو ٥: ٤٥). كما أشار السيد المسيح أنهم لا يعملون أعمال أبيهم إبراهيم الذي آمن، وأنه بسبب شرورهم جعلوا من الشيطان أباهم (يو ٨: ٣٩ - ٤٠)، كما أكد لهم

السيد المسيح أنه كائن قبل إبراهيم (يو ٨ : ٥٣ - ٥٨)، وكذلك أبرز يوحنا قول السيد المسيح عن نفسه أنه كما رفع موسى الحية في البرية لإنقاذ شعب بني إسرائيل فقد كان ذلك رمزاً له ولصليبه (يو ١٤ : ١٥).

أما بالنسبة لليهود والأمم مجتمعين فنرى في بشارة يوحنا الحقائق الآتية:

١- أوضح يوحنا في بشارته الأسباب التي ذكرها السيد المسيح والتي تجعل الإنسان يرفض قبوله، مثل محبة مجد الناس أكثر من مجد الله (يو ١٢ : ٢٧-٤٣) وبالتالي فهم ليسوا من خرافه (يو ١٠ : ٢٤ - ٢٧) ومنها كذلك أعمال الإنسان الشريرة (يو ١٩ : ٣).

٢- يركز يوحنا كثيراً على أحاديث السيد المسيح وعن علاقته بالآب ووحدانيته معه، وعن علاقته بالروح القدس في أنه روح الآب وروح الابن وهو الذي سيرسله الآب، وكذلك يرسله الابن لينسكب على البشر بعد أن رفع عنهم حكم الموت، كما يقوم الروح بإعلان سر السيد المسيح للإنسان. وكذلك تحدث السيد المسيح عن عمل الروح القدس في المعمودية لإعادة خلقة الإنسان في البروقداسة الحق (يو ١ : ٢٣ - ٢٣).
٣- يرصد يوحنا نقاش اليهود مع السيد المسيح بعد إشباع الجموع من الخمس خبزات والسمكتين، وأنه هو الخبز الحقيقي النازل من السماء مقارناً بذلك المن الذي نزل عليهم في برية سيناء (يو ٦ : ٤٨ - ٥١).

٤- ومن أعظم ما قدم يوحنا في بشارته هو تعاليم السيد المسيح عن الحياة الأبدية أو الهدف النهائي من مقاصد الله في الإنسان، وهو الحياة التي أعدها لكافة البشر من يهود وأمم "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣ : ١٦)، وأنها هي الملكوت السمائي الموعود للبشر، وأنها عطية الروح القدس "الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يو ٤ : ١٤)، وينالها الإنسان بالمعمودية من الماء والروح (يو ٢ : ٥)، ويتمسك بها الإنسان بنواله من جسد السيد المسيح "اعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان، لأن هذا الله الآب قد ختمه" (يو ٦ : ٢٧) وختمه هنا بمعنى أنه جعله سراً يفوق العقل. هكذا كانت معرفة السيد المسيح هي بذاتها

الحياة الأبدية (يو ١٧: ٢)، بل أن وصيته هي "حياة أبدية" (يو ١٢: ٥٠)، وبها يرتقي الإنسان من العبودية إلى محبة الله وبنوته (يو ١٥: ١٥)، (يو ٢٠: ١٧).

٥ - كما يلتقط يوحنا البشير تعبيرات السيد المسيح عن نفسه التي تشرح أسرار علاقته بالآب والإنسان وذلك في أوصاف متعددة أنه هو "النور"، وهو "راعى الخراف" وأنه باب الخراف، وأنه الكرمة، وأنه الطريق والحق والحياة، وأنه القيامة إلى غير ذلك من الأوصاف، مثل أنه يجعل الإنسان مسكنًا له وللآب وأنه هو حبة الحنطة التي تأتي بثمر كثير إن ماتت ودُفنت.

٦ - كما ذكر يوحنا الحقيقة الخطيرة التي بها يتم الخلاص للبشر من هم قبل التجسد حينما ينزل السيد المسيح إلى الذين في القبور فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة (يو ٥: ٢٩).

٧ - وفي النهاية سيكون السيد المسيح هو الدِّيان لبني البشر لأنه هو الله الذي أخذ الطبيعة الإنسانية "أعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً، لأنه ابن الإنسان" (يو ٥: ٢٧).

الآب والابن والروح القدس في العهد الجديد

العظة (٦)

بنوة الإنسان لله في المسيح وشرط التوبة

رأينا في العظة السابقة بعضاً من عطية السيد المسيح للبشر في تجسده وفدائه وسكبه الروح القدس على البشر وبنوة الإنسان لله فيه. ويتضح جلياً من بشارة يوحنا أن بنوة الإنسان لله تعتمد على حقيقة أن السيد المسيح هو ابن للآب في جوهر الله، وأخذه الطبيعة الإنسانية من الروح القدس والعذراء مريم، وأن هذا هو السر الحقيقي في بنوة الإنسان لله التي اكتسبها بالسيد المسيح، وهو ما شرحه الإنجيل بقوله أن الله "سبق فَعَيَّنَا لِلتَّبْنِي يسوع المسيح لنفسه" (أف ١: ٥)، وهكذا يشرح يوحنا "أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنين باسمه. الذين ولدوا ليس من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله" (يو ١: ١٢-١٣). ولاشك أن هذا السلطان الذي

يقصده يوحنا كان الغلبة على الشر والخطية، وهكذا يذكر يوحنا قول السيد المسيح "إن لم تؤمنوا أنني أنا هو تموتون في خطاياكم" (يو ٨: ٢٤)، أي أن هذه البنوة قد حررت الإنسان من عبودية الفساد "كل من يعمل الخطية هو عَبْدٌ للخطية. والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد أما الابن فيبقى إلى الأبد ... فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً" (يو ٨: ٣٤ - ٣٦).

وعن قول يوحنا "الذين ولدوا ليس من دم، ولا من مشيئة جسدٍ" (يو ١: ١٣). فهو إشارة إلى الحياة الملائكية التي يمنحها السيد المسيح للمؤمنين باسمه هنا على الأرض، ثم التي ينعم عليهم بها بموته وقيامته، ومنحهم جسد القيامة بعد الموت.

وبديهي أن جسد السيد المسيح الذي أخذه من الروح القدس والعذراء مريم يتميز عن جسدنا، لهذا سُميَ "ابن الله الوحيد" (يو ٣: ١٨)، "الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب" (يو ١: ١٨)، لأن قبول الله للبشر كأبناء كان هو في شركتهم في السيد المسيح الذي صار كفارة عنهم وقدسهم بروحه وأعطاهم السلطان على الشر والخطية، فينقل يوحنا قول السيد المسيح "الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً" (يو ١٢: ٣١)، إشارة إلى زوال سلطان الشيطان. ولا شك أن هذه البنوة هي أن "نلبس المسيح" (غل ٣: ٢٧). أي بالمعمودية، وأيضاً حينما نثبت فيه "من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمته في اليوم الأخير ... يثبت فيّ وأنا فيه" (يو ٦: ٥٤-٥٦)، "عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية" (رو ٦: ٦). كما أن ارتقائنا إلى بنوة الله كان يلزمها ارتفاع قيمة الوصية لتليق بأبناء الله، لأنه لما كان عمل السيد المسيح للإنسان هو عمل محبة، هكذا ترتفع الوصية - ليس مجرد عدم فعل الشر - بل تقديم المحبة لكافة البشر، فينقل يوحنا قول السيد المسيح "وصيةٌ جديدة أنا أعطيتكم: أن تُحبوا بعضكم بعضاً. كما أحببتكم أنا ... بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي: إن كان لكم حبٌ بعضاً لبعض" (يو ١٣: ٣٤-٣٥)، "فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، ... ليس عبد أعظم من سيده" (يو ١٣: ١٤-١٦).

وعلى هذا الأساس أعلن السيد المسيح أن أساس البنوة هي تقدمة الصليب.. "متى رفعت ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون أنني أنا هو" (يو ٨: ٢٨)، "وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجدب إليّ الجميع. قال هذا مشيراً إلى آية ميتة كان مزمناً أن يموت" (يو ١٢: ٣٢).

كما أن عطية البنوة هي بالروح القدس "إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذلك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق" (يو ١٦: ١٢-١٣)، "لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رو ٨: ١٤)، ولهذا قال السيد المسيح أنها أخفيت عن الحكماء وأعلنت للأطفال (لو ١٠: ٢١). وهكذا يتضح أن بنوة الإنسان لله تسطع بقوة في إعلان سر الله الآب والابن والروح القدس. وهنا يقع على الإنسان عمل التوبة لينال استعلان هذا السر!

ثم يشرح إنجيل يوحنا بعضاً من صور المعارضة التي تُعيق الحصول على هذه العطية، بل يُظهر يوحنا بوضوح الاعتراضات التي وجهها اليهود للسيد المسيح (يو ٨: ٤٨)، (يو ٨: ١٢)، (يو ٩: ٢٤)، (يو ٦: ٦٠)، ومقابل ذلك يفتد السيد المسيح اعتراضاتهم: "تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني. إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم. هل هو من الله، أم أتكم أنا من نفسي" (يو ٦: ١٦-١٧)، "لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قلتي. أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا" (يو ٨: ٤٣-٤٤)، "الذي من الله يسمع كلام الله. لذلك أنتم لستم تسمعون. لأنكم لستم من الله" (يو ٨: ٤٧)، "الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي. ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافي، كما قلت لكم" (يو ١٠: ٢٥-٢٦)، "قد عرفتمكم أن ليست محبة الله في أنفسكم. أنا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني" (يو ٥: ٤٢-٤٣)، "كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه؟" (يو ٥: ٤٤).

ولهذا أعلن السيد المسيح أن استعلان سر الآب والابن والروح القدس والبنوة لله هو للتائبين، وتُمنح بعطية الروح القدس بناء على عمل الابن على الصليب "فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً! الروح هو الذي يُحيي ... ولكن منكم قوم لا يؤمنون. لأن يسوع من البدء عَلِمَ من هم الذين لا يؤمنون، ... لهذا قلت لكم: إنه لا يقدر أحد أن يأتي إليَّ إن لم يُعطَ من أبي" (يو ٦: ٦٢-٦٥)، "مكتوب في الأنبياء: ويكون الجميع متعلمين من الله. فكل من سَمِعَ من الآب وتعلَّم يقبل إليَّ" (يو ٦: ٤٥)، "لا يقدر أحد أن يقبل إليَّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني" (يو ٦: ٤٤)، "وأنا إن ارتفعت عن الأرض أُجذب إليَّ الجميع. قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزماً أن يموت" (يو ١٢: ٣٢-٣٣). وفي النهاية يثبتنا فيه بجسده ودمه (يو ٦: ٥٦).

الآب والابن والروح القدس، وقبول الإنسان للسِر العظة (٧)

الإنسان في مواجهة السيد المسيح بدون الروح القدس

رأينا فيما سبق ضرورة استعلان سر الآب والابن والروح القدس عن طريق قبول الروح القدس. ورأينا في العظة السابقة بعض العوائق التي تمنع قبول الإنسان لذلك الاستعلان وعلى رأسها شرور الإنسان وعدم توبته. وبناء على ذلك يذكر إنجيل يوحنا مواجهة اليهود للسيد المسيح وذلك قبل حلول الروح القدس، وهذا ما يقابل فيما بعد مواجهة الإنسان لقبول السيد المسيح والإيمان به قبل عمل المعمودية. وفي هذا ينقسم البشر قسمين، قوم أشرار يرفضون قبول السيد المسيح، وآخرون يسعون للتوبة فتستعلن لهم حقيقة السيد المسيح ثم يأخذون الطبيعة الجديدة في المعمودية بالروح القدس ويثبتون في المسيح بجسده ودمه وحينما كان السيد المسيح في الجسد وهو يتكلم كإنسان كان لا بد أن يؤكد حقيقة ذاته وأنه هو ابن الله الوحيد المتجسد وكذلك وحدانيته مع الآب والروح القدس وفي ذات الوقت كان السامعون لم يحل عليهم الروح القدس بعد فكان ذلك هو "السيف" الذي ألقاه السيد المسيح ليفصل بين الذين يقبلوه والذين يرفضوه (مت ١٠: ٣٤). وعلى ذلك نجد كلمة "انشقاق في الجمع" تتردد في إنجيل يوحنا ثلاث مرات بسبب هذه الحقيقة ١!

في الأولى قال السيد المسيح: "إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب. من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزعمين أن يقبلوه، لأن الروح القدس لم يكن قد أعطي بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد^(١) بعد فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا: هذا بالحقيقة هو النبي^(٢) آخرون قالوا: هذا هو المسيح! وآخرون قالوا: أئله المسيح من الجليل يأتي^(٣) ألم يقل الكتاب أنه من نسل داود، ومن بيت لحم، القرية التي كان داود فيها، يأتي المسيح^(٤) فحدث انشقاق في الجمع لسببه " (يو ٣٧: ٤٣).

(١) يقصد يُصلب ويقوم.

(٢) إشارة إلى النبي الذي ذكره موسى ويقصد به السيد المسيح (تث ١٨: ١٨).

(٣) حيث كان السيد المسيح قد تربى في ناصرة الجليل ويقع بكفر ناحوم بمقاطعة الجليل.

(٤) السيد المسيح ولد في بيت لحم.

والمرة الثانية: كانت بعد أن خلق السيد المسيح عينين للإنسان المولود أعمى وكان ذلك يوم سبت " فقال قوم من الفريسيين: هذا الإنسان ليس من الله، لأنه لا يحفظ السبت. آخرون قالوا: هل يقدر إنسان خاطئ أن يعمل مثل هذه الآيات؟ وكان بينهم انشقاق " (يو ٩: ١٦)، والمرة الثالثة: حينما قال السيد المسيح: " أمّا أنا فأبني الراعي الصّالح، وأعرف خاصّتي وخاصّتي تعرفني، كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الآب. وأنا أضع نفسي عن الخراف. ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فسمع صوتي، وتكون رعيّة واحدة لراعٍ واحد لهذا يحبني الآب، لأنني أضع نفسي لأخذها أيضاً ... هذه الوصية قبلتها من أبي فحدث انشقاق بين اليهود بسبب هذا الكلام " (يو ١٠: ١٤ - ١٩).

ومن الواضح أن الانشقاق في المرة الأولى كان سببه علاقة السيد بالروح القدس، والثانية بسبب قدرته على الخلق، والثالثة بسبب علاقته بالآب!!
والعجيب أن القديس يوحنا لا يتحفّظ أن يسجل اعتراضات اليهود ضد السيد المسيح، بل يذكر إهاناتهم، بل محاولاتهم لقتله. وذلك وإن كان يؤكد صدق شهادة يوحنا في إنجيله، لكنه في الوقت ذاته يمثل صورة واقعية لكل إنسان يحاول التعرف على السيد المسيح قبل الحصول على نعمة المعمودية.
ومن المنطقي أن يكون الاعتراض هو في الأمور التي تفوق إدراك العقل، وقد كان ممكناً للقديس يوحنا أن يتفادى ذكرها، ولكنه أكدها لأنها تشرح سر الآب والابن والروح القدس:

١- فحينما تحدث السيد المسيح مع نيقوديموس معلم اليهود عن عطية الروح القدس قال له: " إن كان أحد لا يولّد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله " (يو ٣: ٥)، وهنا يعترض نيقوديموس " كيف يمكن الإنسان أن يولّد وهو شيخ؟ " (يو ٣: ٤).

٢- وحينما تحدّث السيد المسيح بعد إشباع الجموع من خمس خبزات وقال: " أنا هو خبز الحياة " (يو ٦: ٣٥)، إشارة إلى المَن الذي نزل من السماء " فكان اليهود يتذمّرون عليه لأنه قال: أنا هو الخبز الذي نزل من السماء " (يو ٦: ٤١)، بل وصل الأمر إلى أنه "خاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل " (يو ٦: ٥٢)، فكانت

إجابة السيد المسيح " من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير " (يو ٦ : ٥٤).

٣ - وحينما أنقذ السيد المسيح المرأة التي أمسكت في زنا من أيديهم بقوله: " من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر " (يو ٨ : ٧) ، قال لهم: " أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة " (يو ٨ : ١٢) ، فقال له الفريسيون: " أنت تشهد لنفسك. شهادتك ليست حقاً " (يو ٨ : ١٣) ، أجابهم يسوع " وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق ، لأنني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب ... أنتم حسب الجسد تدينون ... أنا هو الشاهد لنفسي ، ويشهد لي الآب الذي أرسلني. فقالوا له أين هو أبوك؟ أجاب يسوع لستم تعرفوني أنا ولا أبي. لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً " (يو ٨ : ١٤ - ١٩).

٤ - وحينما قال لهم السيد المسيح: " أنتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا العالم ... لأنكم إن لم تؤمنوا أنني أنا هو تموتون في خطاياكم. فقالوا له " من أنت؟ " فقال لهم يسوع: أنا من البدء ما أكلّمكم أيضاً به^(١) ... متى رفعتم ابن الإنسان^(٢) ، فحينئذ تظهمون أنني أنا هو، ولست أفعل شيئاً من نفسي، بل أكلّم بهذا كما علمني أبي. والذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الآب وحدي " (يو ٨ : ٢٣ - ٢٩).

٥ - وحينما قال لهم: " الحق الحق أقول لكم: إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد. فقال له اليهود: عِلِمْنَا أَنَّ بكَ شَيْطَانًا ... أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي مَاتَ؟ ... مَنْ تَجْعَلُ نَفْسَكَ؟ ... أَجَابَ يَسُوعُ: ... أَبِي هُوَ الَّذِي يَمَجِّدُنِي ، الَّذِي تَقُولُونَ أَنَّهُ إِلَهُكُمْ ، وَلَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. وَأَمَّا أَنَا فَأَعْرِفُهُ ... أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلُ بَأَن يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ. فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدَ ، أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ. فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ " (يو ٨ : ٥١ - ٥٩).

٦ - وحينما " احتاط به اليهود وقالوا له: إلى متى تُعَلِّقُ أَنْفُسَنَا؟ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحُ فَقُلْ لَنَا جَهْرًا. أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ وَلَسْتُمْ تَوَافُونَ. الْأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا بِاسْمِ أَبِي هِيَ تَشْهَدُ لِي. وَلَكِنْكُمْ لَسْتُمْ تَوَافُونَ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنْ خُرَافِي. كَمَا قُلْتُ لَكُمْ. خُرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي ، وَأَنَا أَعْرِفُهَا

(١) أي أنه هو الله الذي تكلم معهم منذ أيام موسى.

(٢) يقصد أن يصلبوه.

فتتبعني. وأنا أعطيتها حياةً أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. أنا والآب واحد. فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه" (يو ١٠: ٢٤-٣١).

٧- وحينما تحدث السيد المسيح عن سلطانه في أن يتقدم إلى الموت بإرادته، وفي الوقت الذي يحدده، والكيفية التي يموت بها قال: "لأنني أضع نفسي لأخذها أيضاً. ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن أخذها... فقال كثيرون منهم به شيطان وهو يهذي لماذا تستمعون له" (يو ١٧: ١٢-٢٠). ولقد حاول اليهود فعلاً عدة مرات أن يقتلوه (يو ٥: ١٨)، (يو ٧: ١)، (يو ٨: ٥٩)، (يو ١٠: ٣١)، ولكنهم لم يكن يجدوه أمامهم !! "لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد" (يو ٧: ٣٠)، ولأنه حدد موته بالصليب حسب أقوال الأنبياء (مز ٢٢: ١٦).

الآب والابن والروح القدس، وقبول الإنسان للسّر

العظة (٨)

السيد المسيح في مواجهة الذين يرفضوه والذين يقبلوه

كان السيد المسيح بسبب طبيعته الإلهية الظاهرة كإنسان، وبسبب عدم حصول البشر على الروح القدس بعد، كان يعلم أنه سيُقابَل بمقاومة من غير التائبين والأشرار، وكان يشهد على العالم بقوله: "يغضني أنا، لأنني أشهد عليه أن أعماله شريرة" (يو ٧: ٧). ومن الطبيعي أنه "كان في الجموع مناجاة كثيرة من نحوه. بعضهم يقولون: إنه صالح وآخرون يقولون: لا، بل يُضلُّ الشعب. ولكن لم يكن أحدٌ يتكلم عنه جهاراً لسبب الخوف من اليهود" (يو ٧: ١٢).

ورغم كل مقاومة، كان على السيد المسيح أن يعلن حقيقة الإلهية بوضوح، ليكون كلامه شاهداً عليهم (يو ١٢: ٤٨) باعتبار أن غلاظة قلوبهم هي السبب في عدم معرفتهم له حسب قول إشعياء (يو ١٢: ٣٨-٤٠)، (إش ٦: ٩)، (إش ٥٣: ١). ولهذا كان يُعلن لهم "تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني. إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم، هل هو

من الله، أم أتكلم أنا من نفسي" (يو ٧: ١٦ - ١٧). وهكذا كان البعض يقول: "لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان" (يو ٧: ٤٦)، وكان البعض الآخر يقول: "أليس هذا هو الذي يطلبون أن يقتلوه؟ وما هو يتكلم جهاراً ولا يقولون له شيئاً! أعلّ الرؤساء عرفوا يقيناً أن هذا هو المسيح حقاً" (يو ٧: ٢٥ - ٢٦). ولكن لسبب فكرتهم الخاطئة عن السيد المسيح كانوا يكملون "لكن هذا نعلم من أين هو" ^(١) وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو" (يو ٧: ٢٧) بل كانوا أحياناً يضيفون "أنه لم يقم نبي من الجليل" (يو ٧: ٥٢). والعجيب أن السيد المسيح كان يلتمس لهم العذر بقوله: "لأنهم لا يعرفون الذي أرسلني" (يو ١٥: ٢١) وفي موضع آخر يقول: "لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفوني" (يو ١٦: ٣).

ولعل هذه المقاومة كانت تدريباً عملياً للتلاميذ في إرساليتهم، لهذا قال لهم "تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله ... لكني قد كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أنني أنا قتلتكم لكم" (يو ١٦: ٢ - ٤)، وفي مرة أخرى قال لهم: "إن كان العالم يُبغضكم فاعلموا أنه أبغضني قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يُبغضكم العالم ... ليس عبد أعظم من سيده" (يو ١٥: ١٨ - ٢٠).

ولكنه كان يطمئنهم بقوله: "في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا: أنا قد غلبتُ العالم" (يو ١٦: ٣٣).

وقد أعلن السيد المسيح مراراً أنه تجسد لكي يموت عن البشر (يو ١٢: ٣٣ - ٢٤)، وأعلن مراراً أنه سيتم فداؤه بالصليب (يو ١٢: ٣٢ - ٣٣)، وذلك لأنه بدون عطية الصليب والقيامة ما كان للبشر أن يهزموا الموت والخطية. ولكن السيد المسيح كان يؤكد أنه هو الذي يحدد ساعة موته وكيفية موته، فقد حدد الساعة بميعاد الفصح ولهذا ألزم الله شعب اليهود أن يقيموا سنوياً هذا العيد تذكراً للفصح الذي أنقذهم من عبودية فرعون، إلى أن أتى فيه لينقذنا هو من عبودية الشيطان "أما يسوع قبل عيد الفصح، وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب ... اضطرب بالروح، وشهد وقال: الحق الحق أقول لكم: إن واحداً منكم سيسلمني!" (يو ١٣: ١ - ٢١).

^(١) إشارة إلى موطنه من الجليل.

وعن الصليب قال: "وأنا إن ارتفعت عن الأرض أُجذب إليَّ الجميع. قال هذا مشيراً إلى أية مئة كان مزماً أن يموت" (يو ١٢: ٣٢ - ٣٣). لهذا كان أحياناً "لم يرد أن يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه" (يو ١: ٧)، وأحياناً "طلبوا أن يمكوه، ولم يلق أحد يداً عليه، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد" (يو ٧: ٣٠)، ومرة أخرى "رفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فاخفى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى هكذا" (يو ٨: ٥٩)، وكان يؤكد "إني أضع نفسي لآخذها أيضاً. ليس أحد يأخذها مني، بل أنا أضعها من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً" (يو ١٠: ١٧ - ١٨).

ولهذا حينما ارتعد بيلاطس من قول رؤساء اليهود أنه جعل نفسه ابن الله (يو ١٩: ٧)، عاد ليسأل السيد المسيح فلم يعطه جواباً "فقال له بيلاطس: أمّا تكلمني؟ أأنت تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أطلقك؟ أجاب يسوع: لم يكن لك عليَّ سلطان البتة!!" (يو ١٩: ١٠ - ١١)، وهكذا كان السيد المسيح رغم تحمُّله الإهانة والمقاومة حتى الموت، كان هذا بإرادته الحرة حياً في الإنسان الذي خلقه ليعود به إلى البنوة لله الآب!

والآن بعد أن استعرضنا موقف هؤلاء الرافضين للسيد المسيح، وكيف كانت إجابته لهم، يمكننا الآن أن نقرب من موقف السيد المسيح للذين يتبعونه، فيقول السيد المسيح لأحد تلاميذه "طوبى للذين آمنوا ولم يروا" (يو ٢٠: ٢٩)، أي الذين لا يستندوا على الحواس في إيمانهم. ثم يقول لتلاميذه بعد قيامته "هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم: أنه لا بد أن يتمَّ جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير. حينئذٍ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب" (لو ٢٤: ٤٤ - ٤٥)، أي أن من يقبل السيد المسيح يمكنه فهم أسرار الأحداث والنبوات في العهد القديم. ثم يقول في صلاته لله الآب: "عرفتهم اسمك وسأعرفهم ... وأكون أنا فيهم" (يو ١٧: ٢٦). أما بقوله هنا "سأعرفهم" فهو يشير إلى النمو في المعرفة، كما يقول أيضاً: "أما المعزّي، الروح القدس، الذي سُرَّسَله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم ... هو يرشدكم إلى جميع الحق ... لأنه يأخذ مما لي ويخبركم، كل ما للآب هو لي لهذا قلتُ أنه يأخذ مما لي ويخبركم" (يو ١٤: ٢٦، ١٦: ١٣ - ١٥)، وهنا تأكيد لوحداية الآب والابن والروح القدس، وهي التي تستعلن للإنسان بالروح القدس.

وهكذا حينما نلجأ للكتاب المقدس وحده، وعطية الروح القدس، يمكننا أن ندخل إلى أعماق سر الآب والابن والروح القدس كما أعلنه السيد المسيح والآباء الرسل للبسطاء، وذلك ليس بمعنى أننا نغفل أقوال آبائنا العظام الذين شرحوا الإيمان والذين تتلمذنا على كتاباتهم، بل أن نقبل الإيمان في بساطة المسيح (٢كو ١١: ٣)، كمثل هؤلاء الذين ضحوا بحياتهم من أجل تمسكهم بالإيمان، ودون أن ينالوا دراسة في الكتب، أو مثل الذين كانوا أطفالاً وصبياناً ولكن السيد المسيح كان ساكناً فيهم جميعاً بالروح القدس، وعندنا كمثال القديسة الفلاحة رفقة التي دُبح أولادها على ركبتيها ثم استشهدت معهم، أو مثل الطفل أبانوب الذي احتمل العذاب والموت ولم يتزعزع عن الإيمان.

لهذا فلنتقدم بروح الصلاة والخشوع ونطلب من السيد المسيح ليقودنا لفهم أقواله وأقوال رسله في الكتاب المقدس، لنرتفع في إدراكنا إلى فهم سر المسيح، ويفتح أذهاننا لفهم مقاصده منا، ويثبت رجائنا فيه، ويقودنا إلى الصلاح وعمل الخير، والبُعد عن كل شبه شر، طالبين صلوات الذين سبقونا في الإيمان واحتملوا الآلام حتى الموت من أجل اسم السيد المسيح.

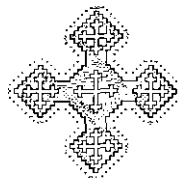
ولعله من الضروري أن نفهم أن معرفة الله فيها نمو "انموا في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح" (٢بط ٣: ١٨)، ولكن لأن عقل الإنسان لا يستطيع أن يتعرف على جوهر الله، إذن فالمعرفة التي يعطيها الله للإنسان هي عطية استنارة داخلية على قدر ما يستطيع الإنسان أن يحتمل، وهذه العطية تزداد للإنسان على قدر محبته لله والناس، وهو أمر يقدره الله بنفسه لأنه فاحص القلوب والكلى (رؤ ٢: ٢٣). ولهذا قد يظن أحد أن هذه المعرفة تستحيل على الأشرار ولكن السيد المسيح يعلن أنه لم يأت ليدعوا أبراراً بل خطاة إلى التوبة (لوق: ٢٢)، لهذا فقد نرى إنساناً يبدو شريراً، ولكن الله يعرف مقدار استعداده للتوبة، وهنا يدعوه الله إلى معرفته، مثل المرأة الخاطئة (لوق: ٧: ٤٨)، أو القديس موسى الأسود الذي كان قاتلاً ومستبيحاً.

ومن البديهي أن معرفة السيد المسيح ليس أنه مجرد نبي يدعو إلى الصلاح، بل هي معرفته كإله متجسد لفداء الإنسان، ومعرفة سر الله في وحدانيته كآب وابن

وروح قدس، واستعلان الله في ابنه للإنسان، وخلاصه به وفيه، ومنح الإنسان الحياة الأبدية والبنوة لله في ابنه بالروح القدس.

إذن فمعرفة السيد المسيح ليست لمجرد المعرفة العقلية التي يناقشها الإنسان ويقوم بدارسها كمنهج علمي، ولكنها عطية حياة وتقديس وتؤدي بالضرورة إلى تغير جذري في حياة الإنسان وتقديسه ليتأهل لسكنى السماء كملائكة الله. وهنا يأتي معنى النمو في معرفة السيد المسيح بأنه ازدياد في نعمة القداسة والطهر والمحبة والفرح والسلام بل وصلابة الإيمان نفسه! وبصورة أخرى فإن معرفة السيد المسيح لا تعني معرفة شخصه فقط، بل تعني أيضاً معرفة الروح القدس لننال به معرفة المسيح الحقيقية وعربون الحياة الأبدية (أف ١: ١٤)، ومعرفة سر الآب والابن والروح القدس. ولهذا يقول الكتاب المقدس: "الذي يثبتنا معكم في المسيح، وقد مسحنا هو الله. الذي ختمنا أيضاً، وأعطى عربون الروح في قلوبنا ... لأنكم بالإيمان تثبتون" (٢ كو ١: ٢١-٢٢، ٢٤)، والختم هنا إشارة إلى المعمودية، ويقول أيضاً: "إلى أن ننتهي جميعاً إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح" (أف ٤: ١٣). ويتضح هنا أن الإيمان يرتبط بالمعرفة وحياة الكمال في المسيح يسوع.

ويقول أيضاً: "ما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان: ما أعدّه الله للذين يحبونه. فأعلنه لنا الله نحن بروحه" (١ كو ٢: ٩-١٠)، وهنا تتضح الصعوبة في أن يحاول الإنسان معرفة سر الآب والابن والروح القدس بعقله البشري. وهكذا يمكننا أن نتقدم لنسمع كلمات السيد المسيح عن ذاته وعن علاقته بالآب والروح القدس وسنتابع في العظة القادمة أقواله حين طرد الباعة من الهيكل وقال انقضوا هذا الهيكل إشارة إلى جسده، ثم نتابع الحوار مع اليهود بعد شفاء الإنسان المخلع، وحوار آخر معهم بعد أن أشبع الجموع من الخمس خبزات والسمكتين.



الآب والابن والروح القدس، وكيف أعلن السيد المسيح السر

العظة (٩)

أحداث ذات مغزى يستخدمها السيد المسيح تشرح سر الآب والابن والروح القدس

يمكننا أن نستعرض بعض الحقائق التي سبق ذكرها عن سر الآب والابن والروح القدس، حتى يسهل فهمنا لحوارات السيد المسيح مع اليهود في المواقف المختلفة، والتي اختارها السيد المسيح لشرح هذا السر وما يعود على الإنسان من استعلانة:

١ - الحقيقة الأولى أن الله روح، وواحد في جوهره ولكنه لا يمكن إدراك هذا الجوهر بعقل الإنسان.

٢ - إن الإنسان - متمثلاً في شعب بني إسرائيل - لا يمكنه مواجهة مجد الله أو الاقتراب منه أو سماع صوته أو رؤية صورته بل أن مجرد ظهور مجده لا يحتمله الإنسان.

٣ - إن الله تحدث على لسان الأنبياء لشعب بني إسرائيل، وبالتالي للعالم كله، أنه سيظهر كإنسان في ابنه الوحيد الجنس الذي يأخذ جسداً بشرياً من روحه ومن بطن العذراء، وهذا الظهور هو عمل محبة يلتقي به الخالق مع البشر، ويرتقي به البشر إلى خليفة جديدة تستمد صورتها من الله المتجسد، وتنعم بخلاصه برفع حكم الموت عن الإنسان، وتقديس حياة الإنسان بجسده المعطى كذبيحة فداء عن الإنسان.

٤ - إن الله - الذي هو روح - والذي كلمنا في ابنه منحنا انسكاب روحه القدوس على البشر لينالوا عطية الابن المتجسد في الفداء والتقديس.

٥ - إن هذه العطية في التجسد والفداء وعطية الروح القدس هي التي تكشف للإنسان سر خلقته وسر حياته على الأرض، والكشف عن صورته الروحانية التي سيكون عليها بعد انقضاء هذا العالم المنظور.

٦ - إن السيد المسيح حينما كان على الأرض، كان هو بذاته صورة الله غير المنظور، وإن وحدانيته مع الآب والروح القدس هي التي تجعل منه إلهاً يتكلم كإنسان وفي ذات الوقت يملأ الأكوان ما في السماء وما على الأرض وسلطانه هو سلطان الله غير المنظور.

٧ - وكنتيجة لهذا كله فإنه لا بد أن يكون الآب والابن والروح القدس جوهر واحد لله. وهو الذي أحبنا وخلقنا وفدانا وأفسح لنا مكاناً في ملكوته السماوي.

والآن نتقدم ليعلم لنا الروح القدس ما وراء كلمات السيد المسيح في هذه الحوارات مع شعب اليهود:

في بداية إعلان السيد المسيح عن ذاته دخل الهيكل في عيد الفصح، وطرد الباعة وقلب موائد الصيارف وقال: " لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة " (يو ٢: ١٦)، وقد كان الهيكل هو المكان الذي استقر فيه لقاء شعب اليهود بالله، والذي كان فيه كل رموز التجسد الإلهي والفداء والكفارة ويتم فيه تقديم الذبائح الدموية التي تشرح ذبيحة السيد المسيح على الصليب.

وهنا أعلن السيد المسيح أنه هو الله المتكلم " لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة " (يو ٢: ١٦)، وحينما سأله اليهود ما هي آيته حتى يأمر بهذا، أجابهم " انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيام أقيمه " (يو ٢: ١٩)، ويؤكد يوحنا قول السيد المسيح " أما هو فكان يقول عن هيكل جسده " (يو ٢: ٢١)، لأن اليهود ظنوا أنه يتحدث عن هذا الهيكل الذي طرد منه الباعة والصيارفة بصفته بيت أبيه.

وهنا حينما يتحدث الكتاب المقدس ليعلم للذين يؤمنون بالسيد المسيح " أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم " (١ كو ٣: ١٦) وكذلك " إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله، لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو " (١ كو ٣: ١٧) فلوقت سيدرك الإنسان مغزى هذا الحوار. لقد أفسد شعب اليهود قيمة ومغزى هيكل العهد القديم كما أفسد الإنسان حياته بمعرفة الشر. كما أن هيكل العهد القديم الذي كان يلتقي به الإنسان مع الله قد تحقق رمزه بالتجسد الإلهي وتقديم ذبيحة السيد المسيح، بل أن البشر بالتجسد الإلهي وانسكاب الروح القدس عليهم، بعد فدائهم بالسيد المسيح صاروا هيكلًا جديدًا لله، فلهذا فإن قول السيد المسيح عن الهيكل اليهودي أنه بيت أبيه، ثم قوله انقضوا هذا الهيكل، كان يقصد تجديدًا كاملاً للإنسان وتقديسًا كاملاً للإنسان بفداء وسكنى الروح القدس ولهذا قبل أن يتقدم للصليب قال لليهود عن الهيكل " هوذا بيتكم يترك لكم خراباً " (لو ١٣: ٣٥)، فقد انتهى أوان الرمز وأقام الله

هيكله في الإنسان بالروح القدس! ثم يؤكد الكتاب المقدس بعهديه هذه الحقيقة فيقول إرميا النبي "ها أيام تأتي، يقول الرب، وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً... أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم" (إر ٣١: ٣١-٣٣)، (عب ٨: ٨-١١). وتشرح الرسالة إلى العبرانيين عن السيد المسيح أنه "ليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس، فوجد فداءً أبدياً. لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين، يقدّس إلى طهارة الجسد، فكيف بالدم المحيي، الذي بدم المسيح قدم نفسه لله بلا عيب، يظهر ضمايركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي!" (عب ٩: ١٢-١٤). ثم يؤكد الكتاب المقدس أن "موسى كان أميناً في كل بيته كخادم، شهادة للعتيد أن يتكلم به. وأما المسيح فكابن على بيته. وبيته نحن" (عب ٣: ٥-٦) وعلى ذلك فإن السيد المسيح لم يعلن فقط بنوته الوحيدة لله الآب بل بنوتنا نحن التي منحها لنا بتجسده وفدائه وبالروح القدس، أي أبناء بالتبني (أف ١: ٥).

أما الحوار الثاني: للسيد المسيح مع اليهود كان بعد شفاء الإنسان المفلوج لمدة ثمان وثلاثين سنة، وكان ذلك في يوم سبت (يوحنا ٥: ٥)، وحينما اعترض اليهود على هذا الشفاء في السبت أعلن لهم السيد المسيح "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يوه ١٧: ١٧) وهنا أدرك اليهود أنه يقصد "إن الله أبوه، معادلاً نفسه بالله" (يوه ١٨: ١٨). وبالتأكيد فإن السيد المسيح أوصلهم إلى هذا الفكر، ثم تابع حديثه ليشرح كيف وهو يكلمهم كإنسان كان هو بذاته الله الظاهر كإنسان الذي يملأ كل الأكوان، وأنه الناطق بكلمته والمنفذ مشيئته وأن سلطانه على الأرض هو بذاته سلطانه في السماء، وهو قد أخذ هذه الصورة الإنسانية ليحيي الإنسان، ويصل بصوته إلى الذين في القبور منذ آدم، وأنه هو الذي سيدين الإنسان في نهاية الأيام لأنه صار إنساناً!! وهكذا قال "أبي يعمل حتى الآن وأنا أيضاً أعمل... لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل... لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء. لأن الآب لا يدين أحداً، بل قد أعطى كل الدينونة للابن،... من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة... كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً، لأنه

ابن الإنسان ... فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته ... لأن الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها، هذه الأعمال بعينها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني ... لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتهم هيئته، ... فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية. وهي التي تشهد لي ... لا تظنوا إنني أشكوكم إلى الآب. يوجد الذي يشكوكم وهو موسى، الذي عليه رجاؤكم. لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني" (يو ٥: ١٧-٤٦).

أما الحوار الثالث: فكان بعد أن أشبع السيد المسيح خمسة آلاف رجل غير النساء والأولاد من خمس خبزات وسمكتين وكانوا يبحثون عنه ليجعلوه ملكاً فأعلن لهم عن "الطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان، لأن هذا الله الآب قد ختمه" (يو ٦: ٢٧)، وحينما سألوه عن آية ليؤمنوا به أشار إليهم "ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء، بل أبي يُعطيكم الخبز الحقيقي من السماء ... أنا هو خبز الحياة من يقبل إليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً" (يو ٦: ٣٢-٣٥). وحينما اصطدموا بالقول شرح لهم كيف أنه نزل من السماء وتجسد كإنسان ليبذل جسده من أجل حياة العالم وأنه وإن كان يكلمهم كإنسان فهو واحد مع الآب الذي لا يستطيع إنسان أن يراه، وأن جسده الذي سيبدله سيصير خبزاً للحياة، كما كان المن السماوي للحياة في العهد القديم. وحينما اصطدموا أكثر بالكلام بمن فيهم بعض تلاميذه، أعلن لهم أن الله الذي يفحص قلوب البشر يجتذب الذي يسعى للقداسة بهذا الخبز الذي يهب الحياة الأبدية والذي هو جسده، وأن الروح القدس هو الذي يمنح هذه العطية، أي أن الآب يجتذب والابن يُخلص والروح القدس يمنح العطية وأن هذه هي مشيئة الله الواحد التي تتمها الابن بقوله: "أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يو ٦: ٤٠)، وهكذا إذا أتينا إلى بعض نصوص الحوار نسمع:

"خاصم اليهود بعضهم بعض قائلين: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لناكل؟ فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير، لأن جسدي مأكلاً حقاً ودمي مشرباً حقاً. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه. كما أرسلني الآب الحي، وأنا

حي بالآب، فمن يأكلني فهو يحيا بي. هذا هو الخبز الذي نزل من السماء. ليس كما أكل آباؤكم المنّ وماتوا. من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد" (يو ٦ : ٥٢ - ٥٨).

وحينما أعلنوا تذرهم كان قول السيد المسيح لهم:

" لا تتذمروا فيما بينكم. لا يقدر أحد أن يقبل إليّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني، وأنا أقيمه في اليوم الأخير. إنه مكتوب في الأنبياء: ويكون الجميع متعلمين من الله^(١) فكل من سمع من الآب، وتعلّم يقبل إليّ ... فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً! الروح هو الذي يحيي. أما الجسد فلا يفيد شيئاً. الكلام الذي أكلتمكم به هو روح وحياة" (يو ٦ : ٤٣ - ٤٥، ٦٢ - ٦٣).

الآب والابن والروح القدس، وكيف أعلن السيد المسيح السر

العظة (١٠)

مواقف تشرح الوجدانية مع تمايز الآب والابن والروح القدس

استعرضنا سابقاً في (العظة ٧) موقف لقاء الإنسان مع السيد المسيح بدون الروح القدس، وكذلك موقف السيد المسيح مع من يقبله ومن يرفضه في (عظة ٨). ويمكننا الآن أن نستعيد بعض المواقف التي كان يكشف فيها السيد المسيح سر علاقته بالآب والروح القدس. وقد نطن أن كلمات السيد المسيح في هذه المواقف كانت تخص اللحظة التي يتكلم فيها، ولكنها بالتأكيد كانت لتحديد أبعاد العلاقة بين السيد المسيح كإله منظور، مع الآب غير المنظور، وهي علاقة تهم الإنسان من جهة الحياة الأبدية للإنسان وعطية التجسد.

ففي أحد المواقف كان السيد المسيح يعلم في الهيكل فكان الرؤساء يطلبون أن يقتلوه، لأنه شفى المخلّع في يوم سبت ولكن أحداً لم يلق عليه يداً، فظن البعض أن الرؤساء علموا يقيناً أن هذا هو المسيح، ولكنهم قالوا: " لكن هذا نعلم من أين هو، وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو" (يو ٧ : ٢٧)، وذلك إشارة إلى أن السيد المسيح كان معلوماً لليهود أنه من ناصرة الجليل، وأبوه يدعى يوسف وأمه تدعى مريم، أما

^(١) (إش ٥٤ : ١٣)، (إر ٣١ : ٣٤)، (مي ٤ : ٢).

مفهوم اليهود عن المسيح الذي ينتظروه والذي لا يعلم أحد من أين هو فإنه كمثّل ملكي صادق "المُترجم أولاً" ملك البر"، ثم أيضاً ملك سالييم أي "ملك السلام" بلا أب، بلا أم، بلا نسب. لا بدّاءة أيام له ولا نهاية حياة، بل هو مشبّه بابن الله " (عب ٧: ٢-٣)، وهنا أجابهم السيد المسيح " تعرفوني وتعرفون من أين أنا، ومن نفسي لم آت، بل الذي أرسلني هو حق، الذي أنتم لستم تعرفونه. أنا أعرفه لأنني منه، وهو أرسلني " (يو ٧: ٢٨ - ٢٩).

وحينما أرسل الفريسيون والكنهنة خداماً ليمسكوه قال لهم: " أنا معكم زماناً يسيراً بعد، ثم أمضي إلى الذي أرسلني، ستطلبوني ولا تجدوني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا " (يو ٧: ٣٢ - ٣٤). وهنا ظن اليهود أنه يذهب بعيداً إلى أرض الشتات ليعلم اليهود اليونانيين، ولكن كلمات السيد المسيح التي لم يفهموها في حينها تشير إلى وحدانيته مع الآب مع ظهوره كإنسان " أنا أعرفه لأنني منه، وهو أرسلني " (يو ٧: ٢٩)، ثم أشار إليهم أن حقيقته هي غير هذه الصورة المنظورة أمامهم أي أنه هو بذاته الله الذي لا يمكن أن ينظروه " حيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا " (يو ٧: ٣٤).

وفي موقف آخر كان السيد المسيح قد أنقذ المرأة التي أمسكت في الخطية فقال: " أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة. فقال له الفريسيون: أنت تشهد لنفسك. شهادتك ليست حقاً. أجاب يسوع وقال لهم: وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق، لأنني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب. وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتي ولا إلى أين أذهب. أنتم حسب الجسد تدبنون، أما أنا فلست أدين أحداً. وإن كنت أنا أدين فدينوتي حق، لأنني لست وحدي، بل أنا والآب، الذي أرسلني. وأيضاً في ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق: أنا هو الشاهد لنفسي، ويشهد لي الآب الذي أرسلني. فقالوا له: أين هو أبوك؟ أجاب يسوع لستم تعرفوني أنا ولا أبي. لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً " (يو ٨: ١٢ - ١٩). فإذا استعدنا قوله السابق عن الآب " أنا أعرفه لأنني منه وهو أرسلني " (يو ٧: ٢٩). ثم قوله: " أنا هو الشاهد لنفسي، ويشهد لي الآب الذي أرسلني " (يو ٨: ١٨). فهذا يطابق تماماً أن " الكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله " (يو ١: ١)، أي أنها وحدانية وتمايز في نفس الوقت وهذا يشرح معنى بنوته الوحيدة الجنس لله الآب، كما يفسر كيف صار هذا الأمر نوراً للعالم من جهة استعلان الله للإنسان.

ولكننا ماذا نتوقع من السامعين الذين لم ينالوا الروح القدس: أجابوه " أين هو أبوك! "
(يو ٨: ١٩).

ثم يذكر يوحنا شرح السيد المسيح لليهود في ذات الموقف معنى قوله سابقاً لهم:
" حيث أنا أمضي لا تقدرون أنتم أن تأتوا " (يو ٨: ٢٤، ٢١)، " فقال لهم: أنتم من أسفل، أما أنا
فمن فوق. أنتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا العالم. فقلت لكم: أنكم تموتون في خطاياكم،
لأنكم إن لم تؤمنوا أنني أنا هو تموتون في خطاياكم. فقالوا له: من أنت؟ فقال لهم يسوع: "أنا من
البدء ما أكلّمكم أيضاً به، إن لي أشياء كثيرة أتكلم وأحكم بها من نحوكم، لكن الذي أرسلني هو
حق. وأنا ما سمعته منه، فهذا أقوله للعالم. ولم يفهموا أنه كان يقول لهم عن الآب. فقال لهم يسوع:
"متى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون أنني أنا هو، ولست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا
كما علمني أبي، والذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الآب وحدي، لأنني في كل حين أفعل ما
يرضيه " (يو ٨: ٢٣ - ٢٩)، وهكذا بلا تردد أعلن السيد المسيح حقيقة الإلهية، ثم أوضح
هدفه من تجسده وهو أنه لكي لا يموتوا في خطاياهم، أي أنه يهدف لفدائهم
وتقديسهم، ثم أكد لهم أن هذا السر لن يكشف إلا بعمل الصليب " متى رفعتم ابن
الإنسان " (يو ٨: ٢٨)، (يو ١٢: ٣٢ - ٣٣)، (يو ١٤: ٣).

وفي ذات الموقف يذكر يوحنا أنه بينما هو يتكلم بهذا آمن به كثيرون فقال
يسوع لليهود الذين آمنوا: إنكم إن ثبتتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي
وتعرفون الحق والحق يحرركم. أجابوه: إننا ذرية إبراهيم ولم نستعبد لأحد قط.
أجابهم يسوع: الحق الحق أقول لكم إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية ... أنا
عالم أنكم ذرية إبراهيم .. أنا أتكلم بما رأيته عند أبي وأنتم تعملون ما رأيتم عند
أبيكم فقالوا له لنا أب واحد وهو الله فقال لهم يسوع: " لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني،
لأنني خرجت من قبل الله وأتيت ... الحق الحق أقول لكم: إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى
الموت إلى الأبد. فقال له اليهود ... قد مات إبراهيم والأنبياء ... من تجعل نفسك؟ ... أجاب يسوع:
إن كنت أمجد نفسي فليس مجدي شيئاً. أبي هو الذي يمجدني، الذي تقولون أنتم إنه إلهكم،
ولستم تعرفونه. وأما أنا فأعرفه ... أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح. فقال له اليهود:
ليس لك خمسون سنة بعد، أفرأيت إبراهيم؟ قال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: قبل أن يكون

إبراهيم أنا كائن. فرفعوا حجارةً ليرجموه. فاختموني وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى هكذا " (يو ٨ : ٤٢ - ٥٩).

هكذا يشرح السيد المسيح أنه في وحدانيته مع الآب وبصليبه وقيامته سيرفع عن الإنسان سلطان الخطية فيتحرر منها ، ولكن اليهود نظروا إلى حرية أخرى إنسانية وهي أنهم أبناء إبراهيم. فشرح لهم يسوع أن الإنسان الخاطئ هو عبد للخطية. ثم أنه كإله متجسد فإنه هو صورة الله الذي يقولون أنه أبوهم ، رغم وقوعهم تحت عبودية الخطية ، وأنه بظهور مجده في القيامة سيقم الإنسان معه وأن هذا هو سر دعوة الله لإبراهيم ، وسر وجودهم كأبناء لإبراهيم ، وسر حكمهم عليه أن يموت لأنه قال أن الله أبوه ، وعلى ذلك فهذا هو يوم فرح إبراهيم أن يتم كل هذا ، وأن إبراهيم الآن رغم موته فهو حي ويرى الله الذي قد دعاه وها هو قد تجسد ليحرر نسله والعالم كله وإنه بموته سيحرر الإنسان إلى الأبد إذا حفظ كلامه ولكن ماذا يفعل البشر الذين لم ينالوا روح الله القدوس ، إنهم يرفعوا حجارة ليرجموه !! وهنا كان لابد للسيد المسيح أن يمضي من أمامهم لأنه أعلن أن موته سوف يكون بالصليب وفي الوقت الذي يحدده ، لهذا فإنه في موقف تال قال " لهذا يحبني الآب ، لأنني أضع نفسي لأخذها أيضاً ، ليس أحد يأخذها مني ، بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتها من أبي " (يو ١٠ : ١٧ - ١٨).

الآب والابن والروح القدس ، وكيف أعلن السيد المسيح السر

العظة (١١)

الابن بين الله والناس

" يوجد إله واحدٌ ووسيطٌ واحدٌ بين الله والناس ، الإنسان يسوع المسيح " (١ تي ٢ : ٥)
يذكر الكتاب المقدس في بشارة يوحنا أن " الله لم يره أحد قط " (يو ١٨ : ١) ، ويذكر السيد المسيح عن الآب " لم تسمعوا صوته قط ، ولا أبصرتم هيئته " (يو ٣٧ : ٢) ، وكان شعب اليهود حسب وعود الله لأنبيائه ينتظر المسيح مخلصاً ويكون عظيماً .

وكان السيد المسيح يكلمهم كإنسان وهم لا يعرفون حقيقته الإلهية، فهو بالنسبة لهم ابن يوسف ومريم، فإذا أعلن السيد المسيح عن ذاته الإلهية كانوا يتهمونه بالتجديف مثلما قال أنه كائن قبل إبراهيم (يو ٨ : ٥٨)، وإذا صنع أمامهم معجزات خارقة لا يقدر عليها سوى الله قالوا: "هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم" (يو ٦ : ١٤). وإذا مست أقواله قلوبهم قالوا: "لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان" (يو ٦ : ٤٦)، "أعلل ... هذا هو المسيح حقاً" (يو ٦ : ٢٦)، وفي المرة التي كان يتحدث فيها عن جسده الذي يبذله عن العالم وكيف يكون خبزاً تحيا به نفوسهم تذمروا عليه (يو ٦ : ٤٧ - ٥١)، وفي عدة مرات قالوا عليه به شيطان (يو ٧ : ٢٠)، (يو ٨ : ٤٩ - ٥٢)، (يو ١٠ : ٢٠).

أما السيد المسيح فأعلن لهم أنهم حينما يرفعوه أي يصلبوه سيعرفونه من هو (يو ١٢ : ٣٢ - ٣٣)، كما أنه كان يعلم أنه بدون الروح القدس لا يمكن لنفوسهم أن تنعم بمعرفة فدائه وخلصه. ورغم ذلك يذكر يوحنا "آمن به كثيرون من الرؤساء أيضاً، غير أنهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به، لئلا يصيروا خارج المجمع، لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله" (يو ١٢ : ٤٢ - ٤٣)، حتى أن قيافاً رئيس الكهنة تنبأ عن موت المسيح عن اليهود والعالم كله ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد (يو ١١ : ٤٩ - ٥٢).

كما يذكر الكتاب المقدس أيضاً بعضاً من الخطاة المتوَّقين إلى التوبة قد عرفوه دون أن يكلمهم أحد (لو ٧ : ٣٦ - ٥٠). (لو ١٩ : ١ - ١٠)، (مت ٩ : ٩)، أما في كل الأحوال كان لابد للسيد المسيح أن لا يخفي حقيقته الإلهية حتى لو حاولوا قتله، وفي ذات الوقت كان عليه أن يضع إطاراً دقيقاً ويحدد أساس الإيمان به الذي سيكون عليه البشر بلا انحراف بعد صعوده. ولهذا سجّل يوحنا بعض الأقوال التي تشرح الصورة كاملة:

١- في إحدى المرات "كان يسوع يتمشّي في الهيكل في رواق سليمان، فأحتاط به اليهود وقالوا له: إلى متى تُعلّق أنفسنا؟ إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهرًا. أجابهم يسوع: "إني قلت لكم ولستم تؤمنون. الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي. ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافي، كما قلت لكم. خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطئها أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل،

ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. أنا والآب واحد. فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه " (يو: ١٠: ٢٣-٣١).

وكان اعتراضهم " إنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً " (يو: ١٠: ٣٣).

فأشار إليهم السيد المسيح بالمزمور ٨٢ الذي يقول: " أنا قلت: أنكم آلهة " (مز ٨٢: ٦)، ويكمل " إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن يُنقض المكتوب، فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم، أتقولون له: إنك تُجذّف، لأنني قلت: إني ابن الله؟ إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي. ولكن إن كنت أعمل، فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال، لكي تعرفوا وتؤمنوا إن الآب فيّ وأنا فيه " (يو: ١٠: ٣٥-٣٨).

أما المزمور نفسه فيبدأ بقوله: " الله قائم في مجمع الله " (مز ٨٢: ١)، ولا بد لنا أن نعرف أن اسم الله في العهد القديم هو بصيغته الجمع " ألوهيم " وهنا يشير السيد المسيح إلى سر الآب والابن والروح القدس، تماماً مثل قول الكتاب المقدس " هوذا الإنسان قد صار كواحد مثلاً عارفاً للخير والشر " (تك ٣: ٢٢)، أو مثل قوله على لسان إشعياء النبي " منذ وجوده أنا هناك، والآن السيد الرب أرسلني وروحه " (إش ٤٨: ١٦).

أما عن قوله عن البشر " أنا قلت أنكم آلهة " فهو يشير إلى الصورة التي سيصير عليها الإنسان بسبب الفداء بالمسيح والجسد الممجّد الذي سيلبسه البشر كملائكة الله. ولكن المزمور يكمل ويقول: " ولكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون " (مز ٨٢: ٧)، بمعنى أنه لا بد أن يأخذ الإنسان عقوبة الموت ولكنه يقوم في المسيح، كما أن الإنسان قد يسقط بسبب الخطية مثلما قد سقط الشيطان.

ورغم أن السيد المسيح يعلم أن المعجزات لا تقيم إيماناً بدون التوبة وقبول الروح القدس، لكن السيد المسيح جعل منها شاهداً عليهم أنهم رأوها ولم يؤمنوا بها رغم أنها تشير أنه في الآب والآب فيه.

٢ - وفي مرة ثانية كان بعض اليهود اليونانيين يرغبون في رؤية السيد المسيح فتوسط لهم إثنان من تلاميذه وأما يسوع فأجابهما قائلاً: " قد أنت الساعة ليتمجد ابن الإنسان، الحق الحق أقول لكم: إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير، ... إن كان أحد يخدمني فليتبني، وحيث أكون أنا هناك أيضاً يكون

خادمي. وإن كان أحد يخدمني يكرمه الآب. الآن نفسي قد اضطربت. وماذا أقول: أيها الآب نجني من هذه الساعة؟ ولكن لأجل هذا أنبت إلى هذه الساعة أيها الآب مجّد اسمك! فجاء صوت من السماء: مَجِّدَتْ، وأُجِّدَ أيضاً! فالجَمع الذي كان واقفاً وسمع، قال قد حدث رعدٌ وآخرون قالوا: قد كلّمه ملاك! أجاب يسوع وقال: ليس من أجلي صار هذا الصوت، بل من أجلكم، الآن دينونة هذا العالم. الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً. وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع. قال هذا مشيراً إلى أية مِيتَةٍ كان مزعماً أن يموت ... الذي يؤمن بي، ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني. والذي يراني يرى الذي أرسلني. أنا قد جئت نوراً إلى العالم، حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة. وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه، الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير، لأنني لم أتكلّم من نفسي، لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية: ماذا أقول وبماذا أتكلّم. وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية" (يو ١٢: ٢٣ - ٥٠).

وفي هذا القول يعتبر السيد المسيح أن صليبه مجداً، بتأكيد من الله الآب، وأنه قد أتى وتجسد لكي يتمم هذا الأمر، فقد ظهر مجده بقيامته من الأموات، وظهر مجد الله بتغير صورة البشر إلى التقديس ونوالهم جسد القيامة بفداء السيد المسيح وتقديس الروح القدس واندحار الشيطان بعمل الصليب.

ولا يغفل السيد المسيح في هذا القول حقيقة هامة، وهي أنه بأخذه صورة إنسان وبذل ذاته حتى الموت من أجل البشر فإنه على كل من يتبعه أن يقوم بذات العمل تجاه أخيه الإنسان حتى يكرمه الآب وأكد على ذلك مرة بقوله: "لأنني جُعت فأطعمتموني. عطِشت فسقيتموني. كنت غريباً فأوَيْتُموني. عرباناً فكسوتموني. مريضاً فزرتُموني. محبوساً فأتيتم إليّ ... الحق أقول لكم: بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم" (مت ٢٥: ٣٥ - ٤٠). وفي موضع آخر "من أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً، كما أن ابن الإنسان لم يأت ليُخدَم بل ليُخدَم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت ٢٠: ٢٧ - ٢٨).

ثم يؤكد السيد المسيح أن محبة الله للبشر والتي دعت الله أن يخلقه ودعت الابن أن يتجسد هي ذات الوصية التي يوصي بها الإنسان، وأن نعمة الحياة الأبدية أساسها التجسد والفداء، ومحبة الإنسان لأخيه التي هي تكميل الناموس (رو ١٠: ١٣). وعلى ذلك فإن كلامه هذا سيكون أيضاً شاهداً على الإنسان يوم الدينونة.

٣ - وفي قول ثالث للسيد المسيح وكان موجهاً لتلاميذه بعد العشاء الأخير، وبعد أن انصرف يهوذا ليُسَلِّم السيد المسيح لليهود ليُصلب، قال لهم: "الآن تمجّد ابن الإنسان وتمجّد الله فيه، إن كان الله قد تمجّد فيه، فإن الله سيُتمجّد في ذاته، ويمجّده سريعاً. يا أولادي، أنا معكم زماناً قليلاً بعد. ستطلبوني، وكما قلت لليهود: حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا، أقول لكم أنتم الآن. وصية جديدة أنا أعطيكُم: أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا ... بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي: إن كان لكم حب بعضاً لبعض ... لا تضرب قلوبكم أنتم تؤمنون بالله فأمنوا بي. في بيت أبي منازل كثيرة ... أنا أمضي لأعد لكم مكاناً ... حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً، وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق، قال له توما: يا سيد، لسا نعلم أين تذهب، فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟ قال له يسوع: أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي، لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً. ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه. قال له فيلبس: يا سيد، أرنا الآب وكفانا. قال له يسوع: أنا معكم زماناً هذه مُدَّتُه ولم تعرفني يا فيلبس! الذي رأيته فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت: أرنا الآب؟ ألسنت تؤمن أنني أنا في الآب والآب فيّ؟ الكلام الذي أكلّمكم به لست أكلّمكم به من نفسي، لكن الآب الحالّ فيّ هو يعمل الأعمال، صدقوني أنني في الآب والآب فيّ، وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها" (يو ١٣: ٣١-٣٥، ١٤: ١-١١).

وفي هذا القول يؤكد السيد المسيح أن عمل الصليب هو المجد، وأن وصيته هي المحبة وأن هذا هو الطريق الذي به يصل البشر من خلال السيد المسيح إلى بيت الآب، وأن هذا هو الحق الذي به "حَمَلَ هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر" (١ بط ٢: ٢٤)، والذي به رفع حكم الموت عن الإنسان ونال الحياة الأبدية. فكيف يكون كل هذا دون أن يكون السيد المسيح هو الله الظاهر في الجسد وأنه واحد مع الآب وكيف ننال هذه العطية بدون الروح القدس.



الآب والابن والروح القدس، وكيف أعلن السيد المسيح السر

العظة (١٢)

معرفة الآب والابن والروح القدس، وأثرها في الوصية

استعرضنا في مقدمة العظة السابقة موقف الإنسان من المسيح بدون الروح القدس، ورأينا من انبهر بأعماله فأمن، ومن سمع أقواله فقال ألعن هو المسيح، ومن صدم من إعلانه حقيقته الإلهية فغضب واستنكر، ومن آمن به من الرؤساء ولم يفصح لسبب خوفه على رئاسته، كما رأينا التائبين الذين قبلوه دون أن يوجههم أحد. وهكذا تحققت نبوة إشعياء التي عن السيد المسيح " يكون مقدساً وحجر صدمة وصخرة عثرة لبني إسرائيل، وفخاً وشركاً لسكان أورشليم " (إش ٨: ١٤)، "هأنذا أؤسس في صهيون حجراً، حجر امتحان، حجر زاوية كريماً، أساساً مؤسساً: من آمن لا يهرب " (إش ٢٨: ١٦)^(١).

وقد كان السيد المسيح يعلم هذا الوضع يقيناً، ولكنه وضع سؤالاً لتلاميذه وكأنه لا يعلم فسألهم: "لما جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلاً: من يقول الناس إنني أنا ابن الإنسان؟ فقالوا: قوم: يوحنا المعمدان، وآخرون: إيليا، وآخرون: إرميا أو واحد من الأنبياء، قال لهم: وأنتم، من تقولون إنني أنا؟ فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي، فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا، إن لحمًا ودماً لم يعلن، لك لكن أبي الذي في السموات " (مت ١٦: ١٣-١٧)، أما العجيب أن يلتقي بطرس هذا بأحد الجواري ليلة أن تقدم السيد المسيح للصليب، فينكر بطرس السيد المسيح بحلف وبأنه لا يعرفه! على أننا نجد بطرس نفسه بعد حلول الروح القدس الذي حل على التلاميذ بعد صعود السيد المسيح يحول ثلاثة آلاف نفس لقبول السيد المسيح في عظة واحدة، ثم يقف أمام رؤساء الكهنة ويقول: "يسوع المسيح الناصري، الذي صلبتموه أنتم، الذي أقامه الله من الأموات، بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً. هذا هو: الحجر الذي احتقرتموه أيها البناؤون، الذي صار رأس الزاوية. وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء، قد أعطي بين الناس، به ينبغي أن نخلص " (أع ٤: ١٠-١٢).

(١) انظر (رو ٩: ٢٣)، (ابط ٢: ٨).

وهكذا تؤكد هذه الأحداث قولين للسيد المسيح:

الأول: " لا يقدر أحد أن يقبل إليّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني ... إنه مكتوب في الأنبياء: ويكون الجميع متعلّمين من الله. فكل من سمع من الآب وتعلّم يقبل إليّ " (يو ٦: ٤٤-٤٥)، وهنا الآب يجتذب حسب سابق علمه عن الإنسان.

والقول الثاني: " أنا أطلب من الآب فيعطيك معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد ... أمّا المعزّي، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يُعلّمكم كل شيء، ويذكّركم بكل ما قلته لكم ... وأما الآن فأنا ماضٍ إلى الذي أرسلني ... لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ... إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحملوها الآن. وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، ... ذاك يمجّدني، لأنه يأخذ ممّا لي ويخبركم. كل ما للآب هو لي. لهذا قلت أنه يأخذ ممّا لي ويخبركم " (يو ١٤: ١٦-٢٦، ١٤-١٥). وهنا الروح القدس يستعلن للإنسان من هو الآب ومن هو الابن هكذا يقف اللسان عاجزاً عن التعبير عن هذه الوجدانية العجيبة التي للآب والابن والروح القدس، وكيفية استعلانها بهذه الصورة التي تفوق الإدراك، ثم عن مدى أثر هذا الاستعلان في حياة الإنسان الذي يرفع البشر من تراب زائل إلى أبناء لله في السماء. ولعلنا حينما نقرب بنعمه الله إلى بعض المعاني الخفية في هذه الأقوال يمكننا أن نجيب على السؤال: لماذا أن بعض البشر يقبلون السيد المسيح مخلصاً ولماذا يرفضه البعض الآخر؟ والعجيب أننا نجد الإجابة ليس من أفكارنا بل من أقوال السيد المسيح في نفس حديثه الطويل عن الروح القدس قبل أن يتقدم إلى الصليب مباشرة. والذي اخترنا منه ما ذكرناه في القول الثاني السابق، ويمكننا أن نضع السؤال بصورة أخرى: من هو الإنسان الذي يجتذبه الله الآب وعلى أي أساس يجتذبه؟

هنا يضع السيد المسيح أساساً عجيباً لعلاقة الله بالإنسان، وهي المحبة والتي على أساسها يجتذب الله الإنسان، وفي ذات الوقت جعلها أساس الوصية، أو ما يطلق عليه الناموس الكامل وناموس الحرية أو الشريعة التي تحكم الإنسان وهو ما اسماء يعقوب الرسول^(١) الناموس الملوكي حسب الكتاب " تحب قريبك كنفسك " (يع ٢: ٨)،

(١) (يع ١: ٢٥).

كما جعل السيد المسيح المحبة أساساً لاستعلانته واختياره للإنسان، وهكذا ينطلق معنى للوصية أكثر عمقاً وقوة من مجرد تنفيذ أوامر يفرضها الله على الإنسان. فيقول السيد المسيح: "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ... الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه، وأظهر له ذاتي ... إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً. الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي ... كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا ... اثبتوا في محبتي. إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي ... هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم ... قد سميتكم أحباء لأنني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي. ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم، وأقميتكم لتذهبوا وتأثروا بثمر، ويدوم ثمركم ... بهذا أوصيكم حتى تحبوا بعضكم بعضاً" (يو ١٤: ١٥ - ٢٤، ١٥: ٩ - ١٧).

ومن هذا النص يمكننا أن نخرج بالحقائق الآتية:

- ١ - إن الابن يختار من يجتذبه الآب وهذا دليل الوجدانية.
 - ٢ - إن محبة الإنسان للابن هي أساس اجتذاب الآب واختيار الابن لذلك الإنسان.
 - ٣ - محبة الإنسان للآب والابن هي مضمون الوصية والتي من خلالها يحب الإنسان أخيه الإنسان.
 - ٤ - ما دامت المحبة هي الوصية فيكون الابتعاد عن الشرور هو المحبة، أي أقوى من الفريضة.
 - ٥ - بمعنى آخر أن التوبة هي عمل محبة وهي أساس اجتذاب الآب واختيار الابن للإنسان.
 - ٦ - وبالتالي فإن التوبة هي باب مفتوح للآب والابن أن يسكنوا في قلب الإنسان ويجعلانه منزلاً.
 - ٧ - وحيث أن الله روح فإن الروح القدس هو الذي يقوم بتنفيذ وصية المحبة في الإنسان، وبه يسكن الآب والابن في الإنسان.
- فإذا طبقنا هذه الحقائق على حالة بطرس فإن الآب عرف بمحبته فاجتذبه والابن اختاره والروح القدس ثبته لا هكذا يجتمع معاً سر الآب والابن والروح القدس، في الوصية واستعلان الله للإنسان، ومحبة الآخرين. وهكذا نفهم قول

السيد المسيح عن الروح القدس: "ذاك يمجدني، لأنه يأخذ ممّا لي ويخبركم. كل ما للآب هو لي. لهذا قلت أنه يأخذ ممّا لي ويخبركم" (يو ١٦: ١٤-١٥)، كما نفهم قوله: "لا أعود أسميكم عبيداً، لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكني قد سمّيتكم أحبّاء لأنّي أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي" (يو ١٥: ١٥). كما أن كل هذه العطية قد أعطيت بناء على فداء الابن وصعوده إلى السماء وإرسال الروح القدس "أنا ماض إلى الذي أرسلني ... خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المَعزّي" (يو ١٦: ٥-٧). وهكذا أيضاً يتأكد لنا أن السيد المسيح لم ينقض ناموس موسى، أو الوصية بل أكمله لأنه جعل المحبة هي أساس تنفيذ الوصية لهذا قال: "لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل ... إن لم يزد برّكم عن الكتبه والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات ... فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم في السموات هو كامل" (مت ٥: ١٧-٤٨).

هكذا نفهم أيضاً أنه في الآب والابن والروح القدس ارتفع الإنسان من عبودية الفرائض إلى "حرية مجد أولاد الله" (رو ٨: ٢١).

وفي نهاية حديث السيد المسيح الطويل عن الروح القدس يقف ليناجي الآب ويقول: "هذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته ... العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته. والآن مجدّني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم. أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم ... وكل ما هو لي فهو لك، ما هو لك فهو لي، وأنا ممجدّ فيهم ... قدّسهم في حقّك. كلامك هو حقّ كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم ... ليكون الجميع واحداً، كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ... أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم. أيها الآب البار، إن العالم لم يعرفك، أما أنا فعرفتك، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني. وعرفتهم اسمك وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم" (يوحنا ١٧: ١٧).

الآب والابن والروح القدس في بشارة يوحنا

العظة (١٣)

أوصاف للسيد المسيح

الحديث عن الآب والابن والروح القدس يلزمه صلاة...

ذلك لأننا لا نقدر أن نعرف شيئاً عن الله غير المدرك إلا بالقدر الذي يعطيه لنا ...
كما أننا نحاول معرفته لأننا ندرك في أعماقنا مقدار احتياجنا إليه ، في حياتنا وبعد
مماقتنا! فمن أين تأتي المبادرة للمعرفة؟ من الله أم من الإنسان؟

فإذا علمنا أن سبب فقداننا معرفة الله كانت هي المعصية وبالمعصية معرفة الشر،
فبالابتعاد عن الشرور يمكننا الاقتراب إليه " اقربوا إلى الله فيقترب إليكم. نقوا أيديكم أيها
الخطاة، وطهروا قلوبكم ... اتضعوا قدام الرب فيرفعكم " (يع ٤ : ٨ - ١٠).

من جهة أخرى يقول السيد المسيح أمام بيلاطس الوالي: " أنت تقول: إني مَلِكٌ. لهذا
قد ولدت أنا، ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق. كل من هو من الحق يسمع صوتي " (يو ١٨ : ٣٧)، أي أنه لا سبيل إلى معرفة الله دون الاقتراب إلى الحق.

ولقد مر بنا قول يوحنا: " الله لم يره أحد قط " (يو ١ : ١٨)، ثم رأينا أن التعبير عن
وحدانية الله يكشف رباط المحبة بين الله والإنسان، ويقترن بتوبة من جهة الإنسان
تنتهي بعطية روحية من جهة الله " لأن من من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان
الساكن فيه؟ هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله. ونحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح
الذي من الله، لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله " (١ كو ٢ : ١١ - ١٢).

وقد رأينا فيما سبق كيف اقترب الله من الإنسان من خلال شعب بني إسرائيل
وكيف وعدهم بالمخلص الذي لهم وللعالم كله، وكيف ألمح إلى سر التجسد والفداء
الذي بالابن ومنح عطيته للبشر بالروح القدس.

لهذا يقول يوحنا عن الله الذي لم يره أحد قط " الابن الوحيد الذي هو في حضن
الآب هو خبر " (يو ١ : ١٨)، كما يقول: " صار جسداً وحل بيننا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحيده
من الآب مملوءاً نعمة وحقاً " (يو ١ : ١٤)، ونلاحظ أن تعبير " حضن أبيه " تحمل معنى خفي
تلمحه العين الروحية التي تدرك " الأشياء الموهوبة لنا من الله " (١ كو ٢ : ١٢).

وعلى هذا المنوال يمكننا متابعة تعبيرات السيد المسيح عن الآب وعن الروح القدس. فماذا يقول الابن عن الآب:

"لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته" (يو ٥: ٣٧).

"ليس أن أحد رأى الآب إلا الذي من الله. هذا قد رأى الآب" (يو ٦: ٤٦).

"لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً" (يو ٨: ١٩).

"كل ما للآب هولي" (يو ١٦: ١٥).

"أنا والآب واحد" (يو ١٠: ٣٠).

ومع هذه الوجدانية تظهر لنا صورة أخرى من العلاقة بين الآب والابن:

"الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده" (يو ٣: ٣٥).

"الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمل" (يو ٥: ٢٠).

"كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في

ذاته" (يو ٥: ٢٦).

"أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو ٥: ١٧).

وحينما تجسّد الابن نكتشف أن في إعلانه عن علاقته بالآب، والحب بينهما، أنه

يسكب هذا الحب على الإنسان!!

"كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا. اثبتوا في محبتي" (يو ١٥: ٩).

"كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء" (يو ٥: ٢١).

"لأنني قد نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني. وهذه مشيئة الآب

الذي أرسلني: أن كل ما أعطاني لا أُلْف منه شيئاً، بل أقيم في اليوم الأخير" (يو ٦: ٣٨-٣٩).

"قد سميتكم أحياء لأنني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي" (يو ١٥: ١٥).

"لأن هذه مشيئة الذي أرسلني: أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة، أبدية وأنا

أقيم في اليوم الأخير" (يو ٦: ٤٠).

"الذي أرسلني هو حق. وأنا ما سمعته منه، فهذا أقوله للعالم. ولم يفهموا أنه كان يقول لهم

عن الآب" (يو ٨: ٢٦-٢٧).

"من نفسي لم آتِ، بل الذي هو حق، الذي أنتم لستم تعرفونه. أنا أعرفه لأنني منه وهو أرسلني" (يو ٧: ٢٨ - ٢٩).

"لأنني لم أتكلم من نفسي، لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية: ماذا أقول وبماذا أتكلم. وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية. فما أتكلم أنا به، فكما قال لي الآب هكذا أتكلم" (يو ١٣: ٤٩ - ٥٠). "ليفهم العالم أنني أحب الآب، كما أوصاني الآب هكذا أفعل" (يو ١٤: ٣١).

ثم نكتشف أن وصية الآب له - التي هي حياة أبدية للبشر - هي أن يموت عنهم.
"متى رفعتهم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أنني أنا هو ولست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي. والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي لأنني في كل حين أفعل ما يرضيه" (يو ٨: ٢٨ - ٢٩).

"أيها الآب نجّني من هذه الساعة؟ ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة. أيها الآب مجدّ اسمك! فجاء صوت من السماء مجدّت وأمجّد أيضاً" (يو ١٢: ٢٧ - ٢٨).
"الآن تمجدّ ابن الإنسان وتمجدّ الله فيه. إن كان الله قد تمجدّ فيه فإن الله سيُمجّد في ذاته ويُمجّد سريعاً" (يو ١٣: ٣١ - ٣٢).

"أيها الآب، قد أتت الساعة. مجدّ ابنك ليُمجّدك ابنك أيضاً، إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته" (يو ١٧: ١ - ٢).

ثم نكتشف أن ضمن وصية الآب أن يمنح جسده المبدول كخبز للبشر:
"اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الله الآب قد ختمه" (يو ٦: ٢٧).

وقد أكد السيد المسيح لكل من يراه أنه واحد مع الآب:
"الذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم، أقولون له: أنك تُجذّف، لأنني قلت: إني ابن الله؟ إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي. ولكن إن كنت أعمل، فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال، لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيّ وأنا فيه" (يو ١٠: ٣٦ - ٣٨).

"صدقوني أني في الآب والآب فيّ، وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها" (يو ١٤ : ١١).
 "لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري، لم تكن لهم خطية، وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي" (يو ١٥ : ٢٤).
 "الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها، هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني" (يو ٥ : ٣٦).
 "الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي. ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافي، كما قلت لكم. خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. أنا والآب واحد" (يو ١٠ : ٢٥ - ٣٠).

ولأن الآب لا يمكن لأحد رؤيته فإنه أعطى الدينونة للابن:
 "لأن الآب لا يدين أحداً، بل قد أعطى كل الدينونة للابن" (يو ٥ : ٢٢).
 "وإن كنت أدين فدينونتي حق، لأنني لست وحدي بل أنا والآب الذي أرسلني" (يو ٨ : ١٦).
 "كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً، لأنه ابن الإنسان" (يو ٥ : ٢٦ - ٢٧).
 ويكفي الآن ما ذكرناه عن أقوال الابن عن الآب، لأننا حينما نتحدث عن أقوال السيد المسيح عن نفسه سنعود حتماً لذكر الآب وذكر الروح القدس، كما أننا حينما نذكر أقواله عن الروح القدس سيأتي حتماً ذكر علاقته بالآب وبالابن.

فماذا يذكر يوحنا البشير عن الابن أي السيد المسيح:

١ - ابن الله الوحيد الجنس:

الله من فرط رحمته أعطى الإنسان أن يكون ابناً له "إسرائيل ابني البكر" (خر ٤ : ٢٢). "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله" (يو ١ : ١٢).

وقد سبق ورأينا وحدانية الآب والابن رغم التمايز بينهما، ولهذا حينما افتقد الله الإنسان بتجسده وفدائه فإن الابن "الذي هو في حضن الآب" (يو ١ : ١٨)، هو الذي

اتخذ الطبيعة الإنسانية، بذلك كان الله حاضراً مرثياً ملموساً من البشر ولكنه يملأ السماء والأرض من خلال وحدانيته في الآب. ولهذا وصفه يوحنا البشير "والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحد من الآب، مملوءاً نعمة وحقاً" (يو ١: ١٤). وقد صار السيد المسيح وحيداً في جنسه لأنه كان صورة الله الغير منظور ولكنه ظهر كإنسان حينما اتخذ الجسد الإنساني من روحه القدوس وأخذ "عجينة"^(١) البشرية من العذراء مريم. ولهذا نجد في قول السيد المسيح لنيقوديموس معلم اليهود أن الله أرسل ابنه "ليخلص به العالم. الذي يؤمن به لا يُدان، والذي لا يؤمن قد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد" (يو ٣: ١٧ - ١٨).

وحينما قال السيد المسيح لليهود: "أنا والآب واحد" (يو ١٠: ٣٠)، واعترضوا عليه أجابهم: "أليس مكتوباً في ناموسكم: أنا قلت إنكم آلهة؟ إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن يُنقض المكتوب، فالذي قدَّسه الآب وأرسله إلى العالم، أقولون له: إنك تُجَدِّف، لأنني قلت: إني ابن الله؟" (يو ١٠: ٣٤ - ٣٦).

ومن الواضح أن تجسد الابن الوحيد هو الذي أعطى شرف بنوة الإنسان لله. كما أنه لم يكن هناك اسم يليق بالسيد المسيح الذي ظهر كإنسان إلا اسم الابن الوحيد الجنس وذلك رغم مساواته مع الآب وأخذه الجسد من الروح القدس والعذراء مريم. وهكذا شهد يوحنا المعمدان: "أنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء، ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذي يُعمد بالروح القدس. وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله" (يو ١: ٣٣ - ٣٤).

٢ - حمل الله:

كان يوحنا المعمدان كاهناً يهودياً ويعرف ما هي ذبيحة التكفير عن الخطايا لهذا قال عن السيد المسيح: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو ١: ٢٩). ولأن ذبيحة الحمل لا بد أن تكون متواجدة على الدوام للإنسان ليكفر بها عن خطاياهم، من هنا أعطى السيد المسيح لتلاميذه أن يقدموا ذبيحته كخبز بعد أن منحهم

(١) كما تقول التسبحة.

عطية الروح القدس، ليقوموا بهذا العمل إلى أن يأتي في مجيئه الثاني للدينونة مع نهاية العالم، ولهذا قال لهم عشية قيامته: "كما أرسلني الآب أرسلكم أنا. ولما قال هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياه تُغفر له، ومن أمسكتكم خطاياه أُمسكت" (يو ٢٠: ٢١-٢٣). وهكذا نرى في وحدانية الآب والابن والروح القدس صورة الخلاص والفداء والبنوة والمحبة التي منحها الله للإنسان.

وفي شهادة أخرى ليوحنا المعمدان يقول: "لست أنا المسيح بل إني مُرسل أمامه ... الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع، والذي من الأرض هو أرضي، ومن الأرض يتكلم. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع، وما رآه وسمعه به يشهد، وشهادته ليس أحد يقبلها. ومن قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق. لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله" (يو ٣: ٢٨، ٣١-٣٤)، ولكن المعمدان يكمل قوله في إشارة للآب والروح القدس ويقول "لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح. الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده. الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يو ٣: ٣٤-٣٦)، وفي هذا يعلن يوحنا أن استعلان الابن هو بالروح القدس وأن عطية الله هي من الآب في الابن بالروح القدس.

٣ - ابن الإنسان:

كان على السيد المسيح أن يؤكد أنه هو الذي أشار إليه العهد القديم لهذا قال لنيقوديموس: "كما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٤-١٥)، كما قال أيضاً لليهود: "أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح" (يو ٨: ٥٦).

ولعلنا نلاحظ أنه في حديثه لنيقوديموس عن الصليب أشار إلى لقب آخر أعطاه لنفسه وهو "ابن الإنسان" لأن ذبيحته على الصليب كانت بناسوته الذي لم يفترق عن لاهوته حتى يكون بذلك ذبيحة سمائية.^(١)

٤ - تعبير يشير إلى لاهوت الابن:

رأينا أن السيد المسيح أطلق على ذاته اسم "ابن الله" واسم "ابن الإنسان" لكننا نجد له بعض التعبيرات التي تجمع الاثنين في صورة لا يمكن قبولها إلا بالروح القدس

(١) القسمة الوجيزة بالخلو لاجي المقدس.

وذلك في قوله لنشأئيل: "الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان" (يو ١: ٥١)، وكذلك في قوله لتيقوديموس: "الحق الحق أقول لك: أننا إنما نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا، ولستم تقبلون شهادتنا. إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون، فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات؟ وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء" (يو ٣: ١١ - ١٣).

وكما سبق وذكرنا فإن السيد المسيح أشار كثيراً إلى لاهوته مما كان يدعو اليهود لمحاولة قتله. كما أنه في ذات الوقت أعطى لذاته ألقاباً متعددة تشير إلى الهدف الذي حققه للإنسان بتجسده وفدائه، منها أنه خبز الحياة، وماء الحياة، ونور العالم، والطريق، والحق، والقيامة، وراعي الخراف، وباب الخراف، إلى آخره ...

الآب والابن والروح القدس في بشارة يوحنا

العظة (١٤)

ألقاب للسيد المسيح

كما رأينا فإن السيد المسيح أعطى لذاته ألقاباً يشرح بها هدف تجسده وعطيته التي وهبها للإنسان وهكذا يقول: "أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يو ٦: ٥١).

ولقد سبق ورأينا أن السيد المسيح كان ذبيحة كفارة عن خطايا البشر رافعاً عنهم حكم الموت. وقد كان لا بد للذبيحة أن تكون دائمة إلى نهاية الأيام. وما دام السيد المسيح قدم ذبيحته مرة واحدة على الصليب، فقد أعطى أن تكون ذبيحته دائمة بصورة خبز. وكما سبق وأشرنا فإنه أعطى التلاميذ موهبة الروح القدس ككهنة ليقوموا بهذا العمل إلى أن يجيء للدينونة.

وكما سبق أيضاً وأشرنا أن السيد المسيح قدم ذبيحته في عيد الفصح تذكيراً بخلص الله لشعب إسرائيل بخروفي الفصح، وبهذا دُعي السيد المسيح أيضاً "حمل الله"

وقد قصد السيد المسيح أن يشرح هذا السرّ بعد أن أشبع الجموع من خمسة أرغفة وسمكتين، التي تشير إلى ذبائح العهد القديم الخمس: ذبيحة المحرقة، والخطية، والإثم، والشكر، وذبيحة القربان.

كما أن السيد المسيح قدّم ذبيحته غير الدموية معطياً دمه على هيئة خمر حسب ما أشار إليه في العهد القديم: "لأن نفس الجسد هي في الدّم، فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم، لأن الدّم يُكفّر عن النفس" (لا ١٧: ١١).

كما قصّد السيد المسيح أيضاً أن يُذكرّ شعب بني إسرائيل بأن الخبز الذي نزل من السماء في أرض سيناء كان يشير أيضاً إلى ذبيحته. وكما نرى فإن الابن الذي في حضن أبيه صار ذبيحة كخبز وخمر بالروح القدس !

وفي لقب آخر للسيد المسيح أشار إليه في خلقته عينين من طين للمولود أعمى، قال: "ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهار. يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل. ما دُمْتُ في العالم فأنا نور العالم" (يو ٩: ٤-٥).

وبعد اتهامه أنه أخطأ لعمل ذلك في يوم السبت قال للمعترضين: "لديونة أتيت أنا إلى هذا العالم، حتى يُبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون. فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين، وقالوا له: أعلنا نحن أيضاً عميان؟ قال لهم يسوع: لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية. ولكن الآن تقولون إننا بُصر، فخطيتكم باقية" (يو ٩: ٣٩-٤١).

كما أشار السيد المسيح أيضاً أنه النور حينما أعتق المرأة التي أمسكت في الخطية من أيدي راجميه (يو ٨: ٢-١٩)، وكذلك أظهر أيضاً أنه النور حينما بحث عنه يهود يوناثيون فأشار إلى أن معرفته هي عن طريق الصليب وكان هذا حينما سأله: "من هو هذا ابن الإنسان؟ فقال لهم يسوع: النور معكم زماناً قليلاً بعد، فسيروا ما دام لكم النور لئلا يُدرككم الظلام" (يو ١٢: ٣٤-٣٥).

وفي حديثه لنيقوديموس قال: "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية ... هذه هي الديونة: أن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة" (يو ٣: ١٦-١٩).

والعجيب أن السيد المسيح كان يذكر علاقته بالآب في كل مرة تحدّث فيها عن

النور ...

فيقول لنيقوديموس: " هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد " (يو ٣: ١٦)،

ومع المولود أعمى يقول: " ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني " (يو ٩: ٤) ...

ومع المرأة الخاطئة يقول: " أنا هو الشاهد لنفسي، ويشهد لي الآب الذي أرسلني " (يو ٨: ١٨)

ومع اليهود اليونانيين قال: " الذي يؤمن بي، ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني. والذي

يراني يرى الذي أرسلني. أنا قد جئت نوراً إلى العالم، حتى كل من يؤمن بي لا يمحى في الظلمة ...

لأنني لم أتكلّم من نفسي، لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلّم. وأنا

أعلم أن وصيته هي حياة أبدية. فما أتكلّم أنا به، فكما قال لي الآب هكذا أتكلّم " (يو ١٢: ٤٤ - ٥٠).

ومن الألقاب ذات المعنى الروحي العميق التي أطلقها السيد المسيح على ذاته لقب

" باب الخراف " (يو ١٠: ٧)، وهذا يعني تلك الحاسة الدفينة في قلب كل إنسان والتي من

خلالها يسمع الإنسان صوت ابن الله، فإما أن يستجيب إذا كانت في قلبه بذور التوبة

وإما أن يتقسى قلبه ليجد مرعى آخر.

ولكن لأن السيد المسيح أيضاً هو " الراعي الصالح " (يو ١٠: ١١)، فهو يسعى من أجل

تلك الخراف الشاردة حتى أنه " يضع نفسه عن الخراف " (يو ١٠: ١٥)، ومن خلال هذا اللقب

يشير السيد المسيح إلى الأنبياء الكذبة التي تخدع أقوالهم قلب الإنسان لتدخل عن

طريق الشهوات واللذات فتصبح كلص يدخل إلى الحظيرة ليبدد الخراف. ولا يفضل

السيد المسيح من خلال هذا اللقب أن يشير إلى حظيرة شعوب العالم ليضمها إلى حظيرة

شعب بني إسرائيل (يو ١٠: ١٦).

وكما هو الحال في كل ألقابه فإنه لا بد أن يوضح عمل الآب. فلهذا يقول:

" أما أنا فإني الراعي الصالح، وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني، كما أن الآب يعرفني وأنا

أعرف الآب ... لهذا يحبني الآب، لأنني أضع نفسي لآخذها أيضاً " (يو ١٠: ١٤ - ١٧).

ومن الألقاب العجيبة أيضاً لقب القيامة والحياة (يو ١١: ٢٥). فالقيامة كانت أملاً

للإنسان كما نرى عند قدماء المصريين ولكن من هو القادر على الحياة سوى الله

خالق الحياة؟ هكذا فإن السيد المسيح بتجسده وصلبيه وقيامته أعطى القيامة

للإنسان - الأبرار منهم والأشرار - حتى أنه قال: " لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة " (يو ٥: ٢٨ - ٢٩).

وهكذا أكمل السيد المسيح قوله بعد أن قال عن نفسه أنه هو القيامة والحياة "من آمن بي ولوممات فسيحيا، وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد " (يو ١١: ٢٥ - ٢٦).
والعجيب أنه في إقامته للعازر الذي كان في القبر لمدة أربعة أيام ذكر أيضاً الآب بقوله " أيها الآب، أشكرك لأنك سمعت لي. وأنا علّمت أنك في كل حين تسمع لي. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت، ليؤمنوا أنك أرسلتني " (يو ١١: ٤١ - ٤٢).

أما عن قوله أنه الطريق والحق والحياة فهو بذاته يُكمل " ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي " (يو ١٤: ٦).

وقد كان هو الحق لأنه صار الطريق الحقيقي المؤدي إلى الحياة الأبدية، وهو الحق لأنه اشترانا بدمه لنكون أبناء لله بعد أن عجز الإنسان أمام قضية الموت، وهو الحق لأنه أعطانا من قداسه لنحيا بالحق والبر. ومن المعروف أن كلمة الحق تعني أيضاً البر والعدل.

ومن ألقاب السيد المسيح أيضاً لقب " الكرمة الحقيقية ونحن الأغصان " وفيها يشير إلى عطية الروح القدس الخفية التي ننالها بثباتنا في جسده، ثم يعود ويقول " وأبي الكرام " (يو ١٥: ١)، كما يقول: " كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة، كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيّ ... بهذا يتمجد: أبي أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذي. كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا. اثبتوا في محبتي " (يو ١٥: ٤ - ٩).

وهكذا فإن السيد المسيح في كل ألقابه التي شرح فيها سر عطيته لم يغفل أبداً سر الآب والابن والروح القدس.



الآب والابن والروح القدس في بشارة يوحنا

العظة (١٥)

التمايز وعطية الابن بالروح القدس

السيد المسيح يتحدث عن الله أنه "روح" (يو ٤: ٢٤)، وببساطة فهذا يعني أنه غير منظور وغير مُدرَك. ومادمنّا مخلوقين فليس لنا أن نتفحص جوهر الله، لكنه يعلن لنا بعضاً من خصائصه في سبيل أن نتعرّف على مقاصده من خلقتنا ووجودنا. ولهذا نسمع السيد المسيح في إحدى المرات يقول: "فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري الآب الذي من السماء، يعطي الروح القدس للذين يسألونه؟" (لو ١١: ١٣). وهنا يظهر تمايز بين الآب والابن والروح القدس رغم أن الله واحد وهو روح. وفي قول آخر للسيد المسيح: "إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله" (مت ١٢: ٢٨)، وهنا أيضاً تمايز بين السيد المسيح والروح القدس.

وفي مرة ثالثة يقول السيد المسيح "متى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي" (يو ١٥: ٢٦).

ومن الواضح تماماً أنه في هذه الأقوال الثلاثة يتحدث السيد المسيح عن الله الروح الواحد، وهكذا ينكشف أمامنا هذا التمايز بين الآب والابن والروح القدس رغم أنهم روح واحد.

وعلى ذلك فإن التعبير عن علاقة الآب بالابن والروح القدس لا بد أن يأخذ صورة يصعب على عقولنا التعرف عليها ومن هنا تأخذ تعبيراً خفياً تفوق اللغة المنطوقة للإنسان. وهكذا يعلن الكتاب المقدس أن الابن هو "في حضن أبيه" وأن الروح القدس "منبثق من الآب"، ومن هنا نفسر كيف يتحدث السيد المسيح عن الروح القدس ويقول: "المعزي ... الذي سيرسله الآب باسمي" (يو ١٤: ٢٦)، ثم يعود ويقول: "المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب" (يو ١٥: ٢٦).

وهذا يكفي ليعلم لنا أن الله واحد، وأن المرسل أو المرسل واحد!! أنه الله الروح، وقد أعلن السيد المسيح أن الآب "لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته" (يو ٥: ٣٧)، ولكننا رأيناه في السيد المسيح ولمسناه وشاهدناه حتى أنه قال: "صدقوني أني في الآب

والآب فيَّ ولا فصدقوني من أجل الأعمال " (يو ١٤ : ١١)، وقد رأينا فيما سبق أنه قدم ذاته ذبيحة عن البشر، وأنه ترك للإنسان هذه الذبيحة دائمة الحضور في جسده ودمه بالخبز والخمر، وكذلك كما سبق وأشرنا أنه منح الآباء الرسل عطية خاصة من الروح القدس ليتمموا هذا السر إلى أن يأتي في مجيئه الثاني. وكان هذا وضعاً طبيعياً لأن السيد المسيح لم يبق على الأرض كإنسان، بل أنه حينما صعد بجسد القيامة الممجد إلى السماء، كان قد سبق وأخبر تلاميذه: " أقول لكم الحق: أنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم " (يو ١٦ : ٧).

وعلى ذلك فإن كانت عطية الآب للبشر قد صارت بالابن لكنها أصبحت دائمة بانسكاب الروح القدس على البشر وأن هذه العطية صارت بالإله الواحد! وكان السر وراء استعلان الله لنا كأب وابن وروح قدس هو في إطار خلاصنا، وفدائنا، وبنوتنا لله، وتقديسنا، والحياة الأبدية التي أعطيت لنا بالله الواحد!

ولعله من البديهي أن الله لم يجعل من ذاته أب وابن وروح قدس من أجل الإنسان بل هذه هي طبيعته وجوهره أنه روح واحد ولا يمكن لفكرنا أن يتفحص جوهره! بقيت حقيقة هامة وجوهرية أنه إن كان السيد المسيح قد رأيناه ولسنا أنه اتخذ جسداً من الروح القدس والعذراء مريم، فكيف يمكن لنا أن نتلامس مع الروح الغير منظور؟ ...

لعلنا نسترجع الحقيقة أن السيد المسيح حينما اعتمد من يوحنا المعمدان، يشهد يوحنا ويقول: "إني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه. وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء، ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس. وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله" (يو ١ : ٣٢ - ٣٤)، وهنا ظهر الروح الغير منظور كحمامة منظورة ومرسلة وذلك دليل المساواة والاتحاد مع الابن. أما السيد المسيح فإنه قبل صعوده إلى السماء وكان قد سبق ونفخ في وجوه تلاميذه قائلاً: "اقبلوا الروح القدس" (يو ٢٠ : ٢٢)، فإنه عاد وقال لهم: "فيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم، بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني، لأن يوحنا عمّد بالماء، وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس، ليس بعد هذه الأيام بكثير" (أع ١ : ٤ - ٥). فإنه "لما حضر يوم

الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة، وصار بغثة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملاً كل البيت حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم. وامتلاً الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا" (أع ٢: ٤-١٤)، أي أنه هنا ظهر الروح القدس الغير مرئي كالألسنة منظورة كأنها من نار، لأنها كانت للتقديس والانتقال من الطبيعة العتيقة إلى الخليقة الجديدة المعطاة من الله، بسبب فداء السيد المسيح، وبذلك تحققت نبوة يوحنا المعمدان: "أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه. هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار" (مت ٣: ١١).

ونظراً لأن عمل السيد المسيح مع الإنسان كان في خلق طبيعته العتيقة ودفنها معه وإقامتها بقيامته، فإن السيد المسيح اختار أن يكون عمل الروح القدس المعطى للإنسان - وهو الروح الغير منظور - أن يُعطى بصورة منظورة، وفي شكل دفن في الماء، فيأخذ روح الاغتسال من العتيق، والدفن مع السيد المسيح والقيامة معه. ولهذا نجد أن الله يربط في العهد القديم بين الروح والماء على فم الأنبياء ...

وهكذا يقول حزقيال: "أخذكم من بين الأمم ... وأرسل عليكم ماءً طاهراً فتطهرون من كل نجاستكم ... وأعطيكم قلباً جديداً، وأجعل روحاً جديدة في داخلكم، وانزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم. وأجعل روحي في داخلكم وأجعلكم تسلكون في فرائضي، وتحفظون أحكامي وتعملون بها" (حز ٣٦: ٢٤-٢٧).

ويقول إشعياء النبي: "لا تخف يا عبدي يعقوب، وبأشورون الذي اخترته. لأنني أسكب ماء على العطشان، وسيولاً على اليابسة. أسكب روحي على نسلك وبركتي على ذريتك" (إش ٤٤: ٢-٣). ولذلك قال السيد المسيح لنيقوديموس معلّم اليهود: "الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح. لا تعجب أنني قلت لك: ينبغي أن تولدوا من فوق. الريح تهب حيث تشاء، وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا كل من وُلد من الروح" (يو ٣: ٥-٨). وحينما تعجب نيقوديموس وبخه السيد المسيح لأن هذا كان معلناً بالأنبياء وكان نيقوديموس معلماً للناموس (يو ٣: ٩).

وهكذا صارت عطية الروح القدس توهب بالمعمودية وبوضع يد التلاميذ الذين سبق السيد المسيح ونفخ في وجوههم قائلاً: " اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم تُغفر له ومن أمسكتكم خطاياهم أمسكت " (يو ٢٠: ٢٢ - ٢٣).

والمعلوم أن الله هو وحده غافر الخطايا وهذا معناه أن السيد المسيح أعطاهم عطية خاصة بالروح القدس ليكون لهم سلطان الحل والربط، ولهذا كان كل متقدم للمعمودية لابد أن يتوب أولاً عن خطاياهم ليقبل عطية الروح القدس، حسب قول بطرس الرسول يوم الخمسين: " توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس " (أع ٢: ٣٨).

كما قال السيد المسيح لتلاميذه: " إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية. ذاك يمجديني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم. كل ما للآب هو لي، لهذا قلت أنه يأخذ مما لي ويخبركم. بعد قليل لا تبصرونني ثم بعد قليل أيضاً ترونني لأنني ذاهب إلى الآب " (يو ١٦: ١٢ - ١٦)، هكذا عبّر السيد المسيح عن الأمور الفائقة للعقل بتعبير بسيط إن: " الروح يسمع ويتكلم " أي في وحدانية مع الآب والابن.

أما عن التعبير " يخبركم بأمر آتية " فهذا ليس معناه أن البشر سيصيرون أنبياء، بل معناه أن الروح القدس يعطينا عطية السيد المسيح في فدائه، ويمنحنا عربون الحياة الأبدية، وهي الأمور الآتية التي تفوق كل فكر.

وبذلك أيضاً نفهم قول السيد المسيح: " من آمن بي تجري من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجد بعد " (يو ٧: ٣٨ - ٣٩).

كما أن قول السيد المسيح: " بعد قليل لا تبصرونني ثم بعد قليل ترونني " تعني أنه بعد صعوده إلى السماء صار حاضراً في وسطنا بالروح القدس الواحد معه ومع الآب.

الآب والابن والروح القدس في بشارة يوحنا

العظة (١٦)

حديث السيد المسيح عن الروح القدس

رأينا فيما سبق وحدانية الله في الجوهر، مع تمايز الآب والابن والروح القدس، ورأينا أن الابن قد شاهدناه بالتجسد، وأن عطية الابن تنالها في المعمودية بالروح القدس حينما نولد من الماء والروح.

وقد كان السيد المسيح يعلم بمحنة التلاميذ أمام الصليب، ولهذا شبّه حالهم بحال المرأة التي اقترب مخاضها لتلد، لأنهم لم يكن لهم أن يدركوا معنى هذه الأحداث إلا بالروح القدس الذي لم يكن قد أُعطى بعد. لهذا كان هذا الحديث الطويل عن الروح القدس قبل أن يسلم ذاته ليُصلب (يوحنا أصحاح ١٤ - ١٦).

وفي هذا الحديث أعلن لهم أنه ماضٍ إلى الآب، وأنه سيرسل إليهم الروح القدس ليُمكث معهم إلى الأبد. وبهذا فإنهم إن لم يعودوا ينظروهم بعيونهم لكنه سيكون معهم بالروح القدس، بل سيجعل من الإنسان بالروح مسكنًا له وللآب، وأن الروح القدس سوف يذكرهم بكافة الأقوال والأعمال التي قام بها من أجل البشر، وهذا ما جعلهم يفهموا أقوال الأنبياء، وهذا ما ظهر في أحاديثهم عن الخلاص والفداء ببسوع المسيح وانسكاب الروح القدس على البشر.

كذلك أوضح لهم السيد المسيح أنه وإن كان يبدو أمامهم كإنسان، ولكن هذا الناسوت يخفي وراءه لاهوتًا لا يقدر الإنسان أن يراه ولذلك قال لهم قولته المشهورة "أبي أعظم مني" (يو ١٤: ٢٨)، خاصة أنهم سيروه مُهاناً على الصليب. كما شرح السيد المسيح لهم عمل الروح القدس فيهم وكيف يجعلهم ثابتين فيه كأغصان الكرمة التي غرسها الآب وأعطت ثمارها بالروح القدس والذي يجعلهم أعضاء في جسد السيد المسيح. وأعلن لهم أنه بالروح القدس سيرتفعون عن مستوى العبيد الخاضعين للأوامر والنواهي، إلى أبناء أحبباء وعبر عن ذلك بتعبير خفي "لأنني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي" (يو ١٥: ١٥)، وهو نفس ما قاله عن الروح القدس: "يُرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع

يتكلم به " (يو ١٦: ١٣)، فيشير بالسمع والتكلم إلى الوجدانية بين الآب والابن والروح القدس.

وقد كان السيد المسيح يشفق عليهم في هذه اللحظات التي لم يتمتعوا فيها بالروح القدس، وإن كان كثيراً من الأمور يصعب أن يفهموها بدون الروح القدس ولكنه طمأنهم بأنهم سيروهم فتفرح قلوبهم، وهو ما تم برؤيته بعيونهم بعد القيامة، وبرؤيته روحياً بالروح القدس بعد صعوده إلى السماء. وأكد لهم أن صعوده إلى السماء هو لإرسال الروح القدس عليهم، وإعداده للمكان الذي فيه رفع البشرية معه إلى السماء لتكون مسكناً للإنسان كملائكة الله بعد أن يلبسها جسد القيامة. وبعد حديثه الطويل مع الرسل كانت مناجاة السيد المسيح للآب والتي فيها كشف السيد المسيح عن الأمجاد التي صارت للإنسان بفدائه، ثم طلبه من الآب أن يتقدس التلاميذ بقداسته حتى يكونوا رسلاً وسفراء له أمام الله والناس.

الآب والابن والروح القدس، والآباء الرسل

العظة (١٧)

الآب والابن والروح القدس في رسائل الآباء الرسل

الآباء الرسل كتبوا عدة رسائل، كان بعضها لمؤمنين في بعض الجهات وكان بعضها لأفراد، وكان هدفها تثبيت الإيمان، أو شرح مسائل خاصة كانوا قد استفسروا عنها، أو كانت رسائل بهدف إبعادهم عن أفكار مغلوطة أو منحرفة عن الإيمان الصحيح. وتضمن بعض الرسائل شرحاً للأسرار التي من خلالها يحصل الإنسان على عطية السيد المسيح بسر المعمودية أو بسر الخبز والخمر أو رتب الكنيسة وغيرها. ونظراً لعطية الروح القدس التي نالها التلاميذ فقد فهموا بعمق معنى الصليب الذي كانوا يستذكرون على السيد المسيح القيام به. كما أن السيد المسيح في فترة ما بين القيامة والصعود كان يظهر لهم ويشرح الأمور المختصة بملكوت الله (أع ١: ٣) ومن هنا كان انفتاح عيونهم لنبوات العهد القديم، والهدف من اختيار شعب

بني إسرائيل، وشرائع وناموس العهد القديم، فكانت أضواء كاشفة أظهرت سر العهد القديم كله حسب قول السيد المسيح بعد القيامة " هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم: أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب " (لو ٢٤: ٤٤ - ٤٥).

وعلى ذلك كانت كل الرسائل التي دوّنها الرسل في اتجاه عطية الله في المسيح بالروح القدس، وهى الميراث للملكوت السمائي، وبنوة الإنسان لله، وهزيمة الشيطان والخطية، والميلاد الثاني وخلع الإنسان العتيق بالمعمودية، والتبرير والتقديس بالثبات في جسد السيد المسيح، وناموس المحبة الذي يجمع المؤمنين كجسد واحد في المسيح، وحياة التقوى بصفة عامة التي أوضحوا عظم سرها " عظيم هو سر التقوى: الله ظهر في الجسد " (١ تي ٣: ١٦). وكل هذه الأمور كانت هى تماماً امتداداً لأسلوب السيد المسيح في التعليم.

أما العجيب حقاً أننا لا نجد أحد من الآباء الرسل يتحدث عن قضية أو معضلة فكرية اسمها كيف نشرح أن الآب والابن والروح القدس إلهاً واحداً. كما أن حديثهم عن وحدانية الله كان تلقائياً وبديهيّاً ومنطقيّاً حتى أن يعقوب الرسول يقارع الإنسان بالشيطان بقوله: " أنت تؤمن أن الله واحد حسناً تفعل والشياطين يؤمنون ويقشرون " (يع ٢: ١٩). وهكذا أوضحوا أن الإيمان بوحداية الله ليس هو فضيلة في حد ذاته، لأنه بدون أعمال فهو ميت (يع ٢: ١٧ - ١٨). كما أن الإيمان بوحداية الله دون الإيمان بمحبته وعطية الخلاص منذ أن ستر آدم بجلد الذبيحة ونهاية بعمل الروح القدس، فإن الإنسان مهما أُعطي من وصايا أو ناموس فهو عاجز أمام الوقوف ضد معرفة الشر التي يولد بها كل نسل آدم وحواء. وهكذا قال السيد المسيح: " إن لم تؤمنوا أنني أنا هو تموتون في خطاياكم " (يو ٨: ٢٤)، كما يقول بولس الرسول: " لأن الإرادة حاضرة عندي، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد ... فإني أَسْرُّ بِنَامُوسِ اللَّهِ بِحَسَبِ الْإِنْسَانِ الْبَاطِنِ. ولكني أرى نَامُوساً آخَرَ فِي أَعْضَائِي يَحَارِبُ نَامُوسَ ذَهْنِي، وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيئَةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي " (رو ٧: ١٨ - ٢٣). وفي النهاية فإنه إتماماً لوصية السيد المسيح وتنفيذاً لشريعته، فقد كان جوهر الوصية على لسان الآباء الرسل هى " المحبة " التي صارت تكمياً للناموس (١ يو ٣: ٢٣).

الآب والابن والروح القدس، والآباء الرسل

العضة (١٨)

الآباء الرسل قبل وبعد حلول الروح القدس

رأينا أن السيد المسيح والآباء الرسل قد أظهروا سر الآب والابن والروح القدس من خلال محبة الله للإنسان، وذلك بأن رفع عنه حكم الموت وسلطان الخطية، ومنحه بنوة الله في المسيح والميراث السماوي كملائكة الله. ومن الواضح أن هذه عطية سمائية تفوق فكر الإنسان، لهذا لم يستخدم السيد المسيح ولا الآباء الرسل تشبيهات تقع تحت حواس الإنسان لكي يوضحوا بها سر الآب والابن والروح القدس.

كما أن الأحداث المذكورة في الكتاب المقدس تؤكد أن الإنسان الشرير مهما حاولنا معه شرح سر الآب والابن والروح القدس فلن يقبله، وفي المقابل فإن الإنسان المشتاق إلى حياة التوبة يمكنه أن يتعرف على السيد المسيح دون توجيه، بل أن الله يتدخل بصورة غير تقليدية لإرشاد الإنسان إلى طريق الإيمان إذا كانت له الرغبة في حياة التقوى كمثال ما أرسل الله ملاكاً لقائد وثني حتى يرسل إلى بطرس الرسول لكي يلقنه الإيمان (أع أصحاح ١١).

كما رأينا أن الإيمان يتبعه الحصول على الروح القدس بالمعمودية، مما يعطي الإنسان فهماً أعمق لسر الآب والابن والروح القدس، كما يمنحه ثمار الروح القدس التي تجعله هيكلاً لله ومناراً للناس. أي أن الإيمان بسبب عطيته الإلهية يلزمه أن يتم للإنسان عن طريق الأسرار التي لقنها السيد المسيح للآباء الرسل.

وبهنا قبل أن نتابع أقوال الآباء الرسل في رسائلهم عن الآب والابن والروح القدس أن نتعرف على العطية الخاصة التي مُنحت لهم. مما جعلهم كُفُوا لشرح هذا السر! ولنأخذ نموذجاً لذلك القديس بطرس الرسول فقد كان هو أول التلاميذ الذي جاهر أمام السيد المسيح "أنت هو المسيح ابن الله الحي" (مت ١٦: ١٦)، وكذلك كان هو القائل: "إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك" (يو ٦: ٦٨)، وهو الذي دعاه السيد المسيح أن يمشي على الماء ثم بدأ يغرق بعد أن خاف من شدة الرياح (مت ٢٩: ١٤ - ٣٠)، وكان هو أحد الذين عاينوا مجد السيد المسيح على الجبل في تجليته مع موسى النبي

وإشعيا النبي حينما تحدّثوا عن فداء السيد المسيح للإنسان الذي يتم في أورشليم وكان بطرس هو الذي ألقى الشبكة على اسم السيد المسيح بعد إخفاقه في صيد السمك حينئذ امتلأت الشبكة (يو ٢١: ٦)، كما أنه هو الذي اصطاد سمكة بأمر السيد المسيح فوجد فيها ما يدفعه أجره للعبور (مت ١٧: ٢٧)، كما أنه هو الذي حاول منع السيد المسيح أن يتقدم للصلب وانتهره السيد المسيح على ذلك واعتبره شيطاناً (مت ١٦: ٢٣)، ثم كان هو المتحمّس أن يدفع حياته ثمناً لحماية السيد المسيح، وأعقب ذلك إنكاره أمام جارية. وكان بطرس هو أول الرجال الذين عاينوا القبر الفارغ بعد قيامة السيد المسيح وخرج "متعجباً في نفسه ممّا كان" (لو ٢٤: ١٢)، أي أنه إلى هذا الوقت لم يكن قد أدرك تماماً مغزى كل هذه الأحداث.

ورغم هذا كله كان لبطرس مع بقية التلاميذ وضعاً مميزاً. فهم الذين غسل السيد المسيح أرجلهم، وكان بطرس هو الذي أظهر تمناً، لذلك حذره السيد المسيح إن رفض هذا الغسل لا يجعل له نصيب في السيد المسيح (يو ١٣: ١٠ - ٢٠)، كما أنه مع بقية التلاميذ هم الذين تناولوا جسد السيد المسيح ودمه كخبز وخمر بيديه المباركتين قبل الصليب. ثم كان هو وبقية التلاميذ هم الذين نفخ السيد المسيح في وجوههم ليلة قيامته وقال لهم: "اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم تغفر له ومن أمسكتكم خطاياهم أمسكت" (يو ٢٠: ٢٢ - ٢٣)، وعلى ذلك فقد كان للتلاميذ وضعاً مميزاً قبل حلول الروح القدس ليلة الخمسين. ثم نجد أن السيد المسيح يرفع عبء الإنكار الثقيل من على قلب بطرس بأن يسأله بعد القيامة: "أتحبنى؟" فيعلن بطرس حبه حتى أنه يحزن حينما يكرر السيد المسيح سؤاله ثلاث مرات وهنا يقول بطرس "أنت تعلم كل شيء أنت تعرف أنني أحببت" (يو ٢١: ١٥ - ١٧)، وهكذا كانت المحبة ماحية كل أثر لسابق الإنكار. وقد كان السيد المسيح قد أشهد التلاميذ على أعماله قبل الصليب: "تشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء" (يو ١٥: ٢٧).

وبعد كل هذه الأمور يظهر أثر هذه الحقائق في وضع التلاميذ وذلك قبل حلول الروح القدس، في أن يقف بطرس في وسط التلاميذ ليقول عن يهوذا الإسخريوطي الذي

شئق نفسه " لأنه مكتوب في سفر المزامير: لتصر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن. وليأخذ وظيفته آخر " (أع ١ : ٢٠)، أي أن بطرس بدأ يتفهم أسراراً ويكتشف أقوالاً من العهد القديم يفسر بها الأحداث.

أما بعد حلول الروح القدس فنجده في عظة واحدة يشهد فيها بأقوال العهد القديم يجعل ثلاثة الآف نفس تُقبل إلى الإيمان بالسيد المسيح (أع ٢ : ١٤ - ٤١)، ونجده يقف ليشهد أيضاً أمام الشعب وذلك بعد شفائه للرجل المقعد ويقول: " إن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، إله آبائنا، مَجَّد فتاه يسوع، الذي أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس، وهو حاكم بإطلاقه. ولكن أنتم أنكرتم القدوس البارَّ، وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل. ورئيس الحياة قتلتموه، الذي أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك ... والآن أيها الأخوة أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم، كما رؤسواكم أيضاً. وأما الله فما سبق وأنبا به بأفواه جميع أنبيائه، أن يتألم المسيح، قد تممه هكذا. فتوبوا وارجعوا لثمحي خطاياكم ... أنتم أبناء الأنبياء، والعهد الذي عاهد به الله آباءنا قائلاً لإبراهيم: وبسلك تتبارك جميع قبائل الأرض. إليكم أولاً، إذ أقام الله فتاه يسوع، أرسله يبارككم برَدَّ كل واحد منكم عن شروره " (أع ٣ : ١٣ - ٢٦).

ثم وقف بطرس مرة أخرى أمام الذين حكموا على السيد المسيح بالصلب قائلاً: " فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل، أنه باسم يسوع المسيح الناصري، الذي صلبتموه أنتم، الذي أقامه الله من الأموات، بذاك وقف هذا أمامكم^(١) صحيحاً. هذا هو: الحجر الذي احتقرتموه أيها البناؤون، الذي صار رأس الزاوية. وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء، قد أُعطي بين الناس، به ينبغي أن نخلص " (أع ٤ : ١٠ - ١٢).

على أن الله أظهر أيضاً من خلال بطرس حقائق هامة من خلال حادثتين: كانت الأولى حينما أعطاه الله رؤيا ليأكل من جميع دواب الأرض فكان رافضاً ملتزماً بناموس موسى وذلك قبل أن يستدعيه القائد الوثني كرنيليوس لينال الإيمان، وحينما رأى بطرس أن الله قد قبل الوثنيين قال: " أنتم تعلمون كيف هو مُحَرَّم على رجل يهودي أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتي إليه. وأما أنا فقد أراني الله أن لا أقول عن إنسان ما أنه دنس أو نجس ... بل في كل أمة، الذي يتَّقيه ويصنع البر

(١) يقصد الرجل المقعد الذي شفاه مع يوحنا.

مقبول عنده. الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل بِشَرِّ بالسلام يسوع المسيح. هذا هو رب الكل".
(أع ١٠: ٢٨-٣٦).

أما الحادثة الثانية: أن بطرس حينما كان في أنطاكية الأممية قبل أن يأتي قوم من أورشليم من عند يعقوب الرسول "كان يأكل مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخَّر ويُفرز نفسه، خائفاً من الذين هم من الختان" (غل ٢: ١٢)، وهذا يعطي الانطباع أن الإنسبان حتى بعد حصوله على الروح القدس لا يجعله ذلك معصوماً في تصرفه وهو ما يستدعي أن الإنسان يكون حذراً في كل حين حتى لا يقع تحت فخ ضعفه الإنساني.

ويمكننا مضاهاة بطرس الرسول صياد السمك بالفيلسوف بولس الرسول، لنذكر عمل الروح القدس في الآباء الرسل، حيث تتساوي أهداف رسالتي القديس بطرس برسائل القديس بولس في استعلان سر الآب والابن والروح القدس، رغم بساطة اللغة المتناهية في رسالتي القديس بطرس. ومع ذلك يقول: "كما كُتِبَ إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاة له، كما في الرسائل كلها أيضاً، متكلماً فيها عن هذه الأمور، التي فيها أشياء عسرة الفهم، يحرفها غير العلماء وغير الثابتين، كباقي الكتب أيضاً، لهلاك أنفسهم" (٢ بط ٣: ١٥-١٦).

والمعروف أن القديس بولس وُلِدَ يهودياً باسم شاول الطرسوسي بآسيا الصغرى وتعلَّم الناموس على يد غمالاتيل بأورشليم واضطهد المسيحيين "حتى الموت، مقيداً ومسلماً إلى السجون رجالاً ونساءً" (أع ٢٢: ٤)، وفي ذهابه إلى دمشق ليأتي بالمسيحيين مقيدين ظهر له الرب يسوع ووبَّخه وفقد إبصاره، وحينما وصل دمشق أرسل الرب إليه تلميذاً اسمه حنانيا ليشفي عينيه، وقال الرب للتلميذ: "اذهب! لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل. لأنني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي" (أع ٩: ١٥-١٦)، فقال حنانيا لشاول: "أرسلني الرب يسوع ... لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس" (أع ٩: ١٧)، "إله آبائنا انتخبك لتعلم مشيئته، وتبصر البار، وتسمع صوتاً من فيه. لأنك ستكون له شاهداً لجميع الناس بما رأيت وسمعت ... قم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب" (أع ٢٢: ١٤-١٦).

بعد ذلك يذكر القديس بولس أنه استلم أسرار المسيحية بإعلان من السيد المسيح (غل ١: ١١-١٢)، ثم قال: "لما سُرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي، ودعاني بنعمته أن أعلن ابنه

فِي لَبْشَرِّ بِهِ بَيْنَ الْأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أُسْتَشْرَ لِحِمَاً وَدَمًا. وَلَا صَعَدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى الرِّسْلِ الَّذِينَ قَبْلِي بَلْ انْطَلَقْتُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ^(١)، ثُمَّ رَجَعْتُ أَيْضاً إِلَى دِمَشْقَ. ثُمَّ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ صَعَدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِأَتَعَرَّفَ بِطَرَسَ، فَمَكَّثْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. وَلَكِنِّي لَمْ أَرْ غَيْرَهُ مِنَ الرِّسْلِ إِلَّا يَعْقُوبَ أَخَا الرَّبِّ ... ثُمَّ بَعْدَ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ صَعَدْتُ أَيْضاً إِلَى أُورُشَلِيمَ مَعَ بَرْنَابَا ... وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الْإِنْجِيلَ الَّذِي أَكْرَزُ بِهِ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَلَكِنْ بِالْأَنْفِرَادِ عَلَى الْمُعْتَبِرِينَ، فَإِذْ عَلِمَ بِالنِّعْمَةِ الْمَعْطَاةِ لِي يَعْقُوبَ وَصَفَا (بَطْرُسَ)، وَيُوحَنَّا الْمُعْتَبِرُونَ أَنَّهُمْ أَعْمِدَةٌ، أُعْطُونِي وَبَرْنَابَا يَمِينِ الشَّرْكَاءِ لَنَكُونَ نَحْنُ لِلْأُمَمِ، وَأَمَّا هُمْ فَلِلْخَتَانِ (أَيِّ لِلْيَهُودِ) " (غَل ١٥: ١ - ٢٠: ٢ - ١٠: ١).

وَقَدْ احْتَمَلَ بُولُسُ الرِّسُولَ فِي كِرَازَتِهِ أَهْوَلاً كَثِيرَةً مِنْ سَجْنٍ وَجَكْدٍ وَضَرْبٍ بِالْعَصِي كَمَا رُجِمَ مَرَّةً حَتَّى فَقَدَ الْوَعْيَ وَانْكَسَرَتْ بِهِ السَّفِينَةُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ (٢ كُور ٢٣: ٢٢ - ٢٣). وَفِي مُقَابِلِ ذَلِكَ مَنَحَهُ الرَّبُّ عَطِيَّةَ الْإِخْتِطَافِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لَا يَنْطِقُ بِهَا. وَقَدْ كَانَ بُولُسُ الرِّسُولُ يَدَّ أَنْ يَكُونَ نَفْسُهُ هُوَ مُحْرُومًا مِنَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ فِي مُقَابِلِ أَنْ يَعْرِفَ الْيَهُودَ حَقِيقَةَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَفِدَاءَهُ وَخَلَاصَهُ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَفِي ذَلِكَ اعْتَبَرْنَا أَنَّ الْوَعْدَ لِإِبْرَاهِيمَ بِبِرْكَةِ الْإِيمَانِ لَيْسَ فِي أَوْلَادِ الْجَسَدِ بَلْ "أَوْلَادُ الْمَوْعِدِ يُحْسَبُونَ نَسْلًا" (رُوم ٨: ٩) أَيَّ كَافَّةِ الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّيِّدِ الْمَسِيحِ يَهُودًا أَوْ أُمَمًا.

وَقَدْ حَرَصَ بُولُسُ أَنْ تَكُونَ كِرَازَتُهُ لَا بِحِكْمَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ، بَلْ بِبِرْهَانِ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَقُوَّةِ أَثَرِهِ، حَتَّى يَكُونَ إِيمَانُ السَّامِعِينَ مُعْتَمِدًا عَلَى قُوَّةِ اللَّهِ. كَمَا كَانَ مُحَوَّرَ كِرَازَتِهِ هُوَ الصَّلِيبُ (١ كُور ١: ٦)، مُعْتَبَرًا أَنَّ كِرَازَتَهُ هِيَ سِرُّ حِكْمَةِ اللَّهِ الَّتِي سَبَقَ فَعَيْنُهَا قَبْلَ الدَّهْورِ لِمَجْدِنَا (١ كُور ٢: ٧) فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.



(١) المنطقة الصحراوية جنوب سوريا.

الآب والابن والروح القدس، واستعلان الإنسان

العظة (١٩)

الإنسان واستعلان الآب والابن والروح القدس (أ)

رأينا فيما سبق أن مجرد الإيمان بوحداية الله هو في حقيقته استنتاج عقلي لا يُعطى الإنسان نوعاً من الفضيلة، ورأينا أن الإيمان هو عطية من الله تُعطى للتائبين، حتى للخطاة الساعين إلى التوبة، وعلى ذلك فلو تصوّر الإنسان أنه يبحث بفكره عن الإيمان الأفضل فيما هو مطروح في العالم كاختيار عقلي فهذا كبرياء إنساني يحرم الإنسان من الطريق الصحيح إلى الله، كما أنه إذا ظن الإنسان أن الإيمان هو السلوك حسب فرائض ووصايا لإتمامها فإن هذا أيضاً نوع من الكبرياء الإنساني، حيث أن الفضيلة هي أمر حتمي لكل بشر حتى بدون الإيمان. هذا فضلاً عن أن الطبيعة الإنسانية تميل بذاتها إلى الشر لأنه ليس أحد صالح إلا واحد وهو الله !

لهذا يلفت الآباء الرسل نظرنا إلى أن البركة التي أعطاها الله لإبراهيم لم تكن على أساس وصية لأن الشريعة أعطيت على يد موسي بعد إبراهيم بأربعمائة سنة، فتقول رسالة غلاطية: "كما آمن إبراهيم بالله فحسب له براً. اعلّموا إذاً أن الذين هم من الإيمان أولئك هم بنو إبراهيم. والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان يُبرّر الأمم، سبق فبشّر إبراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم. إذاً الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن" (غل ٣: ٦-٩)، أي أن بركة الإيمان كانت لكل البشر وليس لنسل إبراهيم وحده.

وقد كان إيمان إبراهيم هو بالنسل وبالأرض التي يرثها (تك ١٥: ٦-٧)، وهي رمز للميراث السماوي الذي أعدّه الله للإنسان، ذلك لأن إبراهيم لم يرث من الأرض سوى مساحة قبره (تك ٢٥: ٩-١٠)، وأن الوعد بالميراث أُعطِيَ قبل الشريعة أي أن الوعد لم يكن بسبب الشريعة، كما أن إيمان إبراهيم تحقق بالعمل حينما ترك أهله وعشيرته استجابة لدعوة الله لميراث لم يره لأنه آمن بعطية الله ونعمة الله. كما يتضح هنا أن الإيمان ليس ارتباط عبودية أو فرائض يرسلها الله على يد أنبياء متتابعين.

كما يتضح أيضاً أن دافع الإيمان في إبراهيم كان محبة تجاه الله، كما أنه بالتأكيد لو كان الله سيعلم برفض إبراهيم لهذه النعمة ما كان قد دعاه إليها.

وعلى أساس هذه الحقائق أظهر الآباء الرسل سر الآب والابن والروح القدس كدعوة إلهية لميراث السماء أُعطيت للإنسان حينما تجسد ابن الله الوحيد ليمنحنا القداسة فيه والخلاص بفدائه وذلك بغطية الروح القدس.

ومن هنا فإن الإيمان ليس للجميع لأن الأشرار لن يقبلوه "أيها الأخوة صلوا لأجلنا، لكي تجري كلمة الله وتتمجد، كما عندكم أيضاً، ولكي تُنقذ من الناس الأردباء الأشرار. لأن الإيمان ليس للجميع" (٢ تس ٣: ١-٢)، كما أن الإيمان يتساوى فيه كل الناس الحكماء والبسطاء. "وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المُقنع، بل ببرهان الروح والقوة، لكي لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله" (١ كو ٢: ٤-٥).

كذلك فإن الإيمان يلزمه القداسة المؤهلة لميراث السماء فتقول الرسالة لتسالونيكى: "نصلي أيضاً كل حين من جهتك: أن يؤهلكم إلهنا للدعوة، ويكمل كل مسرة الصلاح وعمل الإيمان بقوة" (٢ تس ١: ١١)، ويتضح هنا أن الإيمان ليس مجرد قبول فكري ولكنه عمل داخلي في الإنسان يصلي الرسول إلى الله أن يكمله.

كما يشرح بولس الرسول أثر الإيمان في عمله الداخلي في الإنسان ويصوره بأننا نكون "فلاحة الله، بناء الله. حسب نعمة الله المعطاة لي كبناء حكيم قد وضعت أساساً... فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وُضع، الذي هو يسوع المسيح" (١ كو ٣: ٩-١١). وحينما يقول أننا فلاحة الله فهذا يعني أنه كما أن الزرع يحتاج إلى الماء والضوء فإن الإنسان يحتاج إلى الروح القدس الذي أُشير إليه بالماء كما سبق وذكرنا، كما أنه يحتاج إلى شمس البر الذي هو الابن الوحيد المتجسد لينال من قداسته. كما أننا لا ننسى المثل الذي شبّه به السيد المسيح ذاته بحبة الحنطة التي إن لم تمت لا تأتي بثمر (يو ١٢: ٢٤)، وهكذا يتضح أن ثمر الإيمان هو ناشئ عن العمل الإلهي داخل الإنسان "ليس أننا كُفأ من أنفسنا أن نفكر شيئاً كأنه من أنفسنا، بل كفايتنا من الله" (٢ كو ٣: ٥)، وبصورة أخرى "لنا هذا الكنز في أوان خزفية، ليكون فضل القوة لله لا منا" (٢ كو ٤: ٧)، كما يظهر هنا أيضاً أن الله يطلب الثمر من الإنسان كنتيجة لعمل الإيمان.

ولأن عمل الإيمان هو نتيجة لقبول موت السيد المسيح وقيامته وخلع الإنسان العتيق وإقصاء بذرة الشر الساكنة فيه بالمعمودية، فإن الرسل يصفون المؤمنين "أننا نحن عمله

مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها " (أف ١٠: ٢)، ويشهد الرسل أن هذه العطية التي للإيمان كانت مُعدّة للإنسان من قبل خلخته أي أن سقوط آدم ومعرفته الشر لم يكن مفاجأة لله قد حاول أن يُوجد لها حلاً فلهذا نسمع: "الذي خلّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزليّة" (٢ تي ١: ٩)، وهكذا يتأكد لنا أن الإيمان بالسيد المسيح كإله متجسد هو احتياج إنساني بالضرورة حققه الابن الوحيد بالتجسد من الروح القدس والعذراء مريم.

أما التعبير الثاني: أننا "بناء الله" فهو تحقيق لوعده الله على فم الأنبياء أنه يسكن في الإنسان بروحه القدوس وهو ما سبق وشرحنه عن عمل المعمودية والتقديس بجسد السيد المسيح ودمه لأنه بدون القداسة لا يعاين أحد الرب (عب ١٢: ١٤)، وبهذه العطية صار الإنسان هيكلًا لله بالروح القدس وهو ما سنراه في العظة التالية.

الآب والابن والروح القدس، واستعلانهم للإنسان

العظة (٢٠)

الإنسان واستعلان الآب والابن والروح القدس (ب)

رأينا وصف الآباء الرسل للمؤمنين بالسيد المسيح أنهم "بناء الله" وأنه تعبير يشير إلى سُكنى روح الله في الإنسان، وفي الحقيقة فإن السيد المسيح هو أول من جسّد هذا المعنى وحقق نبوة الأنبياء^(١) حينما اتخذ جسده من الروح القدس والعذراء مريم فأشار إلى جسده بأنه هيكل الله. وبهذا الوصف الإلهي لابن الله الوحيد الجنس فإنه حينما أعطانا أن نكون "شركاء في جسده" صار المؤمنون يهاكل لله وأبناء الله بالتبني بيسوع المسيح.

ثم يشرح الآباء الرسل علاقة الله بالإنسان من خلال وصف "هيكل الله" في اتجاهات متعددة: يقول بطرس الرسول: "إن كنتم قد ذقتم أن الرب صالح. الذي إذ تأتون

(١) (إش ٥٤: ١٣)، (إر ٣١: ٣٤)، (مي ٤: ٢).

إليه، حجراً حياً مرفوضاً من الناس، ولكن مختار من الله كريمة، كونوا أنتم أيضاً مبنيين - كحجارة حية - بيتاً روحياً، كهنوتاً مقدساً، لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله يسوع المسيح" (١ بط ٢: ٣-٥). فالإنسان هنا حجراً حياً كهنوتاً مقدساً ذبائح روحية.

ويقول بولس الرسول: "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية، الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلًا مقدساً في الرب. الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً، مسكنًا لله في الروح" (أف ٢: ٢٠-٢٢)، والبنيان هنا أساسه الرسل والأنبياء، وفيه يسوع المسيح حجر الزاوية، وفيه الإنسان مسكنًا لله بالروح.

ويقول بولس الرسول أيضاً: "لأن كل بيت يبنيه إنسان ما، ولكن باني الكل هو الله. وموسى كان أميناً في كل بيته كخادم، شهادة للعتيد أن يتكلم به. وأما المسيح فكان على بيته. وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية" (عب ٣: ٤-٦)، وهنا الباني هو الله، وموسى كخادم للبيت، ويسوع المسيح ابن على البيت، والبيت هو نحن.

ويقول أيضاً: "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم؟ إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيُفسيده الله لأن هيكل الله مُقدس الذي أنتم هو" (١ كو ٣: ١٦-١٧)، وهنا البنيان مُقدس يسكن فيه الله.

وفي موقع آخر يقول: "فإنكم أنتم هيكل الله الحي، كما قال الله: إني سأسكن فيهم وأسير بينهم، وأكون لهم إلهًا، وهم يكونون لي شعباً" (٢ كو ٦: ١٦)، وهنا البنيان حجارة حية بسبب سُكنى الله فيهم يجمعهم معاً الله الواحد.

ثم يدخل بنا بولس الرسول إلى هيكل سمائي ليس من هذه الخليقة صار فيه السيد المسيح - ابن الله الوحيد الجنس - رئيس كهنة حقيقي يشفع عن جنس البشر على رتبة ملكي صادق الذي كان كاهناً لله العلي في العهد القديم، وذلك بعد أن تجسد وصنع فداء للإنسان بذبيحته وصعد بجسد القيامة. وكان إبراهيم هو الذي قدّم العشور للملكي صادق والذي كانت ذبيحته خبزاً وخمراً.

ثم يقارن الرسول بين الكهنوت الرمزي الذي للعهد القديم وبين الكهنوت السماوي الذي للسيد المسيح فيقول: "أولئك^(١) قد صاروا كهنة كثيرين من أجل منعهم بالموت عن البقاء،

(١) يقصد كهنة الهيكل الموسوي القديم.

وأما هذا ^(١) فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد، له كهنوت لا يزول. فمن ثمَّ يقدر أن يُخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله، إذ هو حيُّ كل حين ليشفع فيهم. لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا، قدوس بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات الذي ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب، لأنه فعل هذا مرة واحدة، إذ قدم نفسه. فإن الناموس ^(٢) يقيم أناساً بهم ضعف رؤساء كهنة وأما كلمة القسم التي بعد الناموس فتقيم ابناً مكتملاً إلى الأبد ... وأما رأس الكلام فهو: أن لنا رئيس كهنة مثل هذا، قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصّبه الرب لا إنسان ... " (عب ٧: ٢٣ - ٢٨، ١: ٢ - ٢). "ولكنه الآن قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط أيضاً لعهد أعظم، قد تثبت على مواعيد أفضل " (عب ٨: ٦)، "أما المسيح، وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل، غير المصنوع بيد، أي الذي ليس من هذه الخليقة، وليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس، فوجد فداءً أبدياً. لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين، يُقدس إلى طهارة الجسد، فكيف بالحري يكون دم المسيح، الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب، يظهر ضمانكم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي " (عب ٩: ١١ - ١٤)، "لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقة، بل إلى السماء عينها، ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا. ولا يقدم نفسه مراراً كثيرة، كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر ... ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليُبطل الخطية بذبيحة نفسه " (عب ٩: ٢٤ - ٢٦).

ويمكننا أن نخرج من هذه الأوصاف للهيكل بصور متعددة لعلاقة الله بالإنسان ليحقق بها أمل البشرية في القداسة والخلود فترى الآتي:

- ١ - صار المؤمنون كحجارة حية في بناء كان فيه السيد المسيح هو حجر الزاوية الذي يمسك البناء كله وذلك كإله متجسد رفع البشر معه إلى السماء.
- ٢ - هذا المسكن تقدم فيه ذبائح روحية بمعنى أن يموت الإنسان مع السيد المسيح ويقوم معه مُلقياً عنه جسد الخطية "مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح

(١) يقصد السيد المسيح.

(٢) يقصد ناموس موسى.

يحيا في" (غل ٢: ٢٠)، "عالمين هذا: أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية" (رو ٦: ٦)، "الآن قد أظهر ... ليُبطل الخطية بذبيحة نفسه" (عب ٩: ٢٦).

٣ - هذا البنيان أساسه السيد المسيح وكان محور نبوات الأنبياء، ونواة البشارة التي للرسل، هيكلًا روحياً ينمو في النعمة وفي معرفة ربنا يسوع المسيح.

٤ - هذا الهيكل خصّص له الله كهنوت العهد القديم لتقديم الذبائح الدموية للتكفير عن الخطايا وكهنوتاً مقدساً للعهد الجديد يقدم الذبيحة الغير الدموية التي للسيد المسيح، وفي كل الحالات يقدم الإنسان أولاً توبة واعترافاً بالخطية، وكان رئيس الكهنة في العهد القديم يقدم ذبيحة عن خطايا نفسه أولاً قبل أن يكفر عن خطايا الشعب.

٥ - السيد المسيح كإله متجسد هو هيكل لله، وكان موسى خادماً لهذا البيت في العهد القديم والسيد المسيح كابن على البيت وبيته نحن، وبهذه الصورة فإن السيد المسيح قد أوسع المؤمنين معه إلى السماء باعتبارهم أحجاراً حية في هذا البنيان "أقامنا معه أجلسنا معه إلى السماويات" (أف ٢: ٦).

٦ - كانت الخيمة التي فيها قدس الأقداس في العهد القديم مغشاة بالذهب من داخل، وفيها كان الله يكلم الإنسان، وأما خارجها فكان من جلد التيوس. وهكذا الإنسان كهيكل لله يسكن فيه الروح القدس ليظهره وينير له طريق الحياة بينما خارجه محاطاً بالضعف.

٧ - أما تشبيه بولس الرسول للهيكل السمائي المذكور في رسالة العبرانيين كما يذكره يوحنا في سفر الرؤيا، فهو قائم طالما الحياة قائمة على الأرض، وفيه يقدم السيد المسيح شفاعته الكفارية عن جنس البشر من خلال الذبيحة غير الدموية المقدمة على مذبح الكنيسة امتداداً لذبيحته التي قدمها بذاته على الصليب، فإن هذه الأوصاف تلامس الأمور غير المنظورة التي هي أعلى مما يصل إليه فكر الإنسان فيستعلنها الإنسان بالروح حيث تشفع ذبيحة الابن الوحيد عن الإنسان. وبذلك يظهر جلياً سر الآب والابن والروح القدس الذي به صار خلاصاً وفداءً للإنسان وارتقاءً إلى السماء إلى أن تنتهي حياة الإنسان على الأرض، وهكذا يصف يوحنا الرائي في رؤياه

ويقول: " رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة، لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا ... وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها. وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً: هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم. وهم يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم" (رؤ ٢١: ١-٣)، "لم أرَ فيها هيكلًا، لأن الرب الله القادر على كل شيء، هو والخروف هيكلها. والمدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها، لأن مجد الله قد أنارها، والخروف سراجها" (رؤ ٢١: ٢٢-٢٣).

وهكذا بعد انقضاء هذا العالم يُستعلن للمُخلصين سر وحدانية الأب بالابن أو الله والخروف التي يبرونها الآن بالروح، وتنتهي خدمة الهيكل وهو ما سنعود إليه حينما نصل بالحديث إلى سفر الرؤيا.

ومع ارتفاع الإنسان إلى هذه الآفاق السمائية من خلال وصف " هيكل الله " - وهى الأمور التي تعلو عن الفكر البشري - يتحدث الآباء الرسل عن علاقتنا بالأب والابن والروح القدس كسرٍ عظيم يكشفه الله لنا بالروح القدس فيقولون: " لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر، ولا من عظماء هذا الدهر، الذين يبطلون. بل نتكلم بحكمة الله في سر: الحكمة المكتومة، التي سَبَقَ الله فِعْيَها قبل الدهور لمجدنا، التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر، لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد. بل كما هو مكتوب: ما لم ترَ عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان: ما أعده الله للذين يحبونه. فأعلنه الله لنا نحن بروحه. لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله" (١كو ٢: ٦-١٠).

كما نسمع أيضاً: " الآن أفرح في الآمي لأجلكم، وأكمل نقائص شذائد المسيح في جسمي لأجل جسده، الذي هو الكنيسة، التي صرت أنا خادماً لها. حسب تدبير الله المُعطى لي لأجلكم، لتتميم كلمة الله. السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال، لكنه الآن قد أظهر لقسديسه. الذين أراد الله أن يُعرفهم ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم، الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد" (كو ٢: ٢٤-٢٧)، ونسمع أيضاً: " إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم. أنه بإعلان عرفني بالسر كما سبقت فكتبت بالإيجاز. الذي بحسبه حينما تقرأونه، تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح. الذي في أجيال أخر لم يُعرف به بنو البشر، كما قد أعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح: إن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال مواعده في المسيح بالإنجيل" (أف ٣: ٢-٦).

ويكمل ويقول: "أعطيت هذه النعمة، أن أبشّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يستقصى، وأنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع يسوع المسيح. لكي يُعرّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات، بواسطة الكنيسة، بحكمة الله المتنوعة، حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا" (أف ٣ : ٨ - ١١).

ثم نسمع أيضاً: "للقادر أن يثبتكم، حسب إنجيلي والكراسة يسوع المسيح، حسب إعلان السر الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلية، ولكن ظهر الآن، وأُعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الله الإله الأزلي، لإطاعة الإيمان" (رو ١٦ : ٢٥ - ٢٦).

ثم يشرح بطرس الرسول علاقة هذا السر بكتب الأنبياء في العهد القديم فيقول:
"الخلاص الذي فُتّش وبحث عنه أنبياء، الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم، باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدلُّ عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها، الذين أعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم، بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أُخبرتم بها أنتم الآن، بواسطة الذين بشّروكم في الروح القدس المُرسَل من السماء. التي تشتهي الملائكة أن تطلّع عليها" (١ بط ١ : ١٠ - ١٢).

ثم يعود ويقول: "عندنا الكلمة النبوية، وهي أثبتت، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها، كما إلى سراج منير في موضع مظلم، إلى أن يتفجر النهار، ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم" (١ بط ١ : ١٩).

وهكذا نصل بحقيقة السر الذي يتحدث عنه الآباء الرسل إلى ما يلي:

١- إن سر تجسد الابن وعمل الفداء هو سر قبل الأزمنة الأزلية، وقبل خلقه الإنسان وقبل سقوط آدم.

٢- إن هذا السر تحدّث عنه الأنبياء بتفصيل دقيق، وذلك عن آلام السيد المسيح والأمجاد التي أعدّها الله للإنسان من خلال التجسد والفداء.

٣- إن هذا السر لم يفهمه رؤساء اليهود حينما قدموا السيد المسيح على الصليب ذبيحة عن البشر، ولو لم تتحكم فيهم غلاظة قلوبهم لأدركوا أن الذي يقدموه إلى الصليب هو الذي يرفع الإنسان إلى السماء. وقد جعل الله من غلاظة قلوبهم سبباً ليحقق هذا الخلاص، تماماً كما جعل من غلاظة قلب فرعون سبباً للفصح الذي أنقذ شعب بني إسرائيل من العبودية.

- ٤ - إن هذا السر في الخلاص خدم شعب بني إسرائيل كما خدم كل البشرية أي كل الأمم ولم يكن خاصاً لشعب اليهود، ولكن الله صنع الخلاص من خلال اليهود.
- ٥ - إن هذا السر يُعلن من خلال الكنيسة، التي تقدم ذبيحة السيد المسيح السماوية الغير الدموية في صورة تشتهي الملائكة أن تتطلع إليها.
- ٦ - إن محور هذا السر هو سكُنَى السيد المسيح في الإنسان، ليجعله هيكلًا مقدسًا له وأن الكنيسة هي جسد السيد المسيح، والمؤمنون أعضاؤه أفرادًا.
- ٧ - إن هذا السر يتم بعمل الروح القدس إظهاراً لوحداية الله في الآب والابن والروح القدس والتي من خلال إعلانها صار الأمل للإنسان في حياة ملائكية في السماء كأبناء لله ووارثين لله بالمسيح.

الآب والابن والروح القدس، وسر التقوى

العظة (٢١)

سر التقوى الله ظهر في الجسد - مسئولية الإنسان

ترتكز المسيحية على حقيقة التجسد الإلهي في المسيح يسوع، والتي من خلالها تم فداء الإنسان وتبريره وتقديسه وبنوة الإنسان لله فيه، وارتباط المؤمنين برياط المحبة كأعضاء في جسده. وقد رأينا أن التوبة هي ما يوجّه الإنسان صوب السيد المسيح، وأن المعمودية باسمه تُعطي الإنسان الخليقة الجديدة، وتجعله هيكلًا لله بالروح القدس. وقد رأينا أيضاً ضرورة النمو في النعمة ومعرفة السيد المسيح، بمعنى دوام حياة التوبة والثبات في جسد المسيح بالتناول من جسده ودمه، فيزداد الإنسان محبة لله والناس، ويتمتع الإنسان بثمار الروح من فرح وسلام وطول أناة ولطف وصلاح وإيمان وتعطف (غل ٥: ٢٢).

ولأن مُجَمَّل هذه الثمار هي ما يعرف بحياة التقوى، وهو نتيجة طبيعية لثبات الإنسان في الله المتجسد، هكذا نسمع قول الكتاب المقدس: "عظيم هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد" (١ تي ٣: ١٦).

وقد أعطيت التقوى معنى " السر " لأنها كانت عملاً داخلياً في الإنسان بتجديد خلقته في المسيح يسوع بالروح القدس. ومن الواضح أن ذلك يختلف عن صورة التقوى الأخلاقية ، وفي هذا يقول الآباء الرسل: " لنا هذا الكنز في أوان خزفية، ليكون فضل القوة لله لا منا " (٢ كو ٤ : ٧) ، بمعنى أن الإنسان الترابي الذي أشير إليه بالخزف أضعف من أن يقف أمام الشر والخطية.

هذا فضلاً عن أن الإيمان بفداء السيد المسيح يرفع عن الإنسان حكم الموت ، الذي صار على آدم ونسله ، وهو الموت الذي لا تمنعه أي فضيلة في الإنسان مهما كان كاملاً.

وفي هذا يشرح الآباء الرسل عن إبراهيم - كما سبق وذكرنا - أن وعد الله له بميراث الأرض لم يكن بسبب إطاعة ناموسه " لأنه إن كانت الورثة من الناموس، فلم تكن أيضاً من موعده. ولكن الله وهبها لإبراهيم بموعده " (غل ٣ : ١٨) ، أي بمعنى آخر " لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان. وذلك ليس منكم هو عطية الله. ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد " (أف ٢ : ٨ - ٩). ومن الواضح أن هذا يشير إلى عمل الله الداخلي في الإنسان ، وعطية البنوة لله في المسيح والميراث السمائي ، كما أنه لا يقصد نهائياً بكلمة " ليس من أعمال " أنها تشير إلى ثمر الروح القدس الذي يسكن في الإنسان ، وهو الذي يجب أن يظهر في أعمال الإنسان ، ويكون شاهداً لعمل الآب والابن والروح القدس في الإنسان ومُلزماً للثمر حسب قول السيد المسيح: " أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرّام. كل غصن فيّ لا يأتي بثمر ينزعه، وكل ما يأتي بثمر ينقيّه ليأتي بثمر أكثر " (يو ١٥ : ١ - ٢).

وعلى هذا فإن الآباء الرسل لا يكفون عن تذكير المؤمنين بهذه الحقيقة ، فيقولون: " إن كنتم قد سمعتموه وعلمتم فيه كما هو حق في يسوع، أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتتجدّدوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق " (أف ٤ : ٢١ - ٢٤) ، وفي موضع آخر " تمّموا خلاصكم بخوف ورعدة " (في ٢ : ١٢) ، أي أن الخلاص المجاني الذي صنعه الله بتجسده وفدائه لا بد أن يظهر ثمره في الإنسان ليس خوفاً من عقاب ، بل خوفاً من أن يحرم الإنسان نفسه من خلاص كان ثمنه دماً ثميناً للإله المتجسد الذي لم يعرف خطية ،

وبهذا يكون الإنسان قد فهم مشيئة الله " من أجل ذلك نحن أيضاً، منذ يوم سمعنا، لم نزل مصليين وطالبيين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته، في كل حكمة وفهم روحي " (كو ١: ٩)، وبمعنى آخر " انظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة. من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هي مشيئة الرب. ولا تسكروا بالخمير الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح " (أف ٥: ١٥-١٨)، وفي هذا أيضاً لا بد أن ينمو الإنسان " لتسلخوا كما يحق للرب، في كل رضى، مثمرين في كل عمل صالح، ونامين في معرفة الله " (كو ١: ١٠).

ومن خلال هذه الوصايا الرسولية يظهر سر الآب والابن والروح القدس بوضوح فيقول بطرس الرسول: " المختارين بمقتضى علم الله الآب السابق، في تقديس الروح للطاعة، ورش دم يسوع المسيح: لتكثر لكم النعمة والسلام " (١ بط ١: ٢).

ويقول يوحنا الرسول: " نحن قد نظرنا ونشهد أن الآب قد أرسل الابن مخلصاً للعالم. من اعترف أن يسوع هو ابن الله، فאלله يثبت فيه وهو في الله. ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التي لله فينا. الله محبة، ومن يثبت في المحبة، يثبت في الله والله فيه " (١ يو ٤: ١٤-١٦)، " كل من تعدى ولم يثبت في تعليم المسيح فليس له الله. ومن يثبت في تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعاً " (٢ يو ٩: ٩)، " بهذا نعرف أننا نثبت فيه (أي في السيد المسيح) وهو فينا: أنه قد أعطانا من روحه " (١ يو ٤: ١٣).

ويقول الرسل أيضاً: " الذي يثبتنا معكم في المسيح، وقد مسحنا، هو الله الذي ختمنا أيضاً، وأعطى عربون الروح في قلوبنا " (٢ كو ١: ٢١-٢٢). والمعلوم كما سبق أن الختم يشير إلى المعمودية.

ويصلي الآباء الرسل من أجل هذا الأمر: " نصلي أيضاً كل حين من جهتك: أن يؤهلكم إلهنا للدعوة، ويكمل كل مسرة الصلاح وعمل الإيمان بقوة " (٢ تس ١: ١١). وتكون النتيجة النهائية أننا: " نسعى كسفراء عن المسيح " (٢ كو ٥: ٢٠)، " لكي تكونوا بلا لوم، وبسطاء، أولاداً لله بلا عيب في وسط جيل معوج وملتو، تضيئون بينهم كأنوار في العالم " (في ٢: ١٥).

الآب والابن والروح القدس، وسر التقوى

العظة (٢٢)

سر التقوى الله ظهر في الجسد - المؤمنون بالمسيح

فلاحة الله، بناء الله، هيكل الله، الكنيسة جسد المسيح

رأينا في ما سبق، سر السيد المسيح في خلق الإنسان الجديد، المخلوق بحسب الله في البروقداسة الحق. ورأينا ما هو معنى فلاحة الله وبناء الله وكيف صار المؤمنون هيكلًا لله بالروح القدس. ومن جهة أخرى رأينا كيف أكمل السيد المسيح الناموس القديم بأنه ألبسه ثوب المحبة، وكان أساس هذا كله هي النعمة التي أسبغها الله للبشر بتجسد الابن الوحيد الجنس، ولأنه هو الله القدوس فقد أعطى الإنسان أن يرتفع بواسطته إلى التقديس، وأعطى الإنسان جسده ودمه كخبز وخمر لكي يشترك فيه المؤمنون فيجعلهم أعضاء في جسده، ولأنه اتخذ جسده من الروح القدس والعذراء مريم وسكب هذا الروح على المؤمنين فقد جعلهم واحداً فيه.

وعلى ذلك فقد أوجد سر الآب والابن والروح القدس وضعاً اجتماعياً يستحيل على كل الشرائع الإنسانية الموضوعية أن تصل إليه، حيث أن التجسد الإلهي قد أوجد رابطاً إلهياً يجمع البشر، كان أساسه محبة الله للإنسان، فإنه لولا أن المسيح هو الله الظاهر في الجسد لكانت دعوته لا تتعدى دعوة المصلحين على مدى التاريخ. وهكذا نرى السيد المسيح يناجي الله أبيه بقوله: "عرفتهم اسمك وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم" (يو ١٧: ٢٦).

هكذا يصل وصف أحد الآباء الرسل للمؤمنين: "لأنني خطبتكم لرجل واحد، لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" (٢ كو ١١: ٢) وفي موضع آخر: "لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة... لأننا أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه. من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الإثنين جسداً واحداً. هذا السر عظيم، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة" (أف ٥: ٢٣، ٣٠-٣٢)، وبصورة أخرى "أما أنتم فجسد المسيح، وأعضاؤه أفراداً" (١ كو ٢٧: ١٢).

ويشرح الآباء الرسل أساس هذه الوجدانية في الكنيسة في حقيقتين:

الأولى: "لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد، يهوداً كنّا أم يونانيين، عبداً أم أحراراً، وجميعنا سقينا روحاً واحداً" (١ كو ١٢: ١٣).

والثانية: "كأس البركة التي نباركها، أليست هى شركة دم المسيح؟ الخبز الذي تكسره، أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرين خُبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد" (١ كو ١٠: ١٦ - ١٧)، أي أن أساس الوجدانية هو المعمودية والشركة في جسد السيد المسيح ودمه. ورباط هذه الوجدانية هو المحبة "لأن كلّ اللّاموس في كلمة واحدة يكمل: تُحب قريبك كنفسك" (غل ٥: ١٤)، كما أن الوجدانية هى إحدى صور الإيمان "الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات، لكي يملأ الكلّ. وهو أعطى البعض أن يكونوا رُسلاً، والبعض أنبياء، والبعض مُبشرين، والبعض رعاة ومعلمين، لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح" (أف ٤: ١٠ - ١٣)، وتشير كلمة بنيان جسد المسيح إلى المؤمنين الذين يولدون على مر الزمان.

ويقول يوحنا الرسول: "نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة، لأننا نُحب الإخوة. من لا يحب أخاه يبق في الموت" (١ يو ٣: ١٤)، ويقول أيضاً: "إن قال أحد: إني أحب الله وأبغض أخاه، فهو كاذب. لأن من لا يُحب أخاه الذي أبصره، كيف يُقدّر أن يُحب الله الذي لم يبصره؟" (١ يو ٤: ٢٠).

ويقول بطرس الرسول: "كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كلّ ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللّذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة، لكي نصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية، هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة. ولهذا عَيْنِهِ - وأنتم باذلون كل اجتهد - قدّموا في إيمانكم فضيلة، وفي الفضيلة معرفة، وفي المعرفة تعففاً، وفي التعفف صبراً، وفي الصبر تقوى، وفي التقوى مودة أخوية، وفي المودة الأخوية محبة. لأن هذه إذا كانت فيكم وكثرت، تُصيركم لا متكاسلين ولا غير مثمرين لمعرفة ربنا يسوع المسيح. لأن الذي ليس عنده هذه، هو أعمى قصير البصر، قد نسى تطهير خطاياهِ السّالفة" (٢ بط ١: ٣ - ٩).

وفي وصف مُعبّر لأعضاء الكنيسة كجسد المسيح يقول الرسل: "بالأولى أعضاء الجسد التي تُظهر أضعف هى ضرورية. وأعضاء الجسد التي تُحسب أنها بلا كرامة نعطىها كرامة

أفضل. والأعضاء القيحة فينا لها جمال أفضل. وأما الجميلة فينا فليس لها احتياج. لكن الله مزج الجسد معطياً الناقص كرامة أفضل، لكي لا يكون انشقاق... فإن كان عضو واحد يتألم، فجميع الأعضاء تتألم معه " (١ كور ١٢: ٢٢ - ٢٦).

الآب والابن والروح القدس، والتبرير

العظة (٢٣)

معنى البر

تتردد كلمة البر في جنبات الكتاب المقدس، فيتحدث عنه الأنبياء والمزامير والسيد المسيح والآباء الرسل حتى أنه بعد انقضاء العالم لن تكون الحياة سوى حياة بر " يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى! منتظرين وطالبيين سرعة مجيء يوم الرب، الذي به نحل السموات ملتبة، والعناصر مُحترقة تذوب. ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة، وأرضاً جديدة، يسكن فيها البر " (٢ بط ٣: ١١ - ١٣)، أي أن البر يرتبط جذرياً بسر الآب والابن والروح القدس. فما هي حقيقة البر؟

قد يتحدث الناس عن البر والبررة في صورة أخلاقية، كمن يصف إنساناً " ابن مصر البار " وذلك حينما يكون وفيّاً لوطنه ساعياً لرفعة شأنه، أو أن يشير إلى إنسان بار بوالديه يرعاهما في شيخوختهما، كما تسري أيضاً على الحياة الاجتماعية حينما نسمع عن جمعيات للبر والتقوى. كما أنها تُطلق كذلك على كل إنسان يكون ملتزماً بفرائض عقيدته أياً كانت نوعها ليتمم أوامرها ونواهيها. ومن الواضح أن هذا أمر شخصي يقوم به الإنسان على قدر استطاعته، إما عن مبادئ أخلاقية أو عن التزام اجتماعي.

أما في الكتاب المقدس فهناك نوعان آخران من البر:

البر الأول: هو بر الناموس وهو الذي أُعطي على يد موسى النبي. وهذا الناموس يتميز عن أي وصية أو شريعة أخرى أنها أُعطيت لشعب اختار الله آباءه، حتى قيل عنه " إسرائيل ابني البكر " (خر ٤: ٢٢)، وهذه الوصية كان لها شهود هم شعب بأكمله،

وأعطيت تحت ظروف نار ودخان وضباب وأصوات رعود وبرق، وتميز شعبها كما هو معروف في التاريخ بأنه كان تحت رعاية إلهية في المأكل والمشرب والملبس، ومنحه الله وعوداً وعهوداً لم يمنحها لشعب آخر، حتى وعدهم الله على فم الأنبياء أنه يظهر في وسطهم، وكان كل مطلبه منهم أن يظلوا تحت رعايته ويحفظوا شرائعه ووصاياه ولا ينجذبوا إلى عبادات أخرى تجرفهم إلى فعل الشرور. ولأن الله يعلم بضعف الإنسان أمام الشر والخطية وهي التي ورثها البشر من أبيهم آدم الذي أكل من شجرة معرفة الخير والشر، فقد أعطاهم شريعة للتكفير عن أوامره ونواهيه، بتقديم ذبائح دموية، وأقام لهم كهنوتاً خاصاً وطقوساً محددة. وعلى ذلك فقد كان كل من يتمم هذه الوصايا يدعى باراً أمام الرب، وهو ما أطلق على زكريا الكاهن أبو يوحنا المعمدان وزوجته أليصابات (لو ١: ٦). وقد دُعي هذا النوع من البر "بر الناموس".

ومن الواضح أن هذا البر يتميز عن أي التزام بفريضة دينية أخرى لأنه:
أولاً: كان هذا الناموس مشهوداً لمصدره الإلهي بشهادة شعب بأكمله قد صنع الله معه عجائب وآيات لكي تؤيده. كما يحتفظ هذا الشعب بهويته إلى هذا اليوم.
ثانياً: كان تنفيذ وصايا هذا الناموس تعتمد على إرادة إنسانية، وتقف ضد هذه الإرادة الإنسانية طبائع بشرية تميل إلى الشر، حتى أن هذا الناموس كان في بعض الأحيان سبب لعنة لهذا الشعب، بل أنه تبدد مرتين على مر التاريخ بسبب عصيانه وأوامر هذا الناموس.

ثالثاً: تحدث الله مع هذا الشعب على فم أنبيائه كمثّل ما قاله دانيال النبي: "كثيرون من الرّاقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار لإلذراء الأبدية. والفاهمون يضيئون كضياء الجلد، والذين ردّوا كثيرين إلى البر كالكوكب إلى أبد الدُّهور" (د ١٢: ٢-٣)، أي أن الله أعطى وعداً لمن يسير على بر الناموس بحياة أبدية لم تكن واضحة في ذهن الشعب، حتى أنه إلى أيام السيد المسيح كان هناك طائفة الصدوقيين التي لا تؤمن بالقيامة (مت ٢٢: ٢٣-٢٣).

أمّا ما كان يدعو للثناء هو أن يفتخر الذي يتمم هذا الناموس على أقرانه من الناس. بل كان منهم من يقفون في صلاتهم يفتخرون أمام الله (لو ١٨: ٩-١٨)، وهم

طائفة الفريسيين. وعلى ذلك كان هناك نقطة الضعف الرئيسية التي في بر الناموس أنها تعجز عن تغيير طبيعة الإنسان ولكن من يتممها فقط يكفيه أنه "يحيا بها" (رو ١٠: ٥، غل ٣: ١٢).

أما الحقيقة الخطيرة التي تحيط بالناموس فهي أمر آخر وهو السؤال: على أي أساس يقوم الراقدون في تراب الأرض؟ فكيف ينجوا الإنسان من الوعيد الإلهي "أما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت" (تك ٢: ١٧). لقد عرف آدم الموت حتى على الذين لم يخطئوا خطيئته، حينما رأى ابنه هابيل مقتولاً بيد أخيه. فمن يعطي القيامة لمن عاد إلى تراب الأرض؟ وهل يتساوى الذي صنع "بر الناموس" بمن خالف الناموس؟ إذاً لابد من "تبرير" آخر للذين قد تمّموا بر الناموس. ومن جهة أخرى من سيقيم الذين خالفوا "بر الناموس" لكي يعاقبوا عن شرورهم، هكذا لابد أن تكون قيامة، ولهذا يتحدث الله على فم الأنبياء عن مَنح القيامة لكل البشر بقيامة السيد المسيح "تهلّلوا أيّها الأمم، شعبه، لأنه ينتقم بدم عبيده، ويرد نعمة على أصداده، ويصفح عن أرضه عن شعبه" (تث ٣٢: ٤٣).

ويقول داود النبي الذي كان رمزاً للسيد المسيح: "أحمدك يارب في الأمم، وأرثم لاسمك. برج خلاص لملكه، والصانع رحمة لمسيحه، لداود ونسله إلى الأبد" (مز ١٨: ٤٩ - ٥٠)، ويقول أيضاً: "سبحوا الرب يا كلّ الأمم. حمّدهوا يا كلّ الشعوب. لأن رحمته قد قويت علينا، وأمانة الرب إلى الدّهر. هلّلوا" (مز ١١٧)، ويقول إشعياء النبي: "لأنّ الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطّي المياه البحر. ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسّى القائم راية للشعوب، إياه تطلب الأمم، ويكون محلّه مجدّاً" (إش ١١: ٩ - ١٠)، ويسّى هو أبو الملك داود الذي يرمز إلى السيد المسيح.

هكذا نجد أن الله قد أعد براً آخر غير بر الناموس، وهو لكل البشر يهوداً وأمماً، لكي يرفع عنهم حكم الموت الذي أصاب نسل آدم، وهو تبرير لابد أنه لا يقف ضد عدل الله الذي حكم بالموت. ومن هنا كان التجسد الإلهي الذي صنع براً آخر يفوق بر الناموس، ليرفع عن البشر حكم الموت، كما يزيل ضعف الناموس الذي لم يكمل الإنسان وهو موضوع العظة التالية.

العظة (٢٤)

بر الله بيسوع المسيح

رأينا فيما سبق ضعف "بر الناموس" أمام أمرين:

الأول هو أنه رغم وصاياه الصالحة لمنع الشرور إلا أنه لم يعالج الضعف الإنساني إزاء ميله للشر. والأمر الثاني هو أن "بر الناموس" يعجز عن أن يبرر الإنسان من حكم الموت الصادر من الله الذي صار بسبب معصية آدم حتى لو كان الإنسان قد تمّم "بر الناموس".

وقد رأينا أيضاً وعود الله ألا تنتهي خليقته إلى التراب مثل البهائم، وهو ما تحدث به الأنبياء عن نسل داود بن يسى، الذي منح الأمل للبشر للتبرير الحقيقي. على أن هذا "التبرير" يستلزم شروطاً هامة ليحقق أغراضه:

١- ما دام الإنسان قد ثبت عجزه عن أن يقوم من الموت حتى ولو تمم "بر الناموس"، ومع استحالة أن يتراجع الله عن حكم الموت على آدم ونسله لأن هذا ضد عدل الله، فلا بد أن يقوم الله بهذا العمل بنفسه ليبرر الإنسان من حكم الموت. وهنا يتكلم الله على فم إشعياء النبي: "الآن هكذا يقول الرب، خالقك يا يعقوب وجابلك يا إسرائيل: لا تخف لأنني فديتك. دعوتك باسمك. أنت لي ... اجتمعوا يا كل الأمم معاً ولتلتئم القبائل. من منهم يُخبر بهذا ويعلمنا بالأوثان؟ يُقدّموا شهودهم ويتبرّروا ... أنتم شهودي، يقول الرب، وعبدي الذي اخترته، لكي تعرفوا وتؤمنوا بي وتفهموا أنني أنا هو. قبلي لم يُصوّر إله وبعدي لا يكون. أنا أنا الرب، وليس غيري مُخلصٌ ... وأنتم شهودي، يقول الرب، وأنا الله ... هكذا يقول الرب فاديكم قدّوس إسرائيل" (إش ٤٣: ١ - ١٤).

هكذا يتحدث الله عن تبرير الإنسان وخلصه من حكم الموت، وجعل شعب بني إسرائيل شهوداً لذلك، وأعطى اسماً لابنته حينما يأخذ الطبيعة الإنسانية من الروح القدس يدعى "قدّوس إسرائيل"، وهو الذي ليس عليه حكم موت!

ثم يكمل الله على فم إشعياء: "أنت لم تدعني يا يعقوب، حتى تنعب من أجلي يا إسرائيل. لم تحضر لي شاة مُحرقتك، وبذباثحك لم تُكرمني. لم أستخدمك بتقدمة ولا أتعبتك

بلبان. لم تشتري لي بفضة قصباً، وبشحم ذبائحك لم تُروني. لكن استخدمتني بخطاياك وأتعبتني بآثامك. أنا أنا هو الماحي ذُنوبك لأجل نفسي، وخطاياك لا أذكرها. ذكرني فنتحاكم معاً. حدث لكي تتبرر. أبوك الأول أخطأ، ووسطاًوك عصوا عليّ" (إش ٤٣: ٢٢ - ٢٧).

وهكذا يُذكر الله شعب بني إسرائيل بخطية آدم الذي لا يمكن أن تمحوها ذبائح الناموس، أي أنه لا يمكن أن يبرّر الإنسان سوى ذبيحة سمائية في صورة إنسان، وهكذا يتحدث أيضاً على فم إشعياء النبي "عزّوا، عزّوا شعبي، يقول إلهكم ... صوت صارخ في البرية: أعدّوا طريق الرب. قوموا في القفر سبيلاً لإلهنا" (إش ٤٠: ١ - ٣)، وهو ما صرّح به يوحنا المعمدان عن السيد المسيح.

ثم يكمل إشعياء "على جبل عال اصعدي، يا مبشّرة ... أورشليم. ارفعي لا تخافي قلولي لمدن يهوذا: هوذا إلهك. هوذا السيد الرب بقوة يأتي وذراعه تحكم له. هوذا أجرته معه وعملته قدامه. كراع يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان، وفي حضنه يحملها، ويقود المَرْضعات ... فبمن تُشبّهون الله، وأي شبه تعادلون به؟ ... ألا تَعْلَمون؟ ألا تسمعون؟ ألم تُخبروا من البداية؟ ألم تفهموا من أساسات الأرض؟ الجالس على كرة الأرض ... فبمن تُشبّهونني فأساويه؟ يقول القدوس" (إش ٤٠: ٩ - ٢٥). ثم يكمل إشعياء ويقول: "هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سُرّت به نفسي. وَضَعْتُ رُوحِي عليه فيُخرج الحق للأُمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفئ. إلى الأمان يُخرج الحق لا يكلُّ ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته. هكذا يقول الله الرب، خالق السموات ... أنا الرب قد دعوتك بالبر، فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأُمم، لتفتّح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين، من بيت السجن الجالسين في الظلمة" (إش ٤٢: ١ - ٧).

والعجيب أن هذا الفصل من إشعياء هو الذي دُفع إلى السيد المسيح ليقرأه في المجمع في مدينته الناصرة حيث كان تربي، وحين أكمل قراءته قال: "إنه اليوم قد تمّ هذا المكتوب في مسامعكم" (لو ٤: ٢١).

أما عن العقبة الثانية "لبر الناموس" وكانت هي عجز الإنسان أمام وصايا الله العادلة الصالحة، فكان علاجها في "بر الله بالمسيح" بعد رفع حكم الموت عن الإنسان، ثم خلقه الإنسان خليفة جديدة بانسكاب روح الله على البشر، وهو كما

سبق وأشرنا أن الله تحدث به على فم الأنبياء ، وكذلك على فم السيد المسيح ، بأن يعطي الخليقة الجديدة على صورة الميلاد من الماء .

هكذا يعود إشعياء ويقول: " لا تخف يا عبدي يعقوب، يا يَشُورون الذي اخترته لأنني أسكب ماء على العطشان، وسيولاً على اليابسة. أسكب روحي على نسلك وتركتي على ذُرِّيَّتِكَ. فينبُتُون بين العشب مثل الصفصاف على مجاري المياه " (إش ٤٤: ٢ - ٤)، " اسمعوا لي يا أشداء القلوب البعيدين عن البر. قد قَرَّبْتُ برِّي، لا يَبْعُد. وخلصي لا يتأخَّر. وأجعل من صهيون خلاصاً، لإسرائيل جلالتي " (إش ٤٦: ١٢ - ١٣).

ثم يقول إشعياء أيضاً: " اصغوا أيها الأمم من بعيد: الربُّ من البطن دعاني. من أحشاء أمي ذكر اسمي ... وقال لي: أنت عبدي إسرائيل الذي به أتمجّد ... فقال: قليل أن تكون لي عبداً لإقامة أسباط يعقوب، ورَدَّ محفوظي إسرائيل. فقد جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض " (إش ٤٩: ١ - ٦)، ويكمل " هل قَصُرْتُ يدي عن الفداء؟ وهل ليس فيَّ قُدْرَةٌ للإنقاذ؟ " (إش ٥٠: ٢)، ثم يعود ويقول: " أيها العطاش جميعاً هلمُّوا إلى المياه، والذي ليس له فِضَّةُ تعالوا اشترُوا واكلوا. هلمُّوا اشترُوا بلا فِضَّة وبلا ثمن خمراً ولبناً ... هوذا قد جعلته شارعاً للشعوب، رئيساً وموصياً للشعوب. ها أمة لا تعرفها تدعوها، وأمة لم تعرفك تركض إليك، من أجل الربِّ إلهك وقدُّوس إسرائيل لأنه قد مجدك ... لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك، بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطي زرعاً للزراع وخبزاً للأكل، هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي. لا ترجع إليَّ فارغة، بل تعمل ما سررت به وتنجح في ما أرسلتها له " (إش ٥٥: ١ - ١١).

وهكذا يقول السيد المسيح: " لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمِّل " (مت ٥: ١٧)، ثم يكمل ويقول: " إنكم إن لم يزد بركُم على الكتب والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات " (مت ٥: ٢٠).

ثم نأتي لرسائل الرسل لنسمع شرح " بر الله بيسوع المسيح " فنجد في الرسالة إلى رومية عن العقبة الأولى للناموس وهو حكم الموت الذي على آدم " أما الآن فقد ظهر ببرُّ الله بدون الناموس، مشهوداً له من الناموس والأنبياء، ببرُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح، إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون. لأنه لا فرق. إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدمه الله كفَّارَةً بالإيمان بدمه لإظهار برِّه، من أجل الصَّحَّح عن

الخطايا السَّالفة بامهال الله" (روا: ٢١ - ٢٥)، ويتحدث عن العقبة الثانية التي هي ضعف الإنسان أمام الناموس فيكمّل ويقول: "إظهار برّه في الزَّمان الحاضر، ليكون بارّاً ويبرّر من هو من الإيمان يسوع. فأين الافتخار؟ قد انتفى. بأي ناموس؟ أبناموس الأعمال؟ كلا. بل بناموس الإيمان. إذّا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس. أم الله لليهود فقط؟ أليس للأمم أيضاً؟ بلى، للأمم أيضاً. لأن الله واحد، هو الذي سيبرّر الختان بالإيمان والغرة بالإيمان. أفبطل الناموس بالإيمان؟ حاشا! بل تُثبّت الناموس" (روا: ٢٦ - ٣١).

ثم تعود الرسالة لتذكر أن إبراهيم قد أخذ وعوده من الله بالإيمان قبل أن يكون الناموس، وحسب له الإيمان برّاً قبل أن يُختتن فصار أباً للمؤمنين الذين يختتنون والذين لم يختتنوا "فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أولنسله أن يكون وارثاً للعالم، بل ببرّ الإيمان. لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة فقد تعطلّ الإيمان وبطل الوعد" (روا: ١٣ - ١٤).

الأب والابن والروح القدس، والتبرير

العهدة (٢٥)

بر الله بالإيمان بيسوع المسيح

رأينا فيما سبق ما هو البر الأخلاقي، ثم رأينا البر الذي بالناموس أي ناموس موسى الذي أعطاه له الله وشرح من خلاله الكفارة والقضاء. ورأينا عجز الناموس في أن يقدر الإنسان من معرفته للشر أو أن يرفع حكم الموت الذي صار على نسل آدم حتى لو تمت الإنسان وصايا الناموس، ورأينا أن الوعد لإبراهيم بالوراثة والبركة لم يكن عن طريق الناموس بل بسبب الإيمان. وقد رأينا كيف كان الله مديراً لخلاص الإنسان من قبل خلقته بالفداء بتجسد الابن الوحيد الجنس وانسكاب روح الله على البشر.

وقد أشرنا إلى أقوال الله على لسان إشعياء النبي في العهدة السابقة، كما يمكننا أن نسمع صراخ داود النبي: "عند دعائي استجب لي يا إله برّي ... ارفع علينا نور وجهك يا رب ... بسلامة أضطجع بل أيضاً أنام، لأنك أنت يا رب منفرداً

في طمأنينة تسكنني" (مز ٤: ٨-١)، ويقول أيضاً: "الرَّبُّ راعيَّ فلا يعوزني شيء ... يهديني إلى سبل البرِّ من أجل اسمه" (مز ٢٣: ١-٣).

كما يقول إرميا النبي: "ها أيام تأتي، يقول الرب، وأقيم لداود غصن برٍّ. فيملك ملك وينجح، ويُجري حقاً وعدلاً في الأرض ... وهذا هو اسمه الذي يدعونه به: الرب برُّنا" (إر ٢٣: ٥-٦). أما دانيال النبي فيحدّد تاريخ تجسّد السيد المسيح ويتحدّث عن برِّه ويقول: "سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليؤتّى بالبرِّ الأبدى، ولتختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قدّوس القدّوسين" (د ٩: ٢٤).

كما يعيد ملاخي النبي قول إشعياء ويقول: "هأنذا أرسل ملاكي فيهيئ الطريق أمامي. ويأتي بَعْتَةً إلى هيكلك السيد الذي تطلبونه، وملاك العهد الذي تسرون به. هوذا يأتي قال رب الجنود ومن يحتمل يوم مجيئه؟ ومن يثبت عند ظهوره؟ لأنه مثل نار المُمَحَّص ... فينقي بني لاوي ويصفيهم كالذهب والفضة، ليكونوا مُقَرَّبِينَ للرب تقدمة بالبرِّ" (ملا ٣: ١-٣)، وهو يشير هنا إلى صراخ يوحنا المعمدان وانتقال الكهنوت من الناموس الموسوي إلى كهنوت السيد المسيح.

ثم تأتي الرسالة إلى غلاطية لتجيب على سؤال هام، وهو عن عدم قدرة الناموس أن يكمل البر، فتقول: "فلماذا الناموس؟ قد زيد بسبب التّعديّات، إلى أن يأتي النسل الذي قد وعد له، مُرْتَبّاً بملائكة في يد وسيط. وأما الوسيط فلا يكون لواحد. ولكن الله واحد. فهل الناموس ضد مواعيد الله؟ حاشا! لأنه لو أعطى ناموس قادر أن يُحيي، لكان بالحقيقة البر بالناموس. لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية، ليعطي الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون. ولكن قبلما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الناموس، مغلقاً علينا إلى الإيمان العتيّد أن يعلن. إذاً قد كان الناموس مؤدّبنا إلى المسيح، لكي نتبرّر بالإيمان. ولكن بعد ما جاء الإيمان، لسنا بعد تحت مؤدّب. لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح: ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حرٌّ. ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع. فإن كنتم للمسيح، فأنتم إذاً نسل إبراهيم، وحسب الموعد ورثة" (غل ٣: ١٩-٢٩).

هكذا يشبّه بولس الرسول هؤلاء الذين ماتوا وقد تمموا بر الناموس أنهم صاروا كإنسان قاصر لا يرث حتى إلى الوقت المؤجل من أبيه، أي أن الذين ماتوا في

بر الناموس لم يرثوا الحياة إلا إلى أن مات السيد المسيح عنهم فأصبحوا وارثين لله وأبناء للملكوت. (غل ٤: ٧).

وفي تشبيه آخر للذين يستندون إلى بر الناموس دون الإيمان بيسوع المسيح بأنهم يكونون مثل هاجر امرأة إبراهيم التي لا تترث مع ابنها، أما المؤمنون بالسيد المسيح فإنهم يرثون حسب الوعد الذي صار لإبراهيم وسارة (غل ٤: ٢١ - ٢٦).

وفي شرح آخر يقارن بين ناموس البر وناموس الله بالمسيح فيقول: "لأنني مُتُّ بالناموس للناموس لأحيا لله. مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ. فما أحياء الآن في الجسد، فإنما أحياء في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي. لست أبطل نعمة الله. لأنه إن كان بالناموس يرُّ، فالمسيح إذاً مات بلا سبب!" (غل ٢: ١٩ - ٢١).

وعلى ذلك فقد حُسب البر الذي بالإيمان بيسوع المسيح أنه هو "نعمة" لأنه لم يكن مجرد طاعة من جهة الإنسان، بل كان له العمل الداخلي من الله في الإنسان الذي يمنحه السلطان على الشيطان والخطية.

وهكذا تقول الرسالة إلى تيطس: "حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغُسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا. حتى إذا تبرَّأنا بنعمته، نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية" (تي ٣: ٤ - ٧)، ثم يؤكد بولس الرسول في رسالة أخرى "فإذ قد تبرَّأنا بالإيمان لنا سلام مع الله برنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان، إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون" (رو ١: ٥ - ٢).

ثم يضيف الرسول أيضاً معنى "الهبة" التي صارت بالإيمان ببر الله بيسوع المسيح أن الإيمان بالفداء الذي صار بالصليب لم يرفع فقط حكم الموت الذي صار على البشر بسبب خطيئة آدم وإنما يمتد أيضاً ليصل عمل ذبيحة السيد المسيح إلى التكفير عن الخطايا الكثيرة التي اقترفها الإنسان قبل الإيمان "فإذاً كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة، هكذا ببرٍّ واحد صارت الهبة إلى جميع الناس، لتبرير الحياة. لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبراراً ... حتى كما ملكت الخطية في الموت، هكذا تملك النعمة بالبر، للحياة الأبدية،

يسوع المسيح ربنا" (رو ٥: ١٨ - ٢١)، ويشرح ذلك أيضاً بطرس الرسول ويقول: "الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر" (١ بط ٢: ٢٤). ويقول يوحنا الرسول: "من يفعل البر فهو بار، كما أن ذاك بار. من يفعل الخطية فهو من إبليس، لأن إبليس من البدء يخطئ. لأجل هذا أظهر ابن الله لكي ينقُض أعمال إبليس" (١ يو ٣: ٧ - ٨).

الآب والابن والروح القدس، والتبرير

العظة (٢٦)

الآباء الرسل يصفون بر الإيمان بيسوع المسيح

بعد ما سبق ورأيناه عن حقيقة البر الذي بالإيمان بيسوع المسيح كان من المنطقي أن يتحدث الآباء الرسل عن البر، لا كمجرد صفة من صفات الله أو إحدى الفضائل التي في الإنسان بل يتحدثون عن البر كفعل داخلي في الإنسان بالروح القدس قد وهبه الله للإنسان، بالضءاء بيسوع المسيح، أي أن حياة البر هي عمل إلهي للآب والابن والروح القدس في الإنسان يعطي التقديس والسلطان على الشر والخطية، ويصل به إلى البنوة لله، كما ينتهي بالإنسان بعد الموت إلى حياة أبدية كملائكة الله في السماء. ومن الواضح أن هذا البر هو محبة وعطية إلهية أو نعمة أو هبة يحصل عليها الساعون إلى التوبة حسب قول السيد المسيح: "طوبى للجياع والعطاش إلى البر، لأنهم يشبعون" (مت ٥: ٦)، رغم ما يمكن أن يواجه الإنسان من الصعاب "طوبى للمطرودين من أجل البر، لأن لهم ملكوت السموات" (مت ٥: ١٠).

وبناء على ذلك يتحدث الآباء الرسل عن البر بصور متعددة، فهناك طريق البر ودرع البر وآلات البر وسلاح البر وثمر البر ورجاء البر واكليل البر! كما يتحدثون عن هذه الأمور باعتبارها نتيجة طبيعية لعمل الضءاء الذي تممه السيد المسيح على الصليب وقيامته وصعوده ثم انسكاب الروح القدس على البشر، ويحصل الإنسان على عطية البر بالمعمودية ونوال الإنسان من جسد الرب ودمه.

كما أن وصايا البر الذي بالناموس يرتفع مستوى تنفيذها إلى الناموس الملوكي " تُحبُّ قريبك كنفسك " (مت ٢٢: ٣٩)، كما يسمى " ناموس الحرية " لأنه ليس وصية تنفذ من البشر كعبيد بل كأبناء الله الأحرار، فتصف ذلك الرسالة إلى العبرانيين، وتقارن بين ظروف ناموس موسى وبر الإيمان " لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار، وإلى ضباب وظلام وزوبعة، وهتاف بوق وصوت كلمات، استعفى الذين سمعوه من أن تزداد لهم كلمة، لأنهم لم يحتملوا ما أمر به ... وكان المنظر هكذا مخيفاً حتى قال موسى: أنا مُرتعب ومُرتعد. بل قد أتيتم إلى جبل صهيون، وإلى مدينة الله الحي، وأورشليم السماوية، وإلى ربوات هم محفل ملائكة، وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات، وإلى الله ديان الجميع، وإلى أرواح أبرار مكملين، وإلى وسيط العهد الجديد، يسوع " (عب ١٢: ١٨ - ٢٤)، ذلك لأن " غاية الناموس هي: المسيح للبرِّ لكل من يؤمن. لأن موسى يكتب في البرِّ الذي بالناموس: إن الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها. وأما البرُّ الذي بالإيمان فيقول هكذا: لا تقل في قلبك: من يصعد إلى السماء؟ أي ليحدر المسيح. أو من يهبط إلى الهاوية؟ أي ليصعد المسيح من الأموات. لكن ماذا يقول؟ الكلمة قريبة منك، في فمك وفي قلبك أي كلمة الإيمان التي نركز بها: لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خلّصت. لأنَّ القلب يؤمن به للبرِّ والفم يعترف به للخلاص " (رو ١٠: ٤ - ١٠).

لهذا يُظهر بولس الرسول حزنه على شعب اليهود بقوله: " إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البرِّ أدركوا البرِّ، البرِّ الذي بالإيمان. ولكن إسرائيل، وهو يسعى في أثر ناموس البرِّ لم يدرك ناموس البرِّ! لماذا؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان، بل كأنه بأعمال الناموس " (رو ٣٠: ٣٢ - ٣٢).

أمّا الذين يؤمنون منهم فيكونوا مثل أباهم إبراهيم الذي حُسب له ذلك براً " لكن لم يكتب من أجله وحده أنه حسب له، بل من أجلنا نحن أيضاً، الذين سيحسب لنا، الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات، الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبرّنا " (رو ٢٢: ٢٥ - ٢٥).

وهكذا يتحدّث بولس الرسول عن نفسه: " من جهة البرِّ الذي في الناموس: بلا لوم. لكن ما كان لي ربحاً، فهذا أيضاً قد حسبته من أجل المسيح خسارة. بل إنني أحسب كلَّ شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي ... وأوجد فيه، وليس لي برِّي الذي من الناموس، بل الذي بإيمان المسيح، البرُّ الذي من الله بالإيمان. لأعرفه، وقوة قيامته، وشركة آلامه، متشبهاً بموته، لعلّي أبلغ إلى قيامة الأموات " (في ٣: ٦ - ١١).

وهكذا يتوالى الحديث عن البرية رسائل الآباء الرسل:

"اغتسلتم، بل تقدستم، بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا" (كو ٦: ١١)، "في كل شيء نَظْهر أنفسنا كخُدَّام الله، في صبر كثير: في شدائد ... في طهارة ... في لطف، في الروح القدس، في محبة بلا رياء، في كلام الحق، في قوة الله بسلاح البر لليمين واليسار. بمجد وهوان، بصيت رديء وصيت حسن" (كو ٦: ٤ - ٨)، "... لأن ثمر الروح هو في كل صلاح وبرٌ وحقٌ" (أف ٥: ٩)، "فاثبتوا مُنْطَقِينَ أَحْقَاءَكم بِالْحَقِّ ولاسِينْ دَرعَ الْبِرِّ" (أف ٦: ١٤) ... "مملوئين من ثمر البرِّ الذي بيسوع المسيح، لمجد الله وحمده" (في ١: ١١) ... "كل الكتاب هو مُوحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البرِّ" (٢ تي ٣: ١٦) ... "ثمر البر يُزْرَع في السلام من الذين يفعلون السلام" (يع ٣: ١٨) ... "كُلُّ مَنْ لَا يَفْعَلُ الْبِرَّ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ، وكذا مَنْ لَا يَحِبُّ أَخَاهُ" (١ يو ٣: ١٠).
ثم تأتي التحذيرات أيضاً:

"ما أنقلب منه أحد، فهو له مستعبدٌ أيضاً ... كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البرِّ، من أنهم بعدما عرفوا، يرتدون عن الوصية المقدسة المُسلَّمة لهم" (٢ بط ٢: ١٩ - ٢١) ... "أنتم عبيد للذي تطيعونه: إما للخطية للموت أو للطاعة للبرِّ؟" (رو ٦: ١٦).

ثم تحذير أخير من الرسل الكذبة "لأن الشيطان نفسه يُغَيِّرْ شكله إلى شبه ملاك نور! فليس عظيماً إن كان خُدَّامه أيضاً يُغَيِّرُونَ شكلهم كخدام البرِّ. الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم" (كو ١: ١٤ - ١٥).

الآب والابن والروح القدس، والتقديس

العظة (٢٧)

معنى التقديس

رأينا في ما سبق ضعف "بر الناموس" وعجزه أن يُغَيِّرْ طبيعة الإنسان التي تميل إلى الشر، وكذلك عجز الناموس من أن يبرر الإنسان من حكم الموت الذي صار على آدم ونسله حتى على الذين لم يخطئوا بخطيئة آدم. وكان أقصى عمل لبر الناموس هو أن من يتمم وصايا الناموس "يحيا بها" بمعنى أنها عريون الحياة إذا ما رفع الله حكم الموت

الأبدي، ثم تأكدنا من عجز البشر أن يتبرروا من حكم الموت الذي صار على الإنسان من نسل آدم حتى ولو عملوا بر الناموس، وكانت الذبائح الحيوانية التي أُعطيت في شريعة موسى هي للتكفير عن الخطايا التي يقتربها شعب بنى إسرائيل عن وصايا الناموس، وهكذا رأينا أنه لا يمكن للبشر أن يقوموا من الأموات سواء الذين تمّموا بر الناموس أم الذين ليس لهم ناموس إلا إذا بررتهم ذبيحة تكون نظير الإنسان، ليس عليها الحكم الذي على نسل آدم، والتي تحققت في تجسد الابن الوحيد من الروح القدس والعذراء مريم، وهكذا يستيقظ الذين صنعوا بر الناموس إلى الحياة الأبدية، والذين لم يرضوا الله في حياتهم يمضون إلى الازدراء الأبدي "كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي" (١٢: ٢)، وبذلك يتحقق عدل الله ورحمته.

هكذا سبق الله وشرح خطته لهذا العدل والرحمة على لسان الأنبياء الذين أرسلهم إلى الشعب الذي أعطاه شريعة التكفير عن الخطايا بداية من إبراهيم إلى يوحنا المعمدان. وهكذا يمكننا أن نسترجع بعض الكلمات النبوية التي ذكرناها تحت موضوع التبرير حتى تتضح صورة التجسد والفداء في السيد المسيح:

١- "الآن هكذا يقول الرب، خالك يا يعقوب ... لا تخف لأنني قديتك. دعوتك باسمك. أنت لي ... اجتمعوا يا كل الأمم معاً ... ويتبرروا ... أنتم شهودي، يقول الرب، وعبيدي الذي اخترته، لكي تعرفوا وتؤمنوا بي ... أنا أنا الرب، وليس غيري مُخلصٌ ... هكذا يقول الرب فاديكم قدوس إسرائيل" (إش ٤٣: ١ - ١٤).

٢- "أنت لم تدعني يا يعقوب، حتى تتعب من أجلي ... وبذباحك لم تكرمني ... وبشحم ذباحك لم تُروني ... استخدمتني بخطاياك ... أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي ... ذكرني فتحاكم معاً. حدثٌ لكي تتبرر. أبوك الأول أخطأ" (إش ٤٣: ٢٢-٢٧).

٣- "ارفعي صوتك بقوة، يا مبشرة أورشليم ... هوذا السيد الرب بقوة يأتي وذراعه تحكم له. هوذا أجزته معه ... كراع يرعى قطيعه ... فبمن تُشبهون الله ... فبمن تُشبهونني فأساويه يقول القدوس" (إش ٤٠: ٩-٢٥).

٤- "هوذا عبيدي الذي أعضده، مُختاري الذي سُرّت به نفسي ... أنا الرب قد دعوتك

بالبر ... أجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم ... لتخرج من الحبس المأسورين، من بيت السجن
الجالسين في الظلمة" (إش ٤٢ : ١-٧).

" هل قصرت يدي عن الفداء؟ وهل ليس فيَّ قدرةٌ للإنقاذ؟" (إش ٥٠ : ٢).

٥ - " اصغوا أيها الأمم من بعيد: الرب من البطن دعاني. من أحشاء أُمِّي ذكر اسمي ... وقال
لي: أنت عبدي إسرائيل الذي به أتمجد" (إش ٤٩ : ١-٣).

٦ - " كما ينزل المطر والتلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك، بل يرويان الأرض ... وتعطي
زرعاً للزَّارع وخبزاً للآكل، هكذا تكون كلمتي ... تنجح فيما أرسلتها له" (إش ٥٥ : ١٠-١١).

٧ - " لا تخف يا عبدي يعقوب ... لأنني أسكب ماء على العطشان ... أسكب روحي على
نسلك وبركتي على ذُرِّيَّتكَ" (إش ٤٤ : ٢-٣).

هكذا شرح الله خطة الفداء في كلمات الأنبياء وحدد أبعادها وأظهرها للبشر
من خلال فداء الابن وانسكاب الروح القدس على الإنسان. والآن ليس أمام الإنسان سوى
أن يؤمن بهذا الخلاص كمثال ما آمن إبراهيم، وهو الخلاص الذي صار بتجسد كلمة
الله والذي بموته رُفِعَ حكم الموت عن كل البشر لئيتبرر من خطية آدم وليقهر الخطية
بقوة الله القائم من الأموات فينال الإنسان بر الله بالإيمان، ثم يأخذ عطية
السيد المسيح في المعمودية ويموت بموته ويقوم بقيامته ويحصل على هذه العطية بروح
الله المنسكب على البشر الذي هو روح الآب وروح الابن وفي هذه الحالة يمكن أن
يقال على ذلك الإنسان أنه قد "تقدس".

وهنا أيضاً لا يمكننا أن نأخذ كلمة "القداسة" كصفة يتصف بها الإنسان لأنه
كما سبق ورأينا أن "التبرير" كان عملاً داخلياً في الإنسان وليس مجرد صفة يتصف
بها الإنسان، هكذا القداسة، فإنها وإن كانت مطلباً من جهة الإنسان، فكل ما
عليه هو أن يتوب ليحصل عليها، لكنها في حقيقتها هي عمل إلهي يأخذ فيه الإنسان
عطية السيد المسيح بالروح القدس برفع حكم الموت الذي على آدم ونسله وفي موت
طبيعته العتيقة التي تميل للشر، ثم يشترك في جسد السيد المسيح ليثبت فيه، كما
يثبت في إخوته المؤمنين وفي هذه الحالة ينال القداسة التي بدونها - حسب قول
الكتاب المقدس - لا يعاين أحد الرب. (عب ١٢ : ١٤).

والواضح هنا أن القداسة تحمل معنيين:

المعنى الأول هو أن الإنسان آمن بمحبة الله الآب ونعمة الابن الوحيد الذي تجسد وأعتقه من الموت وسلطان الخطية، وأمن بعطية الروح القدس الذي يمنحه هذه النعمة. على أن هذا الاختيار من جهة الإنسان لا يتحقق بدون توبة عن الشرور، وفهم صحيح لمشيئة الله من الإنسان، واقتناع الإنسان أنه أساساً ليس من هذا العالم، بل أن الله اختاره من البدء ليبرره ويمنحه البنوة والحياة الأبدية، فيقدم الإنسان حياته من أجل الله الذي أحبه، ويبدأ بحياة التوبة وهنا يكون التقديس بمعنى "التخصيص" أي أن الإنسان يتوب ويختار أن يخصص ذاته لله، وبالتالي يقبله الله لذاته ابناً.

وقد يأخذ التقديس أحياناً صورة التطهير "فقال الرب لموسى: اذهب إلى الشعب وَقَدِّسْهم اليوم وغداً، وليغسلوا ثيابهم، ويكونوا مستعدين لليوم الثالث. لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء" (خر ١٩: ١٠ - ١١).

المعنى الثاني للتقديس هو هذا العمل الداخلي في الإنسان بالروح القدس الذي يرفع عن الإنسان عجزه في مواجهة الخطية، وينال القداسة وذلك بعمل المعمودية وثباته في السيد المسيح في جسده ودمه، ويصير واحداً فيه، وينال بنوة الله فيه، والسلطان على الشيطان والخطية، وفي النهاية ينال حياة أبدية كملائكة الله في السماء.

وما دام "التقديس" هو أمر بهذه الخطورة التي بدونها لا يعاين أحد الرب، كان من الطبيعي أن يشرح الله أسرار التقديس بتفصيل دقيق في العهد القديم من خلال الأحداث والوصايا والرموز المتعددة لتضيء الطريق إلى العهد الجديد، ثم يكشف الروح القدس على لسان الآباء الرسل هذه العطية الهائلة المصيرية في حياة الإنسان.

كان أول ذكر للتقديس في العهد القديم هو اليوم السابع "بارك الله اليوم السابع وَقَدَّسَهُ" (تك ٢: ٣). واليوم السابع هو الزمن الذي تحياه الخليقة إلى يومها الأخير على الأرض لتبدأ الأبدية في اليوم الثامن. وإن كان الإنسان قد سقط في بداية اليوم السابع لكن الله كان قد أعد له الخلاص فيه ولهذا قَدَّسَهُ ثم ظل يُذكر بني إسرائيل بتقديس حياتهم، لهذا أعطاهم الوصية "احفظ يوم السبت لِقَدَّسَهُ" (تث ٥: ١٢).

حتى أن اللفظ " فتتقدسون وتكونون قديسين لأنني أنا قدوس " قد تكررت بذات اللفظ في سفر اللاويين خمس مرات (لا ١١: ٤٤) ، (لا ١١: ٤٥) ، (لا ١٩: ٢) ، (لا ٢٠: ٧) ، (لا ٢٠: ٢٦) .

ومن وصايا التقديس أيضاً كان تخصيص كل بكر من الناس والبهائم لله " قدس لي كل بكر، كل فاتح رحم من بني إسرائيل، من الناس ومن البهائم. إنه لي " (خر ١٣: ٢) ، وذلك بمعنى أن لا يبخل الإنسان بأعلى ما عنده للرب.

ومن الطبيعي أن يكون الكهنوت قدساً للرب ولهذا أمر بوضع صفيحة من الذهب على عمامة رئيس الكهنة مكتوب عليها " قدس للرب " (خر ٢٨: ٣٦ - ٣٨) ، وكان يتبع ذلك تقديس الكهنة في ملابسهم ومأكلاتهم ومشربهم (خر ٢٩: ١ - ٣٤) .

كذلك أيضاً خيمة الاجتماع " وأقدس خيمة الاجتماع والمذبح، وهارون وبنوه أقدمهم لكي يكهنوا لي. وأسكن في وسط بني إسرائيل وأكون لهم إلهاً " (خر ٢٩: ٤٤ - ٤٥) .

وفي تصوير جميل لخلاص نفس الإنسان رغم عودة جسده إلى التراب، هو ما أمر به الله يشوع أن يُحرّم كل ما في مدينة أريحا، أما المعادن من الذهب إلى الحديد يكون للرب " فتكون المدينة وكل ما فيها مُحَرَّمًا للرب ... وكل الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد تكون قدساً للرب " (يش ٦: ١٧ - ١٩) ، ويشير الذهب والمعادن إلى نفس الإنسان التي تعود إلى الله.

أما راحاب الزانية وهي إحدى سكان المدينة والتي آمنت بالله يشوع فلم تهلك مع المدينة، وهي التي من نسلها جاء السيد المسيح فيما بعد (يش ٢: ١١ ، ١٦: ١٧ ، مت ١: ٥) ، إشارة إلى أن الإيمان ينقذ الإنسان من الموت، بل يثبتّه في السيد المسيح. وفي تلميحات كثيرة لعمل الله مع الإنسان، فكان يتحدث عن " مسكن قدسه " ، و " هيكل قدسه " ، و " جبل قدسه " ، و " ذراع قدسه " فيقول ...

" ترشد برأفتك الشعب الذي فديته. تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك " (خر ١٥: ١٣) .

" يا رب، من ينزل في مسكنك؟ من يسكن في جبل قدسك؟ السالك بالكمال " (مز ١٥: ١ - ٢) .

" أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك. أسجد في هيكل قدسك بخوفك " (مز ٥: ٧) .

" من يصعد إلى جبل الرب؟ ومن يقوم في موضع قدسه؟ " (مز ٢٤: ٣) .

" استيقظ الرب كنائمه ... فحرب أعداءه إلى الورااء ... اختار سبط يهوذا، جبل صهيون الذي أحبه. وبنى مثل مرتفعات مقدسه، كالأرض التي أسسها إلى الأبد. واختار داود عبده ... ليرعى يعقوب شعبه، وإسرائيل ميراثه " (مز ٧٨ : ٦٥-٧١)، وكما ذكرنا سابقاً فإن داود يرمز للسيد المسيح.

" الرب قد عزى شعبه. فدى أورشليم، قد شمّر الرب عن ذراع قدسه أمام عيون كل الأمم، فترى كل أطراف الأرض خلاص إلها " (إش ٥٢ : ٩-١٠).

" لك ينبغي التسبيح يا الله في صهيون ... معاصينا أنت تُكفّر عنها. طوبى للذي تختاره وتُقربّه ليسكن في ديارك. لنشبعنّ من خير بيتك، قُدس هيكلك " (مز ٦٥ : ١-٤).

" يارب، أصعدت من الهاوية نفسي ... رنموا للرب يا أتقياءه، واحمدوا ذكر قدسه " (مز ٣٠ : ٣-٤). أما حينما يذكر الله تجسد الابن فيقول عنه: "قدوس القديسين" .. "سبعون أسبوعاً قُضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليؤتى بالبر الأبدى، ولتختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قُدوس القُدوسين " (د ٩ : ٢٤).

وحينما يتحدث عن الروح القدس فإنه يذكر خلاص الابن " أنا المتكلم بالبرّ، العظيم للخلاص ... قد دست المعصرة وحدي ... فنظرت ولم يكن معين ... فخلصت لي ذراعي ... إحسانات الرب أذكر ... لبيت إسرائيل ... رفعهم وحملهم كل الأيام القديمة. ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه ... انظر من مسكن قدسك ومجدك ... أنت يارب أبونا ... لماذا أضللتنا يارب عن طرقك، قسّيت قلوبنا عن مخافتك؟ أرجع من أجل عبيدك ... امتلك شعب قدسك " (إش ٦٣ : ١-١٨)، ومن الواضح هنا أن الإنسان من فرط ضيقه يستثير الله من أجل خلاصه.

أمّا ما ذكر في العهد القديم وكان يخص خلاص الإنسان من الخطية فكان الرب يطلق عليه " قدس أقداس"، وهكذا أطلق هذا الاسم على تيس الخطية الذي يحمل إثم الجماعة للتكفير عنهم أمام الرب (لا ١٦ : ٢٠)، وكذلك ذبيحة التطهير من البرص، فقد كان البرص يرمز للخطية (لا ١٣ : ١-٥٩).

وكانت مقدمة الدقيق المسكوب عليها زيتاً والمضاف إليها لباناً وهى التي تشير إلى ذبيحة السيد المسيح غير الدموية كان يوقد منها الكهنة ملء قبضة اليد على المذبح والباقي "قدس أقداس" يأكله هارون وبنيه (لا ٢ : ١-١٠). كما أنه من المعروف أن

قدس الأقداس في الخيمة (خر أصحاح ٢٦) والتي يدخلها رئيس الكهنة مرة واحدة في السنة للتكفير عن خطايا الشعب، كان يحوي تابوت العهد الذي بداخله المن إشارة إلى جسد السيد المسيح، وعصا هارون التي أفرخت إشارة إلى كهنته، ولوحي العهد المكتوبة بإصبع الله إشارة إلى ناموس الله المكتوب على قلب الإنسان بالروح القدس (عب ٨: ١٠).

الآب والابن والروح القدس، والتقدس

العظة (٢٨)

التقدس في العهد الجديد

مع استعلان سر الآب والابن والروح القدس في العهد الجديد صار استعلان سر القداسة في الإنسان حيث تحقق وعد الله "بأنبيائه في الكتب المقدسة، عن ابنه. الذي صار من نسل داود من جهة الجسد. وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة، بالقيامة من الأموات" (روا: ٢-٤)، حتى أن المؤمنين دعوا "قديسين" (١كو ١: ٢)، حيث صار لنا السيد المسيح "حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء" (١كو ١: ٣)، وتحقق الفداء بكل حكمة وفطنة فصار لنا التبرير والتقدس، وأعلن لنا الآباء الرسل "لأن هذه هي إرادة الله قداسكم ... أن يعرف كل واحد منكم أن يقتني إناؤه بقداسة وكرامة" (١تس ٤: ٣، ٤)، ذلك لأن المؤمنين أصبحوا "مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً، كهنوتاً مقدساً، لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله يسوع المسيح" (١بط ٢: ٥)، "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم ... لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو" (١كو ٣: ١٦-١٧).

وقد شرح الآباء الرسل سر التقدس:

"الله اختاركم من البدء للخلاص، بتقدس الروح وتصديق الحق" (١٣: ٢).

"شاكرين الآب الذي أهلنا لشركة ميراث القديسين في النور، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته، الذي لنا فيه الفداء، بدمه غفران الخطايا. الذي هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة. فإنه فيه خلق الكل: ما في السموات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى ...

الكل به وله قد خُلِق. الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل، وهو رأس الجسد: الكنيسة. الذي هو البداء، بكرٌ من الأموات، لكي يكون هو متقدماً في كل شيء. لأنه فيه سرٌّ أن يحلَّ كل المملء، وأن يصالح به الكل لنفسه، عاملاً الصُّلح بدم صليبه، بواسطته، سواء كان: ما على الأرض، أم ما في السموات. وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر، في الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت، ليُحضِرَكم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه " (كو ١: ١٢-٢٢) ... " مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح ... كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لتكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة ... إذ أنتم خُتِمْتُمْ بروح الموعد القدوس، الذي هو عربون ميراثنا " (أف ١: ٣-١٤).

" إذ أعتقتم من الخطية، وصرتُم عبيداً لله، فلکم ثمرکم للقداسة، والنهاية حياة أبدية " (رو ٦: ٢٢).

" اغتسلتم، بل تقدَّسْتُم، بل تبرَّرتُم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا " (كو ١: ٦)، وهنا يظهر التبرير والتقديس بالمعمودية.

" نحن مُقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرَّة واحدة ... لأنه بقرَّبان واحد قد أكمل إلى الأبد المُقدَّسين " (عب ١٠: ١٠-١٤) ...

" الذي وُضِعَ قليلاً عن الملائكة، يسوع، نراه مُكلَّلاً بالمجد والكرامة، من أجل ألم الموت ... لأنه لاقى بذلك الذي من أجله الكل وبه الكل، وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد، أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام لأن المُقدَّس والمُقدَّسين جميعهم من واحد، فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة " (عب ٢: ٩-١١).

ولهذا يطلب الآباء الرسل " والله نفسه أبونا وربنا يسوع المسيح يهدي طريقنا إليكم. والرب ينميكم ويزيدكم في المحبة ... لكي يُثَبَّتَ قلوبكم بلا لوم في القداسة، أمام الله أيينا في مجيء ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه " (١ تس ٣: ١١-١٣) ...

" إذ أعتقتم من الخطية صرتُم عبيداً للبر ... لأنكم كما قدمتم أعضاءكم للنجاسة والإثم للإثم، هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة " (رو ٦: ١٨-١٩) ...

" قدسوا الرب الإله في قلوبكم " (١ بط ٣: ١٥).

فإن عدنا إلى الصلاة الربانية التي وضعها السيد المسيح فنحن بقولنا " ليتقدس اسمك " فنحن نعلن قداسة الله التي منحنا إياها.

أما أروع ما قيل عن التقديس فهو ما ذُكر في صلاة السيد المسيح المسموعة "أيها الآب القدوس، احفظهم في اسمك الذين أُمِيتني، ليكونوا واحداً كما نحن ... ليسوا من العالم، كما أنني أنا لست من العالم، قَدَسْهم في حَقِّك" (يو ١٧: ١١-١٢)، ومن المعاني الخفية في هذا القول ما استوفى به السيد المسيح حق العدل الذي علينا بالموت بفسادته وقبوله الموت عنا، ثم تقديسنا بموته وقيامته، وبارتقائنا إلى السموات بسبب وحدانيته مع الآب، وبالتالي فليس لنا مقراً في العالم.

وهكذا رأينا أنه بالتبرير رُفِعَ عن الإنسان حكم الموت وأُعتِقَ من سلطان الخطية بموت السيد المسيح وقيامته، أما التقديس الذي يتم بعطية الروح القدس في المعمودية فإن فيها يموت الإنسان العتيق، وتثبت فيه عطية السيد المسيح فيقوم خليفة جديدة مخلوقة بالبروقداسة الحق ويصير هيكلاً لله بالروح القدس لابساً السيد المسيح وكحجارة حية في هيكل الله مع إخوته المؤمنين مؤسساً على أساس الرسل والأنبياء وحجر الزاوية فيه هو السيد المسيح ويصير ابناً لله بيسوع المسيح.

هكذا يتضح أن حقيقتا التبرير والتقديس هما عمل داخلي في الإنسان بروح الله ولهذا تصعب على اللغة البشرية التعبير عنه، وفي هذا تتشابهان مع خيمة الاجتماع التي كان الله يلتقي فيها مع البشر وكانت مغطاة بالذهب من داخل وأما من خارج فهي من جلد الثيوس.

ولهذا تحدث السيد المسيح عن هذه العطية بصورة رمزية حينما قال: "من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي". قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزعمين أن يقبلوه، لأن الروح القدس لم يكن قد أُعْطِيَ بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد" (يو ٧: ٣٨-٣٩)، ووصفها لنيقوديموس معلم اليهود بقوله: "الريح تهبُّ حيث تشاء، وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا كل من وُلِدَ من الرُّوح" (يو ٣: ٨)، وشبهها أيضاً بمثل "هكذا ملكوت الله: كأن إنساناً يلقي البذار على الأرض، وينام ويقوم ليلاً ونهاراً، والبذار يطلع وينمو، وهو لا يعلم كيف" (مر ٤: ٢٦-٢٧).

الآب والابن والروح القدس، وبنوة الإنسان لله

العظة (٢٩)

بنوة الإنسان لله في المسيح

رأينا في حقيقتي التبرير والتقديس عملاً إلهياً داخلياً في الإنسان يرتفع عن إدراكاته العقلية فيرتقي بهما الإنسان إلى روح القداسة، بعد أن برره الابن وأعتقه من عبودية الخطية وأعطى له السلطان على الشر والخطية بالروح القدس.

ومع تجسد الابن الوحيد الجنس فإنه من خلال معموديته في نهر الأردن كان سرور الآب بهذه الصورة الإنسانية التي لم تعرف خطية وهى الصورة التي أعدها الله للإنسان حينما يشترك مع الابن في القداسة. وتكرر الأمر حينما تجلى السيد المسيح على الجبل وظهر معه موسى وإيليا، وكان موسى نموذجاً للذين ماتوا وما زالوا أحياء، وكان إيليا نموذجاً للذين يتجلون في اليوم الأخير في لحظة في طرفة عين ليتحول هذا الجسد الترابي إلى جسد غير مائت، وذلك بسبب موت الابن وقيامته. وعلى هذا الجبل ظهر سرور الآب مرة أخرى في هذه الصورة الإنسانية المتجلية والتي مُنحت للإنسان بتجسد الابن، والتي يعطيها للبشر بموته وقيامته.

وهكذا كان تجسد الابن وموته وقيامته وصعوده للسماء سبباً لمنح الإنسان البنوة لله، من ثم يقول الآباء الرسل " فإذا قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس، ويُعتق أولئك، الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية " (عب ٢ : ١٤ - ١٥).

وعلى ذلك فإن بنوة الإنسان لله ليست هى مجرد كلمة تشريفية للإنسان، بل عطية نعمة وهبها الله للإنسان بالابن المتجسد وذلك بتبريره وتقديسه واشتراكه في جسد ابنه ودمه بالروح القدس.

وكما رأينا في حقيقتي التبرير والتقديس يمكننا التعرف على أبعاد هذه البنوة لله من خلال العهد القديم ومن فم السيد المسيح وأفواه الآباء الرسل ...

ففي العهد القديم، صَوَّرَ الله الناس الأبرار أنهم "أبناء الله" وصَوَّرَ الناس الأشرار أنهم أبناء الناس " حدث لما ابتدأ الناس كثرون على الأرض، وولد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا

بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا ... وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم. ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض" (تك ١: ٥ - ٦)، ومن هنا أهلك الله الأرض حافظاً نوح وزوجته وأولاده الثلاثة وزوجاتهم وهذا معناه أنه لا ينال شرف البنوة لله سوى الأبرار.

وحينما أرسل الله موسى إلى فرعون ليطلق الشعب من العبودية قال له قل لفرعون "إسرائيل ابني البكر" (خر ٤: ٢٢)، وعاقب الله فرعون بقتل كل بكر في أرضه من الناس والبهائم (خر ١٢: ١٢)، ونجا شعب بنى إسرائيل بعملهم الفصح. وهذا معناه أن في بنوة الله للإنسان يعتق الله الإنسان من عبودية الشيطان بموت السيد المسيح على الصليب.

وفي سفر أيوب "كان ذات يوم إنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب، وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم. فقال الرب للشيطان ... هل جعلت قلبك على عبيدي أيوب؟ لأنه ليس مثله في الأرض. رجل كامل ومستقيم، يتقي الله ويحيد عن الشر" (أي ١: ٦ - ٨)، ولما كان الشيطان هو ملاك ساقط فإنه حينما يقول الكتاب "جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان" ثم يذكر الكتاب هنا عن الملائكة أنهم بنوا الله، فهذا معناه أنه في بنوة الإنسان لله يصبح الإنسان كملائكة الله في السماء الذين قال عنهم "بنوا الله".

وحينما أراد داود أن يبني بيتاً للرب وأبلغه الله على لسان ناثان النبي أن ابنه سليمان هو الذي يبني البيت، قال ناثان لداود "هو يبني بيتاً لأسمي، وأنا أُبْنِي كرسى مملكته إلى الأبد. أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً" (٢ صم ١٣: ١٤). وهذا الرمز أي بيت الله ومملكته وإن كان يشير إلى السيد المسيح في ملكه الأبدي وكهنوته وذبيحته عن الإنسان، إلا أن ذلك يعني بالتبعية أن البنوة لله في المسيح تعطي الحياة الأبدية.

ثم يأتي الله ويصف على لسان إشعياء النبي هؤلاء الذين يرفضون عطية هذه البنوة وهذا الخلاص، فيقول إشعياء: "اسمعي أيتها السموات وأصني أيتها الأرض، لأن الرب يتكلم: ربيت بنين ونشأتهم، أما هم فعصوا عليّ. الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرف. شعبي لا يفهم" (إش ١: ٢ - ٣).

وهكذا فإن كل إنسان يرفض البنوة لله في المسيح فهو كمثل قول المزمور "إنسان في كرامة ولا يفهم يُشبه البهائم التي تُباد" (مز ٤٩: ٢٠).

وقد يُفسد الإنسان بنوته، كما فعل عيسو الذي باع البكورية بأكلة عدس (تك ٢٧)، وقد يُطرَد منها بسبب عدم تقديره لهذه البنوة كمثّل إسماعيل لأنه كان مازحاً (تك ٢١: ٩ - ١٢)، أو قد يفقدها بسبب قلبه الحسود والشرير كمثّل قايين (تك ٤: ٦ - ٧).
أمّا السيد المسيح فيصِف بنوة الإنسان لله، وخلصه بالفداء بقوله: "كل من يعمل الخطية هو عبدٌ للخطية. والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد. فإن حرّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً" (يو ٨: ٣٤ - ٣٦).

حينما تحدّث الآباء الرسل عن بنوة الإنسان لله، فقد أعلنوا أنها اختيار من الله للإنسان من قبل خلقته في المسيح يسوع "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لتكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة، إذ سبق فعَيَّنّا للتَّبني بيسوع المسيح لنفسه، حسب مسرّة مشيئته" (أف ١: ٣ - ٥)، وأن اختيار الله للإنسان للبنوة هو بسابق معرفة إلهية "لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعَيَّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكرًا بين إخوة كثيرين. والذين سبق فعَيَّنهم، فهوّلّاء دعاهم أيضاً. والذين دعاهم، فهوّلّاء برّهم أيضاً. والذين برّهم، فهوّلّاء مجدّهم أيضاً" (رو ٨: ٢٩ - ٣٠).

وقد تحققت هذه البنوة بمعرفة سر الآب والابن والروح القدس "أمين هو الله الذي به دُعيتُم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا" (١ كو ١: ٩)، "وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم ... لأنه إن عشتُم حسب الجسد فستموتون، ولكن إن كنتم بالروح تُميتون أعمال الجسد فستحيون. لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله. إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ: يا آبا الآب. الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، وورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو ٨: ١١ - ١٧).

وهذه البنوة نالها في المعمودية "لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأن كلّم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح" (غل ٣: ٢٦ - ٢٧).

وهذه البنوة هي ولادة ثانية يولد منها الإنسان بعمل السيد المسيح "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حيٍّ، بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ في السموات لأجلكم" (١ بط ٣: ٤).

وهذه البنوة تتأسس على البر والقداسة التي نلناها في المسيح يسوع، فيقول الرسول عن السيد المسيح: "لأنه لاقى بذاك الذي من أجله الكل وبه الكل، وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد، أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام. لأن المقدس والمقدس جميعهم من واحد، فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة" (عب ١٠: ١١)، "كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية، لأن زرعه يثبت فيه، ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله. بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس" (١ يو ٩: ١٠)، "نعلم أن كل من ولد من الله لا يخطئ، بل المولود من الله يحفظ نفسه، والشرير لا يمسه" (١ يو ١٨: ١).

وهذه البنوة تعطي الإنسان عطية لا يمكن التعبير عنها "الآن أيها الأولاد، اثبتوا فيه، (يقصد السيد المسيح) حتى إذا أظهر يكون لنا ثقة، في مجيئه ... انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله! من أجل هذا لا يعرفنا العالم، لأنه لا يعرفه. أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله، ولم يظهر بعد ماذا ستكون. ولكن نعلم أنه إذا أظهر تكون مثله، لأننا سراه كما هو" (١ يو ٢: ٢٨، ٣: ١-٢). ويقارن الآباء الرسل بين بنوة الإنسان لله في العهد القديم والجديد، فيشبه أبناء الله في العهد القديم بإنسان قاصر ينال الميراث بموت السيد المسيح "إنما أقول: مادام الوارث قاصراً لا يفرق شيئاً عن العبد، مع كونه صاحب الجميع. بل هو تحت أوصياء ووكلاء إلى الوقت المؤجل من أبيه. هكذا نحن أيضاً: لمّا كنا قاصرين، كنا مُستعبدين تحت أركان العالم. ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبني. ثم بما أنكم أبناء، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً: يا أبا الآب. إذاً لست بعد عبداً بل ابناً، وإن كنت ابناً فوارث لله بالمسيح" (غل ٤: ١-٢)، "إذاً قد كان الناموس مؤدّبنا إلى المسيح، لكي نتبرر بالإيمان. ولكن بعدما جاء الإيمان، لسا بعد تحت مؤدّب لأنكم جميعاً أبناء لله بالإيمان بالمسيح يسوع" (غل ٣: ٢٤-٢٦).

وأخيراً فإن هذه البنوة لا تمنع تأديب الرب للإنسان المخطئ "لأن الذي يُحبه الرب يُؤدّبه، ويجلد كل ابن يقبله. إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين ... ثم قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدبين، وكنا نهايهم. أفلا نخضع بالأولى جداً لأبي الأرواح، فنحيا؟ لأن أولئك أدّبونا أياماً قليلة حسب استحسانهم، وأما هذا فلأجل المنفعة، لكي نشترك في قداسه. ولكن كل تأديب في الحاضر لا يرى أنه للفرح بل للحزن، وأما أخيراً فيُعطي الذين يتدربون به ثمر بَرٍّ للسلام" (عب ١٢: ٦-١١).

الآب والابن والروح القدس، والأبدية

العظة (٣٠)

الحياة الأبدية في سر الآب والابن والروح القدس

كانت المرة الأولى التي ذُكر فيها الإشارة إلى الحياة الأبدية في الكتاب المقدس هي حينما حُرِّم منها الإنسان بسبب معرفته للشر " قال الرب الإله: هوذا الإنسان قد صار كواحد منّا عارفاً للخير والشر. والآن لعله يَمْدُ يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها. فطرد الإنسان، وأقام شرقيّ جنة عدن الكروبيم، ولهيب سيف مُتَقَلِّبٍ لحراسة طريق شجرة الحياة " (تك ٣: ٢٢ - ٢٤).

وقد ذكرنا فيما سبق كيف أظهر الله خطته بكل حكمة وفطنة ليعود الإنسان إلى ما سبق واختاره له الله من قبل خلق العالم، ليكون للإنسان ميراثاً أبدياً كملائكة الله في السماء. وقد ذكرنا كلمات الأنبياء التي أشارت إلى تجسد الابن وتبريره للإنسان بموته وقيامته وتقديسه بالروح القدس لكي يعود الإنسان ابناً لله ووارثاً له بالمسيح.

ورغم تأسّف الله على الإنسان الذي عمل الشرور أيام نوح، وقول الرب " لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد، ليزيغانه، هو بشرٌ. وتكون أيامه مئة وعشرين سنة (تك ٦: ٣)، إلا أن الحياة الأبدية ظلت هي الأمل الذي يراود الإنسان كقول سليمان الحكيم: " قد رأيت الشغل الذي أعطاه الله بني البشر ليشتغلوا به. صنع الكل حسناً في وقته، وأيضاً جعل الأبدية في قلبهم، التي بلاها لا يدرك الإنسان العمل الذي يعملهُ الله من البداية إلى النهاية " (جا ٣: ١٠ - ١١). " أيضاً أن يأكل كل إنسان ويشرب ويرى خيراً من كل تعب، فهو عطية الله. قد عرفت أن كل ما يعملهُ الله أنه يكون إلى الأبد " (جا ٣: ١٣ - ١٤).

وهذا معناه أن كلمة " إلى الأبد " تختلف عن " الأبدية "، لأنه حينما يقول أن الإنسان سيعمل في الأرض " إلى الأبد " فهو يشير إلى نهاية الأرض، أمّا إذا تحدث عن " الأبدية " فهي تعني ما بعد انتهاء الأرض، وهي التي ظلت كحياة يتطلّع إليها الإنسان بعد نهاية حياته على الأرض، وبهذا يتحقق وعد الله " بقرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تُراب، وإلى تُراب تُعود " (تك ٣: ١٩).

ويصف سليمان الحكيم في الكتاب المقدس حال الإنسان في بؤسه ويأسه إلى أن ينال الأبدية فيقول: "باطل الأباطيل، قال الجامعة ... ما الفائدة للإنسان من كل تعب الذي يتعبه تحت الشمس؟ دور يمضي ودور يجيء، والأرض قائمة إلى الأبد ... كل الأنهار تجري إلى البحر، والبحر ليس بملآن. إلى المكان الذي جرت منه الأنهار إلى هناك تذهب راجعة ... فليس تحت الشمس جديد ... ليس ذكر للأولين. والآخرين أيضاً الذين سيكونون، لا يكون لهم ذكر عند الذين يكونون بعدهم" (جا ١: ٢ - ١١).

"الحكيم عيناه في رأسه، أما الجاهل فيسلك في الظلام. وعرفت أنا أيضاً أن حادثة واحدة تحدث لكليهما ... لأنه ليس ذكر للحكيم ولا للجاهل إلى الأبد ... فكرهت الحياة" (جا ٢: ١٤ - ١٧).
"الكُل على ما للكُل. حادثة واحدة للصدِّيق وللشَّير، للصالح وللطاهر وللنجس ... هذا أشرُّ كل ما عمل تحت الشمس: أن حادثة واحدة للجميع ... لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون، أما الموتى فلا يعلمون ... لأن ذكرهم نسي ... ولا نصيب لهم بعد إلى الأبد، في كل ما عمل تحت الشمس" (جا ٩: ٢ - ٦).

ثم يعود سليمان فينبه الإنسان إلى نهاية هذه الأرض المنظورة ومحاسبة الله على ما عمل الإنسان فيقول: "فاذكر خالقك في أيام شبابك ... قبل ما تظلم الشمس والنور والقمر والنجوم ... والشهوة تبطل. لأن الإنسان ذاهب إلى بيته الأبدى ... فيرجع التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح إلى الله الذي أعطها ... اتق الله واحفظ وصاياه، لأن هذا هو الإنسان كله. لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة، على كل خفي إن كان خيراً أو شراً" (جا ١٢: ١ - ١٤).

وقد كان الله منذ البداية، بعد أن أكل آدم من الشجرة وقبل أن يطرد آدم من الجنة، كان قد أعلمه حقيقة الفداء والخلص، وذلك حينما صنع له ولحواء أقمصاً من جلد الحيوان وألبسهما إشارة إلى ذبيحة السيد المسيح (تك ٣: ٢١).

ثم أعطى "عهداً أبدياً" لإبراهيم كآب للمؤمنين، وكان علامة العهد هو ختان الغُرلة في اليوم الثامن لميلاد الإنسان. كما كان الوعد بميراث أرض منظورة لم يرث فيها إبراهيم سوى مساحة قبره "قال الرب لأبرام، بعد اعتزال لوط عنه: ارفع عينيك من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيتها ولنسلك إلى الأبد" (تك ١٣: ١٤ - ١٥)، "أنا الله القدير ... فهوذا عهدي معك، وتكون أباً لجمهور

من الأمم ... وأقيم عهدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك في أجيالهم، عهداً أبدياً ... وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً، وأكون إلههم ... هذا هو عهدي الذي تحفظونه ... يُختن منكم كل ذكر، فتُختنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم. ابن ثمانية أيام يُختن منكم كل ذكر في أجيالكم: وليد البيت، والمبتاع بفضة ... فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً " (تك ١٧: ١ - ١٣).

ثم تمر الأيام ويتضح أن ختان الغرلة هو ختان غرلة القلب، كما يقول موسى النبي: " فاختننوا غرلة قلوبكم " (تث ١٠: ١٦). وبعد انسكاب الروح القدس على البشر بفداء السيد المسيح يصبح الختان ختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان (رو: ٢٩)، وأن اليوم الثامن هو الحياة الأبدية، وذلك بعد اليوم السابع الذي يحييه الإنسان على الأرض المنظورة واستراح فيه الرب بعمل الفداء بالسيد المسيح، وأن الملك والعهد الأبدي الذي أُعطي لإبراهيم كان هو الوعد بالحياة الأبدية بعد انقضاء العالم، وهي التي يراها الإنسان بعين الإيمان كما فعل إبراهيم.

ثم ينتهي الكتاب المقدس بسفر الرؤيا الذي يعلن " ثم رأيت سماءً جديدةً وأرضاً جديدةً. لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضت، والبحر لا يوجد في ما بعد. وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مُزينة لرجلها. وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً: هوذا مسكن الله مع الناس، وهو يسكن معهم، وهم يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم. وسيمسح الله كل دموعهم من عيونهم، والموت لا يكون فيما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت. وقال الجالس على العرش: ها أنا أصنع كل شيء جديداً! " (رؤ ٢١: ١ - ٥).

أمّا شجرة الحياة التي حُرِم منها آدم ونسله، فبعد أن فداهم الابن واختننوا بالروح القدس يكمل سفر الرؤيا " وأراني نهراً صافياً من ماء حياة لامعاً كبُلُور، خارجاً من عرش الله والخروف. في وسط سُوقها وعلى النهر من هنا ومن هناك، شجرة حياة ... ولا تكون لعنة ما في ما بعد. وعرش الله والخروف يكون فيها، وعبيده يخدمونه. وهم سينظرون وجهه، واسمه على جباههم. ولا يكون ليل هناك، ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس، لأن الرب الإله ينير عليهم، وهم سيملكون إلى أبد الآبدين " (رؤ ٢٢: ١ - ٥)، وهكذا نلتقي بشجرة الحياة مرة أخرى ليحيا

الإنسان إلى الأبد ويظهر سر الآب والابن والروح القدس في عرش الله والخروف، أي ابن الله الذي فدى الإنسان، وماء الحياة التي تشير إلى الروح القدس حسب قول السيد المسيح: "من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي". قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مُزْمَعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ، لأن الروح القدس لم يكن قد أُعْطِيَ بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد" (يو ٧: ٣٨ - ٣٩).

أمّا العجيب حقاً أن العهد القديم حينما يذكر كلمة إلى الأبد فإنه يشير بها إلى اسم الله، والفصح، والخلاص، والشرعية، ويوم السبت، والشفاعة، وأمور أخرى تشير إلى عمل السيد المسيح الخلاصي وهو ما سنراه تفصيلاً.

ورغم ذلك فإن بعض طوائف اليهود لم يدركوا السر وراء الإعلانات حتى حسبوا أنه لا يوجد قيامة ولا روح، فذهبوا وسألوا السيد المسيح عن امرأة تزوجت سبعة أخوة فاستفسروا منه لمن تكون له في الأبدية، فيجيبهم السيد المسيح "تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله. لأنهم في القيامة لا يُزَوِّجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملاتكة الله في السماء. وأما من جهة قيامة الأموات، أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل: أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب؟ ليس الله إله أموات بل إله أحياء" (مت ٢٢: ٢٩ - ٣٢).

الآب والابن والروح القدس، والأبدية

العظة (٣١)

كلمة "إلى الأبد" في العهد القديم مع شعب بني إسرائيل

لاحظنا أن الله حينما وعد إبراهيم بأرض كنعان مُلكاً أبدياً فإنه لم يرث منها سوى مساحة قبره، ولكننا حينما نسمع أن الله إله إبراهيم إله أحياء وليس أموات فهذا يعني أن الوعد الأرضي كان إشارة إلى وعد سمائي.

كما تكرر ذلك مع ما سبق وذكرناه عن وعد الله لداود على لسان ناثان النبي أنه يثبت مملكة سليمان إلى الأبد، وكان هذا أيضاً إشارة إلى وعد سمائي، حيث رأينا الأنبياء يتحدثون عن فناء الأرض المنظورة وعن سماء جديدة وأرض جديدة.

أما الحياة الأزلية الأبدية وهى ما تسمى " السرمدية " فهى شىء يخص الله وحده، ولكنه منح الإنسان نعمة الحياة الأبدية كعطاء حب إلهي يسبغه على خليقته، وهذا يجيب على سؤال يراود الإنسان حينما يتعرض إلى ضيق في حياة الأرض فيقول " لماذا خلقنا الله ".

ولا شك أن هناك شروطاً لمنحة الحياة الأبدية، ولهذا كانت حياة الإنسان على الأرض سبيلاً لتحقيق هذه الشروط، وهذا ما جعل كلمة "إلى الأبد" التي يذكرها الله في العهد القديم تشير إلى الحياة الأبدية، ولذلك حينما طرد الله آدم من الجنة بسبب معرفته للشر كان قول الله " لعلّه يمدّ يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد " (تك ٣: ٢٢).

وحينما أنقذ الله نوح وأولاده وزوجاتهم أعطى الله القوس في السحاب علامة ألاّ يهلك الله الإنسان بالمياه، ذكر كلمة "أبدياً" إشارة إلى عدم تكرار حادثة الطوفان " ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية في كل جسد على الأرض " (تك ٩: ١٦).

أمّا العجيب أن يكون ما ذكره الله " أبدياً " على الأرض في العهد القديم، كان مرتبطاً باستعلان سر الخلاص في السيد المسيح، والحياة في العهد الجديد، واستعلان سر الآب والابن والروح القدس!!

فإذا بدأنا بموسى النبي الذي أرسله الله لإنقاذ شعب بني إسرائيل من عبودية فرعون - إشارة إلى إنقاذ الإنسان من عبودية الشيطان - فإن موسى سأل الله قائلاً: " فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم. فقال الله لموسى: أهيه الذي أهيه ... هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور " (خر ٣: ١٣ - ١٥)، وهذا الاسم يعني أنا الكائن، أي لا تبحثوا عن حقيقتي حيث لا يمكن للعقل الترابي أن يتحقق من الكائن الذي أوجد المخلوقات، أي أن اسم الله يحتوي الوجود كله من منظور وغير منظور من الكائنات الحية وغير الحية، فتأتي كلمة إلى الأبد بمعنى أنه الدائم الذي بلا نهاية.

وحينما أعطى الله موسى أمر الفصح وذبح الخروف الذي أنقذ شعب بني إسرائيل من الملاك المهلك، قال الرب لموسى " يكون لكم هذا اليوم تذكراً فتعيّدونه عيداً للرب.

في أجيالكم، تعيدونه فريضة أبدية" (خر ١٢ : ١٤)، وهكذا نرى الفصح الذي يشير إلى ذبيحة السيد المسيح كان فريضة أبدية لأنه يشير إلى الخلاص.

وحينما اقترب فرعون من شعب بني إسرائيل وصاروا محصورين بين جيشه وبين البحر قالوا لموسى: "أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين: كُفَّ عنا فنخدم المصريين؟ لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية. فقال موسى للشعب: لا تخافوا. قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنع لكم اليوم. فإنه كما رأيتم المصريين اليوم، فلا تعودون ترونها أيضاً إلى الأبد. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون" (خر ١٤ : ١٢ - ١٤)، وكان هذا يشير إلى الخلاص الذي يصنعه الله بالمعمودية أي هلاك فرعون في البحر وخلاص البشر من عبودية إبليس التي لم يكن لهم منها فكاكاً سوى بخلاص السيد المسيح، فتأتي كلمة إلى الأبد بمعنى الهلاك الأبدي للشيطان.

وحينما أراد الله أن يعطي الشريعة لموسى النبي على الجبل وأن يكون بنو إسرائيل شهوداً على ذلك "قال الرب لموسى: ها أنا أت إليك في ظلام السحاب لكي يسمع الشعب حينما أتكلّم معك، فيؤمنوا بك أيضاً إلى الأبد. وأخبر موسى الرب بكلام الشعب. فقال الرب لموسى: اذهب إلى الشعب وقدّسهم اليوم وغداً، وليغسلوا ثيابهم، ويكونوا مستعدين لليوم الثالث. لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء" (خر ١٩ : ٩ - ١١)، هكذا أكد الله شريعته بمجد عظيم وكان يستلزم أن يتقدس الشعب ويتطهر ليستقبل هذه الشريعة في اليوم الثالث، فتأتي كلمة إلى الأبد إشارة واضحة لتقديس الإنسان في ظهور مجد الله في اليوم الثالث بالقيامة والتي بها أعتق الإنسان من جسد الخطية وتبرر من حكم الموت الأبدي.

وفي حكم من أحكام الشريعة أمر الله موسى أن أي عبد من العبرانيين خدم سيده ست سنين ففي السابعة يُطلق حراً. أما إذا أحب سيده ولم يرغب في مفارقتها "يُقدّمه سيده إلى الله ويقرّبه إلى الباب أو إلى القائمة، ويثقب سيده أذنه بالمثقب، فيخدمه إلى الأبد" (خر ٢١ : ٦)، وتأتي كلمة إلى الأبد هنا إشارة واضحة إلى أن من يقدم حياته لله على الأرض - أي في اليوم السابع - فإن الله يجعله من خاصته إلى الأبد، وهو ما سبق وأشرنا إليه أن الله خلق الخليقة في سبعة أيام غير أيا منا الشمسية، وأن الله صنع

الخلاص للبشر في اليوم السابع للخلقة بالتجسد والفداء، ومن هنا كانت وصية الرب بتقديس اليوم السابع أي السبت، ولهذا أكد في وصيته لموسى: "فيحفظ بنو إسرائيل السبت ليصنعوا السبت في أجيالهم عهداً أبدياً" (خر ٣١: ١٦)، وأكد أيضاً "سبوتي تحفظونها، لأنه علامة بيني وبينكم في أجيالكم لتعلموا إنني أنا الرب الذي يقدّسكم، فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم. من دَنَسه يُقتل قتلًا" (خر ٣١: ١٣ - ١٤)، أي أن من يدنس حياته على الأرض بالخطية فله هلاك أبدي.

وحينما أخطأ بنو إسرائيل أمام الله بإقامتهم عجلاً مسبوكة عندما أبطأ موسى على الجبل في استلامه الشريعة وقالوا: "هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصدتكَ من أرض مصر" (خر ٣٢: ٤)، وحمى غضب الرب عليهم ليفنيهم، تشفع موسى في الشعب وقال: "ارجع عن حُمُو غضبك، واندِم على الشر بشعبك. اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حَلَفْتَ لهم بنفسك وقلت لهم: أَكْثَر نسلكم كنجوم السماء، وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكَلَّمْتُ عنها فيملكونها إلى الأبد. فندِم الرب على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه" (خر ٣٢: ١٢ - ١٤)، وهنا يظهر بوضوح عمل الشفاعة من أجل ميراث الأرض إشارة إلى شفاعة السيد المسيح عن البشر من أجل ميراث السماء، وهي الشفاعة التي فتحت للإنسان ملكوتاً أبدياً.

وفي سفر التثنية، حينما يذكر موسى شعب بنى إسرائيل بما سبق وصنعه الله معهم والخوف الذي أصابهم حينما رأوا مجده ثم قالوا لموسى: "تقدّم أنت واسمع كل ما يقول لك الرب إلهنا، وكلّمنا بكل ما يكَلِّمُك به الرب إلهنا، فنسمع ونعمل. فسَمِعَ الرب صوت كلامكم حين كَلِّمْتُموني وقال لي الرب: سَمِعْتُ صوت كلام هؤلاء الشعب الذي كَلِّمُوك به. قد أحسنوا في كل ما تكلموا. يا ليت قلبهم كان هكذا فيهم حتى يَتَّقُونِي ويحفظوا جميع وصاياي كل الأيام، لكي يكون لهم ولأولادهم خير إلى الأبد" (تث ٥: ٢٧ - ٢٩)، هكذا يظهر هنا بوضوح الأبدية التي تنتظر الإنسان حينما يؤمن بخلاص السيد المسيح الذي صار وسيطاً بين الله والناس فتكلّم مع البشر وكشف لهم أسرار الحياة الأبدية وصار الله قريباً من الإنسان بل جعله مشتركاً في قداسه.

وحينما يحذّر الله الأنبياء الكذبة أو الذين يطوحون بالبشر عن عبادة الله الحي، يقول الرب لموسى "فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحدّ السيف، وتحرقها بكل ما فيها

مع بهائمها بحدّ السيف. تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها، وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك، فتكون تلاً إلى الأبد لا تُبنى بعد" (تث ١٣: ١٥-١٦)، إشارة إلى الهلاك الأبدي للذين يرفضون خلاص الله.

ورغم أن الله يُظهر محبته لكافة البشر فيوصي بني إسرائيل بقوله: "لا تكره أდومياً لأنه أخوك. لا تكره مصرياً لأنك كنت نزيلاً في أرضه" (تث ٢٣: ٧)، إلا أنه يخشى على المؤمنين من العثرة أو الذين يسيئون إلى شعبه فيقول لموسى "لا يدخل عمّوني ولا موآبي في جماعة الرب. حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد" (تث ٢٣: ٣)، وتظهر هنا كلمة إلى الأبد محددة بالجيل العاشر أي بعد أن يتوبوا عن شرورهم ويكفوا عن حقدهم لمختاري الله، وكان ذلك لأنهم لم يلاقوا الشعب بالخبز والماء عند خروجهم من مصر واستأجروا عليهم نبياً وهو بلعام لكي يلعنهم.

وحينما يحذّر الله شعب بني إسرائيل عن فهم كل الذي صنعه معهم، وعن أهدافه الحقيقية من اختيارهم دون باقي الشعوب، فيقول لموسى: "إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم. لو عقلوا لفظنوا بهذه وتأملوا آخرتهم ... لأن الرب يدين شعبه، وعلى عبده يُشقق ... أنا أنا هو وليس إله معي. أنا أُميت وأُحيي. سَحَقْتُ، وإني أَشْفِي، وليس من يدي مُخَلِّص. إني أرفع إلى السماء يدي وأقول: حي أنا إلى الأبد ... تهللوا أيها الأمم، شعبه، لأنه يستقم بدم عبده، ويرد نعمة على أضعاده، ويصفح عن أرضه عن شعبه" (تث ٣٢: ٢٨-٤٣)، وهنا يظهر بوضوح خلاص الله للعالم كله، كما يحذّر شعب بني إسرائيل في حالة أنهم لم يفهموا مقاصده لأنه فتح الأبديّة للعالم كله حينما يقول "تهللوا أيها الأمم".

ومن أعظم ما أظهر الله عن الأبديّة في العهد القديم ما قاله لسليمان الملك بعد أن افتتح الهيكل وذبح ذبائحه وصلى صلاة عميقة، فقال له الرب: "قد سمعت صلاتك وتضرّعت الذي تضرّعت به أمامي. قدّست هذا البيت الذي بنيتَه لأجل وضع اسمي فيه إلى الأبد، وتكون عيناى وقلبي هناك كل الأيام" (١مل ٩: ٣)، وتشير كلمة إلى الأبد هنا إلى سكنى الله في الإنسان بالروح القدس، ثم ما أشار به السيد المسيح عن نفسه "انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيام أُقيمه" (يو ٢: ١٩)، وجعل من المؤمنين هيكل لله بالروح القدس (١كو ٣: ١٦).

وكما قدّس الله الهيكل كان بالضرورة أن يكون للكهنوت المقدس أيضاً
فيقول سفر أخبار الأيام " أفرز هارون لتقدّسه قدّس الأقداس هو وبنوه إلى الأبد. ليوقد أمام
الرب ويخدمه ويبارك باسمه إلى الأبد " (أخ ٢٣: ١٣)، إشارة إلى كهنوت السيد المسيح الذي
صار رئيس كهنة ليشفع عن جنس البشر بذبيحته إلى نهاية الأيام.

الأب والابن والروح القدس، والأبدية

العهدة (٢٢)

كلمة "إلى الأبد" على فم أنبياء العهد القديم

رأينا في كلمة "إلى الأبد" إلى شعب بني إسرائيل في حال خروجه من مصر،
ما يشير إلى الخلاص الذي أعده الله للإنسان بيسوع المسيح. والآن نرى كيف تكرر
الهدف مع ذات الكلمة على أفواه الأنبياء في العهد القديم، كما نرى على لسانهم
أيضاً تحذير الله إلى الذين لا يحرصون على نعمة الأبدية، فنجد الحديث مُوجّهاً مرة
إلى كل الشعب، ومرة موجهّاً إلى الملك ومرة موجهّاً إلى رئيس الكهنة.

كما نرى أيضاً حديث بعض الأنبياء عن نهاية الأرض المنظورة كبداية للأبدية
السماوية. ونحن لا يمكننا أن نذكر كل ما نطق به أنبياء العهد القديم في هذا
الصدد ولكننا نذكر بعض مما نطقوا به فتندّش كيف تحدث الله عن خلاصه
بهذه القوة وهذا الوضوح فكانت أنواراً كاشفة لعمل السيد المسيح واستعلاناً لسر
الأب والابن والروح القدس.

يقول إشعياء النبي: "لأنه يُولد لنا ولد ونُعطي ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى
اسمه عجيباً، مشيراً إليها قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام. لنموّ رياسته، وللسلام لا نهاية على كرسي
داود وعلى مملكته، ليثبتها ويعضدها بالحق والبرّ، من الآن إلى الأبد. غير رب الجنود تصنع هذا"
(إش ٩: ٦ - ٧)، ومن الواضح هنا أنه إنسان يُولد ولكنه إلهاً، وهو الملك إلى الأبد
على كرسي داود، وكما سبق وذكرنا فإن داود كان رمزاً للسيد المسيح.

ويقول إشعياء أيضاً: " يصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة سمانن ... ويفني في هذا الجبل وجه النقاب. النقاب الذي على كل الشعوب، والغطاء المغطى به على كل الأمم. يبلع الموت إلى الأبد ... وينزع عار شعبه عن كل الأرض، لأن الرب قد تكلم. ويقال في ذلك اليوم: هوذا هذا إلهنا. انتظرناه فخلصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلصه " (إش ٢٥ : ٦-٩)، ويظهر هنا خلاص كل الشعوب من حُكْم الموت بذبيحة السيد المسيح على جبل الجلجثة الذي صُلب عليه، فحُضي على الموت إلى الأبد.

ويقول إشعياء أيضاً: " ارتجفن أيتها المطمئنات. ارتعدن أيتها الواثقات ... لاطمات على الثدي من أجل الحقول المشتهاة، ومن أجل الكرمة المثمرة. على أرض شعبي يطلع شوك وحسك ... لأن القصر قد هُدم. جمهور المدينة قد تُرك. الأكمة والبرج صارا مغاير إلى الأبد ... إلى أن يسكب علينا روح من العلاء، فتصير البرية بستاناً، ويُحسب البستان وعراً ... ويكون صنع العدل سلاماً، وعمل العدل سكواً وطمأنية إلى الأبد " (إش ٣٢ : ١١ - ١٧)، وهنا يتحدث إشعياء عن خراب أورشليم الأرضية وبداية أورشليم الجديدة أي الكنيسة والحياة الأبدية التي نشأت بالفداء وانسكاب روح الله القدوس على البشر.

ويقول إشعياء أيضاً: " الآن أقوم، يقول الرب. الآن أرفع. الآن أرتفع ... اسمعوا أيها البعيدون ما صنعت ... ارتعب في صهيون الخطاة ... الشعب الشر لا ترى. الشعب الغامض اللُغة عن الإدراك ... انظر صهيون مدينة أعيادنا. عيناك تريان أورشليم مسكناً مطمئناً خيمة لا تنتقل لا تُلقع أوتادها إلى الأبد ... بل هناك الرب العزيز لنا مكان أنهار ... فإن الرب قاضينا ... الرب ملكنا هو يخلصنا " (إش ٣٣ : ١٠-٢٢)، وهنا نرى موت الرب يسوع وقيامته وصعوده وإرساله الروح القدس كمياه أنهار جعل أورشليم الجديدة لا تنقطع أوتادها إلى الأبد فهو قاضٍ بالبر وهو الملك المخلص.

ويقول إشعياء أيضاً: " عزوا، عزوا شعبي، يقول إلهكم. طيبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل، أن إثمها قد عُفي عنه، أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها. صوت صارخ في البرية: أعدوا طريق الرب. قوموا في القفر سبيلاً لإلهنا ... فيعلن مجد الرب ويراه كل البشر جميعاً، لأن فم الرب تكلم ... يبس العشب، ذبل الزهر، لأن نفخة الرب هبت عليه. حقاً الشعب عشب! يبس العشب، ذبل الزهر. وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد " (إش ٤٠ : ١-٨)، وهنا يتحدث

إشعيا عن يوحنا المعمدان الذي يصرخ " الرب يراه كل بشر" إشارة إلى التجسد ، ثم يتحدث عن أهل اورشليم الأرضية التي لم تعرف السيد المسيح فذبلت أما كلمة الرب فصارت ثابتة إلى الأبد.

ويقول إرميا النبي: " اذهب وناد بهذه الكلمات نحو الشمال، وقل: ارجعي أيتها العاصية إسرائيل، يقول الرب. لا أوقع غضبي بكم لأنني رؤوف، يقول الرب. لا أحقد إلى الأبد. اعرفي فقط إثمك أنك إلى الرب إلهك أذنبت ... ارجعوا أيها البنون العصاة، يقول الرب، لأنني سُدت عليكم فأخذكم واحداً من المدينة، واثنين من العشيرة، وآتي بكم إلى صهيون، وأعطيكم رعاة حسب قلبي، فيرعونكم بالمعرفة والفهم ... في تلك الأيام، يقول الرب، أنهم لا يقولون بعد: تابوت عهد الرب، ولا يخطر على بال، ولا يذكرونه ولا يتعهدونه ولا يصنع بعد. في ذلك الزمان يُسمون اورشليم كرسي الرب، ويجتمع إليها كل الأمم، إلى اسم الرب، إلى اورشليم، ولا يذهبون بعد وراء عناد قلبهم الشرير" (إر ١٢: ١٧)، وهنا يتحدث إرميا أن الله كان يراقب محنة البشر يهوداً وأمماً، ولم يحقد عليهم إلى الأبد، وهو ما كان بسبب معصية آدم، وأن السيد المسيح بذبيحته على الصليب سينجو به نسل آدم من الموت الأبدي، ويتبدل التكفير عن الخطية من ذبائح دموية وهيكل أرضي إلى ذبيحة سماوية وكهنوت أبدي فلا يكون هناك موضع لتابوت عهد أرضي فيما بعد.

ويقول إرميا أيضاً: " هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب: أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً. ولا يُعلمون بعد كل واحد صاحبه، وكل واحد أخاه قائلين: أعرفوا الرب، لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم، يقول الرب، لأنني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد ... ها أيام تأتي، يقول الرب، وتُبنى المدينة للرب ... لا تُقلع ولا تُهدم إلى الأبد" (إر ٣١: ٣٣ - ٤٠)، وهنا يتحدث إرميا عن عهد الله للإنسان بانسكاب روحه القدوس على البشر وبهذا تصير اورشليم مدينة سمائية لا تُقلع ولا تُهدم إلى الأبد.

ويقول إرميا أيضاً: " صانع الأرض بقوة، ومؤسس المسكونة بحكمته ... إذا أعطى قولاً تكون كثرة مياه في السموات ... صنع بروقاً للمطر وأخرج الريح من خزائنه ... خزي كل صانع من التمثال لأن مسبوكة كذب لا روح فيه ... ليس كهذه نصيب يعقوب، لأنه مصوّر الجميع، وقضيب

ميراثه، رب الجنود اسمه ... وأكافئ بابل وكل سكان أرض الكلدانيين على كل شرهم الذي فعلوه في صهيون أمام عيونكم، يقول الرب. هأنذا عليك أيها الجبل ... وأجعلك جبلاً محرقاً فلا يأخذون منك حجراً لزاوية، ولا حجراً لأسس، بل تكون خراباً إلى الأبد، يقول الرب" (إر ١٥: ٢٦) وهنا يشير إرميا إلى عمل الله في الكنيسة بالماء والروح، بقوله عن المياه في السموات والمطر والريح، كما يتحدث عن الذين يضطهدون الكنيسة وعن خرابهم إلى الأبد.

ثم يقول أيضاً إرميا في مرثيته: "من إحسانات الرب أننا لم نفن، لأن مراحمه لا تزول، هي جديدة كل صباح ... جيد أن ينتظر الإنسان ويتوقع بسكوت خلاص الرب ... يجعل في التراب فمه لعلّه يوجد رجاء. يعطي خدّه لضاربه. يشبع عاراً ... لأن السيد لا يرفض إلى الأبد" (مرثي ٣: ٢٢-٣١). وهنا يتحدث إرميا عن خلاص الله الذي تم بآلام السيد المسيح، حتى أنه يتحدث عن صفة خادم رئيس الكهنة له أثناء محاكمته (يو ٢٢: ١٨)، كما يذكر دفنه في التراب من أجل أنه لم يجعل عقوبة الموت على آدم ونسله إلى الأبد.

ويقول حزقيال النبي: "هكذا قال السيد الرب هأنذا آخذ بني إسرائيل من بين الأمم التي ذهبوا إليها، وأجمعهم من كل ناحية، وآتي بهم أرضهم، وأصيرهم أمة واحدة على الأرض على جبال إسرائيل، وملك واحد يكون ملكاً عليهم ... ولا يتنجسون بعد بأصنامهم ولا برجاستهم ... بل أخلصهم ... وأطهرهم فيكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً ... وعبدي داوود رئيس عليهم إلى الأبد. وأقطع عهد سلام، فيكون معهم عهداً مؤبداً، وأقرهم وأكثرهم وأجعل مقدسي في وسطهم إلى الأبد. ويكون مسكني فوقهم، وأكون لهم إلهاً ويكونون لي شعباً. فتعلم الأمم أنني أنا الرب مقدس إسرائيل، إذ يكون مقدسي في وسطهم إلى الأبد" (حز ٣٧: ٢١-٢٨)، ويتحدث هنا حزقيال عن إسرائيل كرمز للكنيسة والتي صار داوود ملكاً عليها، إشارة إلى السيد المسيح، فصار في وسطهم إلى الأبد ويكون ذلك شهادة لكل الأمم.

ويقول دانيال النبي: "كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقرأه قدامه. فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض" (دا ٧: ١٣-١٤)، ولا يوجد شرح أجمل من هذه الصورة عن التجسد والفداء وسلطان السيد المسيح الأبدي ولاهوته رغم أنه قدّم قرباناً كذبيحة وهو إنسان.

ويقول هوشع النبي: " يكون عوضاً عن أن يُقال لهم: لستم شعبي، يُقال لهم: أبناء الله الحي. ويجمع بنو يهوذا وبنو إسرائيل معاً ... وأعطيتها كرومها من هناك ... كيوم صعودها من أرض مصر. ويكون في ذلك اليوم، يقول الرب، أنك تدعينني: رجُلِي ... وأنزع أسماء البعليليم من فمها ... وأقطع لهم عهداً في ذلك اليوم ... وأكسر القوس والسيف والحرب من الأرض، وأجعلهم يضطجعون آمنين. وأخطبك لنفسي إلى الأبد. وأخطبك لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم. أخطبك لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب" (هو ١٠: ١١، ٢: ١٥ - ٢٠). ويظهر هنا ارتباط السيد المسيح بالكنيسة وتقديسه لها، ومنحه الحياة الأبدية للإنسان الذي جعله واحداً معه.

أما عن نهاية هذه الأرض المنظورة كبداية للأبدية فيقول إشعياء: "هوذا يوم الرب قادم، قاسياً بسخط وحموً غضب، ليجعل الأرض خراباً ويبيد منها خطاتها. فإن نجوم السموات وجابرتها لا تبرز نورها. تُظلم الشمس عند طلوعها والقمر لا يلمع بضوئه" (إش ١٣: ٩ - ١٠).

والآن إذا أتينا إلى تحذير الله للشعب لكي لا يحرمه من الأبدية، يقول سفر القضاة: "صعد ملاك الرب من الجبال إلى بوكيم وقال: قد أصدتكم من مصر وأتيت بكم إلى الأرض التي أقسمت لأبائكم، وقُلْتُ: لا أنكث عهدي معكم إلى الأبد. وأنتم فلا تقطعوا عهداً مع سكان هذه الأرض. اهدموا مذابحهم. ولم تسمعوا لصوتي. فماذا عملتم؟ فقلت أيضاً: لا أطردهم من أمامكم، بل يكونون لكم مضايقين، وتكون آلهتهم لكم شركاً. وكان لما تكلم ملاك الرب بهذا الكلام إلى جميع بني إسرائيل، أن الشعب رفعوا صوتهم وبكوا" (قض ٢: ١ - ٤)، وهنا يظهر تحذير الله للشعب كي لا يختلطوا بأشرار العالم فيفقدوا أبديتهم.

أمّا تحذير الله لرئيس الكهنة، فقد وجَّههُ "لعالِي" بسبب فساد ابنه، فقال له الله على لسان صموئيل النبي: "لذلك يقول الرب إله إسرائيل: إني قلت أن بيتك وبيت أبيك يسرون أمامي إلى الأبد. والآن يقول الرب: حاشا لي! فإني أكرم الذين يكرموني، والذين يحترقونني يصغرون ... وهذه لك علامة تأتي على ابنك حفني وفينحاس: في يوم واحد يموتان كلاهما. وأقيم لنفسي كاهناً أميناً يعمل حسب ما بقلبي ونفسي، وأبني له بيتاً أميناً فَيُفسِّر أمام مسيحي كل الأيام" (١ صم ٢٠: ٣٥)، وبذلك حَسِرَ عالي وابنيه أبديتهم مع السيد المسيح.

وفي المرة الثالثة كان التحذير للملك في قول الرب لداود على فم ناثان النبي: "متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك، أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت

مملكته. هو يبنى بيتاً لاسمي وأنا أثبتت كرسي مملكته إلى الأبد. أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً.
إن تعوج أودبه بقضيب الناس وبضربات بني آدم" (صم ٧: ١٢ - ١٤).

الأب والابن والروح القدس، والأبدية

العظة (٢٢)

الحياة الأبدية في العهد الجديد على لسان السيد المسيح

رأينا في ما سبق أن الحياة الأبدية هي حقيقة مغروسة في داخل الإنسان. وبدونها لا يفترق الإنسان عن الكائنات الحيوانية التي ليس لحياتها هدفاً. كما رأينا أن الحياة الأبدية هي محصلة لعطية إلهية هائلة أشرقت على الإنسان بالتجسد الإلهي للابن الوحيد الجنس وأخذه طبيعة إنسانية من الروح القدس والعذراء مريم. فصار هو إنساناً قدوساً بغير خطية، وطبيعة بشرية إلهية منح بها الخلود للطبيعة الإنسانية حينما ألبسها جسد القيامة بصليبه وقيامته، فأصعد الطبيعة البشرية معه إلى السماء لتشارك السمائيين.

وكان من الطبيعي أن تتبرر البشرية أولاً برفعه عنها حكم الموت الذي أخذه في جسده، ومنحنا الخليقة الجديدة التي يمكنها أن تقف ضد الشر بنعمة روحه القدوس. أي أن عطية الحياة الأبدية كانت محصلة لعطية التبرير والتقديس والبنوة لله بالمسيح يسوع في الروح القدس. وبمعنى آخر فإن هذه العطية كانت نتيجة طبيعية لمعرفة سر الله الأب والابن والروح القدس.

وحينما تطلعنا إلى حقيقة الأبد في العهد القديم وجدناها ترتبط أساساً بعمل الخلاص الذي في المسيح يسوع، بداية باستعلان اسم الله ثم الفصح والشرعية والشفاعة والكهنوت والملك والهيكل إلى غير ذلك من تدبير الخلاص والذي تممه الله بصورة رمزية مع شعب إسرائيل.

ومن البديهي أن الحياة الأبدية هي حياة روحية حسب ما ذكرنا عن سليمان النبي "فيرجع التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها" (جا ١٢: ٧)، وعلى

ذلك فالحياة الأبدية لا يمكن لعقل إنساني أن يتصوّر حقيقتها ، ذلك لأنها ليست مادية ، أي لم ترَ مثلها عين أو سمعت بها أذن ، حتى أنه لو قام أحد من الأموات لا يمكن له أن يصف لنا حقيقتها. وعلى ذلك فإنه يمكن الاتجاه نحوها لفهم حقيقتها عن طريق سبيلين يكملان بعضهما :

الأول ، هو ثقة وإيمان من جهة الإنسان ، يعزّزهما منطق طبيعي إذا نظرنا إلى أمور الحياة ، وهى تشابه إيمان إبراهيم أب الآباء في ميراث لم يره.

والثاني هو معونة إلهية تشرق في قلب الإنسان المؤمن بعمل الروح القدس الساكن فيه وهو ما أطلق عليه الكتاب المقدس "عربون الحياة" (٢كو ٥: ٧) ، (رو ٨: ٢٣) ، (٢كو ١: ٢٢) ، (أف ١: ١٤) ، ولا شك أن طريق التوبة هو الباب الذي يدلف منه الإنسان إلى هذين السبيلين.

ومن البديهي أن الحياة الأبدية هى نتيجة طبيعية لما ذكره الكتاب المقدس بقوله " فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم " (تك ١: ٢٧) ، ولا شك أنه بدون هذه الصورة - التي تحدّث الله عنها أنها صورته - ما كان يمكن للإنسان أن يرتقي لينال الحياة الأبدية ، وهذا ما يؤكد أن الله كان مدبراً لخلاص الإنسان قبل سقوطه بل قبل خلقته ، وأن الله كان يعلم بسقوط آدم ، وكان سماح الله أن يتم ذلك بسبب حرية الإرادة التي منحها للبشر ، والتي من خلالها طمّع الإنسان أن يكون عارفاً للخير والشر مثل الله (تك ٣: ٥) .

ولعله من البديهي أيضاً أن تكون الحياة الأبدية هى استعلان حقيقي لسر الأب والابن والروح القدس ، حيث يكون الإنسان قد خلع عنه حواس الإنسان الترابي ، ودخل الإنسان إلى عالم الأرواح الخالدة ، فيمتلك الحقيقة التي حصل على "عربونها" على الأرض بالروح القدس "نحن أولاد الله ، ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله ، لأننا سراه كما هو" (١ يو ٣: ٢) ، " كما هو مكتوب: ما لم ترَ عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على بال إنسان: ما أعدّه الله للذين يحبونه. فأعلنه الله لنا نحن بروحه. لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله" (١كو ٢: ٩-١٠) ، وعلى أننا نجد في العهد الجديد اثنين من البشر قد أُتيح لهما أن يقتربا "بالروح" إلى هذه الصورة العليا التي مُنحت للإنسان.

كان الأول هو بولس الرسول، وكانت هذه شهادته " أعرف إنساناً في المسيح ... أفي الجسد؟ لست أعلم، أم خارج الجسد؟ لست أعلم. الله يعلم اختطفَ هذا إلى السماء الثالثة. وأعرف هذا الإنسان أفي الجسد أم خارج الجسد؟ لست أعلم الله يعلم. أنه اختطف إلى الفردوس، وسَمِع كلمات لا ينطق بها، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها" (٢ كو ١٢: ٢ - ٤).

أما الثاني فكان يوحنا، التلميذ الذي كان يسوع يحبه وكانت هذه شهادته " كنت في الروح في يوم الرب، وسَمِعَت وراني صوتاً عظيماً كصوت بوق قائلاً: أنا هو الألف والياء. الأول والآخر. والذي تراه، اكتب في كتاب وأرسل إلى السبع الكنائس التي في آسيا: إلى أفسس، وإلى سميرنا، وإلى برغامس، وإلى ثياتيرا، وإلى ساردس، وإلى فيلادلفيا، وإلى لاودكية" (رؤا: ١٠-١١). ومن الواضح أن الأول لم يمكنه أن يتحدث بشيء مما رآه، أما الثاني فكانت رؤياه تمتلئ بالرموز وهو ما سنعود إليه فيما بعد، أي في النهاية سيظل هذا سراً، ليس لأن الله يريد أن يخفيه بقدر ما أن الإنسان لا يستطيع الوصول إليه.

أما ما يمكن تأكيده فهو حسب قول بولس الرسول: " الذي تزرعه لا يحيا إن لم يمُت. والذي تزرعه، لست تزرع الجسم الذي سوف يصير، بل حبة مجردة، ربما من حنطة أو أحد البواقي. ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد ... للناس جسد واحد، وللبهائم جسد آخر ... وأجسام سماوية، وأجسام أرضية. لكن مجد السماويات شيء، ومجد الأرضيات آخر ... هكذا أيضاً قيامة الأموات: يُزرع في فساد ويُقام في عدم فساد ... يُزرع جسماً حيوانياً ويُقام جسماً روحانياً. يوجد جسم حيواني ويوجد جسم روحاني. هكذا مكتوب أيضاً: صار آدم، الإنسان الأول، نفساً حية، وآدم الأخير روحاً محياً ... الإنسان الأول من الأرض ترابي. الإنسان الثاني الرب من السماء ... وكما لبسنا صورة الترابي، سنلبس أيضاً صورة السماوي. فأقول هذا أيها الإخوة: إن لحمًا ودمًا لا يقدران أن يرثا ملكوت الله، ولا يرث الفساد عدم الفساد" (١ كو ١٥: ٣٦ - ٥٠)، أي أن السيد المسيح يأخذه طبيعة إنسانية، صار آدم الثاني - الرب من السماء - الذي رسم للإنسان طريق السماء، من قبل خلقه الإنسان !

أما السيد المسيح فقد اقترب من هذا الأمر بمثل رمزي " كان إنسان ... وهو يتنعم كل يوم مترفهاً. وكان مسكين اسمه لعازر، الذي طُرح عند بابه مضروباً بالقروح، ويشتهي أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغني ... فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم. ومات الغني

أيضاً ودُفن، فرفع عينيه في الجحيم وهو في العذاب، ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه، فنَادى وقال: يا أباي إبراهيم، ارحمني، وأرسل لعازر ليل طُرف إصبه بماء وُبُرِدَ لساني، لأنني مُعَذَّب في هذا اللهب. فقال إبراهيم: يا بني، اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك، وكذلك لعازر البلايا. والآن هو يتعزَّى وأنت تتعذَّب. وفوق هذا كله، بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أُثبتت، حتى إن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرُونَ، ولا الذين من هناك يجتازُونَ إلينا. فقال: أسألك إذاً، يا أباي أن تُرسله إلى بيت أبي، لأن لي خمسة إخوة، حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضاً إلى موضع العذاب هذا. قال له إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء، ليسمعوا منهم. فقال: لا، يا أباي إبراهيم، بل إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون. فقال له: إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء، ولا إن قام واحد من الأموات يصدِّقون " (لو ١٦: ١٩ - ٣١).

ومن هذا المثل نرى ما يعني أن الأمر لا يحتاج إلى أحد من الأموات لكي يتحدث بما رآه، بل الأمر يحتاج إلى محبة الإنسان لأخيه وهو ما أوصى به الله على فم موسى والأنبياء.

أما عن الحياة الأبدية على لسان السيد المسيح فنجدُها في المواقف الآتية:

١- يربط السيد المسيح ميراث الحياة الأبدية بالإيمان بصليبه، وذلك في حديثه إلى نيقوديموس معلم اليهود بقوله: "وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم. الذي يؤمن به لا يدان، والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد" (يو ٣: ١٤ - ١٨).

وفي هذا الحديث يؤكد السيد المسيح عدة قضايا: الأولى هي سر الآب والابن والذي لا يؤمن به يُدان، والثانية: هي ارتباط حقيقة الصليب بأحداث العهد القديم كمثال ما رفع موسى الحية ليبرأ الشعب من لدغ الحيات، والثالثة: هي عمل الفداء الذي بدونه يهلك الإنسان والرابعة: هي الحياة الأبدية التي تكلل هذا الإيمان.

٢- يربط السيد المسيح الحياة الأبدية بعمل الروح القدس في الإنسان. وذلك في حديثه مع المرأة السامرية التي كانت على البئر لتستقي ماءً في قوله: "كل من يشرب من

هذا الماء يعطش أيضاً. ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يو: ٤: ١٣ - ١٤)، وهو ذات القول الذي نادى به في أحد أعياد اليهود: "في اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً: إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب. من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه، لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد" (يو: ٧: ٣٧ - ٣٩).

وفي هذين القولين يتضح أولاً أن الحياة الأبدية مرتبطة بعطية الروح القدس. ثانياً أن عطية الروح القدس مرتبطة بعمل الصليب. ثالثاً أنه يربط الروح بالماء حسب قوله "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو: ٣: ٥)، رابعاً أن السيد المسيح يؤكد عمل المعمودية في قبول الروح القدس.

٣. يربط السيد المسيح بين الحياة الأبدية والتناول من جسده ودمه على صورة خبز وخمر وذلك في قوله بعد إشباع الجموع من الخمس خبزات والسمكتين "اعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان، لأن هذا الله الآب قد ختمه ... فقال لهم يسوع: أنا هو خبز الحياة. من يُقبل إليّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً ... لأن هذه مشيئة الذي أرسلني: أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمُه في اليوم الأخير ... أنا هو الخبز الذي نزل من السماء ... أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم ... الحق الحق أقول لكم: إن لم تاكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمُه في اليوم الأخير ... مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه. كما أرسلني الآب الحي، وأنا حي بالآب، فمَنْ يأكلني فهو يحيا بي. هذا هو الخبز الذي نزل من السماء. ليس كما أكل آباؤكم المَنَّ وماتوا. من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد" (يو: ٦: ٢٧ - ٥٨)، وفي هذا القول أولاً: يؤكد السيد المسيح ارتباط حقيقة جسده كخبز بالמן الذي نزل على شعب بني إسرائيل في برية سيناء. ثانياً: يؤكد السيد المسيح وحدانيته مع الله الآب وأنه هو مصدر الحياة التي للآب المعطاة للإنسان. ثالثاً: أن هذا الخبز يمتح قداسة السيد المسيح للإنسان ويثبت فيه.

رابعاً: أن هذا الخبز هو جسده الذي يبذله عن حياة العالم وهكذا يصير هذا الخبز مصدراً للحياة الأبدية.

٤ - يربط السيد المسيح بين الحياة الأبدية وبنوته الأزلية لله الآب. وأن الصليب هو أساس معرفته، فيقول: " أنتم من هذا العالم، أمّا أنا فلست من هذا العالم ... إن لم تؤمنوا أنني أنا هو تموتون في خطاياكم ... إن لي أشياء كثيرة أتكلّم وأحكّم بها من نحوكم، لكن الذي أرسلني هو حق. وأنا ما سمعته منه، فهذا أقوله للعالم. ولم يفهموا أنه كان يقول لهم عن الآب. فقال لهم يسوع: متى رفعتم ابن الإنسان، حينئذ تفهمون أنني أنا هو ... إن ثبتتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي، وتعرفون الحق، والحق يحرّركم ... الحق الحق أقول لكم: إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد ... أبي هو الذي يمجدني، الذي تقولون أنتم إنه إلهكم ... أبوكم إبراهيم تهلّل بأن يرى يومي فرأى وفرح " (يو ٨: ٢٣-٥٦).

وفي هذا القول يؤكد السيد المسيح أولاً: ارتباط دعوته بالعهد القديم وأن فيه يتحقق الوعد لإبراهيم. ثانياً: يؤكد وحدانيته مع الله الآب الذي يقول عنه اليهود أنه إلههم. ثالثاً: إعلانه أن الصليب سيكون هو محور السبيل للتعرف عليه حيث كان هو عمل الله الفدائي لخلاص الإنسان وما يتبع هذا من عطايا سماوية. رابعاً: أن من يؤمن بكل هذه الحقائق فإن له الحياة الأبدية.

٥ - يتحدث السيد المسيح مع اليهود بعد أن خلق عينين من طين للمولود أعمى فيقول: " الحق الحق أقول لكم إنني أنا باب الخراف ... إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى ... أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف ... وأنا أضع نفسي عن الخراف. ولي خراف آخر ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتي بتلك أيضاً ... لهذا يحبني الآب، لأنني أضع نفسي لآخذها أيضاً ... لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً ... خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد ... أبي الذي أعطاني إياها ... أنا والآب واحد " (يو ١٠: ٢-٣٠).

وفي هذا القول يؤكد السيد المسيح أولاً: أنه لا خلاص لإنسان إلا بالإيمان بفدائه. ثانياً: أن موته على الصليب ليس هو موت إنسان عادي بل أنه افتراق النفس الإنسانية عن جسده بإرادته الحرة وسلطانه، وأن ما فعلوه به على الصليب كان هو علامات

أعلنها مُسبقاً على فم الأنبياء لتكون علامة على فدائه ، أما عن الموت الذي مات به فلم يكن للموت سلطان عليه ، وعلى ذلك فإن لاهوته لم يضترق لحظة قط لا من نفسه ولا من جسده. ثالثاً: أنه بفدائه قد افتدى البشر جميعاً من يهود وأمم ، فكان الجميع خرافةً التي صار لها راعياً ومخلصاً. رابعاً أنه يعطي الحياة الأبدية لكل من يؤمن بهذه الحقائق.

٦ - بعد إقامة السيد المسيح للعازر من القبر بعد أن أنشأ ، دخل بعدها أورشليم مثل ملك. وأتى بعض اليهود الذين يتكلمون اليونانية ليتعرفوا عليه فقال: " قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان. الحق الحق أقول لكم: إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض ولمت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير. من يحب نفسه يهلكها ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية ... أيها الآب نجني من هذه الساعة. ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة. أيها الآب مجد اسمك! فجاء صوت من السماء: مجدّت، وأمجد أيضاً ... أجاب يسوع وقال: ليس من أجلي صار هذا الصوت، بل من أجلكم ... الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً. وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع. قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزماً أن يموت ... فقال لهم يسوع: النور معكم زماناً قليلاً بعد، فسيروا ما دام لكم النور لنلا يدرككم الظلام ... الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية: ماذا أقول وبماذا أتكلم. وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية" (يو ١٢: ٢٣ - ٥٠).

وفي هذا القول يؤكد السيد المسيح أولاً: أنه أتى من أجل الصليب، وبهذا يشبه حبة الحنطة التي إن ماتت تأتي بثمر كثير. ثانياً: كما يؤكد وحدانيته مع الله الآب وإن كل ما يقول أو يفعل هي إرادة واحدة معه. ثالثاً: أن في عمل الصليب إظهار مجد الابن حينما يقوم من الموت بإرادته ويمنح هذا المجد للبشر بتبريرهم من الخطية ورفع حكم الموت عنهم. رابعاً: أن هذا العمل هو استنارة للبشر لمعرفة هدف حياتهم، فإن آمن الإنسان سار بذلك في النور، وكانت له الحياة الأبدية.

٧ - في صلاة السيد المسيح التي نطق بها قبل أن يتقدم إلى الصليب، وكانت بصوت مسموع سجله يوحنا البشير يقول السيد المسيح: " أيها الآب، قد أتت الساعة. مجدّ ابنك ليُمجّدك ابنك أيضاً، إذ أعطيتني سلطاناً على كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيتني. وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي، وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته ... كل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي، وأنا مُمجّد فيهم ... قدسهم في حقك. كلامك هو حق ...

ولأجلهم أقُدّس أنا ذاتي، ليكونوا هم أيضاً مقدّسين في الحق ... أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم ... وعرّفهم اسمك وسأعرّفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم" (يوأصحاح ١٧).

وفي هذا القول يظهر أولاً: وحدانية الله الآب مع السيد المسيح والعلاقة الفريدة بينهما من قبل إنشاء العالم، وهو السر الذي أعلنه ليكون ذلك في البشر رابطة حب تربطهم معه ومع الآب. ثانياً: يعلن السيد المسيح مرة أخرى أن الصليب هو سبيل المجد الذي يظهر به ويمنحه للبشر. ثالثاً: يطلب السيد المسيح من أجل تقديس البشر والتي من أجلها تجسد وقدس ذاته ليقدمها على الصليب. رابعاً أن في معرفة هذه الأسرار وهذه العلاقة بين الآب والابن وتقديس الإنسان فإن هذه هي الحياة الأبدية بعينها، والتي تبدأ مع الإنسان بإيمانه بالسيد المسيح وفدائه. وأخيراً كانت الحياة الأبدية وعداً للتلاميذ لأنهم تركوا كل شيء وتبعوه (مت ١٩: ٢٧ - ٣٠). وهو ما سنراه في العظة التالية.

الآب والابن والروح القدس، والأبدية

العظة (٣٤)

الحياة الأبدية في العهد الجديد على لسان الآباء الرسل

السيد المسيح له المجد كان يتحدث أمام التلاميذ عن الحياة الأبدية كما سبق ورأينا، ولهذا كانت لديهم الفكرة عنها حتى وإن لم يكونوا متعمقين في فهم كنهها، حيث كانوا مازالوا يتفكرون في مُلك أرضي (أع ١: ٦)، (مت ٢٠: ٢٠ - ٢٨) ذلك لأن وجودهم بجوار السيد المسيح كان يستشعرهم بأمور خاصة، حتى أنه حينما تراجع بعض تابعي السيد المسيح عنه عندما تحدث عن جسده كخبز، وسأل تلاميذه الاثنى عشر "ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا. فأجابه سمعان بطرس يارب إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك" (يو ٦: ٦٧ - ٦٨).

كما أن بطرس كان قد سأل السيد المسيح بعد أن مضى الشاب الغني حزينا عندما قال له السيد المسيح: " اذهب وبع أملاكك وأعطِ الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعالِ اتبعني " (مت ١٩ : ٢١)، حينئذ سأل بطرس " ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك. فماذا يكون لنا؟ فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين تبعتموني، في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيّاً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر. وكل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أمّاً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين وآخرين أولين " (مت ١٩ : ٢٧ - ٣٠). وهذه الكلمات العالية، وإن كانت تحمل مكافأة الحياة الأبدية، إلا أنها تحمل أسراراً كثيرة، منها هنا أن السيد المسيح أرسل التلاميذ إلى شعب بني إسرائيل ليقودوهم للتوبة ومعرفة المسيح ولكنهم رفضوا، ولذلك فإن الشعب الذي عرف الله أولاً قبل باقي الشعوب فقد صاروا هم الآخرين.

وكما نعلم فإن السيد المسيح بعد قيامته كان يظهر للتلاميذ " أربعين يوماً ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله " (اع ١ : ٣)، فمن المنطقي أن يقدموا بناءً على ذلك شرحاً وافياً عن الحياة الأبدية خاصة وأن السيد قد وعدهم أنه بعد حلول الروح القدس عليهم فهو يذكرهم بكل ما قاله لهم، ويعلمهم كل شيء (يو ١٤ : ٢٦).

فماذا قال الآباء الرسل عن الحياة الأبدية:

١ - لقد كانت الحياة الأبدية هي تدبير للإنسان قبل خلقته " الحياة الأبدية، التي وعد بها الله المنزه، عن الكذب، قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أظهر كلمته في أوقاتها الخاصة " (تي ١ : ٢ - ٣)، ويقول يوحنا: " هذا هو الوعد الذي وعدنا هو به: الحياة الأبدية " (١ يو ٢ : ٢٥).

٢ - أن هذه الحياة الأبدية أظهرت مع استعلان الآب والابن والروح القدس وتجسد الابن في الزمان: " الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة. فإن الحياة أظهرت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا " (١ يو ١ : ١ - ٢).

٣ - إن الحياة الأبدية حصل عليها الإنسان بسبب تجسد الابن الوحيد الجنس وفدائه على الصليب وقيامته: " صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول: أن المسيح يسوع جاء إلى العالم

لِيُخَلِّصَ الْخَطَاةَ الَّذِينَ أَوَّلَهُمْ أَنَا. لكنني لهذا رُحِمْتُ: يُظْهِرُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ فِي أَنَا أَوَّلًا كُلَّ أُنَاةٍ، مَثَلًا لِلْعَتِيدِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ" (١ تي ١: ١٥ - ١٦)، وهنا يشير بولس الرسول أيضاً إلى رفضه للسيد المسيح في بداية حياته وتعذيبه للمسيحيين "اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَنِي فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أحياناً مع المسيح، - بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ - وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجَلَسْنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (أف ٢: ٤ - ٦)، "إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذَلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ، سَيُحْيِيهِمُ اللَّهُ أَيْضاً مَعَهُ" (١ تس ٤: ١٤).

٤ - إِنْ نِعْمَةُ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ نَنَالُهَا بِالْمَعْمُودِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ "كُلُّ مَنْ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ، فَدُفِنْنَا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الْآبِ، هَكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضاً فِي جَذَةِ الْحَيَاةِ ... عَالَمِينَ هَذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْتَطَلَ جَسَدُ الْخَطِيئَةِ، كَيْ لَا نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضاً لِلْخَطِيئَةِ ... كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً أَحْسَبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتاً عَنِ الْخَطِيئَةِ، وَلَكِنْ أَحْيَاءَ لِلَّهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا ... وَإِذَا أُعْتَقْتُمْ مِنَ الْخَطِيئَةِ صِرْتُمْ عِبِيداً لِلْبِرِّ ... وَأَمَّا الْآنَ إِذْ أُعْتَقْتُمْ مِنَ الْخَطِيئَةِ، وَصِرْتُمْ عِبِيداً لِلَّهِ، فَلَكُمْ ثَمَرُكُمْ لِلْقِدَاسَةِ، وَالنَّهَايَةِ حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ. لِأَنَّ أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ الْمَوْتُ، وَأَمَّا هَبَّةُ اللَّهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا" (رو ٦: ٣ - ٢٣)، "لأنه قد ظهرت نعمة الله الْمُخَلَّصَةِ، لِجَمِيعِ النَّاسِ، مُعَلِّمَةً إِيَّانَا أَنْ نَنْكُرَ الْفُجُورَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَالَمِيَّةَ، وَنَعِيشَ بِالتَّعْقُلِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي الْعَالَمِ الْحَاضِرِ، مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلَّصَنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (١ تي ٢: ١١ - ١٤)، "لأنه كما بِمَعْصِيَةِ الْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خَطَاةً، هَكَذَا أَيْضاً بِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَاراً ... حَتَّى كَمَا مَلَكَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْمَوْتِ، هَكَذَا تَمْلِكُ النِّعْمَةُ بِالْبِرِّ، لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا" (رو ٥: ١٩ - ٢١)، وَيُظْهِرُ هُنَا أَيْضاً أَنَّ التَّبرِيرَ وَالتَّقْدِيسَ وَمَوْتَ جَسَدِ الْخَطِيئَةِ قَدْ نَلْنَاهُ بِمَوْتِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَقِيَامَتِهِ وَحَصَلْنَا عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ بِالْمَعْمُودِيَّةِ الَّتِي صَارَتْ عَرَبُونَ الْأَبَدِيَّةِ.

٥ - إِنْ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ هِيَ إِظْهَارُ لِمَجْدِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي أَخْضَاهُ عَنِ الْإِنْسَانِ بِتَجَسُّدِهِ حَتَّى يَحْقُقَ الْفِدَاءَ، وَأَنَّ هَذَا الْمَجْدَ سَوْفَ يَسْبِغُهُ عَلَى الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِ. "أَوْصِيكَ أَمَامَ اللَّهِ ... أَنْ تَحْفَظَ الْوَصِيَّةَ بَلَا دَنْسٍ وَلَا لُومٍ إِلَى ظُهُورِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي سَيُبَيِّنُهُ فِي أَوْقَاتِهِ الْمُبَارَكَةِ الْعَزِيزَةِ الْوَحِيدَةِ: مَلِكِ الْمُلُوكِ وَرَبِّ الْأَرْبَابِ، الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لَا يُدْنِي مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ، الَّذِي لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الْأَبَدِيَّةِ.

آمين " (١ تي ٦: ١٣ - ١٦) ... " منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح، الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم " (تي ٢: ١٣ - ١٤) ... " شاكرين الآب الذي أهّلنا لشركة ميراث القديسين في النور، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته " (كو ١: ١٢) ... " فإن كنتم قد قُمتُم مع المسيح فاطلبوا ما فوق، حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتمُّوا بما فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة، مع المسيح في الله. متى أظهر المسيح حياتنا، فحينئذٍ تظهرون أنتم معه في المجد " (كو ٣: ١ - ٤) ... " أيها الأحباء، لا تستغربوا البلوى المحرقة التي بينكم حادثة، لأجل امتحانكم، كأنه أصابكم أمر غريب، بل كما اشركتم في آلام المسيح افرحوا لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبهجين " (١ بط ٤: ١٢ - ١٣).

٦- إن حياة الإنسان على الأرض هي فرصة للإنسان للتوبة عن الخطايا واحتمال الصعاب في سبيل الحصول على نعمة الحياة الأبدية " أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة ... الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله، أما الذين بصر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء بالحياة الأبدية " (رو ٢: ٤ - ٧) ... " وأما أنت يا إنسان الله ... اتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة، جاهد جهاد الإيمان الحسن، وأمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت " (١ تي ٦: ١١ - ١٢) ... " الضيقات التي تحتملوها، بيِّنة على قضاء الله العادل، أنكم توهَّلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً. إذ هو عادل عند الله ... وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا، عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوّته، في نار لهيب، معطياً نعمة للذين لا يعرفون الله، والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومجد قوّته " (٢ تس ١: ٤ - ٩) ... " وإن كان إنساننا الخارج يفي، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً. لأن خفة ضيقنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فاكتر ثقل مجداً أبدياً. ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى، بل إلى التي لا تُرى. لأن التي تُرى وقتية، وأما التي لا تُرى فأبدية " (٢ كو ٤: ١٦ - ١٨) ... " لأننا نعلم أنه إن نُقيض بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السموات بناء من الله، غير مصنوع بيد، أبدي " (٢ كو ٥: ١) ... " نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد، فنحن متغربون عن الرب. لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان. فنثق ونسربُ بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب " (٢ كو ٥: ٦ - ٨) ... " إله كل نعمة الذي دعانا إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع، بعدما تألمتم سيراً، هو يكملكم، ويثبتكم، ويقوِّمكم

ويمكنكم" (١٠ : ٥) ... " لأن لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح ... لي اشتها أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً " (في ١ : ٢١ - ٢٣).

٧ - ثم يحذّر الآباء الرسل التحذير النهائي لئلا يفقد الإنسان الحياة الأبدية " فابنوا أنفسكم على إيمانكم الأقدس، مُصلّين في الروح القدس، واحفظوا أنفسكم في محبة الله، منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية " (يه ١ : ٢٠ - ٢١) ... " من يؤمن بابن الله فعنده الشهادة في نفسه. من لا يصدّق الله، فقد جعله كاذباً، لأنه لم يؤمن بالشهادة التي قد شهد بها الله عن ابنه. وهذه هي الشهادة: أن الله أعطانا حياة أبدية، وهذه الحياة هي في ابنه. من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة " (١٠ : ٥ - ١٢).

وأخيراً فإن الآباء الرسل يربطون بين نهاية هذا العالم والحياة الأبدية فيقول بطرس الرسول: " منتظرين وطالبيين سرعة مجيء الرب، الذي به تنحلّ السموات ملتَهبةً، والعناصر محترقةً تذوب. ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة، وأرضاً جديدة، يسكن فيها البرُّ " (١٢ : ٣ - ١٣)، ويقول بولس الرسول: " لأن هيئة هذا العالم تزول " (١ كو ٧ : ٣١).

الآب والابن والروح القدس، وهزيمة الشر

العظة (٣٥)

هزيمة الشيطان

من أبرز ثمار استعلان سر الآب والابن والروح القدس وتجسد الابن الوحيد وظهوره بين البشر كإنسان، هو ما جعل للإنسان سلطاناً على الشيطان. فالشيطان كما عرفه الإنسان بعد سقوط آدم كان قوة روحية غير منظورة يمكنها أن تسيطر على الإنسان، ولم يكن يملك الإنسان حيالها سوى محاولات يائسة، كمثّل ما كان يضرب داوود بالعود حينما ينتاب شاول الملك الروح الرديء (١ صم ١٦ : ١٤ - ٢٣).

وقد كشف العهد القديم بعض أسرار الشيطان كرئيس ملائكة سقط بسبب كبريائه في أن يصير مثل العلي (إش ١٤ : ١٢ - ١٧). وقد سقط الشيطان وكل طغمته ولكنه ظل محتفظاً بقواه الروحية، كما نرى في سفر دانيال أنه وقف أمام أحد

الملائكة حتى جاء رئيس الملائكة ميخائيل الذي أعانه على الشيطان (دا ١٠: ١٢-١٣)، وكذلك نراه في سفر أيوب ماثلاً أمام الله وسط الملائكة (أي ١: ٦-٧)، ولكننا نرى أيضاً أنه لا يملك أن يؤذي إنساناً بدون إرادة الله (أي ١: ١٢)، ومن الواضح أن الشيطان بسبب إمكانياته الروحية كملاك فإن سقوطه لم يكن له توبة، لأنه كان مُدْرِكاً لخطئه مستخدماً سلطانه الروحي.

وبهذه النهاية البائسة للشيطان صار حاسداً للإنسان بمعنى متمنياً زوال النعمة عنه، حينما خلق الله الإنسان على صورته ومثاله. وهكذا دخل في الحية وخدع حواء بمكره ليُسْقِط الإنسان في نفس خطيته أي أن يصير مثل العلي (تك ٣: ٤-٦).

وحسب قول الكتاب: "أنتم عبيد للذي تطيعونه" (رو ٦: ١٦) هكذا أصبح الإنسان خاضعاً لسلطان الشيطان، إما على الفكر كما نرى ما حدث ليهوذا الإسخريوطي (يو ١٣: ٢٧) (يو ٦: ٧٠)، وإما على الجسد كما نرى الإنسان المجنون الأعمى الأخرس (مت ١٢: ٢٢)، والمرأة المنحنية (لو ١٣: ١١) اللذين شفاهما السيد المسيح.

وقد ظل الإنسان أسيراً لسطوة الشيطان إلى أن تجسد السيد المسيح وصار إنساناً، فأعطى الإنسان سلطاناً عليه (لو ٩: ١). وبعد أن أعلن السيد المسيح عن ذاته في المعمودية الأردن وقف في مواجهة الشيطان على الجبل ولم يستخدم سلطان لاهوته بل قِيلَ تجارب الشيطان كإنسان، واستخدم كلمات العهد القديم في الرد عليه وذلك ليُظهر للبشر كيف يمكن للإنسان المؤمن به والثابت فيه أن يقف أمام حيل الشيطان (مت ٤: ١-١٠).

وكما استخدم السيد المسيح عبارات من العهد القديم للرد على الشيطان ظهر أيضاً على الجبل صائماً، ليُظهر للإنسان عمل الصوم والصلاة في السيطرة على قوة الشيطان، وهو ما ظهر كنموذج عملي حينما عجز التلاميذ في إحدى المرات أن يخرجوا شيطاناً، فلجأ أبو الولد الذي أصابه الشيطان إلى السيد المسيح فشفى له الولد. وحينما سأله التلاميذ عن السبب أنهم لم يقدرُوا على شفاء الصبي، قال لهم: "لعدم إيمانكم. فالحق أقول لك: لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل: انتقل من هنا إلى هناك فينتقل، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم. وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم" (مت ١٧: ٢٠-٢١).

ولعدم تصديق بعض اليهود للسلطان الذي للسيد المسيح على الشياطين قالوا عنه "بعلزبول رئيس الشياطين يُخرج الشياطين ... فعَلِم أفكارهم، وقال لهم: كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب ... فإن كان الشيطان أيضاً ينقسم على ذاته، فكيف تثبت مملكته؟ ... فإن كنت أنا بعلزبول أخرج الشياطين، فأبناؤكم بمن يُخرجون؟ ... ولكن إن كنت بأصبع الله أخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله. حينما يحفظ القوي داره متسلحاً، تكون أمواله في أمان. ولكن متى جاء من هو أقوى منه فإنه يغلبه، وينزع سلاحه الكامل" (لو ١١: ١٥ - ٢٢).

وقد كان عمل السيد المسيح على الصليب ومنح الإنسان الخليقة الجديدة بالمعمودية هو مصدر القوة التي حصل عليها الإنسان بالروح القدس، كما شرح بولس الرسول "مدفونين معه في المعمودية، التي فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله، الذي أقامه من الأموات ... وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب، إذ جردت الرياسات والسلطين أشهرهم جهاراً، ظافراً بهم فيه" (كو ٢: ١٢ - ١٥) أي بالصليب. لهذا كان السيد المسيح يعتبر أن من يقف لمنع الصليب يُعتبر شيطاناً، وهو ما حدث حينما قال لتلاميذه: "أنه ينبغي أن يذهب إلى اورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم. فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلاً: حاشاك يارب! لا يكون لك هذا. فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان! أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس" (مت ١٦: ٢١ - ٢٣). وفي هذا يقول يوحنا الرسول: "لأجل هذا أظهر ابن الله لكي ينقُض أعمال إبليس. كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية، لأن زرعهُ يثبت فيه ... بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس" (١ يو ٣: ٨ - ١٠). ولهذا يعود ويؤكد "أيها الأحباء، لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح: هل هي من الله؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم. بهذا تعرفون روح الله: كل روح يعترف يسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله. وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد، فليس من الله وهذا هو روح ضد المسيح الذي سمعتم أنه يأتي، والآن هو في العالم. أنتم من الله أيها الأولاد، وقد غلبتموهم لأن الذي فيكم أعظم من الذي في العالم" (١ يو ٤: ١ - ٤).

وهكذا أيضاً يقول بولس الرسول: "لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة، فعلة ماكرون، مغترون شكلهم إلى شبه رسل المسيح. ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور! فليس عظيماً إن كان خُدَامه أيضاً يغيرون شكلهم كخُدَام للبر" (٢ كو ١١: ١٣ - ١٥).

كما يتنبأ بولس الرسول أيضاً " أنه في الأزمنة الأخيرة يرتدُّ قوم عن الإيمان، تابعين أرواحاً مُضِلَّةً وتعاليم شياطين" (١ تي ٤ : ١)، بل تنبأ أيضاً عن الارتداد عن الإيمان بسبب إنسان الخطية "حتى إنه يجلس في هيكل الله كإله، مظهراً نفسه أنه إله ... بعمل الشيطان، بكل قوَّة، وبآيات وعجائب كاذبة" (٢ تس ٢ : ٤ - ٩)، ولعل سبب هذا العنف الذي يعمل به الشيطان ضد ملكوت الله هو علمه بنهايته الكئيبة حسب قول الآباء الرسل: " الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم، بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام" (به ١ : ٦). وحسب قول بطرس الرسول: " كان أيضاً في الشعب أنبياء كذبة، كما سيكون فيكم أيضاً معلَّمون كذبة، الذين يدسُّون بدع هالك. وإذ هم ينكرون الرب الذي اشتراهم، يجلبون على أنفسهم هلاكاً سريعاً. وسيتبع كثيرون تهلكاتهم ... يتجرون بكم بأقوال مصنَّعة، ... لأنه إن كان الله لم يُشفق على ملائكة قد أخطأوا، بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء ... ويحفظ الأئمة إلى يوم الدين معاقبين. ولا سيما الذين يذهبون وراء الجسد في شهوة النجاسة ... لا يرتعبون أن يفترخوا على ذوي الأمجاد ... تابعين طريق بلعام بن بصور الذي أحب أجرة الإثم ... ينطقون بعظائم البُطل، يخدعون بشهوات الجسد في الدَّعارة، من هرب قليلاً من الذين يسرون في الضَّلال، واعددين إياهم بالحرِّية، وهم أنفسهم عبيد الفساد. لأن ما أنغلب منه أحد، فهو له مستعبد أيضاً!" (٢ بط ٢ : ١ - ١٩).

وقد يحاول الشيطان أيضاً أن يُعيق الخدمة كما حاول مع بولس الرسول (١ تس ٢ : ١٨)، ولهذا يقول بطرس الرسول: " اصحوا واسهروا. لأن إبليس خصمكم كأسدٍ زائر، يجول ملتصقاً من يتلعه هو. فقاوموه، راسخين في الإيمان" (١ بط ٥ : ٨ - ٩)، ويطلق عليه بولس الرسول على الشيطان اسم " رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية" (أف ٢ : ٢)، ولكنه يعود ويقول: " أخيراً يا إخوتي تفوَّوا في الرب وفي شدَّة قوَّته. البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدرُوا أن تثبتوا ضد مكائد إبليس. فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظُلْمة هذا الدَّهر، مع أجناد الشر الروحيَّة في السماويات. من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل ... فاثبتوا بمنطقين أحقاءكم بالحق، ولا بسين درع البر، وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام. حاملين فوق الكل تُرس الإيمان، الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة. وخذوا خوذة الخلاص، وسيف الروح

الذي هو كلمة الله. مصلِّين بكل صلاة وطلبية كل وقت في الروح، وساهرين لهذا بعينه"
(أف ٦: ١٠ - ١٨).

الآب والابن والروح القدس، وهزيمة الشر

العظة (٣٦)

هزيمة الخطية

الخطية هي نتيجة مباشرة لمعصية آدم وحواء حينما أكلتا من شجرة معرفة الخير والشر وقد سبقتهما الخطية الأولى وهي عصيان أمر الله من الأكل منها. والمقصود بالخطية التي نشأت عن الأكل من الشجرة ليس مجرد فعل خطية المعصية في حد ذاتها، بل الأثر الداخلي الذي صار في الإنسان بسبب معرفته للشر حتى بدون ممارسة الخطية فعلاً، وهو ما ظهر على آدم وحواء حينما أحسّا أنهما عريانان، ومشكلة الخطية أيضاً أنها امتدت إلى نسلهما، فرأينا قايين يحسد أخاه بل ويقتله ولهذا يصف الكتاب المقدس وراثة معرفة الشر بقوله: "كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم" (رو ٥: ١٢). وكان هذا سبباً كافياً ألا يأكل آدم من شجرة الحياة التي في الجنة ويُطرد منها لأنه صار عليه حكم الموت وعرف الشر.

وقد رأينا سابقاً أن هذه الأمور كان الله يعلم بها مسبقاً فلم تكن هناك ورطة قد وقع الله فيها. حاشا. وإن قال أحد من الناس أن الإنسان بعقوبة الموت قد تمم وعد الله مادام الإنسان قد تاب واستغفر، فكيف لهذه الطبيعة البشرية التي تلوّثت بمعرفة الشر، أن تقف أمام الله الكلي القداسة.

والآن كيف يمكن تغيير هذه الطبيعة؟ وإن كانت قد حُكم عليها بالموت فماذا يُقدّم فداء عنها؟

وهكذا لم يكن هناك إجابة لهذه الأسئلة إلا في استعلان سرّ الآب والابن والروح القدس حينما تجسد الابن الوحيد وصار إنساناً بغير خطية وقدم ذاته ذبيحة سمائية نظير الإنسان فصار فداء للذين كانوا قبل تجسده، وصار فداءً وتغييراً لطبيعة الإنسان إلى القداسة للذين يؤمنون به، وذلك حينما يأخذ الإنسان فداء

السيد المسيح بالروح القدس في المعمودية وبأخذ قداسة السيد المسيح بالاتحاد به في جسده. وحتى إن أخطأ الإنسان المؤمن به وقدم توبة حقيقية تكون ذبيحة السيد المسيح ممتدة لغفران الخطية.

ومن الطبيعي أن الإنسان كان لا يمكن له أن يصل إلى هذه الحقائق من ذاته ولهذا نجد أن الله ستر عري آدم وحواء بجلد ذبيحة، وهي التي عرفها أبنائهم، فقبلت ذبيحة هابيل لأنها ذبيحة دموية.

ومن المعروف أن الحيوان نهايته الطبيعية هي الموت ولهذا فإن هذه الذبائح الدموية لا يتعدى فداؤها أكثر من الجسد الإنساني المائت، أما نفس الإنسان التي تلوثت بالخطية فقد كان يلزم التكفير عنها بذبيحة طاهرة نظير الإنسان، وهو ما وعد به الله بعد أن أكل أبوانا من شجرة معرفة الخير والشر بقوله: " فقال الرب الإله للحية ... أضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلها هو يسحق رأسك وأنتِ تسحقين عقبه " (تك ٣: ١٤ - ١٥)، أي أنه سيأتي اليوم الذي يتجسد فيه الله القدوس ليسحق الشيطان ويغير الطبيعة الفاسدة التي للإنسان رغم فناء الجسد الإنساني وعودته إلى التراب، وكانت العودة إلى التراب نتيجة طبيعية لمعرفة الشر وتوافق قول الله: " تعود إلى الأرض التي أخذت منها ... لأنك تراب، وإلى تراب تعود " (تك ٣: ١٩).

وحينما كثُر شر الإنسان أهلكه الله بالطوفان وأبقى نوح وأولاده الثلاثة وزوجاتهم، ثم اختار الله إبراهيم وأعطاه وعد الميراث بالإيمان، واختار نسله من الابن الذي أتاه بالوعد بعد موت رحم أمه وهو إسحاق، ثم أنقذ هذا النسل من العبودية بالفصح وعمّده في البحر والسحابة هروباً من فرعون ثم أعطاه الناموس والشرعية لتكون مؤدّباً له، ثم أعطاه وسيلة التكفير عن الخطايا وتعدّيه للناموس بالذبائح الدموية، وكانت كل هذه الأمور كما سبق وذكرنا شرحاً لذبيحة السيد المسيح حتى أن الحكم الذي صار على السيد المسيح كان بسبب هذه الشريعة نفسها وهي الوصية الأولى: " لا يكن لك آلهة أخرى أمامي " (خر ٢٠: ٣)، وذلك حينما اعتبر اليهود أن السيد المسيح إنساناً قد اختلس الألوهية رغم أن أعماله كانت تؤكد أنه هو الله المتجسد، ولكن محبتهم لكراسيهم ورئاستهم أعمتهم من أن يعرفوه.

وقد سبق وشرحنا معظم هذه الحقائق تحت موضوع التبرير ثم التقديس وكانت هى الأمر الأساسي الذي تدور حوله رسائل الآباء الرسل ولكنه يمكننا الاستعانة بالرسالة إلى رومية للتركيز على حقيقة هزيمة الخطية

١- إذا حاول الإنسان إنكار حقيقة وجود الله حتى يسمح لذاته أن يفعل الخطية بلا حساب، فإن الله يعاقبه من ذات فعله " إذ معرفة الله ظاهرة فيهم، لأن الله أظهرها لهم، لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم. مدركة بالمصنوعات، قدرته السرمديّة ولاهوته، حتى أنهم بلا عذر ... لذلك أسلمهم الله ... إلى النجاسة، لإهانة أجسادهم بين ذواتهم ... وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق " (روا: ١٩ - ٢٠، ٢٤، ٢٨)، وهو ما كان يحدث في المعابد الوثنية التي تقدم الجنس كعبادة.

٢ - بالنسبة للأمم التي لم يعطها الله شريعة كالتي أعطاهاموس فإنه " كل من أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك. وكل من أخطأ في الناموس فبالناموس يُدان ... لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس، متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس، فهو لاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم، الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم، شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشككة أو محتجة، في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي يسوع المسيح " (روا: ١٢ - ١٦).

٣ - إن الناموس لم يمكنه تغيير طبيعة الإنسان العارفة للشر " لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية، كما هو مكتوب: أنه ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد " (روا: ٩ - ١٢).

٤- إن الإنسان اليهودي حتى لو تمم كل أعمال الناموس فهذا لا يجعله مبرراً أمام الله بسبب معرفته للشر الذي ورثه عن آدم " لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه. لأن الناموس معرفة الخطية ... أم الله لليهود فقط؟ أليس للأمم أيضاً؟ بلى، للأمم أيضاً " (روا: ٢٠، ٢٩).

كما أن الوعد الذي صار لإبراهيم لم يكن على أساس الناموس " فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثاً للعالم، بل ببر الإيمان. لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة، فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد " (روا: ١٣ - ١٤).

٥ - لقد صارت عقوبة آدم بالموت على كل نسله حتى الذين لم يخطئوا بخطيته، أما فداء السيد المسيح فقد صار لرفع هذه العقوبة وتغيير طبيعة الإنسان العارفة للشر بالإضافة إلى التكفير عن الخطايا الكثيرة التي يكون قد اقترفها الإنسان " كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع ... فإذاً كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة، هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس، لتبرير الحياة. لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبراراً ... حتى كما ملكت الخطية في الموت، هكذا تملك النعمة بالبر، للحياة الأبدية، بيسوع المسيح ربنا " (رو ٥ : ١٢، ١٨ - ١٩، ٢١).

أما إذا سأل إنسان " فلماذا الناموس ؟! قد زيد بسبب التعديّات، إلى أن يأتي النسل الذي قد وُعد له ... لأنه لو أُعطي ناموس قادر أن يُحيي، لكان بالحقيقة البرُّ بالناموس ... إذاً قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح، لكي نثبّر بالإيمان. ولكن بعدما جاء الإيمان، لسا بعد تحت مؤدب. لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأن كلّم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح: ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبدٌ ولا حرٌ ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع. فإن كنتم للمسيح، فأنتم إذاً نسل إبراهيم، وحسب الموعد ورثة " (غل ٣ : ١٩ - ٢٩).

٦ - إن الإيمان بيسوع المسيح ونوال المعمودية باسمه هو الذي عن طريقه تتغير الطبيعة الإنسانية، فوق أنه يعفيها من الموت الأبدي وبذلك تنتهي هذه الطبيعة البشرية للقداسة التي بدونها لا يستطيع أحد أن يقف أمام الله (عب ١٢ : ١٤)، " كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدُفِنَ معه بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات، بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جِدَّة الحياة؟ لأنه إن كنا قد صرنا متّحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته. عالمين هذا: أن إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه ليُبطل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية ... فإن الخطية لن تسودكم، لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة ... وأما الآن إذاً أُعتقتم من الخطية، وصرتم عبيداً لله، فلكم ثمركم للقداسة، والنهاية حياة أبدية. لأن أجره الخطية هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا " (رو ٦ : ٣ - ٢٣).

٧ - إنه بدون الإيمان بفداء السيد المسيح وبدون حصول الإنسان على موهبة الروح القدس فلا هو يقدر على هزيمة الخطية، كما أنه يستحيل عليه الوقوف أمام الله

"إذا أجد الناموس لي حينما أريد أن أفعل الحسنى أن الشر حاضر عندي. فإني أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن. ولكنني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني، ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي. ويحيي أنا الإنسان الشقي! من ينقذني من جسد هذا الموت؟ ... إذا لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح. لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت. لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه، في ما كان ضعيفاً بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، ... دان الخطية في الجسد، لكي يتم حكم الناموس فينا، نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح ... لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله، إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله، لأنه أيضاً لا يستطيع. فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله ... لأنه إن عشم حسب الجسد فستموتون، ولكن إن كنتم بالروح تميّتون أعمال الجسد فستحيون ... إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ: يا أبا الآب. الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو ٨: ٢١-٢٥، ١٧).

وعلى ذلك فالمسيحية هي دعوة للقداسة وبنوة لله وليست دعوة لمكارم الأخلاق وكانت هذه القداسة استعلاناً لسر الآب والابن والروح القدس.

الآب والابن والروح القدس، وهزيمة الشر

العظة (٢٧)

الإنسان منذ السقوط إلى التقديس

إذا ما استرجعنا ما ذكرناه عن التبرير والتقديس وهزيمة الشيطان وهزيمة الخطية والحياة الأبدية، يمكننا بسهولة الاستدلال أن استعلان سر الآب والابن والروح القدس يؤدي في النهاية إلى تهيئة الإنسان لنعمة القداسة لكي يؤهل أن يحيا حياة ملائكية بعد نهاية الحياة على الأرض، ويمكننا الآن أن نتابع وضع الإنسان منذ سقوطه إلى أن يؤهل لحياة القداسة.

أولاً : الإنسان منذ السقوط إلى ظهور الناموس :

١- كان على الإنسان حكم الموت الذي ينهي الحياة الجسدية للإنسان فيعود إلى التراب.
٢- صار للإنسان معرفة الشر حتى لو لم يَقُمْ بفعله، وهو ما أُطلق عليه "عبودية للخطية" (روا: ٦: ١٧). رغم أن ذلك لم يمنع بعض الأشخاص لمحاولة انفلات الإنسان عن هذه العبودية، إما بسبب استشعار الإنسان أن هناك إلهاً يراقبه مثل يوسف الصديق، وإما بسبب نزوع الإنسان نزوعاً أخلاقياً فأوجد مبادئ أخلاقية رفيعة مثل بوذا وزرادشت.

٣- انفصال الإنسان عن المعرفة الحقيقية لله، فأوجد ذلك من يحاول إنكار وجوده ليستبيح لنفسه فعل الشرور بلا عائق، أو محاولة التقرب إليه إما اتقاءً لعقابه أو محاولة لتحقيق رغبات يعجز أمامها بقوته الإنسانية. وفي كل الأحوال كان هذا إظهاراً لعجز الإنسان عن الوصول إلى معرفة الله بفكره أو عزيمة، مما يجعل أي معرفة حقيقية لله يلزم أن تكون بمبادرة إلهية.

٤ - فقد الإنسان معرفة مصيره الحقيقي بعد الموت، فصار هناك من يقول نأكل ونشرب لأننا غداً نموت (مثل الأبيقورية) أو من حاول حفظ الجسد الإنساني على أمل أن تعود الحياة إليه مرة أخرى (مثل قدماء المصريين).

٥ - كانت معرفة الشر في حد ذاتها عائقاً لقدرة الإنسان أن يُرضي الله، خاصة أن الشيطان الذي أطاعه الإنسان الأول - جعل له سيطرة على قوى الإنسان الجسدية والنفسية.

٦ - كان خضوع الإنسان لمعرفة الشر وخضوعه لسيطرة الشيطان الشريرة ما جعله عاجزاً تماماً عن إرضاء الله مما أُطلق عليه "عداوة لله" (روا: ٨: ٧). وبالتالي استلزم إصلاح الطبيعة البشرية الخاطئة والسيطرة على قدرة الشيطان الشريرة. ومن الواضح أن الإنسان لا يملك قدرة على ذلك.

٧ - كان هذا الوضع البائس للإنسان سبباً أن يهلك الله البشر الأشرار مرةً بالطوفان (تك٧، ٦). ومرةً أخرى بإحراق مدن بأكملها مثل سدوم وعمورة (تك ١٩).

ثانياً: الإنسان بعد معرفة الناموس إلى السيد المسيح:

١ - بدأ التمهيد للناموس بوعد إلهي لإبراهيم أن يرث نسله ملكوتاً على الأرض، وتثبت

هذا العهد بعلامة في الجسد وهى ختان الغرلة، ثم تأكد العهد بنسل أتى من رحم امرأة قد صارت إلى الشيخوخة ومات رحمها.

٢ - صنع الله معجزات سمائية عجيبة ليُدرِك نسل إبراهيم أن الله ميزه عن بقية الشعوب ورغم ذلك تمرّد الشعب على الله وعلى موسى نبيه مما دعا الله إلى عقابهم بصور متنوعة.

٣ - أعطى الله ناموساً أدبياً لهذا الشعب وسلّمه لموسى بصورة معجزية كان الشعب فيها شاهداً عليها بعينيه إلى درجة الخوف، وكان هذا الناموس سبباً للعنة لمن لم يتممه، فكان الناموس مجرد مؤدّب للإنسان وليس شافياً لضعفه أمام الخطية.

٤ - أظهر الله شريعة للتكفير عن خطايا الإنسان أو التعدي على الناموس وذلك بذبائح دموية امتداداً لمعرفة الإنسان للذبيحة منذ آدم وهابيل ولكن هذه الذبائح حملت صورة تفصيلية لمعانٍ رمزية للتكفير عن الخطايا والشكر لله ولها أهداف تحققت في استعلان سر الآب والابن والروح القدس.

٥ - أقام الله كهنوتاً خاصاً للشريعة الموسوية ومكاناً خاصاً للعبادة حتى يتميز الشعب عن بقية الشعوب الوثنية التي حوله، كما منع الاختلاط بهم.

٦ - جعل هذا الوضع ما يشبه العداوة بين شعب اليهود وبقية الأمم، وظن اليهود أن تمييز الله لهم ليس حباً لبقية الشعوب، ولم يدرك الأهداف وراء هذا التمييز، رغم إرسال الله لعدد من الأنبياء ليشرحوا لهم سبب تمييزهم وهو أن الله سوف يتجسد في وسطهم وأنهم سوف ينكرونه وبذلك يكون ذبيحة سمائية للتكفير عنهم وعن بقية الأمم.

٧ - رغم كل هذا التمييز وامتلاك الأرض التي وعد بها الله لأبائهم إبراهيم ورغم مبادئ الناموس التأديبية وذبائح التكفير الدموية، أغضب هذا الشعب الله بأفعاله وبالانحراف عن عبادته مما دعا الله أن يسببهم من هذه الأرض، ولكن بسبب وعوده لأبائهم ولتحقيق الغرض من التجسد في وسطهم أعادهم مرة أخرى إلى موقعهم.

ثالثاً: تجسد الابن الوحيد الجنس وتقديس الإنسان:

١- كان تجسد الابن الوحيد الجنس من الروح القدس والعذراء مريم هو حضوراً إلهياً منظوراً وملموساً ليتكلم الله مع الإنسان، ويعلن أهداف الله من خلقه الإنسان، بعد أن ثبت عجز الإنسان عن الوصول لهذه الحقيقة.

٢- أوجد هذا التجسد إنساناً قدوساً بلا خطية ولا يخضع لسلطانها الذي توارثه البشر عن أبيهم آدم، ولم يكن من نسل آدم رغم ظهوره كإنسان فلم يكن عليه حكم الموت الذي على آدم ونسله.

٣- أظهر هذا التجسد صورة للإنسان كما يريد الله وبذلك أهّل البشر للبشارة لله. ٤- أوجد هذا التجسد إنساناً لم يكن عليه حكم الموت، ولم يكن للموت سلطاناً عليه لأنه هو الله خالق الحياة، وبذلك أصبح هو النموذج المثالي للذبيحة الحقيقية يمكنها رفع حكم الموت عن الإنسان، كما يمكنها تقديس الإنسان إذا ما اشترك في ذبيحته، ولهذا قدم هذه الذبيحة بصورة خبز وخمر قبل أن يتقدم إلى الصليب مباشرة ليكون للإنسان شركة فيه للتقديس.

٥ - بذبيحة السيد المسيح صارت " المصالحة " (رو٥: ١٠)، (٢كو٥: ١٨ - ١٩) بين الله والإنسان، وصارت المصالحة بين شعب اليهود وبقية الشعوب، وصار ختان العهد مع إبراهيم ختانياً لطبيعة الإنسان الخاضعة للشر بختان الروح القدس، وأصبح السيد المسيح ذبيحة حقيقية رافعة لحكم الموت عن الإنسان حيث كان هو القدوس الذي بلا خطية، وبذلك تحققت المقاصد من إعلان الله عن الذبائح لبني إسرائيل وتحققت رموز الفصح والحياة النحاسية، والخبز النازل من السماء، والميراث السماوي بديلاً للملكوت الأرضي، وصارت هذه النعمة موهوبة لكل البشر.

٦ - كان موت السيد المسيح على الصليب انفصلاً للنفس الإنسانية التي له والمتحدة بلاهوته عن الجسد المتحد بلاهوته ومن خلال ذلك نزل السيد المسيح إلى البشر الذين ماتوا وأرضوا الله بأعمالهم وأولئك الذين ماتوا على الرجاء من العهد القديم فأعتقهم من الجحيم ونقلهم إلى الفردوس مع اللص اليمين الذي آمن به وهو مصلوب. وكان الفردوس هو مكان انتظار النفوس البارة إلى أن تنتهي

الحياة على الأرض بمجيء السيد المسيح للدينونة. وبهذا بدأ يتكشف مصير الإنسان الأبدي.

٧ - كانت قيامة السيد المسيح من الموت نتيجة طبيعية لسلطانه اللاهوتي، ولكنه قام بجسد القيامة بالصورة التي سوف يتخذها البشر بعد أن يعودوا إلى التراب، وظهر بهذه الصورة المجددة لتلاميذه ليكونوا شهوداً لها، وبذلك أوضح الصورة التي ستكون للإنسان بعد نهاية الأرض، وبصعوده إلى السماء على مرأى من التلاميذ، ثم إرساله للروح القدس آخذاً صورة مرثية مسموعة، جعل البشر في حالة التقديس التي صارت لهم بقبول المعمودية السيد المسيح والدفن فيها والقيامة معه وأصبحت المعمودية هي العلامة المادية لخلع ضعف الجسد أمام الخطية، وأخذ السلطان الذي للروح القدس لمواجهة الشيطان، وأصبح الإنسان هيكلًا لله بالروح القدس، وصار ناموس الله ساكنًا في الإنسان بتجديد طبيعته وخلعه الإنسان العتيق، وتحقق شرط السيد المسيح لميلاد الإنسان ثانية من الماء والروح. وصار الروح القدس في الإنسان عربوناً للحياة الأبدية، وصارت ثمار الروح القدس هي التي تقود الإنسان في علاقته بالله والناس، وصار المؤمنون جسداً واحداً في المسيح برباط الروح القدس. وأصبح السيد المسيح في السماء رئيساً للكهنة الذين يقدمون ذبيحة على الأرض كخبز وخمر، وصار بذلك شقيقاً عن جنس البشر إلى أن تنتهي الأرض ويأتي لدينونة البشر كل واحد حسب عمله خيراً أم شراً، إيماناً أم إنكاراً، وقد أطلق الآباء الرسل على هذا العمل الخلاصي للإنسان باستعلان سر الآب والابن والروح القدس، وتجسد الابن، وانسكاب الروح القدس على البشر المؤمنين، وثمر الروح الذي يظهر في سلوك الإنسان، ومعرفة الإنسان لمصيره الأبدي، سُمي هذا كله بعمل النعمة (تي ٢: ١١). وينالها الإنسان بالإيمان وعمل المعمودية ثم الثبات في المسيح بجسده ودمه.

وتعددت التعبيرات التي تشرح هذا العمل الخلاصي بأنه " ختان القلب بالروح " أو " الميلاد من فوق " أو " المصالحة مع الله " أو " الخليقة الجديدة " أو " الصلب مع المسيح " أو " الدفن والقيامة معه " أو أن الإنسان صار " هيكلًا معه بالروح القدس "

أو " ثبات في المسيح " أو " ثبات في الروح القدس " أو " السلوك بالروح " أو " لبس للمسيح " أو " سفراء عن المسيح " أو " أولاد نور أبناء نهار " أو " قديسين ". وبينما سُمي ناموس موسى في العهد القديم " بناموس الخطية " أي الناهي عنها أو " ناموس الموت " بسبب عجزه عن شفاء الإنسان من مرض الخطية ، سُمي الإيمان بخلاص السيد المسيح وعمل الروح القدس في الإنسان " بالناموس الملوكي " أو " ناموس الحرية " أو " الناموس الكامل " أو " ناموس الإيمان " أو ما عبّر عنه السيد المسيح بقوله: " فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً " (يوحنا ٨ : ٣٦).

الآب والابن والروح القدس، وهزيمة الشر

العظة (٢٨)

الآب والابن والروح القدس، بين ثمار الروح والأخلاق

إذا ما راجعنا طريق الإنسان الذي سار فيه منذ السقوط إلى انسكاب الروح القدس على الإنسان كما ذكرنا في العظة السابقة يمكننا الخروج بحقائق بالغة الأهمية بالنسبة لاستعلان سر الآب والابن والروح القدس والسلوك الإنساني ونهاية الإنسان الأبدية:

١- إن سر الآب والابن والروح القدس ليس هو بالقضية التي نحاول إثباتها بالأدلة والبراهين والإقناع الفكري، أولاً: لأن جوهر الله يرتفع عن فكر الإنسان الترابي ولا يمكن حصره في مفاهيم إنسانية، ثانياً: لأن وحدانية الله هي نهج منطقي للإنسان العاقل الحكيم ولا تحتاج إلى مناقشات ومزايدات، ولكن عظمة هذا السر تكمن فيما يغيّر الطبيعة البشرية من الداخل بصورة لا يدركها سوى من حَصَلَ عليها، حسب قول السيد المسيح: " سلامي أُمطِكم. ليس كما يعطي العالم أُعطيكم أنا " (يوحنا ١٤ : ٢٧). وهو ما سبق وأُطلق عليه " النعمة " أو " الهبة " التي يصير الدخول إليها بالإيمان لعمل السيد المسيح الخلاصي، ولأن هذا التغيير الداخلي يتم بعمل إلهي في قلب الإنسان فمن المستحيل أن يحصل عليه الإنسان بدون توبة. ومن الواضح أن

التوبة هنا لا تعني عدم فعل الخطية بل اشتياق الإنسان الحقيقي أن يحيا بلا خطية بصرف النظر عن انتظار مكافأة لذلك، حسب قول السيد المسيح: "لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة" (مت ٩: ١٣). ولهذا نجد أن كل الذين حاولوا الدخول إلى سر الآب والابن والروح القدس بإدراكات عقلية دون أن يسعوا أساساً إلى الحياة في التوبة، انحرفوا بذلك إلى هرطقات مختلفة أعثرت كثيراً من الناس.

٢- إن الإنسان حسب استعلان سر الآب والابن والروح القدس حينما يصير الإنسان "هيكلاً لله" وحينما تتجدد طبيعته الخاضعة لمعرفة الشر بالموت والقيامة مع المسيح فهذه حقائق يتفرد بها الإيمان المسيحي، تجعله يقف أمام الخطية وإغراءات الشيطان بثبات إلهي يفوق قدرة البشر، ولهذا نسمع في الإيمان المسيحي فقط هذه التعبيرات " لأجل هذا أظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس. كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية " (١ يوح ٣: ٨ - ٩). وبتعبير آخر " أن ذاك أظهر لكي يرفع خطايانا، وليس فيه خطية. كل من يثبت فيه لا يخطئ. كل من يخطئ لم يبصره ولا عرفه " (١ يوح ٣: ٥ - ٦). وفي تعبير آخر " وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً " (رو ١٦: ٢٠).

وعلى هذا فالسلوك حسب المسيح ليس بقدرة بشرية بل بمعونة إلهية. ناشئة من استئصال بذرة الشر الكامنة في الإنسان والموروثة من الإنسان آدم الأول وذلك بالميلاد الجديد من آدم الثاني الرب من السماء.

٣- من الواضح الآن تماماً أن السلوك حسب المسيح أو ما يسمى " بثمار الروح القدس " في الإنسان يختلف تماماً عما يسمى بالدعوة إلى " الأخلاق "، فالمسألة الأخلاقية هي حقيقة اجتماعية تنطبق على أي إنسان أياً كان اعتقاده الإيماني. هذا فوق أن السلوك بالروح يفوق المبادئ الأخلاقية الاجتماعية، كمن يقارن العمل الإلهي بالعمل الإنساني، ولهذا لا نجد أن كلمة " الأخلاق " تُذكر في الكتاب المقدس سوى مرة واحدة في سياق اجتماعي وذلك بقوله: " فإن المعاشرات الرديّة تفسد الأخلاق الجيدة " (١ كو ١٥: ٣٣).

٤- إن استعلان سر الآب والابن والروح القدس وسُكنى روح الله في الإنسان يعطي الإنسان ما يسمى " عربون الروح " لأنه بجانب أنه يجعل الإنسان صامداً أمام

الخطية والشيطان بقوة الروح فهذا يُوجد في الإنسان رجاء في حياة سمائية بعد خلع الجسد الترابي تخلو من الشهوات الطبيعية الجسدانية، وتخلو من الضعف الإنساني الذي يحيا به على الأرض، وتتفوق عن الإحساس بشبع أو لذة جسمانية، وهو إحساس لا يمكن أن يرتقي إليه الإنسان إلا بعمل داخلي بروح الله القدوس القادر على كل شيء، ويكون هذا إحساساً داخلياً يعلو عن مستوى التفكير أن يكون ذلك مكافأة، بل إحساساً بارتباط الانسان بالله خالقه.

٥ - إن استعلان سر الأب والابن والروح القدس " وختان قلب الإنسان بالروح القدس " - وكلمة الختان هنا تعطي دلالة لعهد الله مع الإنسان في العهد القديم - فإن ذلك يخلق في قلب الإنسان ناموساً يفوق الناموس المكتوب، لأنه ليس مجرد نهي عن الأفعال الشريرة بل شفاء للإنسان من داء الخطية الأولى، ولهذا فهي لا تقاس بأوامر ونواهي، بل هي دافع محبة داخلي يحكم سلوك الإنسان تجاه الله والناس كرد فعل طبيعي لمحبة الله التي منحت الإنسان هذه العطية. لهذا نسمع في المسيحية تعبيراً عجيباً يعلو كثيراً عن مستوى الحلال والحرام وهو القول " كل الأشياء حل لي، لكن ليس كل الأشياء توافق " (١ كو ٦ : ١٢). بمعنى أنه يمكن أن يكون هناك عملاً حلالاً، لكن القيام به لا يتفق مع المستوى الروحي الذي يحيا به الإنسان، فيوافق ذلك قول السيد المسيح: " أحبوا أعداءكم ... صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ... من أخذ رداءك فلا تمتعه ثوبك أيضاً ... ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه ... وإن أحببتم الذين يحبونكم، فأى فضل لكم؟ فإن الخطاة أيضاً يحبون الذين يحبونهم " (لو ٦ : ٢٧ - ٣٢).

٦ - إن استعلان سر الآب والابن والروح القدس وتجسد الابن ليكون رأساً للكنيسة ويكون المؤمنون به أعضاء في جسده بالروح القدس الواحد الذي فيهم، فهذا يخلق ارتباطاً إنسانياً بين البشر برباط إلهي يفوق كل الدساتير والتشريعات الإنسانية والروابط الاجتماعية بما يفوق التعامل الاجتماعي بين البشر. وهو يوحد بين الأعراق والأجناس والسادة والخدام والرجال والنساء وبملاً الأرض سلاماً.

٧- بقيت حقيقة هامة أن كل ما سبق قوله عن هذه العطية التي لاستعلان سر الآب والابن والروح القدس لا تمنع حرية الإرادة في الإنسان في أن " يطفئ الروح " (١٩: ٥).

أو " يحزن الروح " (أف ٤ : ٣٠) الساكن فيه بأعمال خاطئة أو ما أطلق عليه السيد المسيح " التجديف على الروح القدس " (مت ١٢ : ٣١) فإن هذا يسلب الإنسان سلاحه ضد الخطية والشر، فينطبق عليه قول بطرس الرسول: " لأنه إذا كانوا، بعدما هربوا من نجاسات العالم، بمعرفة الرب والمُخلص يسوع المسيح، يرتبكون أيضاً فيها، فينقلبون، فقد صارت لهم الأواخر أشراً من الأوائل. لأنه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر، من أنهم بعد ما عرفوا، يرتدون عن الوصية المقدسة المُسلمة لهم. قد أصابهم ما في المثل الصادق: كلب قد عاد إلى قيئه، وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة " (٢ بط ٢ : ٢٠ - ٢٢)، أما إذا أنكر الإنسان الإيمان فينطبق عليه قول بولس الرسول: " فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا، بل قبول دينونة مخيف، وغيره نار عتيدة أن تَأْكُل المضادين. مَنْ خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رَأْفَةٍ. فكم عقاباً أشد تظنون أنه يُحسب مستحقاً من داس ابن الله، وحسب دم العهد الذي قُدِّس به دنساً وازدري بروح النعمة " (عب ١٠ : ٢٦ - ٢٩).

الآب والابن والروح القدس، وسلوك الإنسان

العظة (٣٩)

العجز الإنساني

إذا ما استرجعنا مظاهر السلوك الإنساني في الحياة مما سبق واستعرضناه يمكننا أن نصل إلى الحقائق الآتية:

١ - نموذج الخوف من الله ، كمثل ما قال آدم: " سَمِعْتُ صوتك في الجنة فَخَشِيتُ لأنِّي عريان فاخْتَبَأْتُ " (تك ٣ : ١٠).

٢ - نموذج الإنسان المتبجِّح رغم علمه بالخطأ ، مثل قايين قاتل أخيه حينما سأل الله عنه فيجيب: " لا أعلم! أحارس أنا لأخي؟ " (تك ٤ : ٩).

٣ - نموذج الناس الأشرار الذين لم يكن لهم سبيل لإصلاحهم ، فأهلكهم الله بالطوفان (تك ٦) أو أحرقهم بالنار والكبريت مثل أهل سدوم وعمورة (تك أصحاح ١٩).

٤ - نموذج الذين يدركون مراقبة الله لأفعالهم مثل يوسف الصديق، الذي قال: "كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله؟" (تك ٣٩: ٩).

٥ - كما ذكرنا سلوك بعض الشعوب الوثنية التي تقترب إلى الله اتقاء لعقابه أو لمطلب يعجز الإنسان عن تحقيقه.

٦ - كما ذكرنا أيضاً النماذج الأخلاقية الرفيعة لبعض المصلحين من البشر مثل بوذا وزرداشت الذين وضعوا نواميس أدبية عالية لسلوك الإنسان.

٧ - ثم رأينا الناموس الذي كتبه الله بإصبعه لموسى على الحجر وكان بنوا إسرائيل شهوداً لهذا العمل العظيم. وفي كل هذه النماذج سواء الشرير منها أو الصالح يظهر فيها هذا الضعف الإنساني أمام سلوك يرتضيه الله. حتى هؤلاء الذين يحاولون أن يرضوا الله بأفعالهم نجد منهم من يتفاخر على إخوته من البشر بسبب اعتقاده أنه أفضل منهم، أو من يظن أنه بفعل حسن يمحو آثار فعل سيئ، أو من يتصور أن الله يكافئ الإنسان الصالح بلذات جسدية وخيرات مادية حال موته وقيامته مثل عقيدة "ماني الفارسي"، أو من ينكر وجود الله تماماً ليستبيح لنفسه الشرور، أو من لا يؤمن ببعث أو قيامة فيقول نأكل ونشرب لأننا غداً نموت مثل الأبيقوريين^(١).

ويصف الآباء الرسل هذا الوضع البائس للإنسان في مواقع مختلفة بقوله: "فجور الناس ... الذين يحجزون الحق بالإثم. إذ معرفة الله ظاهرة فيهم، لأن الله أظهرها لهم، لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم ... لأنهم لمَّا عرفوا الله لم يمجّدوه أو يشكروه ... وأظلم قلوبهم الغبي ... وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى، والطيور، والدواب والزحافات. لذلك أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة، لإهانة أجسادهم بين ذواتهم" (روا ١٨: ٢٤).

"لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية، كما هو مكتوب: أنه ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد" (روا ٩: ١٢).

(١) انظر كتاب المسيحية والتاريخ الجزء الأول للمؤلف ص ٧٩

"فإني أسرُّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن. ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني، ويسببني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي. ويحيي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت؟" (رو ٧: ٢٢ - ٢٤).

"يسلك سائر الأمم أيضاً يبطل ذهنهم، إذ هم مظلّموا الفكر، ومتجنّبون حياة الله لسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم. الذين - إذ هم فقدوا الحسّ - أسلموا نفوسهم للدّعارة ليعملوا كل نجاسة في الطّمع" (أف ٤: ١٧-١٩)، وحتى الناموس أيضاً الذي كان وصية مكتوبة من الله كان أحياناً سبب لعنة للإنسان لمن لا يتممه (غل ٣: ١٠)، كما كان سبب عثرة لمن يتصور أن العمل بالناموس يجعل الإنسان غير محتاج إلى تبرير الفداء أو رفع حكم الموت (رو ٩: ٣٠ - ٣٣).

كما أن الآباء الرسل كان لهم نظرة أبعد في سلوك الإنسان بقولهم: "أما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء، فيسقطون في تجربة وفحّ وشهوات كثيرة غبية ومضرة، تفرّق الناس في الغتّب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور، الذي إذا ابتغاه قوم ضلّوا عن الإيمان، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة" (١ تي ٦: ٩-١٠)، أو كما يقول يعقوب الرسول: "محبة العالم عداوة لله" (يع ٤: ٤).

وهكذا نرى احتياج الإنسان وعوزة لتغيير طبيعته الداخلية، حسب ما سبق وتكلّمنا في موضوعات التبرير والتقديس وهزيمة الشيطان والخطية، وكذلك ضرورة التدخّل الإلهي حتى يصبح سلوك الإنسان بحسب عمل المسيح الداخلي وشدة قوته بالروح القدس، كما يتمّ أيضاً بمحبة من الإنسان تجاه الله والناس، وبذلك يحقق شروطاً وضعها السيد المسيح أولها "إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات" (مت ٥: ٢٠)، رغم أن الكتبة والفريسيين كانوا يبالغون في تنفيذ وصايا الناموس بكل دقة، وكذلك أيضاً أكّد الآباء الرسل وصية السيد المسيح: "كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل" (مت ٥: ٤٨)، وأيضاً قوله: "ليس كل من يقول لي: يارب، يارب! يدخل ملكوت السموات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات، كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يارب، يارب! أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أُصرّح لهم: إني لم أعرفكم قطّ! اذهبوا عني يا فاعلي

الإثم!" (مت ٢١: ٢٣). وهكذا نرى أن مجرد الإيمان بوجود الله أو وحدانيته غير كافٍ لتغيير الإنسان، وحتى وجود وصية إلهية مكتوبة فإنه غير كافٍ لتغيير الإنسان. ولكن الإنسان محتاج لاستعلان سر الآب والابن والروح القدس الذي من خلاله يتبرر الإنسان من حكم الموت وتغيير طبيعته العارفة للشر بقبول تقديس الله الذي ظهر في المسيح وذلك في المعمودية بالموت والقيامة معه. ثم ثباته في الابن بالروح القدس، وهكذا يسلك الإنسان بقوة الروح القدس الساكن فيه وباتحاده في جسد الرب ودمه من على مذبح الكنيسة. وهنا يكون الإنسان شهادة لعمل الله فيه وسفيراً عن المسيح أمام البشر، أو حسب قول السيد المسيح: "ليروا أعمالكم الحسنة، ويمجّدوا أباكم الذي في السموات" (مت ٥: ١٦).

الآب والابن والروح القدس، وسلوك الإنسان

العظة (٤٠)

العمل الإلهي

رأينا فيما سبق هذا العجز الإنساني المطبق في إرضاء الله بإرادة إنسانية حتى ولو كان مصدر الأمر إلهياً، كمثال ناموس موسى. وهكذا رأينا ضرورة استعلان سر الآب والابن والروح القدس وتجسد الابن ليكمل صورة الإنسان أمام الله ويزيل عجزه بتغيير طبيعته الوارثة للشر فيمنحه خليفة جديدة فيه بالروح القدس، كما رأينا أن هذا ضرورة حتمية لإرضاء الله. وهكذا نشهد ارتباطاً وثيقاً بين استعلان الجوهر الإلهي كآب وابن وروح قدس وتقديس الإنسان، لأن مجرد الإيمان بوجود الله ووحدانيته دون استعلان سر الآب والابن والروح القدس لا يجعل هناك ارتباطاً بين سلوك الإنسان وبين الإيمان بوجود الله، حتى لو كان هناك وصايا إلهية للسلوك الإنساني لتأديب الإنسان أو منع غضب الله عليه، فإن ذلك لا يمنحه القدرة على تنفيذ هذه الوصايا، بل أنها ربما تجعل للإنسان نظرة نفعية في تنفيذ الوصية أكثر منها رباط محبة بين الله والإنسان. كما أن مجرد الوصية يُظهر عبودية للإنسان، أما استعلان سر الآب والابن والروح القدس فيعطي شركة وبنوة لله. وقد سبق وشرحنا

كيفية خطة الله التي وصفها لتبرير الإنسان وتقديسه ومنحه القدرة على هزيمة الشيطان والخطية ويمكننا هنا إظهار كيف شرح الآباء الرسل هذا العمل الإلهي في الإنسان من وجوهه المختلفة:

١ - أظهر الآباء الرسل أن هدف الله من الإنسان قبل خلقته هي تقديسه حتى يمكنه الوقوف أمام الله... "مبارك الله أبوربنا يسوع المسيح، الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لتكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة، إذ سبق فعيّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه" (أف ١: ٣-٥).
"لأن هذه هي إرادة الله: قداسكم" (١ تس ٤: ٣).

"أن الله اختاركم من البدء للخلاص، بتقديس الروح وتصديق الحق. الأمر الذي دعاكم إليه بإنجيلنا، لاقتناء مجد ربنا يسوع المسيح" (٢ تس ٢: ١٣-١٤).

٢ - لما كان التقديس لا بد أن يكون عملاً إلهياً هكذا تجسد الابن الوحيد الجنس ليأخذ صورة إنسان من الروح القدس والعذراء مريم، وذلك ليجعلنا خليقة جديدة فيه بالروح القدس حتى حينما نموت ونقوم معه في المعمودية فإننا ننال عطية الروح القدس ...

"لأجل هذا أظهر ابن الله لكي ينقّض أعمال إبليس" (١ يو ٣: ٨).

"الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليُبطل الخطية بذبيحة نفسه" (عب ٩: ٢٦).

"حين ظهر لطف مُخلصنا الله وإحسانه - لا بأعمال في برّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته - خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبهُ بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا. حتى إذا تبرّرنا بنعمته، نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية" (تي ٣: ٤-٥).

"الذي خلّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح، الذي أبطل الموت وأثار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل" (١ تي ١: ٩-١٠).

"الذي حمّل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر الذي بجلده شقيتم" (١ بط ٢: ٢٤)، "ذاك أظهر لكي يرفع خطايانا، وليس فيه خطية. كل من يثبت فيه لا يخطئ. كل من يخطئ لم يُبصره ولا عَرَفه" (١ يو ٣: ٥-٦).

"الذي بذل نفسه لأجل خطايانا، لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأيينا" (غل ١: ٤).

"الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح، بالنعمة أنتم مخلصون" (أف ٢: ٤-٥).

"أنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر، في الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن في جسم بشرته بالموت، ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه" (كو ١: ٢١-٢٢).

"عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، معروف سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم" (بط ١: ١٨-٢٠).

"لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين، يقدس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي بروح أزلّي قدم نفسه لله بلا عيب، يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي!" (عب ٩: ١٣-١٤).

٣ - لا بد من توبة الإنسان لقبول هذه العطية "إن قلنا: إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم. إن قلنا: أننا لم نخطئ نجعله كاذباً، وكلمته ليست فينا" (يو ٨: ١٠).

٤ - كان التجسد الإلهي لابن الله الوحيد الجنس هو العامل الأساسي في منح هذه العطية للإنسان:

"فإن قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشتراك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس، ويعتق أولئك الذين - خوفاً من الموت - كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية" (عب ٢: ١٤-١٥).

"مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ" (غل ٢: ٢٠).
"مدفونين معه في المعمودية، التي فيها أقمتهم أيضاً معه بإيمان عمل الله، الذي أقامه من الأموات" (كو ٢: ١٢).

"لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته. عالمين هذا: أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية" (رو ٦: ٥-٦).

٥ - كان فداء السيد المسيح على الصليب إنقاذاً من حكم الموت الذي على الإنسان الذي حلت عليه لعنة الناموس بسبب ضعفه أمام الخطية وأمام الوصية ، وبذلك يتم الإنسان ناموس الله بقوة السيد المسيح الذي أعتقه من جسد الخطية وقدس به بالروح القدس: " لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه، في ما كان ضعيفاً بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد، لكي يتم حكم الناموس فينا، نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح " (رو ٨ : ٣ - ٤).

" المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون كل من عُلّق على خشبة^(١). لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح، يسوع لننال بالإيمان موعد الروح " (غل ٣ : ١٣ - ١٤).

" إذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغُلّف جسديكم، أحياكم معه، مسامحاً لكم بجميع الخطايا، إذ محّا الصلّك الذي علينا في الفرائض، الذي كان ضدّاً لنا، وقد رَفَعَهُ من الوسط مُسَمِّراً إياه بالصليب " (كو ٢ : ١٣ - ١٤).

" به أيضاً خُتِنْتُمْ خَتاناً غير مصنوع بيد، بخلع جسم خطايا البشرية، بختان المسيح " (كو ٢ : ١١).

٦ - كان هذا العمل الإلهي في الإنسان هو العهد الذي تعهد به الله للإنسان على فم عديد من الأنبياء:

"هذا هو العهد الذي أعهَدُهُ مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب أجعل نواميسي في أذهانهم، وأكتبها على قلوبهم، وأنا أكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً. ولا يُعَلِّمون كل واحد قريبه، وكل واحد أخاه قائلاً: اعرف الرب، لأن الجميع سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم. لأنني أكون صفوحاً عن آثامهم، ولا أذكر خطاياهم وتعدّياتهم في ما بعد " (عب ٨ : ١٠ - ١٢)، (إش ٤)، (إر ٣١)، (مي ٤)، (زك ٨).

٧ - هذا العمل الإلهي للسيد المسيح بالروح القدس الذي يناله الإنسان في المعمودية أُطلق عليه صفات متعددة تشرح فعاليتها في الإنسان مثل: " النعمة "، " الهبة "، " هزيمة الشيطان "، " هزيمة الخطية "، " التبرير "، " التقديس "، " ختان القلب بالروح " " الميلاد الثاني "، " الخليقة الجديدة "، " الإنسان هيكل لله بالروح القدس "،

(١) (تث ٢١ : ٢٣).

"الإنسان عذراء عفيفة للمسيح"، "خَلَعَ الإنسان العتيق"، "المصالحة مع الله"،
"بنوة للنور"، "بنوة لله"، "ثبات في المسيح بالروح القدس".

الأب والابن والروح القدس، وسلوك الإنسان

العضة (٤١)

الواجب الإنساني

ذكرنا مراراً سابقاً أن التوبة هي المفتاح لقبول السيد المسيح قادياً ومخلصاً وهي التي تدفع الله لجذب ذلك الإنسان للخلاص مهما كانت خطاياها وابتعاده. ولهذا يعلم الله الذين هم له أو الذين هم "مدعوون حسب قصده"، "لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكرًا بين إخوة كثيرين. والذين سبق فعينهم، فهو لاء دعاهم أيضاً. والذين دعاهم، فهو لاء برهم أيضاً. والذين برهم فهو لاء مجدّهم أيضاً" (رو ٨: ٢٩ - ٣٠).

الأمر الهام أن التوبة هي عمل مستمر حتى للذين قبلوا السيد المسيح حتى أن عدم التوبة يمكن أن يؤدي إلى كسر الإيمان نفسه "لك إيمان وضمير صالح، الذي إذ رفضه قوم، انكسرت بهم السفينة من جهة الإيمان أيضاً" (١ تي ١: ١٩).

مع ملاحظة أن حياة التوبة نفسها تحتاج إلى معونة إلهية "توبني فأتوب" (إر ٣١: ١٨). وهكذا يستعرض الآباء الرسل ما يجب على الإنسان عمله ليتم خلاصه وثباته في السيد المسيح، والحياة في سلام معه ومع الآخرين، والنمو في النعمة ومعرفة ربنا يسوع المسيح.

١ - في الحديث عن التوبة "إن كان أحدكم تعوزه حكمة، فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعير، فسيُعطي له" (يع ١: ٥).

"لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطتنا بنا، لنطرح كل ثقل، والخطية المحيطة بنا بسهولة، ولنحضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا، ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكملّه يسوع، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش الله" (عب ١٢: ٢ - ١٢).

"إذاً نقوا منكم الخميرة العتيقة، لكي تكونوا عجينةً جديدةً كما أنتم فطير" (١ كو ٥: ٧).

وكانت الخميرة تشير إلى الشر في العهد القديم لهذا كان اليهود يأكلون الخبز
فطيراً أي بدون خمير لمدة أسبوع بعد يوم الفصح.

"امتنحوا أنفسكم. أم لستم تعرفون أنفسكم، أن يسوع المسيح هو فيكم، إن لم تكونوا
مرفوضين؟" (٢ كو ١٣: ٥).

"إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما في العالم شهوة الجسد، وشهوة
العيون، وتعظم المعيشة، ليس من الآب بل من العالم" (١ يو ٢: ١٥ - ١٦).

"لأن الذي فيكم أعظم من الذي في العالم" (١ يو ٤: ٤).

"لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان، مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير، ومغتسلة أجسادنا
بماء نقي" (عب ١٠: ٢٢).

وكان رش الدم على المنجسين في العهد القديم يظهر نجاسة الجسد أما الاغتسال
بالماء فيشير إلى المعمودية.

"لأن من يزرع لجسده فيمن الجسد يحصد فساداً، ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد
حياة أبدية" (غل ٦: ٨).

"لا تقبلوا نعمة الله باطلاً. لأنه يقول: في وقت مقبول سمعتك وفي يوم خلاص أعنتك. هوذا
الآن وقت. مقبول هوذا الآن يوم خلاص" (٢ كو ٦: ١ - ٢).

"لأنه أية خلطة للبر والإثم وأية شركة للنور مع الظلمة" (٢ كو ٦: ١٤).

"لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور في الرب" (أف ٥: ٨).

٢ - ومع التوبة يبدأ السلوك بالروح:

"اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد. لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد،
وهذان يقاوم أحدهما الآخر، حتى تفعلون ما لا تريدون. ولكن إذا انقذتم بالروح فليست تحت

الناموس" (غل ٥: ١٦ - ١٨). "أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دُعيتُم بها" (أف ٤: ١).

"نشهدكم لكي تسلكوا كما يحق لله الذي دعاكم إلى ملكوته ومجده" (١ تس ٢: ١٢).

"اسلكوا كأولاد نور. لأن ثمر الروح هو في كل صلاح وبر وحق" (أف ٥: ٨ - ٩).

"اسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا، قرباناً وذبيحة لله
رائحة طيبة" (أف ٥: ٢).

" كما قبلُتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه " (كو ٢: ٦).

" امتلئوا بالروح " (أف ٥: ١٨).

" لا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء " (أف ٤: ٣٠).

" إن كنتم بالروح تميّتون أعمال الجسد فستحيون " (رو ٨: ١٣).

٢ - ثم يجاهد الإنسان بقوة الروح ضد الخطية والشر:

" البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدرُوا أن تثبتوا ضد مكاييد إبليس. فإن مصارعنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات " (أف ٦: ١١ - ١٢).

" احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدرُوا أن تقاوموا في اليوم الشرير، وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا. فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق، ولايسين درع البر. وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام. حاملين فوق الكل ترس الإيمان، الذي به تقدرُون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة. وخذوا خوذة الخلاص، وسيف الروح الذي هو كلمة الله. مُصلّين بكل صلاة وطلبية كل وقت في الروح، وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبية " (أف ٦: ١٣ - ١٨).

" فاشترك أنت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح. ليس أحد وهو يتجنّد يرتبك بأعمال الحياة " (٢ تي ٣: ٤).

" جاهد جهاد الإيمان الحسن، وأمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت " (١ تي ٦: ١٢).

" اصحوا واسهروا. لأن إبليس خصمكم كأسد زائر، يجول ملتصقاً من يبتلعه هو. فقاوموه راسخين في الإيمان " (١ بط ٥: ٨ - ٩).

" كل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء " (١ كو ٩: ٢٥).

٤ - وهكذا تسير الحياة في المسيح:

" الرب معين لي فلا أخاف. ماذا يصنع بي إنسان؟ " (عب ١٣: ٦).

" كأحرار، وليس كالذين الحرية عندهم سترة للشر، بل كعبيد الله " (١ بط ٢: ١٦).

" اثبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها " (غل ٥: ١).

" لأن من أراد أن يحب الحياة ويرى أياماً صالحة، فليكف لسانه عن الشر وشفته أن تتكلّم بالمكر " (١ بط ٣: ١٠).

" احفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس الساكن فينا " (٢ تي ١ : ١٤). والوديعة هي كنز الإيمان وعمل الروح في قلب الإنسان.

" نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح " (عب ١٠ : ١٠).

" لأننا قد صرنا شركاء المسيح، إن تمسكنا ببداية الثقة ثابتة إلى النهاية " (عب ٣ : ١٤).

" أن تقدّموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله، عبادتكم العقلية. ولا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله: الصالحة المرضية الكاملة " (رو ١٢ : ١ - ٢).

" بل البسوا الرب يسوع المسيح، ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات " (رو ١٣ : ١٤).

" لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت، لكي لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذي يُقيم الأموات " (٢ كو ١ : ٩).

" حاملين في الجسد كل حين إمالة الرب يسوع ... لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت " (٢ كو ٤ : ١٠ - ١١). " لأنكم قد مُتّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله " (٣ : ٣).

" اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين " (٢ بط ١ : ١٠).

" قدسوا الرب الإله في قلوبكم، مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم، بوداعة وخوفٍ " (١ بط ٣ : ١٥).

" ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى " (عب ١٢ : ٢٨).

٥ - وهكذا تكون حياتنا مع الآخرين:

" هذه هي وصيته: أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح، ونحب بعضنا بعضاً كما أعطانا وصية " (١ يو ٣ : ٢٣).

" إن قال أحد: إني أحب الله وأبغض أخاه، فهو كاذب " (١ يو ٤ : ٢٠)، " كن قدوة للمؤمنين في الكلام، في التصرف، في المحبة، في الروح، في الإيمان، في الطهارة " (١ تي ٤ : ١٢).

" إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالّموا جميع الناس. لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحياء، بل أعطوا مكاناً للغضب ... فإن جاع عدوك فأطعمه. وإن عطش فاسقِه ... لا يغلبك الشر

بل اغلب الشر بالخير " (رو ١٢ : ١٨ - ٢١).

" لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلا بأن يحب بعضكم بعضاً، لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس" (رو ١٣ : ٨)، "كونوا كاملين في فكر واحد ورأي واحد" (١ كو ١٠ : ١).

" لا تحكموا في شيء قبل الوقت" (١ كو ٤ : ٥).

" لا تكونوا أولاداً في أذهانكم، بل كونوا أولاداً في الشر، وأماً في الأذهان فكونوا كاملين" (١ كو ١٤ : ٢٠).

"كونوا متمثلين بالله كأولاد أحبباء" (أف ١ : ٥). " لا تفشلوا في عمل الخير" (٢ تس ٣ : ١٣).
"البسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رافات، ولطفاً، وتواضعاً، ووداعةً، وطول أناة، محتلمين بعضكم بعضاً، ومسامحين بعضكم بعضاً إن كان لأحد على أحد شكوى. كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً" (كو ٣ : ١٢ - ١٣).

"افرحوا كل حين. صلوا بلا انقطاع. اشكروا في كل شيء" (١ تس ٥ : ١٦ - ١٨).
"أطلب أول كل شيء، أن تُقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس، لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب" (١ تي ٢ : ١ - ٢).
"أكرموا الجميع. أحبوا الإخوة. خافوا الله. أكرموا الملك" (١ بط ٢ : ١٧).
"اذكروا المقيدّين كأنكم مقيّدون معهم، والمذللّين كأنكم أنتم أيضاً في الجسد" (عب ١٣ : ٣).

٦ - ولكن كل هذا لا يمنع التجارب التي تواجه الإنسان:

" لا تحقر تأديب الرب، ولا تخز إذا وبّخك. لأن الذي يُحبّه الرب يؤدّبه، ويَجْلِد كل ابن يقبله. إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين. فأَي ابن لا يؤدّبه أبوه؟ ولكن إن كنتم بلا تأديب، قد صار الجميع شركاء فيه، فأنتم تُغول لا بنون" (عب ١٢ : ٥ - ٨)، والغول هم الأبناء غير الشرعيين، والتجارب هنا " لأجل المنفعة لكي نشترك في قداسه" (عب ١٢ : ١٠).
" لا يقل أحد إذا جُرّب: إني أُجَرّب من قِبَل الله، لأن الله غير مُجَرّب بالشرور، وهو لا يُجَرّب أحداً. ولكن كل واحدٍ يُجَرّب إذا انجذب وانخدع من شهوته" (يع ١ : ١٣ - ١٤)، والتجارب هنا بسبب خطايا الإنسان نفسه.

٧ - وهكذا نصل إلى غاية الوصية:

"أما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر، وضمير صالح، وإيمان بلا رياء. الأمور التي إذا زاغ قوم عنها، انحرفوا إلى كلام باطل" (١ تي ١ : ٥ - ٦).

" أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع " (في ٣: ١٤).

" تَمَّمُوا خلاصكم بخوف ورعدة " (في ٢: ١٢).

" اذكروا مرشديكم الذين كلّموكم بكلمة الله. انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثّلوا بإيمانهم "

(عب ١٣: ٧). " أطيعوا مرشديكم واخضعوا، لأنهم يسهّرون لأجل نفوسكم " (عب ١٣: ١٧).

" انموا في النعمة وفي معرفة ربنا ومُخلّصنا يسوع المسيح " (٢ بط ٣: ١٨).

الآب والابن والروح القدس، وسلوك الإنسان

العظة (٤٢)

ثمار الروح

لعلنا الآن على يقين أن استعلان سر الآب والابن والروح القدس وتجسد وفداء الابن الوحيد وتغييره لطبيعة الإنسان الشريفة بعمل الروح القدس قد خلق بذلك إنساناً جديداً. وانعكس ذلك على سلوك الإنسان حتى صار بنعمة الله سلوكاً يليق بالسمائيين! ورغم ذلك فإن عطية الروح القدس هي بلا حدود لأننا وإن رأينا في العظات السابقة صورة كاملة للسلوك حسب المسيح، إلا أنه مع النمو في النعمة وفي معرفة ربنا يسوع المسيح يمكن أن يصل الإنسان إلى ثمار روحية تفوق قدرة الإنسان الطبيعي! لقد تحدث الكتاب المقدس عن ثمر الروح فقال عنه " محبة فرح سلام، طول أناة لطف صلاح، إيمان وداعة تعفّف " (غل ٥: ٢٢-٢٣).

أما الأمر العجيب أن هذه التعبيرات هي حد أدنى! ويلزم فيها النمو لأن حدود سقفها هي في السمويات! وهكذا نسمع السيد المسيح الابن الوحيد المتجسد يطلب من الآب " أيها الآب البار، إن العالم لم يعرفك، أما أنا فعرفتُك، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني. وعرفتهم اسمك وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم " (يو ١٧: ٢٥-٢٦)، أي أن سقف المحبة هنا يعلو ويعلو إلى مستوى الحب الإلهي!

وحيثما يتحدث السيد المسيح عن الفرح يقول: " سأراكم أيضاً ففرح قلوبكم، ولا ينزع أحداً فرحكم منكم ... اطلبوا تأخذوا، ليكون فرحكم كاملاً " (يو ١٦: ٢٢-٢٤)، وحيثما يتحدث

عن السلام يقول: "سلاماً أترك لكم سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا" (يو ١٤: ٢٧).

إذاً هناك مستويات لثمر الروح، وهو ما عبّر عنه بطرس الرسول بقوله: "انموا في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح" (٢بط ٣: ١٨)، وفي هذا يقول بولس الرسول: "اتبعوا المحبة، ولكن جددوا للمواهب الروحية" (١كو ١٤: ١)، "هكذا أنتم أيضاً، إذ إنكم غيرون للمواهب الروحية، اطلبوا لأجل بنين الكنيسة أن تزدادوا" (١كو ١٤: ١٢).

ولئلا يظهر هذا الكلام وكأنه مبالغة يمكننا التقاط بعض العبارات في رسائل الآباء الرسل تكشف عن عمق عمل الروح في قلب الإنسان ...

فعن الصلاة مثلاً "الروح أيضاً يُعين ضعفاتنا، لأننا لسنا نعلم ما نُصلي لأجله كما ينبغي. ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها. ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين" (رو ٨: ٢٦-٢٧).

وعن المعرفة الروحية "كما هو مكتوب: ما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان: ما أعدّه الله للذين يحبونه. فأعلنه الله لنا نحن بروحه. لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله. لأن من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه؟ هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله. ونحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذي من الله، لتعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله، التي نتكلم بها أيضاً، لا بأقوال تُعلّمها حكمة إنسانية، بل بما يُعلّمه الروح القدس، قارنين الرُوحانيّات بالرُوحانيّات" (١كو ٢: ٩-١٣).

وينعكس ذلك على محبة الإنسان للسيد المسيح "من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدّة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟ كما هو مكتوب: إننا من أجلك نُمات كل النهار. قد حُسبنا مثل للذبح. ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا. فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوّات، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلية، ولا علو ولا عمق، ولا خليقة أخرى، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" (رو ٨: ٣٥-٣٩).

ولكن هذا وإن كان إحساس شخصي لكنه يسطع في مشاعر الإنسان وسلوكه تجاه الآخرين "في كل شيء نُظهر أنفسنا كخُدّام الله: في صبر كثير، في شدائد، في ضرورات، في ضيقات، في ضربات، في سجون، في اضطرابات، في أتعاب، في أسهار، في أصوام، في طهارة،

في علم، في أناة، في لطف، في الروح القدس، في محبة بلا رياء، في كلام الحق، في قوة الله بسلاح البر لليمين واليسار. بمجد وهوان، بصيت رديء وصيت حسن. كمُضَلِّين ونحن صادقون. كمجهولين ونحن معروفون، كمائتين وها نحن نحيا، كمؤدَّبين ونحن غير مقتولين، كحزانى ونحن دائماً فرحون، كفقراء ونحن نغني كثيرين، كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء" (١٠ كو ٦: ٤-١٠).

أما كل هذا فهو على مثال عمل السيد المسيح " لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه، بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً. فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً: الذي إذ كان في صورة الله، لم يُحسب خلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس. وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه، وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم. لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الأب" (في ٢: ٤-١١).

ثم يظهر هذا المستوى الروحي من السلوك عفواً في بعض التعبيرات التي للرسول: فتقول الرسالة إلى رومية: " أقول الصدق في المسيح، لا أكذب، وضميري شاهد لي بالروح القدس: إن لي حزناً عظيماً ووجعاً في قلبي لا ينقطع. فإني كنت أودُّ لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخواني أنسابي حسب الجسد، الذين هم إسرائيليون، ولهم التَّبَنِي والمجد والعهد والاشتراك والعبادة والمواعيد، ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين" (رو ٩: ١-٥).

وتقول الرسالة الأولى لكورنثوس: "فإني إذ كنت حُرّاً من الجميع، استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين. فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس - مع أنني لست بلا ناموس لله، بل تحت ناموس للمسيح - لأربح الذين بلا ناموس. صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صرت للكل كل شيء، لأخلص على كل حال قوماً. وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه" (١ كو ٩: ١٩-٢٣).

وتقول رسالة رومية: " فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء، ولا نُرضي أنفسنا. فليرض كل واحد منا قريبه للخير، لأجل البُنْيَان. لأن المسيح أيضاً لم يُرض نفسه، بل كما هو مكتوب: تعبيرات مُعْيَرِك وقعت عليّ" (رو ١٥: ١-٣).

"إذ تخطنون إلى الإخوة وتجرحون ضميرهم الضعيف، تخطنون إلى المسيح. لذلك إن كان طعامٌ يُعثر أخي فلن آكل لحمًا إلى الأبد، لنأكلُ أعثر أخي" (١ كو ٨: ١٢).

وتقول الرسالة الثانية لكورنثوس: "لأنني لست أطلب ما هو لكم بل إليَّكم. لأنه لا ينبغي أن الأولاد يذخرون للوالدين، بل الوالدون للأولاد. وأما أنا فبكل سرور أنفق وأنفق لأجل أنفسكم، وإن كنت كلما أحبكم أكثر أحبُّ أقل" (٢ كو ١٢: ١٤ - ١٥). وتقول الرسالة الأولى إلى تسالونيكي: "كنا مترقِّبين في وسطكم كما تربي المُرْضعة أولادها، هكذا إذ كنا حائِثين إليكم كنا نرضى أن نعطيكم، لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضاً، لأنكم صرتم محبوبين إلينا" (١ تس ٢: ٨ - ٩). ولا شك أن هذا كله هو بدافع حب إلهي يفيض في القلب بالروح القدس لهذا كانت الوصية "امتلئوا بالروح" (أف ٥: ١٨). "كل ما فعلتم، فاعملوا من القلب، كما للرب ليس للناس" (٣ كو ٢: ٢٣).

وهكذا يمكن أن يكون هناك أموراً توافق الإنسان ولكنه لا ينفذها لأنها لا توافق الآخرين أو لأنها تكون سبب عثرة، لهذا يقول الكتاب: "كل الأشياء تحلُّ لي، لكن ليس كل الأشياء توافق" (١ كو ٦: ١٢)، وذلك لأن "كل الناموس في كلمة واحدة يكملُ تُحبُّ قريبك كنفسك" (غل ٥: ١٤).

وأيضاً "لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة ... لكي تكونوا بلا لوم، وبسطاء، أولاداً لله بلا عيب في وسط جيل معوج وملتو، تضيئون بينهم كأنوار في العالم" (في ٢: ١٣ - ١٥).

أو باختصار "نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا" (٢ كو ٥: ٢٠).

الآب والابن والروح القدس، والشريعة

العظة (٤٣)

شريعة الله للإنسان

كلمة الشريعة تعني الأسلوب أو المنهج الذي يسير عليه الإنسان حسب أوامر قد شرعت له ممن هو أعلى منه. وهي كلمة تلتصق عادة بالأوامر الإلهية الصادرة

من الله للإنسان رغم أن هناك شرائع يمكن أن تصدر أحياناً حسب تشريعات إنسانية. ومن الواضح أن الشريعة لا بد أن ترتبط بسلطان لتنفيذها، ومن المعتاد أن يكون هناك من يتابع هذا التنفيذ. ومن المنطقي أن أية شريعة لا بد أن ترتبط بأهداف لمن يضعها ولمن تسود عليهم. ومن الطبيعي أن تحوي الشريعة ضوابط تحكم التصرف والتعامل لتحقيق أهدافها، كما تحوي وصايا لتوجيه منفذها، وأحكاماً لتطبيقها أو معاقبة لمن يخالفها أي باختصار فإن الشريعة هي شرائع ووصايا وأحكام.

ومنذ أن خلق الله الإنسان على صورته ومثاله فإنه وضع في قلب الإنسان شريعة غير مكتوبة. أطاعها يوسف الصديق فلم يخطئ مع امرأه سيده وقال: "كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله" (تك ٣٩: ٩)، وخالفها قايين عندما قتل أخاه وقال "أحارس أنا لأخي" (تك ٤: ٩).

ويمكننا الآن أن نستنتج أن الشريعة ترتبط بهدف الله من خلقه الإنسان وأنها تعمل من أجل هذا الهدف.

وبعد أن صنع الإنسان الشرور إلى حد غير مقبول أهلك الله الإنسان مرة بالطوفان ومرة بالنار. حتى أن الإنسان وضع شرائع لتضبط سلوك البشر نجدها على جدران المعابد المصرية القديمة والألواح الطينية عند الأشوريين، وشرائع بوذا وزرادشت، وكلها تتجه لتقويم سلوك الإنسان، ثم اختلفت هذه الشرائع في سبيل مكافأة الإنسان على تنفيذ هذه الشرائع سواء في حياته أو بعد موته.

ولا شك أن الشريعة إذا وضعها الله لا بد أن ترتبط بسعادة الإنسان وقضاء حياته في سلام ثم الغرض النهائي لهدف خلقه الإنسان بعد أن يموت.

وكما رأينا فقد كانت الشريعة الإلهية الوحيدة المكتوبة للإنسان قد كتبت بإصبع الله وأعطيت لموسى النبي بجانب وصايا وأحكام شفوية كان الشعب شهوداً لها. وقد رأينا أن اختيار الله لشعب بني إسرائيل ليعطيهم الوصايا والأحكام والشرائع دون غيرهم كان حسب خطة إلهية، حتى يتقوّم طريق الإنسان إعداداً للهدف النهائي من خلقه الإنسان أن يكون كملائكة الله في السماء.

وكما رأينا فإن الله اختار هذا الشعب دون بقية الشعوب على أساس إيمان أبيهم إبراهيم بأن الأرض المنظورة هي أرض غريبة للإنسان، وبهذا قطع الله عهداً مع إبراهيم ومنحه نسلأ بعد شيخوخة ومن رحم قد مات ولم يكن يتحقق هذا إلا بإرادة إلهية، وذلك كمثال لمنح الإنسان بنوة لله وحياة سمائية بعد الموت. ثم كان الهدف الرئيسي لاختيار هذا الشعب في أن يأتي الله من نسل إبراهيم متجسداً ليعطي رفعاً لحكم الموت عن الإنسان ونموذجاً عملياً لتنفيذ شريعة الله ووصاياه وأحكامه، في إنسان قدوس وبلا خطية، وليشترك كل البشر في قداسته لتحقيق الغرض النهائي من خلقه الإنسان. وهكذا نجد تلقائياً أن الشريعة التي يجب أن يسير عليها الإنسان ترتبط ارتباطاً جذرياً بسر الآب والابن والروح القدس، ويتجسد الابن الوحيد، ومنح عطية الله للبشر بالروح القدس.

ومن هنا نرى أن كل شريعة العهد القديم التي وضعها الله لموسى كانت لتحقيق غرض الله من الإنسان في تقديسه ليكون مؤهلاً لحياة سمائية، وكان مجمل الشريعة والوصايا والأحكام هو ما سُمِّيَ "بناموس موسى".

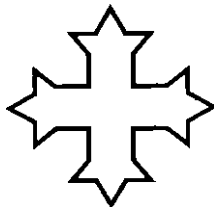
وهكذا التقى السيد المسيح عشية قيامته باثنين من التلاميذ كانا يتحسran على صليبه ومتحيران من قصة القيامة "فقال لهما أيها الغبيان والبطينا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء! أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده؟ ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب" (لو ٢٤: ٢٥ - ٢٧).

ثم ظهر السيد المسيح في ذات الليلة لتلاميذه ليقول لهم: "هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم: أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب. وقال لهم: هكذا هو مكتوب، وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث، وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم، مبتدئاً من أورشليم. وأنتم شهود لذلك. وها أنا أرسل إليكم موعد أبي. فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالى" (لو ٢٤: ٤٤ - ٤٩).

والآن، ماذا يا ترى هو موعد أبيه؟ وما هي "القوة من الأعالى" التي سينالها الإنسان؟

أمّا الموعد ، فحسب ما كتب الأنبياء: " هذا هو العهد الذي أعهده مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب: أجعل نواميسي في أذهانهم، وأكتبها على قلوبهم، وأنا أكون لهم إلهاً، وهم يكونون لي شعباً. ولا يعلّمون كل واحد قريبه، وكل واحد أخاه قائلاً: اعرف الرب لأن الجميع سيعرفونني من صغبرهم إلى كبيرهم. لأنني أكون صفوحاً عن آثامهم، ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد " (عب ٨: ١٠- ١٢).

أي أن الناموس سوف يكون مطبوعاً على قلوب لحمية وليس مكتوباً على حجر، ولهذا كان يلزم الحصول على هذه " القوة من الأعالي " لتغير طبيعة الإنسان ولتختنه ختاناً حسب العهد الأول المعطى لإبراهيم ولكن بالروح القدس، وبذلك تكون الوصية على مستوى تقديس الإنسان بقوة الله ولا تعتمد على قدرة بشرية، وبهذا يرتفع مستوى الشريعة والوصايا والأحكام، فبدلاً من أن تكون شريعة التكفير في ناموس موسى حيوانية فهي تصبح ذبيحة سمائية بجسد الله الأخذ صورة إنسان، وترتفع الوصايا والأحكام لتليق بحب إلهي قد انسكب على البشر لتربط بين البشر وتؤهل الإنسان إلى ملكوت سمائي!! وهكذا أخذ السيد المسيح كل عقاب الخطاة والزواني والأشرار في جسده على خشبة الصليب. وكذلك في الآلام التي تحملها قبل الصليب، وفي الإهانة والازدراء التي سمعها وهو القدوس الذي بلا شرف فقد بذلك شريعة الله كاملة وتحمل عقابها، وأعطى منها الإنسان. وهكذا حينما قدّموا إليه امرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل وسألوه " موسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترحم. فماذا تقول أنت؟ " (يو ٨: ٥)، أمّا هو فكانت إجابته " من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر! " (يو ٨: ٧). ثم قال للمرأة: " اذهبي ولا تخطئي أيضاً " (يو ٨: ١١). وكان هذا إيذاناً بتغيير طبيعة هذه المرأة بنوالها غفرانه على الصليب و" القوة من الأعالي " التي تتأهلها بعمل الروح القدس.



العظة (٤٤)

تأكيد الشریعة على فهم الأنبياء

رأينا أن موسى النبي كان هو الذي استلم شریعة العهد القديم مكتوبة ومسموعة وأعلنها للشعب ووثّقها بدم الذبيحة " لأن موسى بعدما كلّم جميع الشعب بكل وصيّة بحسب الناموس، أخذ دم العجول والتيوس، مع ماء وصوفاً قرمزيّاً وزوفاً، ورشّ الكتاب نفسه وجميع الشعب، قائلاً: هذا هو دم العهد الذي أوصاكم الله به. والمسكن أيضاً وجميع آنية الخدمة رشّها كذلك بالدم. وكل شيء قريباً يتطهّر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة! " (عب ٩: ١٩ - ٢٢). وقد أيد الله موسى بمعجزات وخوارق ليؤكد وصيته، كما كان عقاب الله صارماً ضد من يخالف الشریعة فأهلك الآلاف بالحیّات حينما زنوا (عد ٢١: ٥ - ٩). وأهلك من قدّموا بخوراً ولم يكن لهم الحق في ذلك (عد ١٦: ١ - ٣٥). وعاقب شاول الملك لأنه تعجّل وقام بعمل الكاهن (١ صم ١٣: ٨ - ١٤)، أي أن شریعة الله ظلت ثابتة لم تتغير رغم تتابع الأنبياء الذين أرسلهم الله لشعب بني إسرائيل.

وقد شرحنا في ما سبق (عظة ١) هدف هذه الشریعة، كما رأينا هدف الله من إرسال الأنبياء في العهد القديم لبني إسرائيل (عظة ٢) وأنه لم يحدث أن قام أحد الأنبياء بتقديم وصية جديدة أو شریعة مختلفة بل كان كل الهدف من الأنبياء أن يحتفظ شعب بني إسرائيل بولائه لله الذي اختاره لتحقيق أهدافه، وتذكيراً للشعب بالوعد والعهد مع الإنسان بالفداء والخلص الذي أعدّه للبشر. كما قام الأنبياء بوضع صورة تفصيلية لتجسد الله في الزمان حتى في أدق التفاصيل التي تمت فيه، من ثقب يديه ورجليه على الصليب وذوقه كأس المر وهو معلق عليه.

كما أن السيد المسيح بدوره استخدم بعض الكلمات التي نطق هو بها سابقاً على فهم أنبياء العهد القديم مثلما قال: " إلهي إلهي لماذا تركتني " وهو على الصليب مشيراً إلى المزمور رقم (٢٢) الذي يتحدث عن أحداث الصليب.

وكما سبق وأشرنا فإن الوعد الإلهي لإبراهيم لم يكن على أساس الناموس بل على أساس إيمانه بوعود الله، كما أن الناموس كان عاجزاً أن يغير طبيعة الإنسان

العارفة للشر، ولهذا فإنه رغم الصلاح الذي يدعو إليه هذا الناموس فقد أوضح عشرة الإنسان أمام الخطية واحتياجه الشديد أن يختن روحياً بتبرير وتقديس إلهي.

وإن كان الناموس قد أُعتبر تأديباً لشعب بني إسرائيل، لكن الشرائع التي وضعها الناموس كانت رموزاً واضحة لحقائق الخلاص التي أعدها الله للإنسان كما سنشرح فيما بعد وصار بذلك تمهيداً لاستعلان سر الآب والابن والروح القدس والتجسد الإلهي وتحقيقاً لهدف الله من الإنسان.

ويجدر بنا أن نلتقط بعض من عبارات الأنبياء التي بها يؤكدون على ناموس موسى والهدف من إعداد شعب بني إسرائيل لتحقيق الخلاص بالتجسد الإلهي ...

١- يقول موسى النبي: "اختنوا غُره قلوبكم" (تث ١٠: ١٦). وهنا يشير إلى أن الختان هو رمز لعمل الروح القدس في القلب.

٢ - يتحدث مزمور (٨٩) عن داود النبي كرمز للسيد المسيح، ولكن بأوصاف لا تنطبق على داود بل على تجسد الابن الوحيد الجنس وفدائه فيقول:

"من في السماء يعادل الرب، من يشبه الرب بين أبناء الله ... العدل والحق قاعدة كرسيك الرحمة والأمانة تتقدمان أمام وجهك ... لأن الرب مَجْنُنًا، وقدوس إسرائيل ملكنا ... وجدت داود عبدي بدهن قدسي مسحته ... وأجعل على البحر يده وعلى الأنهار يمينه، هو يدعوني أبي أنت إلهي وصخرة خلاصي. أنا أيضاً أجعله بكرًا أعلى من ملوك الأرض ... وعهدي يثبت له وأجعل إلى الأبد نسله وكرسيه مثل أيام السموات ... لكنك رفضت وردّلت، غضبت على مسيحك نجّست تاجه في التراب ... صار عاراً عند جيرانه ... فرّحت جميع أعدائه ... أبطلت بهاءه وألقيت كرسيه إلى الأرض قصّرت أيام شبابه غطيته بالخزي ... حتى متى يارب تختبئ كل الاختباء ... أي إنسان يحيا ولا يرى الموت ... اذكر يارب عار عبيدك الذي أحتمله في حضني من كثرة الأمم كلها ... مبارك الرب إلى الدهر أمين".

٣ - يلوم إشعياء النبي بني إسرائيل لعدم فهمهم هذه الأسرار فيقول:

"اسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض، لأن الرب يتكلّم: ربيت بنين ونشأنهم، أما هم فعصوا عليّ. الثور يعرف قانيه والحمار مِعْلَف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرف. شعبي لا يفهم ... تركوا الرب، استهانوا بقدوس إسرائيل، ارتدوا إلى وراء" (إش ١: ٢: ٤).

٤ - ويقول إرميا النبي: " اذهب وناد بهذه الكلمات نحو الشَّمال، وقل: ارجعي أيتها العاصية إسرائيل، يقول الرب. لا أوقع غضبي بكم لأنني رؤوف، يقول الرب. لا أحقد إلى الأبد. إعرفي فقط إثمك أنك إلى الرب إلهك أذنبت ... ارجعوا أيها البنون العُصاة، يقول الرب. لأنني سُدت عليكم فأخذكم واحداً من المدينة، واثنتين من العشيرة، وآتي بكم إلى صهيون، وأعطيتكم رُعاة حسب قلبي، فيرعونكم بالمعرفة والفهم ... في تلك الأيام، يقول الرب، أنهم لا يقولون بعد: تابوت عهد الرب، ولا يخطر على بال، ولا يذكرونه ولا يتعهدونه ولا يُصنع بعد. في ذلك الزمان يُسمون أورشليم كرسي الرب، ويجتمع إليها كل الأمم، إلى اسم الرب، إلى أورشليم، ولا يذهبون بعد وراء عناد قلبهم الشرير" (إر ١٢: ١٢ - ١٧)، هكذا يشرح إرميا تحوُّل أورشليم من مدينة كان بها الهيكل وتابوت الرب، إلى مدينة تتطلع إليها كل الأمم حيث تم خلاص الله.

٥ - ويقول حزقيال النبي أيام سبي بني إسرائيل من أرضهم بسبب معاصيهم: " قل: هكذا قال السيّد الرب: إني أجمعكم من بين الشعوب، وأحشركم من الأراضي التي تبدّدتم فيها، وأعطيتكم أرض إسرائيل. فيأتون إلى هناك ويزيلون جميع مكرهااتها، وجميع رجاساتها منها. وأعطيتهم قلباً واحداً، وأجعل في داخلكم روحاً جديداً، وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيتهم قلب لحم، لكي يسلكوا في فرائضي ويحفظوا أحكامي ويعملوا بها، ويكونوا لي شعباً، فأنا أكون لهم إلهاً" (حز ١١: ١٧ - ٢٠)، وهنا يشير حزقيال إلى معرفة الله الحقيقية وتحويل الوصية من الحجر المكتوب إلى قلب قد تجدد بروح الله الحي.

٦ - ويقول هوشع النبي: " لما كان إسرائيل غلاماً أحببته، ومن مصر دَعَمْتُ ابني" (هو ١١: ١). وهو يشير إلى وجود شعب بنى إسرائيل في مصر، ومجيء السيد المسيح ابن الله الوحيد الجنس إلى أرض مصر. والمعروف أن إسرائيل هو أحد الأسماء الرمزية للسيد المسيح.

٧ - ويقول يوشع النبي: " فيغار الرب لأرضه ويرق لشعبه ... ويكون بعد ذلك إني أسكب روحي على كل بشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويحلم شبوكم أحلاماً، ويرى شبابكم رؤى. وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء أسكب روحي في تلك الأيام، وأعطي عجائب في السماء والأرض، دماً وناراً وأعمدة دخان. تتحول الشمس إلى ظلمة، والقمر إلى دم قبل أن يجيء يوم الرب العظيم

المخوف. ويكون أن كل من يدعو باسم الرب ينجو" (يو ٢: ١٨ - ٣٢). وهنا يتحدث يوثيل عن أحداث يوم الصليب وعن حلول الروح القدس بسبب الفداء الذي تم على الصليب.

الآب والابن والروح القدس، والشرية

العهدة (٤٥)

الشرية بين موسى والسيد المسيح

رأينا في ما سبق أن الشريعة التي أعطاهها الله لموسى ظلت ثابتة لم تتغير، وأن تعاقب الأنبياء كان يؤكد مبادئها ويوبخ شعب بني إسرائيل عن عدم الامتثال لأحكامها، وفي الوقت نفسه وجدنا الأنبياء يُلْمَحون لاستعلان سر الآب والابن والروح القدس حينما تتحقق رموز شريعة العهد القديم في شريعة العهد الجديد، وكان مثال ذلك ختان القلب بالروح القدس، والتقاء شريعة العدل مع الرحمة في فداء السيد المسيح كما قال (مزمور ٨٩)، ثم عدم ذكر التابوت الذي صنعه موسى وتحول أورشليم لتكون تطلعاً لكل الأمم بعد أن كانت مركزاً لخدمة الشريعة لبني إسرائيل كما قال إرميا النبي، ثم استبدال الوصية المكتوبة على حجر إلى وصية مكتوبة على القلوب بالروح القدس كما قال حزقيال، ثم انسكاب روح الرب على البشر بسبب عمل الصليب كما قال يوثيل. ثم توبيخ شعب بني إسرائيل على لسان إشعياء لأنهم لا يتفكرون في هذه الأمور ليفهموها، وهكذا نسمع السيد المسيح يعلن بوضوح "لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحد من الناموس حتى يكون الكل" (مت ٥: ١٧ - ١٨).

فما الذي "أكمله" السيد المسيح؟ وما هو هذا "الكل" الذي يتحدث عنه؟ هنا تظهر أهمية شريعة العهد القديم كأساس لشرية العهد الجديد التي تُكَمِّل في الإنسان باستعلان سر الآب والابن والروح القدس وتجسد الابن وفدائه وانشكاب الروح القدس على البشر، ليجعل منهم خليفة جديدة بالبروقداسة الحق. ولهذا يكمل

السيد المسيح قوله السابق بقوله: "إني أقول لكم: إن لم يزد يركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات" (مت ٥: ٢٠)، أي أن برناموس موسى بعد استعلان سر الآب والابن والروح القدس لا يكفي لدخول الإنسان إلى ملكوت الله وهو ما "أكمله" السيد المسيح بفدائه وكان هذا هو "كل" الهدف من وصايا وشريعة العهد القديم التي تُكَمَّل بانسكاب روح الله القدوس على الإنسان.

وفوق ذلك فقد صحح السيد المسيح فهماً كان خاطئاً لبعض وصايا العهد القديم وكان الكتبة والفريسيون يقومون بتلقينها للشعب وكانت ضد أهداف الله من الوصية. وذلك حينما أشار إلى تعليمهم عن العين بالعين والسن بالسن، وهو ما لم يقصده الله بالانتقام من المُسيء، بل كان ذلك في صدد قضية التعويض في القضايا التي تصير فيها أذية لإنسان (خر ٢٢: ٢٢ - ٢٥)، كما كانت تُنفَّذ في الشخص الذي يشهد بالزور على البريء (تث ١٩: ١٦ - ٢١). وكذلك وجَّه السيد المسيح اللوم للكتبة والفريسيين الذين قالوا: "نُحب قريبك ونُبغض عدوك" (مت ٥: ٤٣)، وهو ما لم يناد به الله في العهد القديم لأن الوصية كانت "نُحب قريبك كنفسك" (١٨: ١٩٧)، وفهمها هؤلاء بمعنى أن يُبغض الإنسان عدوه، رغم أن الوصية كانت تقول: "لا تُبغض أخاك في قلبك" (١٧: ١٩٧)، بل وتقول: "إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شاردًا، ترده إليه" (خر ٢٣: ٤).

وبالإضافة إلى ذلك كانت بعض حقائق العهد القديم أساساً لشريعة العهد الجديد وذلك كقول يوحنا المعمدان عن السيد المسيح "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم!" (يو ١: ٢٩)، وذلك إشارة إلى الحمل الذي كان يُذبح في عيد الفصح.

وكذلك كان قول السيد المسيح لنيقوديموس معلم اليهود: "كما رفع موسى الحياة في البرية هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٤ - ١٥)، وكانت هذه الحياة النحاسية التي رفعها موسى إنقاذاً لشعب بني إسرائيل حينما تدمروا على الله فأرسل حياتٍ محرقة فلدغتهم ومات قوم كثيرون (عدد ٢١: ٥ - ٩)، وكذلك كان قول السيد المسيح لليهود بعد إشباعهم من خمس خبزات وسمكتين أنه هو الخبز النازل من السماء الواهب حياة للعالم والخبز الذي يعطيه هو جسده الذي يبذله من أجل حياة العالم. وكان ذلك رداً على سؤالهم: "فأية آية

تصنع لنرى ونؤمن بك؟ ماذا تعمل؟ آباؤنا أكلوا المَنَّ في البرية، كما هو مكتوب: أنه أعطاهم خُبْزاً من السماء ليأكلوا " (يو ٦ : ٣٠ - ٣١).

وهكذا نرى شريعة العهد الجديد تمتد جذورها إلى العهد القديم. ولهذا يلزمنا أن نعود إلى أحداث وناموس العهد القديم لنستكشف أسرار الشريعة التي للعهد الجديد .

الآب والابن والروح القدس، وشريعة العهد القديم العظة (٤٦)

الذبائح والخيمة والهيكل

يتحدث الكتاب المقدس عن أحداث بسيطة تبدو عابرة ولكنها تحمل وراءها أسراراً عظيمة الشأن تكشف عن علاقة الله بالإنسان. فحينما اكتشف آدم عريه بعد أن أكل من شجرة معرفة الخير والشر " صنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصه من جلد وألبسهما " (تك ٣ : ٢١)، وهنا سؤال لماذا لم يهتم الله من وقت خلقتهم أن يكسوهم؟ أي قبل أن يعرفوا الشر والخير، فيكسو عريهما ؟ ومن أين أتى الجلد ، أليس من ذبح ذبيحة ؟! ولماذا اهتم الله بذلك ؟! أليس هناك سرٌّ أن آثار المعصية تُستر بالذبائح ؟! وفي حدث آخر، لماذا قَبِلَ الله ذبيحة هابيل من أبقار الغنم ولم يلتفت إلى ذبيحة قايين من ثمار الأرض ؟! ألا يكشف هذا سرّاً أنه كان هناك شريعة شفوية حقّقها هابيل ولم يتمّمها قايين ؟!

وبعد أيام الطوفان " بنى نُوحُ مذبحاً للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن الطيور الطاهرة وأصعد مُحْرِقات على المذبح، فَتَنَسَّمَ الرب رائحة الرُّضَا " (تك ٨ : ٢٠ - ٢١)، وهنا مفاجأة: إن كان تقديم نوح لذبائح هو امتداد لشريعة شفوية سابقة كما كان لهابيل إلا أننا نجد من آثارها رائحة الرضا من الرب. فيضيف ذلك هدفاً آخر للذبائح غير ستر آثار المعصية. كما أننا نلاحظ شريعة شفوية أخرى وهى تقديم "ذبائح طاهرة" أي أن ليس كل حيوان يصلح لذبيحة!

أما الأمر الأكثر عجباً هو تكملة قول الكتاب في هذا الصدد: "قال الرب في قلبه: لا أعود ألعن الأرض من أجل الإنسان، لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ خلقته، ولا أعود أيضاً أميت كل حيٍّ كما فعلت" (تك ٨: ٢١). وهنا سؤال، كيف عَلِمَ نوح ما دار بقلب الله من رضا؟ أليس أن تقديم الذبيحة أعقبه استعلان من الله لنوح عن إرادته من جهة الإنسان؟ وهذا يضيف أمراً جديداً كأحد أهداف الذبائح وهو استعلان أسرار الله. أمّا الأمر الأعظم أن هذا الإفصاح عمّا في قلب الله يوضح أن الله يعلم تماماً عجز الإنسان أن يخلع عن نفسه معرفة الشر بإرادته "لأن تصور الإنسان شرير منذ خلقته" ولهذا كان إفصاح الرب أنه يُعدّ سبيلاً لكي يرفع عن الإنسان حكم الموت "لا أعود أيضاً أفني كل حيٍّ كما فعلت". ومن الواضح أن هذا ليس ندماً من جهة الله. بل بداية الكشف عن إرادة الله حينما تنسم الرضا بالذبيحة!!

ويتحدث الكتاب عن أبرام أي إبراهيم قبل أن يغيّر الله اسمه، أنه حينما آمن بالرب وانتقل إلى أرض كنعان "ظهر الرب لأبرام وقال: لِمَسْلِكٍ أُعْطِيَ هذه الأرض. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرب الذي ظهر له" (تك ١٢: ٧)، وهنا يظهر هدف جديد للذبائح حينما استعلن الله ذاته لإبراهيم بصورة لا يمكننا أن نعرفها نحن، ولا شك أن هذا المذبح كان تعبير عن شكر من إبراهيم لله!!

وحينما حسب الله لأبرام إيمانه برأ قطع عهداً وقدم إبراهيم ذبائح بأمر إلهي توثيقاً لهذا العهد، وكان تقديمها بالشق من الوسط فيما عدا الطير. ثم أعلن له الله بعدها عن عبودية نسله في أرض غريبة (أي مصر) وأعلمه مدة بقائهم فيها وهي أربعمئة سنة وذلك لأن شرور الأموريين الذين سيرث بنوا إسرائيل أرضهم لم تكن تستدعي القضاء عليهم في ذلك الحين (تك ١٥: ٦ - ٢٠) وهنا يظهر هدف آخر للذبيحة وهو استعلان أحداث لم يأتِ أوانها بعد، وأن هذه الوعود قد توثقت بدم الذبائح فيظهر الدم هنا كوسيلة لتوثيق المواعيد حيث أن الدم يحمل حياة النفس.

أما أعظم الاستعلانات التي ارتبطت بالذبائح فكان استعلان حقيقة القيامة من الأموات (عب ١١: ١٩)، وذلك حين طلب الله من إبراهيم تقديم ابنه إسحاق وهو الذي أتى بوعد، ليكون ذبيحة حب يقدمها إليه (تك ٢٢: ١ - ١٨)، وحينما أطاع إبراهيم أشار

اللَّهُ إليه بخروف ليقدمه بدلاً منه، وكان استعلان الرب لإبراهيم من الوضوح إلى الدرجة التي دعي بها اسم المكان "يهوه يراه" أي الله يُرى. لأن الله تراءى له بصورة لا يمكن التعبير عنها. وهذا يضيف إلى الذبائح أعظم الأهداف وهو استعلان الله للإنسان بصورة لا يمكن الإفصاح عنها وكشف سر فداء السيد المسيح!

وعند هروب يعقوب من أخيه عيسو وهو في بلدة لوز، ورأى في حلمه السلم المنصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، أدرك يعقوب "ما هذا إلا بيت الله، وهذا باب السماء. وبكر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه عموداً، وصب زيتاً على رأسه. ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل" (تك ٢٨: ١٧-١٩)، وهناك نذر يعقوب أنه إذا عاد سالماً إلى ذلك المكان "يكون الرب لي إلهاً، وهذا الحجر الذي أقمته عموداً يكون بيت الله، وكل ما تُعطيني أُعشره لك" (تك ٢٨: ٢١-٢٢). وعند عودته غانماً بزوجاته وأولاده ومواشيه أقام مذبحاً في "سكوت" في الحقل الذي اشتراه من أهل شكيم ودعا "إيل إله إسرائيل" (تك ٣٣: ١٧-٢٠)، "ثم قال الله ليعقوب: قُم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك، وأصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك" (تك ٣٥: ١)، وهناك "ظهر الله ليعقوب أيضاً (تك ٣٥: ٩)، "ثم صعد الله عنه في المكان الذي فيه تكلم معه. فنصب يعقوب عموداً في المكان الذي فيه تكلم معه، عموداً من حجر، وسكب عليه سكباً، وصب عليه زيتاً. ودعا يعقوب اسم المكان الذي فيه تكلم الله معه بيت إيل" (تك ٣٥: ١٣-١٥).

ومن هذه الأحداث نجد تطوّر لحقيقة الذبائح حيث ترتبط بمكان قد ظهر فيه الله للإنسان وظهرت فيه علامات الاتصال بين السماء والأرض وأقيم مذبحاً بأمر إلهي وصب فيه زيتاً، وصار نذر لتقديم العشور، وسُمي المكان كله بيت إيل أي بيت الله. وهكذا نستكشف ارتباط الذبيحة بحضور إلهي في مكان يربط السماء بالأرض يُدهن ويتقدس بالزيت ويُقدم فيه العشور! وفي كل هذا نقترّب حينئذ من علاقة الله بالإنسان من خلال الذبائح في بيت يُقام له خصيصاً ويُدعى بيتاً لله.

وتمر الأيام إلى أن نزل يعقوب إلى أرض مصر أيام المجاعة بناءً على طلب يوسف ابنه. وهناك في بئر سبع ذبح ذبائح لإله أبيه إسحاق. فكلم الله إسرائيل في رؤى الليل..

" لا تخف من النزول إلى مصر، لأنني أجعلك أمة عظيمة هناك. أنا أنزل معك إلى مصر، وأنا أضعك أيضاً " (تك ٤٦: ٣-٤)، وهنا يكشف الله خطته للإنسان من خلال الذبيحة. وقد سبق وأشرنا أن مصر تشير إلى غربة الإنسان في العالم.

وحينما صعد بنو إسرائيل من عبودية فرعون بعمل الفصح.. "كان الرب يسير أمامهم نهراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار" (خر ١٣: ٢١) ومع أول حرب لاقتهم مع عماليق كان في يد موسى عصا الله "وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب، وإذا خفض يده أن عماليق يغلب" (خر ١٧: ١١)، وحينما هُزم عماليق "بنى موسى مذبحاً ودعا اسمه يهوه نسي" (أي الرب رايتي) (خر ١٧: ١٥)، وهنا تظهر الذبيحة مع غلبة الله على الأعداء ويستشعر موسى أنها حرب تجابه الإنسان على مر الزمان، أي مواجهة الشيطان للإنسان.

أمّا يثرون حمو موسى الذي كان كاهناً في أرض مديان، حينما رأى يد الله على عماليق قال: "مبارك الرب الذي أنقذكم من أيدي المصريين ومن يد فرعون... الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة، لأنه في الشيء الذي بنوا به كان عليهم. فأخذ يثرون حمو موسى مُحرقاً وذبائح لله. وجاء هارون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا طعاماً مع حمى موسى أمام الله" (خر ١٨: ١٠-١٢)، وهنا تأتي الذبائح اعترافاً بالله الحقيقي الذي بيده النصر على أعداء الإنسان!

وأخيراً بعدما أعطى الله الشريعة لموسى على الجبل قال له: "يصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم. بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن، ومثال جميع آنية هكذا تصنعون" (خر ٢٥: ٨-٩)، وهنا ابتدأ الله أن يحدد "مسكناً" له ليسكن بين الناس ويكون فيه تقديم الذبائح بحسب ما يشير وبالطقوس التي يحددها وفي المواعيد التي يختارها وبالخدام الذين يختارهم. وكان هذا المسكن خيمة متنقلة لظروف ترحال بني إسرائيل أعطى الله أوصافها "كان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة، ينزل ويقف عند باب الخيمة. ويتكلم الرب مع موسى" (خر ٣٣: ٩)، "وأكمل موسى العمل. ثم غطت السحابة خيمة الاجتماع وملاً بهاء الرب المسكن. فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع، لأن السحابة حلت عليها وبهاء الرب ملاً المسكن. وعند ارتفاع السحابة عن المسكن كان بنو إسرائيل يرتحلون في جميع رحلاتهم. وإن لم ترتفع السحابة لا يرتحلون إلى يوم ارتفاعها، لأن سحابة الرب كانت على المسكن نهراً.

وكانت فيها نار ليلاً أمام عيون كل بيت إسرائيل في جميع رحلاتهم" (خر ٤٠: ٣٣-٣٨)، وكان ذلك هو الصورة الأخيرة لالتقاء الله مع الإنسان "والسكنى بين البشر" بصورة لا يستطيع الإنسان أن يقترب إليها، وهناك تقدم الذبائح والعشور والتكفير عن الخطايا ويقود الله الإنسان في غريته^(١).

أما حينما استراح داود الملك من حروبه واستقر في مملكته، أراد أن يبني بيتاً ثابتاً للرب بدلاً من الخيمة فقال له الرب على لسان ناثان النبي "قال الرب: أنت تبني لي بيتاً لسكنائي؟ لأنني لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت إسرائيل ... إلى هذا اليوم ... متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك، أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته هو يبني بيتاً لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد. أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً" (٢ صم ٧: ٥-١٤)، (أخ ١٧: ١-١٤)، وهكذا بدأت تتكشف أسرار علاقة الله بالإنسان حينما أشار إلى بيت يسكن فيه ويكون بانيه ابناً له ويكون كرسيه إلى الأبد أي أنه بدأ استعلان سر الآب والابن والروح القدس حينما يكون ابن الله الوحيد الجنس هو باني الهيكل وهو الساكن فيه إلى الأبد وعلى مذبحه تُقدم ذبائح التكفير والسلامة والشكر وتقدم التقديمات والندور ويُرفع البخور.

وهكذا بعد أن بنى سليمان ابن داود هيكل الله قَدَّمَ صلاته "هل يسكن الله حقاً مع الإنسان على الأرض؟ هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك، فكم بالأقل هذا البيت الذي بنيت! فالتفت إلى صلاة عبدك وإلى تضرُّعه ... لتكون عينك مفتوحتين على هذا البيت نهراً وليلاً ... واسمع تضرعات عبدك وشعبك إسرائيل ... واسمع أنت من موضع سكناك من السماء" (أخ ٢: ١٨-٢١)، وبعد أن أكمل سليمان صلاته وتضرعاته "نزلت النار من السماء وأكلت المحرقة والذبائح، وملأ مجد الرب البيت. ولم يستطع الكهنة أن يدخلوا بيت الرب لأن مجد الرب ملأ بيت الرب" (أخ ٢: ١٠-٢)، وتراءى الرب لسليمان ليلاً وقال له: "الآن قد اخترت وقدسيت هذا البيت ليكون اسمي فيه إلى الأبد، وتكون عياني وقلبي هناك كل الأيام" (أخ ٢: ١٦)، وهكذا كان هذا الهيكل هو صورة المرحلة الأخيرة لسكنى الله في الإنسان بالروح القدس، حين كشف السيد المسيح هذا السر عندما دخل الهيكل في بداية

(١) رغم أنه في ظروف استثنائية أقام شاول مذبحاً (١ صم ٧: ٣٢-٣٥) وكذلك داود (٢ صم ٢٤: ١٨-٢٥).

ظهوره " كان فصّح اليهود قريباً، فصعد يسوع إلى أورشليم، ووجد في الهيكل الذين كانوا يبيعون بقرأ وغنماً وحَمَاماً، والصَّيَّارِفَ جلوساً. فصنع سوطاً من حبال وطرده الجميع من الهيكل ... وقال ... لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة ... فأجاب اليهود وقالوا له: أية آية تُرينا حتى تفعل هذا؟ أجاب يسوع وقال لهم: انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيام أقيمهُ. فقال اليهود: في ستة وأربعين سنة بُني هذا الهيكل. أفأنت في ثلاثة أيام تُقيمهُ؟. وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده. فلمَّا قام من الأموات، تذكَّر تلاميذه أنه قال هذا، فأمنوا بالكلام الذي قاله يسوع " (يو ٢: ١٣-٢٢)، وهكذا كشف السيد المسيح حقيقة هيكل الله، فيقول بولس الرسول: " أما تَعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم؟ " (١كو ٣: ١٦). ويقول بطرس الرسول: " كونوا أنتم أيضاً مبنين كحجارة حية بيتاً روحياً، كهنوتاً مقدساً، لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله يسوع المسيح " (١بط ٢: ٥).

الآب والابن والروح القدس، وشريعة العهد القديم

العظة (٤٧)

الفطير والفصح

ذكرنا أن أحداثاً تبدوا بسيطة في العهد القديم كان وراءها أسراراً عظيمة تكشف سر الآب والابن والروح القدس في العهد الجديد. فكان من هذه الأحداث هو يوم خروج شعب بني إسرائيل من عبودية فرعون والتي جعل منها الله شريعة "فريضة أبدية" (خر ١٢: ١٤). وقد نتعجب من كلمة "فريضة أبدية" باعتبار أن شعب بني إسرائيل قد تفرَّق بعد صلب السيد المسيح، ولكن هكذا يُفهم الحدث أنه قبل الصليب كان ذلك رمزاً، أما بعد الصليب فكان ذلك حقيقة أبدية!!

كان الأمر الأول في هذه الفريضة هو شريعة الفطير ويعني الخبز بدون خميرة. وكان ذلك ما حدث بعد أن أهلك الملاك المهلك كل من لم يذبح الفصح ويلطخ أعتاب الأبواب العليا بالدم، وهنا " ألحَّ المصريون على الشعب ليُطلقوهم عاجلاً من الأرض لأنهم قالوا: جميعنا أموات " (خر ١٢: ٣٣)، فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر ومعاينهم مصرورة في

ثيابهم على أكتافهم (خر ١٢: ٢٤)، وهنا صارت شريعة الرب "سبعة أيام تاكلون فطيراً ... فإن كل من أكل خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تُقطع تلك النفس من إسرائيل ... وتحفظون الفطير لأنني في هذا اليوم عينه أخرجت أجنادكم من أرض مصر، فتحفظون هذا اليوم في أجيالكم فريضة أبدية^(١)" (خر ١٢: ١٥-١٧).

وكان ترتيب أيام الفطير في الشريعة بعد الاحتفال يوم الفصح "في الشهر الأول، في اليوم الرابع عشر من الشهر فصح للرب. وفي اليوم الخامس عشر من هذا الشهر عيد. سبعة أيام يُؤكل فطير" (عد ٢٨: ١٦-١٧)، وكان يُقرب في اليوم الأول ذبائح خاصة، وتقدمة من دقيق ملتوت بزيت ذبيحة خطية للتكفير عن الشعب، فضلاً عن محرقة الصباح الدائمة مع سكيبه رائحة سرور للرب (عد ٢٨: ١٦ - ٢٥). كانت كل هذه التقدّمات التي تُقرب للرب لا تُصنع خميراً (لا ٢: ١١) ولا تُخل من الملح (لا ٢: ١٢)، وتمضي الأيام إلى أن يأتي ابن الله الوحيد الجنس متجسداً وهو القدوس الغير وارث لمعرفة الشر مثل نسل آدم، فيصبح بذلك فصحاء للإنسان ليموت عنه فينقذ الإنسان من عبودية الشيطان، وهكذا ينبغي أن يلتزم الإنسان بقية حياته - والتي تشير إليها السبعة أيام - خاضعاً فيها لوصايا الرب. لأنه إذا دخل الخمير بيته أي عاش بالخطية "تقطع هذه النفس من شعبها".

وهكذا يكشف السيد المسيح السر ويقول: "انظروا، وتحزّروا من خمير الفريسيين والصدّوقيين" (مت ١٦: ٦)، وكان التلاميذ لم يأخذوا خبزاً ففكروا في أنفسهم "فعلم يسوع وقال لهم: لماذا تُفكرون في أنفسكم يا قليلي الإيمان أنكم لم تأخذوا خبزاً؟ أحتي الآن لا تفهمون؟ ولا تذكرون خمس خبزات الخمسة آلاف وكم قُفّة أخذتم؟... كيف لا تفهمون أنني ليس عن الخبز قلت لكم أن تحزّروا من خمير الفريسيين والصدّوقيين؟ حينئذ فهموا أنه لم يقل أن يتحزّروا من خمير الخبز، بل من تعليم الفريسيين والصدّوقيين" (مت ١٦: ٨-١٢).

بعد ذلك يعود بولس الرسول يقول: "نُقُوا منكم الخميرة العتيقة، لكي تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم فطير. لأن فصحناً أيضاً المسيح قد دُبح لأجلنا. إذاً لنُعبد، ليس بخميرة عتيقة، ولا بخميرة الشر والخبث، بل بفطير الإخلاص والحق" (١ كو ٥: ٧-٨).

(١) كان عيد الفصح في اليوم الرابع عشر ويبدأ أسبوع الفطير في اليوم الخامس عشر ولذلك كان أحياناً يُطلق على عيد الفصح عيد الفطير.

أما الملح فقد كان يشير إلى عدم الفساد وسُمي "ملح عهد إلهك" (١٣: ٢٧).

أما شريعة الفصح (خرأصحا ١٢) فقد كانت فرائضها كما يلي:

١- يكون الشهر الذي يُقدَّم فيه الفصح هو رأس الشهور أي أول شهور السنة.

٢- في العاشر من الشهر يأخذون كل واحد شاه بحسب بيوت الآباء.

٣- شاه صحيحة ذكراً ابن سنة.

٤- يُحفظ من اليوم العاشر إلى اليوم الرابع عشر ويُذبح في العشي^(١)

٥- يؤكل مشوياً بالنار مع فطير على أعشاب مرة. لا مطبوخاً أو نيئاً ولا يبقى منه

للصباح وعظماً لا يُكسر منه، ولا يبقَ منه إلى الصباح.

٦- يؤخذ من الدم على زوفا ويمس العتبة العليا والقائمتين بالدم.

٧- الأغلف لا يأكل منه.

ثم يقول الرب "ويكون لكم هذا اليوم تذكراً فتُعَيِّدونه عيداً للرب، في أجيالكم تُعَيِّدونه

فريضة أبدية" (خر١٢: ١٤)، وتظهر أهمية التدقيق في هذه الشريعة حينما يتضح أن

السيد المسيح دخل إلى أورشليم في اليوم العاشر من الشهر، واستقبله الشعب كملك،

ولكنه كان حاملاً قدَّمَ ذاته يوم الفصح لينقذ الإنسان من عبودية الشيطان، وقدَّمَ

ذاته أولاً كخبز في العشاء الأخير وليس كفطير لأنه اشترك مع الإنسان في اللحم والدم،

ثم تقدَّمَ إلى الصليب ولم يبق جسده على الصليب إلى السبت، وعظماً لم يُكسر منه بل

كُسرت سيقان اللصين الذين حوله، وذاق الخل ممزوجاً بمرارة، وأظلمت الشمس لأن

خروج بني إسرائيل من عبودية فرعون كان ليلاً (خر١٢: ٣١)، وهكذا يختصر بولس

الرسول الأمر كله ويقول: "لأن فصحنا أيضاً المسيح قد دُبِح لأجلنا" (١كو ٥: ٧).

وقد حدث وقت الصليب حدثان عجيبان يُظهران أن هذا هو الفصح الحقيقي الذي

قصده الله منذ خروج بني إسرائيل:

كان الحدث الأول هو انشقاق حجاب الهيكل الذي يفصل بين القدس وقدس

الأقداس (مت ٢٧: ٥١). وقد كان قدس الأقداس لا يدخله إنسان سوى رئيس الكهنة

وحده مرة واحدة كل سنة، وكان يحمل دم ذبيحة الخطية عن الشعب كله، فكان

(١) أو بين العشائين أي عشاء اليوم الرابع عشر والخامس عشر.

ذلك إيماناً بدخول السيد المسيح كرئيس كهنة قد دخل إلى السماء عينها بذبيحة دمه ليكفر عن خطايا كل البشرية (عب ٧: ٢٦ - ٨: ٦).

أما الأمر الثاني وقت الصليب فكان أن "الأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين" (مت ٢٧: ٥١ - ٥٣)، أي أنه بفداء السيد المسيح أعتق هؤلاء من الجحيم وقاموا ليكونوا شهادة لسر الآب والابن والروح القدس واستعلاناً لقيامة البشر التي حصلوا عليها بموت الابن الوحيد الجنس وقيامته.

وقد كان هناك أيضاً ملاحظتان على عيد الفصح: الأولى: كانت "كل أغلف لا يأكل منه" (خر ١٢: ٤٨)، وكما سبق وذكرنا فإن الختان يشير إلى المعمودية أي أن غير المَعْمَد لا يتناول من جسد الرب ودمه، حيث لم يكن أحد يتقدم إلى ذبيحة وعليه نجاسته (لا ٧: ٢٠ - ٢١).

وكانت الملاحظة الثانية: هي حسب الوصية "الكن من كان طاهراً وليس في سفرٍ، وترك عمل الفصح، تُقطع تلك النفس من شعبها، لأنها لم تُقرب قربان الرب في وقته. ذلك الإنسان يحمل خطيته" (عد ٩: ١٣)، أي أن التناول من جسد الرب ودمه هو ضرورة حتمية لغفران الخطية ومن يهمل فيها يموت بخطاياها.

الآب والابن والروح القدس، وشريعة العهد القديم

العظة (٤٨)

شريعة الذبائح والكهنوت

تحدثنا سابقاً عن أسرار الذبائح وتأملنا في البعد الروحي لبيكل الله وارتباط كل ذلك بسر الآب والابن والروح القدس. وكما يتضح أن شريعة العهد القديم تركز على تقديم الذبائح للتكفير عن الخطايا والإثم والشكر لله حتى يكون الإنسان مرضياً عنه أمام الله. وهذا غير التقدمة والنذور والبكور وكان ذلك

يعتمد على الكهنوت للقيام بهذه الخدمة كوسطاء بين الله والناس. ولا يخفى أن الذبيحة والكهنوت يجمعان سر السيد المسيح كوسيط بين الله والناس. كما أن السيد المسيح هو الابن الوحيد في سر الآب والابن والروح القدس، وقد احتوت ذبيحة السيد المسيح كل أنواع الذبائح في العهد القديم. وكما سبق وذكرنا كان السيد المسيح هو رئيس الكهنة الحقيقي الذي دخل إلى الأقداس السماوية بذبيحة نفسه مرة واحدة فوجد قداً أبدياً.

ومن البديهي أن خطايا التجديف ضد الله كانت موجبة للموت. لا يقدم عنها ذبائح (لا ٢٤ : ١٥ - ١٦).

أمّا أنواع الذبائح في شريعة العهد القديم فكانت خمس، وهى ذبيحة المحرقة وذبيحة الخطية والإثم وذبيحة الشكر أو السلامة وتقدمة القربان. وإن كان القربان يُدعى تقدمة لكنه كان يُقدم منه على المذبح ليُحرق مع الذبائح (لا ١ : ٩ - ١٠)، وفي ذبيحة المحرقة كان مُقدم الذبيحة يضع يده على رأسها قبل ذبحها للتكفير عنه (لا ١ : ٤)، وقد كانت ذبيحة المحرقة لرفع الموت عن الإنسان وكانت تُحرق بأكملها وتغسل أحشاؤها قبل إحراقها مع شحمها. وفي ذبيحة الإثم كان يقربها قد أخطأ به (لا ٥ : ٥). وكانت شريعة الخطية والإثم واحدة.

و إذا كان المخطئ كاهناً أو كان كل جماعة إسرائيل، كان جلد الذبيحة وكل لحمها والرأس والأكارع والأحشاء تخرج إلى خارج المحلة لحرقها على حطب. أما إذا كان المخطئ إنساناً عادياً كان الشحم الذي على الأحشاء والكلبتين يوقد على المذبح. ولحمها يكون للكاهن.

أمّا ذبيحة الشكر أو السلامة فكان يأكل منها مقدمها ولا تبق إلى الصباح. وكانت شريعة دم الذبائح تختلف حسب الشخص المقدم عنه، فكان دم الذبيحة المقدم عن الكاهن ينضح منه سبع مرات على حجاب القدس، ويجعل منه على قرون مذبح البخور. أمّا إذا كان عن جماعة إسرائيل ينضح فقط على الحجاب (لا أصحاح ٤) أما إذا كان المخطئ من عامة الشعب فلا يدخل الدم إلى خيمة الاجتماع بل ينضح على حائط مذبح المحرقة.

كما كان يختلف أيضاً نوع الذبيحة بحسب من تُقدّم عنه: فذبيحة الخطية التي تُقدم عن الكاهن أو عن جماعة إسرائيل تكون ثوراً صحيحاً، أمّا إذا كانت عن أحد الرؤساء فيُقدم تيساً ذكراً صحيحاً، وإذا كانت عن أحد من عامة الناس تُقدم أنثى صحيحة من الماعز.

كما كان لكل مناسبة، الذبائح الخاصة التي تقدم فيها: فالأعياد لها ذبائحها، وتقديس الكهنة للخدمة لهم ذبائحهم.

كما كان هناك ذبائح للتطهير من البرص أو النجاسة، وكل هذا عدا ذبيحة دائمة يومية صباحية ومسائية يُقدّم فيها خروف صحيح ويُقدّم معه تقدمة من الدقيق الملتوت بالزيت والخمر على المذبح (خر ٢٩: ٣٨ - ٤١)، وذبيحة خاصة ليوم السبت (عد ٢٨: ٩ - ١٠).

أما عن شريعة يوم التكفير العظيم فكانت تتم مرة واحدة في السنة فريضة دهرية في اليوم العاشر من الشهر السابع. وكان يُقدّم فيها رئيس الكهنة ذبيحة عن خطايا نفسه وعن بيته ثور خطية وكبش محرقة، ثم يأخذ تيسين يلقي عليهما قرعة، ويقدم الواحد ذبيحة خطية، والثاني يضع عليه رئيس الكهنة يديه ويقرب بكل ذنوب بني إسرائيل وكل سيئاتهم مع خطاياهم، ويرسله بيد من يلاقيه في البرية، فيطلق التيس في البرية ويسمى لعزازيل، ثم يقدم دم ثور خطية وتيس خطية إلى داخل الحجاب وينضحه على الغطاء الذي للتأبوت سبع مرات مع سحابة من البخور (لا أصحاح ١٦). ويتضح من كل هذه الأمور اهتمام الرب أن يكون كل إنسان طاهراً أمامه. وإن الخطية وإن كانت واحدة لا يتساوى فيها مرتكبوها، فالذي يعرف أكثر يُحاسب أكثر (لو ١٢: ٤٨)، كما كانت كل هذه الذبائح شرحاً لذبيحة السيد المسيح لأن دم الحيوانات لا يمكن لها أن ترفع حكم موت عن الإنسان.

أمّا عن الكهنوت فقد خصّص الله له سبطاً خاصاً هو سبط لاوي. وجعل الكهنة من بني هارون وبقية السبط لخدمة الهيكل. وكانت لهم ذبائح خاصة للتقديس وملابس خاصة وصفها الله بدقة لموسى واختص رئيس الكهنة بصفيحة من ذهب على العمامة يُكتب عليها "قدس للرب". وكان على صدرته أحجار كريمة على أسماء

بني إسرائيل الاثني عشر (خرأصحاح ٢٨ و ٢٩) ولم يأخذ السبط نصيباً في أرض كنعان كباقي الأسباط لأن الرب كان نصيبه ومن الواضح أن رئيس الكهنة كان يشير إلى السيد المسيح الذي صار وسيطاً بين الله والناس.

الآب والابن والروح القدس، وشريعة العهد القديم

العظة (٤٩)

الشرائع والأحكام والوصايا

ذكرنا سابقاً أن الناموس يحوي الشرائع والوصايا والأحكام. وقد تحدثنا في العظات السابقة بشيء من التفصيل عن شرائع الخيمة والفصح والفطير والذبائح والكهنوت. وكان اهتمامنا بهذه الشرائع لأنها تشير بشكل مباشر إلى تجسد الابن الوحيد الجنس، وعمل الفداء والتبرير والتقديس الذي قام به السيد المسيح من أجل الإنسان.

أولاً الشرائع:

كانت الأعياد ضمن الشعائر التي تشير إلى ذات الهدف ذكرنا منها عيد الفصح وعيد الكفارة، ثم كان هناك عيد الحصاد، وكان ذلك بعد سبعة أسابيع من تقديم أول حزمة حصاد الحنطة أي بعد خمسين يوماً (خر٢٤: ٢٢)، (عد٢٥: ٢٦-٣١)، وهو يقابل عيد حلول الروح القدس بعد اليوم الخمسين لقيامة السيد المسيح، وكان هناك عيد المظال لمدة سبعة أيام يقيمون فيها تحت مظال من سعف النخل وأغصان الشجر والصفصاف في نهاية العام (لا ٢٣: ٤٠)، وكان يشير إلى الأبدية. وكان على كل ذكر فوق ١٢ سنة أن يظهر أمام الله في الأعياد الثلاثة: الفصح والخمسين والمظال، وكان لكل عيد الذبائح الخاصة به (لا ٢٣: ٩-٢٢)، (لا ٢٣: ٣٤-٤٣).

ثم كانت شريعة الميوبيل في السنة الخمسين يُنادى بها بالعتق لسكان الأرض ويسترد كل واحد ما أرتثه (لا ٨: ٢٥-٣٢). وقد كان هناك أيضاً شرائع خاصة

بالطهارة والنجاسة (لا أصحاح ١١)، وشرائع للتطهير من البرص (لا أصحاح ١٢)،
 وشرائع لمنع زواج الأقارب (تث ٢٧: ٢٠، ٢٢ - ٢٣)، بالإضافة إلى شرائع للتقدمات من
 أبقار الحيوانات (خر ١٣: ١٢ - ١٥) وأوائل الحصاد (لا ٢٣: ١٠) وعشور الأرض من الحبوب
 والثمار (لا ٢٧: ٣٠) والندور والتذير (عد ٦: ٢ - ٢١) وكذلك البخور (خر ٣٠: ٣٤) والدهن
 (خر ٣٠: ٢٢ - ٢٥) الذي يُمسح به الكهنة له شريعة خاصة، ثم أعطى الله لموسى أحكاماً
 (خر أصحاح ٢١ - ٢٢)، وأظهر الله الهدف منها " تكونون لي أناساً مقدسين " (خر ٢٢: ٣١)،
 " وتكونون لي قديسين لأنني قدوس. أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي " (لا ٢٠: ٢٦).
 ثانياً الأحكام:

كان من الأحكام تحرير العبيد (خر ٢١: ٢ - ١٠) وأحكام على المخطئين بالقتل
 أو السرقة أو إهانة الوالدين (خر ٢١: ١٢ - ١٧)، (خر ٢٢: ١ - ٤)، (لا ٢٠: ٩) وكان هناك
 أحكاماً للتعويض (خر ٢١: ١٨ - ٣٦)، (خر ٢٢: ٥ - ١٧)، (لا ٢٤: ١٧ - ٢٢) وأحكاماً لمنع
 السحر أو منازل الحيوانات (خر ٢٣: ١٨ - ١٩) أو الزنا (لا ٢٠: ١٠) أو عبادة الأوثان
 (لا ٢٦: ١) ومنع الربا (لا ٢٥: ٢٧)، (تث ٢٣: ١٩).

وقد حدد الله ستة مدن لكي يهرب إليها كل قاتل بطريق الخطأ (تث ٩: ١ - ١٠)،
 (عد ٣٥: ١١ - ١٣) ويمكننا الاكتفاء بهذه الأحكام لنصل إلى وصايا الناموس ونرى
 مقدار السمو والرفعة لهذه الوصايا التي تليق بأبناء الله.

ثالثاً الوصايا:

كان أشهر الوصايا هي الوصايا العشر التي كتبها الله بإصبعه (خر أصحاح ٢٠)
 والتي كان فيها: لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تتطرق باسم الرب إلهك باطلاً
 وتقديس يوم السبت الذي يشير إلى تقديس حياة الإنسان، أكرم أباك وأمك، لا تقتل،
 لا تزني، لا تسرق، لا تشهد بالزور، لا تشته بيت قريبك أو امرأته أو أمته أو ثوره
 أو حمارة أو شيئاً مما له.

هذا غير وصايا أخرى رفيعة مثل:

لا تضطهد الغريب ولا تضايقه (خر ٢٢: ٢١)، (خر ٢٣: ٩) لا تسيء إلى أرملة ما
 ولا يتيم (خر ٢٢: ٢٢)، لا تلعن رئيساً في شعبك (خر ٢٢: ٢٨)، لا تقبل خبراً كاذباً

ولا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم (خر ٢٣: ١)، ابتعد عن كلام الكذب (خر ٢٣: ٧)، لا تأخذ رشوة لأن الرشوة تُعمي المبصرين وتعوج كلام الأبرار (خر ٢٣: ٨)، لا تعوج حُكْمَ الغريب واليتيم، ولا تستترهن ثوب الأرملة (تث ٢٤: ١٧)، لا ترتكبوا جوراً في القضاء لا في القياس ولا في الوزن ولا في الكيل (لا ١٩: ٣٥)، لا تظلم أجيراً مسكيناً وفقيراً (تث ٢٤: ١٤)، لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتجسوا بهم (لا ١٩: ٣١)، لا من يرقى رقية ولا من يسأل جاناً أو تابعه ولا من يستشير الموتى (تث ١٨: ١١)، لا تأكلوا بالدم ولا تتفاءلوا ولا تعيفوا^(١) (لا ١٩: ٢٦)، إن ارتهنت ثوب صاحبك فألى غروب الشمس ترده إليه (خر ٢٢: ٢٦)، إن أقرضت صاحبك قرضاً فلا تدخل بيته لكي ترتهن رهنأً منه. في الخارج تقف والرجل يخرج إليك الرهن. (تث ٢٤: ١٠ - ١١)، إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شاردأً ترده إليه (خر ٢٢: ٤)، عندما تحصدون حصيد أَرْضِكُمْ لا تكمّل زوايا حقلك في حصادك، ولقاط حصيدك لا تلتقط. للمسكين والغريب تتركه (لا ٢٣: ٢٢)، لا تشتم الأصم وقدام الأعمى لا تعمل معثرة (لا ١٩: ١٤)، لا تكذبوا، ولا تغدروا أحدكم بصاحبه ولا تحلفوا باسمي للكذب (لا ١٩: ١١ - ١٢)، لا تغضب قريبك ولا تسلب ولا تبت أجر أجير عندك إلى الغد (لا ١٩: ١٣)، لا تبغض أخاك في قلبك ... لا تتقم ولا تحتقر على أبناء شعبك بل تُحب قريبك كنفسك (لا ١٩: ١٧ - ١٨)، لا تكلم الثور في دراسه (تث ٢٥: ٤)، لا تحرث على ثور وحمار معاً (تث ٢٢: ١٠)، إذا اتفق قدامك عش طائر في الطريق فيه فراخ أو بيض الأم حاضنه فلا تأخذ الأم مع الأولاد. أطلق الأم، خذ لنفسك الأولاد لكي يكون لك خير (تث ٢٢: ٧).

وأخيراً لا يسعنا إلا أن نسجد ونخشع أمام الله، الذي أوصى بهذه الوصايا التي لا تهتم فقط بالإنسان بل حتى بالحيوان والطير.

ولنسمع الآن وصية السمع التي أوصى بها الرب: "اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك. ولكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك، وقصّها على أولادك، وتكلّم بها حين تجلس في بيتك، وحين تمشي

(١) العيافة هي التجنيم ومحاولة كشف الطالع.

في الطريق، وحين تنام وحين تقوم، واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم بيتك وعلى أبوابك " (تث ٦: ٤-٩).

والآن بعد أن رأينا هذه النماذج من الشرائع والأحكام والوصايا الإلهية يمكننا أن نفهم لماذا قال السيد المسيح أن السماء والأرض تزولان ولا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس (مت ٥: ١٨).

وفوق هذا كله كان هناك في ناموس موسى رموزاً ونبوءات هامة، وقد ذكرنا من الرموز: نزوح بني إسرائيل إلى مصر "من مصر دعوت ابني" (هو ١١: ١)، (مت ٢: ١٥). والفصح، وعبور البحر الذي يشير إلى المعمودية، والمن من السماء الذي يشير إلى جسد السيد المسيح، والصخرة التي تدفق منها الماء والتي تشير إلى السيد المسيح الذي طعن بالحرية، والحية النحاسية التي تشير إلى الصليب. والذبائح التي تشير إلى عمل الخلاص بالسيد المسيح إلى غير ذلك.

وأما عن النبوءات: فكان منها اثنتان هامتان الأولى: كانت عن التجسد الإلهي للسيد المسيح حينما قال الرب لموسى: "يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسط إخوتك مثلي. له تسمعون ... أقيم لهم نبياً وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه" (تث ١٨: ١٥-١٨)، فيقول الله مثلي ثم يقول مثلك. أي إلهاً وإنساناً في آن واحد.

والنبوة الثانية: كانت عن بني إسرائيل "لأنني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتترغنون عن الطريق الذي أوصيتكم به، ويصيبكم الشر في آخر الأيام لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تُغيظوه بأعمال أيديكم" (تث ٣١: ٢٩)، وذلك رغم أن موسى سبق وقال لهم: "إن هذه الوصية التي أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك. ليست هي في السماء حتى تقول: من يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويُسَمِّعنا إياها لنعمل بها؟ ولا هي في عبر البحر حتى تقول: من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويُسَمِّعنا إياها لنعمل بها؟ بل الكلمة قريبة منك جداً، في فمك وفي قلبك لتعمل بها. انظر قد جعلت اليوم قُدَّامَكَ الحياة والخير، والموت والشر، بما أني أوصيتك اليوم أن تحب الرب إلهك وتسلك في طريقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكي تحيا وتنمو، ويباركك الرب إلهك" (تث ٣٠: ١١-١٦).

الآب والابن والروح القدس، وشريعة العهد القديم

العظة (٥٠)

نظرة السيد المسيح والآباء الرسل للناموس

السيد المسيح الابن الوحيد الجنس الذي اتخذ صورة إنسان ليعطي البشر البنوة لله فيه ويقدسه بالروح القدس، كان هو واضع الناموس للإنسان لكي يرسم للإنسان طريق القداسة كما سبق وذكرنا قوله: " تكونون قديسين لأنني أنا قدوس " (١١٧: ٤٤). وبهنا الآن أن نرى نظرة السيد المسيح والآباء الرسل إلى الناموس لنرى موقف الشريعة المسيحية من الناموس. فبالنسبة للسيد المسيح نرى ما يلي:

١- كان السيد المسيح منفذاً للناموس، وقابلاً لتنفيذ الناموس في ذاته منذ طفولته، فقد قبل الختان في اليوم الثامن كشريعة موسى (لا ١٢: ٢ - ٦)، (لو ٢٣: ٢٣) وصعدت به أمه إلى الهيكل بعد أربعين يوماً من ولادته كذكر فاتح رحم أمه (خر ١٣: ٢)، (لو ٢٣: ٢)، وكان أبواه يصحبانه إلى أورشليم كل سنة في عيد الفصح (خر ٢٣: ١٥)، (لو ٢: ٤١)، وكان يذهب معتاداً كل سبت إلى المجمع (لو ٤: ١٦)، وكان يصلي مع أنه كان هو قابل الصلاة (لو ٥: ١٦)، (لو ٦: ١٢)، وكان يدعو لوصايا الناموس (لا ١٨: ١٩)، (مت ١٩: ١٩)، (لو ١٨: ١٨ - ٢٠)، (لو ١٠: ٢٥ - ٢٨) خاصة وصية السمع (مر ١٢: ٢٨ - ٣١)، (لو ١٠: ٢٧)، وأمر الرجل الأبرص الذي قام بشفائه أن يذهب إلى الكاهن وقيم القران حسب شريعة التطهير التي أوصى بها موسى (مت ٨: ١ - ٤) وحينما تمنع يوحنا المعمدان من تعميده كمثّل بقية البشر التائبين الذين اعترفوا بخطاياهم، أجابه يسوع " اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر " (مت ٣: ١٥). أي أن السيد المسيح كان يحفظ كل أوامر الناموس ليُطبَّقها على نفسه رغم أنه هو الله القدوس الظاهر في الجسد.

٢ - كان السيد المسيح يستخدم كلمات الناموس في المواقف المختلفة لأنه هو واضع هذه الكلمات ففي التجربة على الجبل يقول للشيطان: " ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله " (مت ٤: ٤)، وهى من كلمات سفر التثنية (٨: ٣) ورد مرة ثانية: " لا تُجرب الرب إلهك " (مت ٤: ٧)، وهى من سفر التثنية (٦: ١٦)،

ومرّة ثالثة قال: " مكتوب: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد " (مت ٤ : ١٠) ، وهى من سفر التثنية (٦ : ١٠ ، ١٣ : ٢٠). وتحدّث مع التلاميذ عن هروبهم يوم أن سلّم ذاته لليهود: " لأنه مكتوب: أنى أضرب الراعى فتبتدد خراف الرّعية " (مت ٢٦ : ٣١) ، وهى من سفر زكريا (١٣ : ٧) ، وعلى الصليب أشار إلى مزمور ٢٢ الذي يتحدّث عن آلامه وقت الصليب فنطق بأول جملة في المزمور " إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟ " (مت ٢٧ : ٤٦). وكما سبق وذكرنا فقد شرح لتلميذي عمواس ولبقية التلاميذ ما تحدّث أنبياء العهد القديم عن فدائه وصلبيه وقيامته.

٣ - وقد قام السيد المسيح بتصحيح الفهم الخاطيء للفرّيسين لكلمات الناموس وتعليمهم المنحرف للوصايا ، وذكرنا ذلك في تصحيحه فهم المعنى السن بالسن والعين بالعين وعن محبة القريب (أنظر عظة رقم ٤٥).

٤ - قام السيد المسيح بعمل خمس معجزات على وجه التحديد في يوم السبت رغم اعتراض اليهود ، لأن هذه المعجزات كان لها مدلول خلاصي يشير إلى عمله تجاه الإنسان كما أنه قام بهذه المعجزات الخمس دون أن يطلب أحد منه. وقد سبق وأشرنا إلى أن السبت يشير إلى حياة الإنسان على الأرض لهذا فقد قام السيد المسيح بخلق عينين من طين في يوم السبت ليتبرّف عليه الإنسان كما نطق الأعمى ، وأقام المفلوج على حافة البركة الذي أمضى ثمان وثلاثين سنة وليس له إنسان فأقامه دون أن يعلم أنه السيد المسيح ، وشفى اليد اليابسة يوم السبت (لو ٦ : ٦ - ١١) ، وأقام المرأة المنحنية يوم السبت (لو ١٣ : ١٠ - ١٦) ، كما شفى الإنسان المستسق (لو ١٤ : ١ - ٥). وكل هذه المعجزات تشير إلى خلاص الإنسان من آثار الخطية حينما ينال الخلاص بفداء السيد المسيح وعطية الروح القدس وقد قال السيد المسيح عن نفسه: " إن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً " (مت ١٢ : ٨).

٥ - وطبّق السيد المسيح رموز العهد القديم على ذاته حينما أشار إلى نيقوديموس عن الحية التي رفعها موسى رمزاً للصليب ، وأنه هو الخبز السمائي أي جسده الذي يبذله عن العالم إشارة إلى المَن الذي نزل على بني إسرائيل ، وأشار إلى جسده أنه هو الهيكل.

٦ - وقد أوضح السيد المسيح لليهود أنه كائن قبل إبراهيم أبيهم (يو ٨: ٥٨) وأن موسى كتب عنه (يو ٥: ٤٦)، كما تجادل السيد المسيح مع الكتبة ومعلمي الناموس كثيراً حتى منذ أن كان طفلاً (لو ٢: ٤٦)، وويؤخهم وأشار إليهم بمثل الكرامين الأردباء الذي يتغلى عنهم صاحب الكرم (مت ٢١: ٢٣ - ٤٥)، وأخبرهم بما قال إشعيا النبي عنهم: "هذا الشعب يكرمني بشفتيه" (مر ٧: ٦)، (إش ٢٩: ١٣)، وأوضح لهم كيف تحدث عنه العهد القديم في (مزمور ١١٠) "قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطناً لقدميك. فإن كان داود يدعوهُ رباً، فكيف يكون ابنه؟" (مت ٢٢: ٤٣ - ٤٥).

٧ - وأخيراً قدّم ذاته يوم عيد الفصح ليؤكد تدبيره لمشهد الفصح الذي به تم إنقاذ شعب بني إسرائيل من عبودية فرعون إشارة إلى إنقاذ البشر من سلطان الموت والشیطان والخطية.

وهكذا أكد السيد المسيح له المجد قوله: "إلى أن نزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس" (مت ٥: ١٨).



أما إذا أتينا إلى نظرة الآباء الرسل إلى الناموس، فقد سبق وذكرنا كيف أن السيد المسيح نَفَخَ في وجوههم وفتح ذهنهم ليفهموا الكتب. وشرح لهم ما هو مكتوب عنه في ناموس موسى والأنبياء والمزامير (لو ٢٤: ٤٥، يو ٢٠: ٢٢).

فبالنسبة للناموس كوصية يقول يوحنا البشير: "لست أكتب إليكم وصية جديدة، بل وصية قديمة كانت عندكم من البدء. الوصية القديمة هي الكلمة التي سمعتموها من البدء" (يو ٢: ٧)، ولو أننا سنسمع وصيته الجديدة في الشريعة المسيحية في العظات القادمة. وبالنسبة لكتاب العهد القديم كنابات يقول بطرس الرسول: "عندنا الكلمة النبوية، وهي أثبت، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها، كما إلى سراج مُنير في موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار، ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم، عالمين هذا أولاً: أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص. لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (٢١: ١٩ - ٢١)، أمّا بالنسبة للناموس كأحكام فقد وجب أن يتممها شعب

بني إسرائيل إلى أن أتى السيد المسيح وأخبرهم أنه هو من تحدّث عنه الناموس والأنبياء. وبهذا ينطبق عليهم الحكم "كل من أخطأ في الناموس فبالناموس يُدان" (رو ٢: ١٣).

وقد أوضح الآباء الرسل أموراً هامة بخصوص هذا الناموس:

١ - "أنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثاً للعالم، بل ببر الإيمان. لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة، فقد تعطلّ الإيمان وتطلّ الوعد" (رو ٤: ١٣ - ١٤)، "فأين الافتخار؟ ... أبناموس الأعمال؟ كلا. بل بناموس الإيمان ... أم الله لليهود فقط؟ أليس للأهم أيضاً ... أفتبطل الناموس بالإيمان؟ حاشا! بل تُثبّت الناموس" (رو ٣: ٢٧ - ٣١).

٢ - "لم أعرف الخطية إلا بالناموس ... ولكن الخطية وهي مُتخذة فرصة بالوصية أنشأت في كل شهوة ... أما أنا فكنت بدون الناموس عاشاً قبلاً. ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية، فمُتّ أنا، فوجدت الوصية التي للحياة هي نفسها لي للموت ... إذاً الناموس مُقدّس، والوصية مقدسة وعادلة وصالحة. فهل صار لي الصالح موتاً؟ حاشا! بل الخطية. لكي تظهر خطية مُنشئة لي بالصالح موتاً، لكي تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية" (رو ٧: ٧ - ١٣).

٣ - "بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما" (غل ٢: ١٦)، "الناموس ليس من الإيمان، بل الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها" (غل ٣: ١٢)، "لأنه لو أُعطي ناموس قادرٌ أن يُحيي، لكان بالحقيقة البرّ بالناموس" (غل ٣: ٢١)، "لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرّر أمامه. لأن بالناموس معرفة الخطية" (رو ٣: ٢٠).

٤ - "لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب: ملعون كل من لا يتّبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به" (غل ٣: ١٠).

٥ - "فلماذا الناموس؟ (غل ٣: ١٩) ...

"هل الناموس ضد مواعيد الله؟ حاشا!" (غل ٣: ٢١)، "إذاً قد كان الناموس مؤدّبنا إلى المسيح، لكي نتبرر بالإيمان" (غل ٣: ٢٤)، "قد زيد بسبب التّعديّات، إلى أن يأتي النسل الذي قد وُعد له" (غل ٣: ١٩)، "لأننا قد شكّونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية، كما هو مكتوب: أنه ليس بارٌّ ولا واحد" (رو ٩: ٣ - ١٠).

٦ - "إذاً أجد الناموس لي حينما أريد أن أفعل الحُسنى أن الشر حاضر عندي. فإني أُسرُّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن. ولكنني أرى ناموساً آخر في أعضائي يُحارب ناموس ذهني،

ويسبني إلى ناموس الخطية الكائن في أعصابي. ويحيي أنا الإنسان الشقي! من يُنقذني من جسد هذا الموت؟" (رو ٧: ٢١-٢٤).

٧ - وحينما يصل بنا الآباء الرسل إلى هذا المأزق يجيبون "لأن غاية الناموس هي: المسيح للبر لكل من يؤمن" (رو ١٠: ٤)، "لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع أعتقني من ناموس الخطية والموت. لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه، في ما كان ضعيفاً بالجسد، فאלله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد، لكي يتم حكم الناموس فينا، نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح" (رو ٨: ٢-٤).

وهكذا نكتشف أنه "ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد. بل بإسحاق يُدعى لك نسل. أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله، بل أولاد الموعد يُحسبون نسلًا" (رو ٩: ٦-٨)، "وهكذا نجد أن كل الأمم لها نصيباً في الله بالإيمان بيسوع المسيح. تماماً كمثل إيمان إبراهيم الذي به نال البر" إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر أدركوا البر. البر الذي بالإيمان. ولكن إسرائيل، وهو يسعى في أثر ناموس البر، لم يدرك ناموس البر! لماذا؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان، بل كأنه بأعمال الناموس. فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة، كما هو مكتوب: ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة، وكل من يؤمن به لا يخزي" (رو ٩: ٣٠-٣٣).

"أعلل الله رفض شعبه؟ حاشا!" (رو ١١: ١)، أو "أعلمهم عثروا لكي يسقطوا؟ حاشا!" (رو ١١: ١١)، إذاً كان لا بد للآباء الرسل أن يشرحوا لنا خطة الله في الخلاص التي تضمنها العهد القديم:

١ - أظهر الآباء الرسل الناموس كمؤدب للإنسان بدلاً من إهلاكه مثل ما فعل مع نوح وسدوم وعمورة.

٢ - أظهر الآباء الرسل عجز الناموس في تبرير الإنسان من الخطية حتى في حالة إطاعة الناموس، بل أظهروا عجز الإنسان من أن يتمم أحكام الناموس، بل أظهروا كيف صار الناموس سبب لعنة رغم صلاحه وعدله وبالتالي أظهروا احتياج الإنسان إلى عمل نعمة الله لكي تخلص الإنسان من جسد الخطية بالتجسد الإلهي والفداء واستعلان سر الآب والابن والروح القدس.

٣ - أشار الآباء الرسل إلى النبوات العديدة التي في العهد القديم التي تشير إلى التجسد من أجل خلاص الإنسان. وكان أبرزها ما قاله الله لموسى أنه يرسل من بني إسرائيل نبياً مثلي أي مثل الله ومثلك أي صورة إنسان. إلى القول أن "يسوع المسيح قد صار خادم الختان، من أجل صدق الله حتى يُثَبَّت مواعيد الآباء" (رو ٨ : ١٥)، وتعني كلمة "خادم الختان" هنا إلى ارتباطه ببني إسرائيل وتجسده في وسطهم.

٤ - أوضح الآباء الرسل عمل الإيمان في تغيير الإنسان خاصة بعد إظهار عجز الإنسان في إطاعة الله بالقدرة الإنسانية أي بالناموس.

٥ - أظهر الآباء الرسل وعود الله وعهوده بواسطة الأنبياء في العهد القديم بتغيير طبيعة الإنسان، وجعل الناموس ساكناً في قلب الإنسان بروح الله وغافراً له ما سبق من خطايا بعمل الفداء (عب ٨ : ١٠ - ١٣).

٦ - أوضح الآباء الرسل أن الله أعدَّ الخلاص من قبل تأسيس العالم، ليس لشعب إسرائيل فقط بل لكل الشعوب، بل يمتد إلى خلاص الذين سبقوا بالموت منذ آدم ونزلوا إلى الجحيم.

٧ - شرح الآباء الرسل رموز الخلاص في قصة بني إسرائيل كلها على النحو التالي: رموز في الأشخاص، ورموز في الأحداث، ورموز في الشريعة، ورموز في المواقع والأماكن. بالنسبة للأشخاص:

"كان لإبراهيم ابنان، واحد من الجارية والآخر من الحرّة لكن الذي من الجارية وُلد حسب الجسد، وأما الذي من الحرّة فبالموعد. وكل ذلك رمز، لأن هاتين هما العهدان، أحدهما من جبل سيناء، الوالد للعبودية، الذي هو هاجر. لأن هاجر جبل سيناء في العربية. ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة، فإنها مستعبدة مع بنوها. وأما أورشليم العليا، التي هي أُمّا جميعاً، فهي حرة" (غل ٤ : ٢٢ - ٢٦). أي أن وعد الله الحقيقي هو بنوة الإنسان له بالوعد بيسوع المسيح. وأن بنوة بني إسرائيل رغم أنها بنوة حقيقية، لكن لأنها كانت حسب الجسد حُسبت مثل ولادة إسماعيل من هاجر "باسحاق يُدعى لك نسل أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله، بل أولاد الموعد يُحسبون نسلًا" (رو ٩ : ٨ - ١٠).

وعن رموز الأحداث:

" أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة، وجميعهم اجتازوا في البحر، وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر، وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً، وجميعهم شربوا شرباً واحداً روحياً، لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح " (١ كو ١٠: ١-٤).

ويتحدث الرسل عن البرقع الذي كان يضعه موسى على وجهه حتى يمكن لبني إسرائيل أن يخاطبوه، أنه يشير إلى عدم تعرف بني إسرائيل على السيد المسيح وذلك لأنهم " أغلظت أذهانهم، لأنه حتى اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باق غير منكشف، الذي يُبطل في المسيح. لكن حتى اليوم، حين يُقرأ موسى، البرقع موضوع على قلوبهم. ولكن عندما يرجع إلى الرب يُرفع البرقع " (٢ كو ٣: ١٤-١٦).

كما يصف الآباء الرسل انشقاق حجاب الهيكل وقت صلب السيد المسيح أنه يشير إلى جسد السيد المسيح الذي بموته كشفت الأقداس للإنسان وهي التي لم يكن يجرؤ أن يقرب إليها إنسان، كما أن ذلك " نقض حائط السياج المتوسط، أي العداوة. مُبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين (أي اليهود والأمم) في نفسه إنساناً واحداً جديداً، صانعاً سلاماً، ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب، قاتلاً العداوة به " (أف ٢: ١٤-١٦).

وعن رموز الشريعة:

أشار الآباء الرسل إلى أن الختان هو رمز لعمل المعمودية " به أيضاً خُتنتم ختاناً غير مصنوع بيدٍ، بخلع جسم خطايا البشرية، بختان المسيح. مدفونين معه في المعمودية، التي فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله، الذي أقامه من الأموات. وإذا كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف جسدكم، أحياكم معه، مُسامحاً لكم بجميع الخطايا " (٢ كو ١١: ١٣).

كما أشار الآباء الرسل إلى أن الفصح هو السيد المسيح " لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا " (١ كو ٥: ٧)، وبالتالي نحن نعيّد عيد الفصح والفطير بأن نبتعد عن الشرور " نقوا منكم الخميرة العتيقة، لكي تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم فطير ... إذاً لنعيد، ليس بخميرة عتيقة، ولا بخميرة الشر والخُبث، بل بفطير الإخلاص والحق " (١ كو ٥: ٧-٨)، وكذلك أشاروا إلى خدمة رئيس الكهنة في العهد القديم أنه هو عمل السيد المسيح كرئيس كهنة حقيقي " خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسان " (عب ٨: ٢)،

" لأن المسيح لم يدخل أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية، بل إلى السماء عينها، ليظهر أمام وجه الله لأجلنا. ولا يُقدم نفسه مراراً كثيرة، كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر" (عب ٩: ٢٤ - ٢٥).

وعن رموز الأماكن والمواقع:

يقول الرسل: " لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملبوس مُضطرم بالنار، وإلى ضباب وظلام وزوبعة، وهتاف بُوق ... وكان المنظر هكذا مُخيفاً حتى قال موسى: أنا مُرتعب ومُرتعد. بل قد أُتيتم إلى جبل صهيون، وإلى مدينة الله الحي، وأورشليم السماوية، وإلى ربوات هم محفل ملائكة، وكنيسة أبكار ... وإلى الله دِيان الجميع، وإلى أرواح أبرار مُكَمَّلين، وإلى وسيط العهد الجديد، يسوع، وإلى دم رشٍّ يتكلَّم أفضل من هابيل " (عب ١٢: ١٨-٢٤)، وقد سبق وذكرنا كيف أشار الآباء الرسل إلى المؤمنين كهيكَل الله بالروح القدس (أف ٢: ٢٠ - ٢٢)، (إبط ٢: ٥)، (١كو ٦: ١٩)، (١كو ٣: ١٦).

وفي تشبيهات جميلة عن العهد القديم:

يتحدَّث بولس الرسول أن المرأة مرتبطة بالرجل مادام حياً ولكنها حرة بمن تتزوج إذا مات " إذاً يا إخوتي أنتم أيضاً قد مُتُّم للناموس بجسد المسيح، لكي تصيروا لآخر، الذي أقيم من الأموات لتُثمر لله " (رو ٧: ٤).

وفي تشبيه آخر، أن الإنسان الوارث القاصر يتساوى مع العبد رغم كونه صاحب الجميع لأنه يبقى تحت الأوصياء " هكذا نحن أيضاً: لمَّا كنا قاصرين، كنا مستعبدين تحت أركان العالم. ولكن لمَّا جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبني. ثم بما أنكم أبناء، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً، يا أبا الآب. إذاً لست بعد عبداً بل ابناً، وإن كنت ابناً فوارث لله بالمسيح " (غل ٤: ٣-٧).

وأخيراً يكشف بولس الرسول سرّاً عظيماً بالنسبة لشعب بني إسرائيل الذي رفض السيد المسيح وقام بصلبه وتشتت ولم يبق في الهيكل حجر على حجر إلا ويُقَض، وهو سر تحدث عنه السيد المسيح مشيراً إلى آخر الأيام عن عودة شعب بني إسرائيل بقوله "فمن شجرة التين تعلّموا المثل: متى صار غُصنها رخصاً وأخرجت أوراقها، تعلمون أن الصيف قريب. هكذا أنتم أيضاً، متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب " (مت ٢٤: ٣٢ - ٣٣)،

وهى تقابل شجرة التين التي سبق وغضب عليها حينما كانت خضراء ولكنها غير مثمرة فبيست في الحال (مت ٢١ : ١٨ - ٢٠). وهى تشير إلى شعب بني إسرائيل حين يعود من تشنته. وفي هذا يشرح القديس بولس في الأصحاح الحادي عشر من رسالة رومية "ألعل الله رفض شعبه؟ حاشا" (رو ١١ : ١)، "بل بزلّتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم. فإن كانت زلّتهم غنى للعالم، ونقصانهم غنى للأمم، فكم بالحري ملوهم؟ ... وإن كان الأصل مقدساً فكذلك الأغصان! فإن كان قد قُطع بعض الأغصان، وأنت زيتونة برية طُعمت فيها، فصرت شريكاً في أصل الزيتون ودسمها، فلا تفتخر على الأغصان ... من أجل عدم الإيمان قُطعت، وأنت بالإيمان ثَبَّت. لا تستكبر بل خَفْ! ... لأن الله قادر أن يُطعمهم أيضاً ... فأني لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا هذا السر ... أن القساوة قد حَصَلَتْ جُزْئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملوُّ الأمم ... من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم، وأمّا من جهة الاختيار فهم أحباء من أجل الآباء، لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة..." (رو ١١ : ١١-٢٩).

الآب والابن والروح القدس، والشريعة المسيحية

العظة (٥١)

سر الصليب

رأينا فيما سبق ما يحيط بناموس العهد القديم من شرائع ووصايا وأحكام كما اطلعنا على أهداف الله منه، فوجدنا شرائعه تشير بوضوح إلى فداء الإنسان من آثار الخطية والإثم، كما كانت تعبيراً عن الشكر لله واعترافاً برعايته للإنسان، وكان مجمل الشريعة من ذبائح وكهنوت واحتفالات وطقوس، إنما تشير كلها إلى ذبيحة السيد المسيح ابن الله الوحيد الجنس الذي أخذ صورة إنسان من الروح القدس والعدراء مريم، وقدم ذاته بتدبير عجيب ليكون فصحاً، وذبيحة محرقة، وذبيحة خطية وإثم وشكر، وجعل ذبيحته دائمة للإنسان بذبيحة قربان حين قدّم جسده ودمه قبل الصليب بصورة خبز وخمر.

كما رأينا أن أحكام الناموس من عقاب أخذها عنا السيد المسيح في جسده، حينما قبل لطم اللاطمين وجلد السياط وهو الطاهر القدوس الذي بلا عيب، فرفع

بذلك عن البشر عقاب من يخالف الناموس. وأخيراً حَمَلَ عن الإنسان لعنة الناموس حينما علّق على خشبة الصليب فحقق رفع اللعنة عن البشر حينما نفَّذ حكم الناموس "ملعون كل من علّق على خشبة" (تث ٢١: ٢٣)، (غلا ٣: ١٣).

أما عن الوصايا التي للناموس فإنها رغم رفعها وسموها فقد أعلن السيد المسيح أنها واجب محتّم على الإنسان، وأن من يتمم الوصايا كاملة فهو بمثابة عبد قد حقق لسيد ما يريد، وذلك حسب قوله "كذلك أنتم أيضاً، متى فعلتم كل ما أمّرتكم به فقولوا: إنا عبيد بطلّون، لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا" (لو ١٧: ١٠). بل إن السيد المسيح أشار إلى الكتبة والفريسيين وهم الذين يتممون الناموس بكل دقة - بل وبمبالغة - أن هذا البر الذي يحيون به لا يكفي في الشريعة المسيحية لدخول ملكوت السموات "إني أقول لكم: أنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات" (مت ٥: ٢٠). وهكذا أعلن السيد المسيح أنه رغم تأكّيده وتثبيتته لناموس موسى "أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس" (مت ٥: ١٨)، إلا أن ذلك لا يكفي لتبرير الإنسان، وذلك لسبب بسيط أن ناموس العهد القديم لا يمكنه تغيير طبيعة الإنسان، العارفة للشر، ولهذا فإن قول السيد المسيح "لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمّل" (مت ٥: ١٧)، فإنه كان يعني بهذا القول إظهار ما يميّز الشريعة المسيحية وذلك في منح الإنسان السلطان على الخطية والشر، بموت الإنسان العتيق ومنحه خليفة جديدة وميلاد ثانٍ، وبهذا يكملّ الناموس ويكملّ الإنسان وهو ما أشار إليه السيد المسيح بكلمة "الكل" وذلك في قوله: "لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل" (مت ٥: ١٨).

وقد أوضح السيد المسيح هذا الضارق بين ناموس العهد القديم، وناموس العهد الجديد في إجابتين على سؤال عن الوصية وعن الحياة الأبدية:

كانت الإجابة الأولى: على سؤال من أحد كتبة الناموس للسيد المسيح "أية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد. وتُحِب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك. هذه هي الوصية الأولى. وثانية مثلها هي: تُحِب قريبك كنفسك. ليس وصية أخرى أعظم من هاتين" (مر ١٢: ٢٨-٣١)،

ولما كانت إجابة السائل بالقبول، أجابه السيد المسيح: "لست بعيداً عن ملكوت الله" (مر ١٢: ٣٤).

وكانت الإجابة الثانية: رداً على السؤال لرئيس من الشعب "ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية" (مر ١٠: ١٧، لو ١٨: ١٨)، فكانت إجابة السيد المسيح "أنت تعرف الوصايا، لا تزني. لا تقتل. لا تسرق. لا تشهد بالزور. لا تسلب. أكرم أباك وأمك. فأجاب وقال له: يا معلم، هذه كلها حفظتها منذ حداثتي. فنظر إليه يسوع وأحبه، وقال له: يُعوزك شيء واحد: اذهب بع كل ما لك وأعطِ الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني حاملاً الصليب" (مر ١٩: ٢١).

وهكذا أعلن السيد المسيح بوضوح شديد أن ناموس العهد القديم لا يصبح كاملاً إلا بالصليب!! فقد كان الرجل الأول: الذي يتمم الناموس "ليس بعيداً عن ملكوت السموات"، أما الرجل الثاني: الذي حفظ الناموس - فأحبه السيد المسيح - لم يكن سيدخل ملكوت السموات إلا بالصليب، أي أن كل من أراد أن يتعرف على الشريعة المسيحية أو ما يسمى "الناموس الكامل" (يع ١: ٢٥) فما عليه إلا أن يتعرف على أبعاد "سر الصليب" ولا يكون مثل هذا الرجل الثاني الذي أبلغه السيد المسيح أن يحمل الصليب فلم يفكر فيما هو قصد السيد المسيح بل "مضى حزناً لأنه كان ذا أموال كثيرة" (مر ١٠: ٢٢).

أما عن أبعاد سر الصليب فإنه:

١ - كان الصليب هو المذبح الذي تمت عليه كل ذبائح العهد القديم: ذبيحة المحرقة التي تموت عن الإنسان وترفع حكم الموت، وذبيحة الخطية والإثم التي تكفر عن الإنسان، وذبيحة الشكر التي يقدمها الإنسان لله وذبيحة القربان الذي كان يقدم مع الذبائح، وذبيحة الكفارة السنوية التي كان يقدمها رئيس الكهنة في العهد القديم عن الشعب كله مرة واحدة في السنة، وذبيحة التطهير التي يتطهر بها كل من كان نجساً، وذبيحة تقديس الكهنة للخدمة، وذبيحة الفرح في الأعياد. وذبيحة الصلاة اليومية الصباحية والمسائية!! (انظر عظة ٤٩).

٢ - كان هذا الصليب أو المذبح خارج أسوار المدينة المقدسة أورشليم التي اختارها الله كمكان للهيكل. وكان الموقع خارج المحلة حيث يُلقي رماد الذبائح (لا ١٢: ٤)،

وَيُحَرِّقُ ثَوْرَ الْخَطِيئَةِ الْمُقَدَّمُ عَنِ الشَّعْبِ. كَمَا كَانَ مَوْعِدُ ذَبِيحَةِ الصَّلِيبِ هُوَ مَوْعِدُ ذَبِيحَةِ الْفَصْحِ الَّتِي أَنْقَذَتِ الشَّعْبَ مِنْ عِبُودِيَةِ فِرْعَوْنَ. وَكَانَ يَوْمُ الْفَصْحِ هُوَ أَوَّلُ الْأَعْيَادِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا نَامُوسُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ لِيَكُونَ كُلُّ الشَّعْبِ مُجْتَمِعاً فِي أُورُشَلِيمَ فَيَشْهَدُوا الْخَلَاصَ.

٣ - كَانَ الْمَذْبُوحُ صَلِيباً، وَبِذَلِكَ حَمَلَتِ الذَّبِيحَةُ الَّتِي عَلَيْهِ لَعْنَةُ النَامُوسِ الَّتِي يَقُولُ مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ، وَكَانَ الْمَذْبُوحُ صَلِيباً لِيَحَقِّقَ الرَّمْزَ لِلْحَيَةِ النَّحَاسِيَّةِ الَّتِي رَفَعَهَا مُوسَى وَكَانَ كُلُّ مَنْ يَرَاهَا يَنْجُو مِنْ لَدَغِ الْحَيَةِ أَيْ إِبْلِيسَ، وَكَانَ الْمَذْبُوحُ صَلِيباً لِأَنَّ رُؤَسَاءَ الْيَهُودِ حَاولُوا أَنْ يَتَجَنَّبُوا أَنْ يَأْتِيَ عَلَيْهِمْ دَمُ الذَّبِيحَةِ الْقُدُّوسِ الْبَارِّ، فَاسْلَمُوهُ لِلرُّومَانِ حَيْثُ تَكُونُ عَقُوبَةُ الْإِعْدَامِ هِيَ بِالصَّلِيبِ وَبِذَلِكَ تَتَحَقَّقُ النَّبَوَاتُ.

٤ - كَانَتِ الذَّبِيحَةُ الَّتِي عَلَى الصَّلِيبِ هِيَ بِذَاتِهَا الْإِبْنُ الْوَحِيدَ الْجَنَسِ فِي جَوْهَرِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُّوسِ، وَقَدْ اشْتَرَكَ مَعَ الْإِنْسَانِ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ هُوَ اللَّهُ الْقُدُّوسُ فَكَانَ ذَبِيحَةً طَاهِرَةً بَغَيْرِ خَطِيئَةٍ. وَقَدْ حُكِمَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ لِأَنَّهُ قَالَ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ، وَلِكُونِهِ اتَّخَذَ طَبِيعَةً بَشَرِيَّةً أَسْلَمَ رُوحَهُ الْإِنْسَانِيَّةَ الْمُتَحَدَةَ بِبَلَاهُوتِهِ لِلَّهِ أَبِيهِ. كَمَا نَزَلَ بِهَا إِلَى الْجَحِيمِ لِيَعْتَقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرْضَوْا اللَّهَ حَسَبَ النَامُوسِ أَوْ مَا قَبْلَ النَامُوسِ وَأَصْعَدَهُمْ إِلَى الْفِرْدُوسِ حَيْثُ مُسْتَقَرُّ الْأَبْرَارِ إِلَى يَوْمِ الدِّينُونَةِ. وَحِينَمَا دُفِنَ جَسَدُهُ الْمُتَحَدُ بِبَلَاهُوتِهِ فِي الْقَبْرِ، قَامَ حَسَبَ وَعْدِهِ وَحَسَبَ مَا كَتَبَ الْأَنْبِيَاءُ وَبِهَذَا رَفَعَ حُكْمَ الْمَوْتِ عَنِ الْإِنْسَانِ.

٥ - السَّيِّدُ الْمَسِيحُ هُوَ الذَّبِيحَةُ الَّتِي قُدِّمَتْ عَلَى الصَّلِيبِ، وَكَانَتِ قِيَامَتُهُ أَمراً طَبِيعِيّاً بِالنَّسَبَةِ لِلَّهِ الَّذِي اشْتَرَكَ مَعَ الْإِنْسَانِ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ، وَلَكِنَّهَا كَانَتِ قِيَامَةً أَيْضاً لِكُلِّ إِنْسَانٍ قَدْ "مَاتَ لِلنَامُوسِ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ" (رُومِ ٧: ٤)، فَيَقِيمُهُ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ إِنْسَاناً جَدِيداً مَخْلُوقاً بِالْبَرِّ وَقُدَّاسَةً الْحَقِّ. إِذْ رَفَعَ عَنْهُ اللَّعْنَةَ وَحُكْمَ الْمَوْتِ وَأَعْتَقَهُ مِنْ عِبُودِيَةِ الشَّيْطَانِ وَالْخَطِيئَةِ إِذَا مَا تَنَاوَلَ مِنْ ذَبِيحَةِ الْمَسِيحِ فِي سِرِّ التَّائُلِ كَمَا كَانَ فِي ذَبِيحَةِ الشُّكْرِ.

٦ - لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَجْرُو لِلتَّقَدُّمِ إِلَى الذَّبِيحَةِ إِذَا كَانَ أَغْلَفاً غَيْرَ مُخْتَوِنٍ. وَهَكَذَا كَانَ لِأَبَدٍ لِلْبَشَرِ الَّذِينَ يَنَالُونَ ذَبِيحَةَ الصَّلِيبِ أَنْ تُخْتَنَ غُرْلَةُ قُلُوبِهِمْ بِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ.

فيدخلوا في عهد الله امتداداً للعهد الذي أعطاه الله لإبراهيم بدم الذبائح وعهد الختان. وهكذا حينما صعد السيد المسيح إلى السماء أرسل الله روح ابنه على الإنسان حتى ينال عطية ذبيحة الصليب. وكان ذلك في موعد العيد الثاني وهو عيد الخمسين أو الحصاد الذي حدّده الله ليجتمع الشعب في مدينة أورشليم ليكون أيضاً شاهداً على هذه العطية.

٧ - صار على الإنسان الذي يريد أن يتمم الشريعة المسيحية أن يُختتن بالروح حينما يأخذ عطية ذبيحة الصليب في المعمودية، فيموت مع السيد المسيح ويقوم معه. ولهذا أكد السيد المسيح "إن كان أحد لا يُولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو ٣: ٥)، وهكذا صار الدفن في المعمودية ميلاداً جديداً للإنسان يخلع فيه إنسانيته العتيق ويأخذ القوة من ذبيحة الصليب ليكون له السلطان على الشيطان والخطية. حسب قول الكتاب المقدس: "لأنه إن كنا قد صرنا مُتّحدين معه بشبه موته، نُصير أيضاً بقيامته. عالمين هذا: أن إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه ليُبطل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية... فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة... وأما الآن إذ أعتقتم من الخطية وصرتُم عبيداً لله فلکم ثمرکم للقداسة والنهاية حياة أبدية" (رو ٦: ٥-٦، ١٤، ٢٢)، "لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت. لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه، في ما كان ضعيفاً بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد، لكي يتم حكم الناموس فينا، نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح... إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ: يا أبا الآب" (رو ٨: ٢-٤، ١٥)، "لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيحيى الجميع" (١ كو ١٥: ٢٢)، "أين شوكتك يا موت؟... أما شوكة الموت فهي الخطية، وقوة الخطية هي الناموس" (١ كو ١٥: ٥٥-٥٦).

"ثم إن كانت خدمة الموت، المنقوشة بأحرف في حجارة، قد حصلت في مجد، حتى لم يقدر بنو إسرائيل أن ينظروا إلى وجه موسى لسبب مجد وجهه الزائل، فكيف لا تكون بالأولى خدمة الروح في مجد؟" (٢ كو ٣: ٧-٨)، "لأن الله الذي قال: أن يشرق نور من ظلمة. هو الذي أشرق في قلوبنا، لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح... حاملين في الجسد كل حين

إماتة الرب يسوع، لكي تُظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا... المائت" (٢كو ٤: ٦-١١)، "إذاً قد كان الناموس مؤدينا إلى المسيح، لكي نثبت بالإيمان. ولكن بعد ما جاء الإيمان، لسنا بعد تحت مؤدب. لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأن كلكم الذين قد اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح" (غل ٣: ٢٤-٢٧)، "الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غل ٥: ٢٤)، وعلى ذلك "فحاشا لي أن أفخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم. لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الثغرة، بل الخليقة الجديدة" (غل ٦: ١٤-١٥)، وهذا هو جوهر الشريعة المسيحية.

الأب والابن والروح القدس، والشريعة المسيحية

العظة (٥٢)

أُسُس الشريعة المسيحية

مع متابعة شريعة الله للإنسان منذ سقوط آدم وستر عريه بالذبيحة ثم متابعة الذبائح مع هابيل ونوح وإبراهيم إلى تفصيل شريعة الذبائح لموسى النبي، ومع متابعتنا للشريعة الأدبية التي يحياها الإنسان بدون ناموس مكتوب، إلى الوصايا والأحكام التي صارت لموسى أيضاً، ومع متابعة ما أكدّه الأنبياء لشريعة موسى للتمسك بها، ومع متابعة أهداف الله من هذا كله لتقديس الإنسان حتى يكون له مكاناً في السماء، رأينا أنه من خلال سر الصليب الذي تميزت به الشريعة المسيحية قد تحققت فيه كل أهداف الشرائع والوصايا والأحكام، بل قد امتدت ذبيحة الصليب إلى الأموات الذين سبقوه وإلى الأحياء من البشر حتى نهاية الأيام.

وعلى ذلك يمكننا أن نتدارس أسس الشريعة المسيحية التي امتدت جذورها منذ آدم إلى أواخر الدهور. مع ملاحظة أن كلمة دين لم تأت في الكتاب المقدس لتشير إلى الإيمان اليهودي، أو أن هناك تتابع أديان للأنبياء. مع التأكيد أن شريعة الله للإنسان لم تكن مجرد دعوة أخلاقية بل دعوة للقداسة والبنوة لله، حيث لم تأت أيضاً كلمة الأخلاق في الكتاب المقدس سوى مرة واحدة كنصيحة اجتماعية وهى "إن المعاشرات الرديّة تفسد الأخلاق الجيدة" (١كو ١٥: ٣٣).

وهكذا يمكننا أن ننظر إلى أسس الشريعة المسيحية على النحو التالي:

١- وحدانية الله، وهى الحقيقة الفطرية التي لا تحتاج إلى شرح وتأكيد والتي لا ينكرها إلا إنسان جاهل أو مستببح، حتى أنه ليست هناك فضيلة في أن يعترف الإنسان بذلك. لأنها حقيقة ظاهرة كمثل قرص الشمس في وضوح النهار. ولأن الله روح غير منظور وهو خالق الأرواح فإن حقيقة جوهره لا يسعى أحد أن يفحصها سوى الحمقى من البشر، وذلك لأنها تعلو عن فكر الإنسان. ومن البديهي أن أي أمر يخص جوهر الله لا يُستعلن إلا بواسطة هو، ومن الطبيعي أيضاً أنه إذا استظهر الله شيئاً من جوهره فلا بد أن يكون لهدف يريد تحقيقه. ومع متابعة ما ذكرناه عن سر الآب والابن والروح القدس أمكننا أن ندرك أن هدف الله هو تقديس الإنسان ليكون كملائكة الله في السماء وينال البنوة لله بواسطة ابنه الوحيد ويرث السماء.

٢ - الأساس الثاني الذي تركز عليه الشريعة المسيحية هو تجسد الابن الوحيد الجنس ليفسح الطريق للإنسان الذي مات بالمعصية، وورث معرفة الشر والانتهزام أمام الشيطان والخطية لكي يسير في اتجاه السماء. وكان هذا التجسد هو من الروح القدس وعذراء طاهرة فكان بذلك هو الله الغير منظور الذي يتحدث مع البشر ويحقق كل وعوده للبشر في غلبة الموت وهزيمة الشيطان والخطية، ويحقق في ذاته صورة الإنسان القدوس الذي يُسرُّ به الله، فيعود بالبشر إلى صورة أبهى من آدم الأول حينما يشترك الإنسان في الابن الوحيد الجنس الذي في جوهر الله وذلك بالروح القدس، ولنتابع في الآتي كيف يكون ذلك.

٣ - كان وسيلة رفع حكم الموت عن الإنسان هو ذبيحة الصليب التي حققت أهداف كل الذبائح منذ آدم حتى شريعة موسى. وظهرت في الصليب كل حكمة الله في هذا التدبير والذي يعلن الكتاب المقدس أنه كان تدبيراً من قبل خلقه الإنسان، كما سبق وذكرنا، وكان الهدف من هذا التدبير هو إطلاق الحرية لآدم ونسله أن يكون لهم اختيار الحياة في حرية تامة حيث سيصبح في النهاية ابناً لله ووارثاً في المسيح يسوع.

٤ - لم تكن ذبيحة الصليب مجرد رفع لحكم الموت عن الإنسان، بل كان موت السيد المسيح وقيامته سبباً لموت طبيعة البشر العارفة للشر والمنهزمة أمام سلطان

الشيطان وشهوات الجسد والخطية ، لتقوم مع قيامة السيد المسيح حينما تنال الاشتراك في ذبيحته كممثل شريعة التطهير من النجاسة التي أعطاها الله لموسى.

٥ - حدد السيد المسيح للذي يريد أن ينال عطيته في عمل الصليب ، أن يدفن معه ويقوم معه ليأخذ عطيته رفع حكم الموت وفي النوال من قداسه ولهذا أكد أنه أن لم يُولد الإنسان من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله فصار الماء صورة الاغتسال من دنس الخطية والذي أُعطى بصورة رمزية في شريعة العهد القديم. وصار الميلاد من الروح هو صورة الختان الذي كان وثيقة العهد لإبراهيم ليرث أرضاً رآها فقط بعينه رمزاً لميراث سمائي غير منظور.

وهكذا صارت المعمودية ومسح الإنسان بالروح القدس هو السبيل لنوال عطية الصليب، والدخول إلى الاشتراك في جسد السيد المسيح وختان غلف القلب بالروح القدس. ولما كان عمل المعمودية هو بعطية الروح القدس فإن هذا الروح نفسه هو الذي يكشف للإنسان في داخله سر الآب والابن والروح القدس في استعلان لا يدركه إلا الذي مات وقام مع المسيح يسوع.

٦ - منح السيد المسيح ذبيحته الممتدة إلى أواخر الدهور في صورة الخبز إشارة إلى الخبز الذي أحيى الإنسان في برية سيناء ، وبصورة الخمر إشارة إلى الدم الذي فيه حياة النفس والذي سكبه على الصليب ، وكانت تشرحه شريعة الدم في ذبائح العهد القديم، وقد قدم جسده ودمه على هذه الصورة يوم الفصح قبل أن يتقدم إلى الصليب ومن خلاله جمع كل ذبائح العهد القديم في ذبيحته التي على الصليب ، وأعطى السلطان لتلاميذه أن يقدموا جسده ودمه على هذه الصورة من خبز وخمر على مدى الأيام إلى أن يأتي ليدين العالم في اليوم الأخير، وذلك كممثل ما قدموا للألوف من الشعب وأشبعوه من خمس خبزات وسمكتين التي باركها السيد المسيح ورفعوا اثنتي عشر قفة مملوءة. وهكذا أيضاً جعل السيد المسيح ذبيحته غير الدموية كممثل مقدمة القرىان الذي كان يُحرق على المذبح مع الذبائح الدموية وجعل من هذه الذبيحة التي للخبز والخمر تكفيراً للخطايا ، واشتراكاً في قداسه ، وليصبح كل المؤمنين أعضاء في جسده.

٧ - أعطى السيد المسيح سلطاناً خاصاً لتلاميذه لتقديم هذه الذبيحة غير الدموية حينما نفخ في وجوههم وقال لهم: " اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياهم تُغفر له، ومن أمسكتكم خطاياهم أمسكت " (يو ٢٠: ٢٢ - ٢٣).

وهكذا حين أمرهم أن يقدموا جسده كخبز وخمر، ومنحهم هذا السلطان في المغفرة، أعطاهم سلطان الكهنوت الذي كان يتمم الشريعة في العهد القديم للتكفير عن الخطايا والتطهير كظل لذبيحة الصليب الذي فيه يصير الغفران الحقيقي ورفع الموت الأبدي الذي على الإنسان.

وعلى أساس كل هذه الحقائق تظهر الشريعة المسيحية كمثال فلك نوح، ووعد الميراث لإبراهيم، وسلم يعقوب الذي ربط بين السماء والأرض، والفصح، وعبور البحر الأحمر لشعب بني إسرائيل، والمن الذي نزل من السماء، والصخرة التي طعنت لتفجر ماء الحياة. وهكذا نرى إلهاً، واحداً وشريعة واحدة، وهدفاً واحداً هو خلاص الإنسان، وذلك كله في استعلان سر الآب والابن والروح القدس، وتجسد الابن، وذبيحة الصليب، وانسكاب الروح القدس على البشر.

الآب والابن والروح القدس، والشريعة المسيحية

العظة (٥٢)

مع ميلاد الكنيسة

كما رأينا، فقد كانت الشريعة المسيحية امتداداً لشريعة العهد القديم ولكنها تميزت بعمل الصليب. وقد تجسد السيد المسيح وسط شعب العهد القديم بأسفاره وأنبيائه وعهوده وكان الصليب حاضراً في شريعة العهد القديم كظلال ورموز، واستخدم السيد المسيح كثيراً من كلمات الناموس وأعلن أن كل حرف أو نقطة فيه لا تزول حتى لو زالت السماء والأرض. وقبل أن يتقدم السيد المسيح للصليب بساعات كان يدرك محنة التلاميذ حينما يروه بين أيدي اليهود ويُصلب كما تحدث معهم سابقاً كثيراً، ولهذا قال لهم: " لا تضرب قلوبكم " (يو ١٤: ١)، وأكد لهم أنه هو الطريق

والحق والحياة وأشار إليهم بأعماله التي تؤكد قوله (يو أصحاح ١٤) ولكنه لعلمه أن المعجزات لن تحول دون تفرقهم أوضح لهم على أنه " بعد قليل لا تبصرونني ثم بعد قليل أيضاً ترونني " (يو ١٦: ١٦)، وكان يشير بذلك إلى أمرين:

الأول: أنهم لن يروه ثلاثة أيام بعد الصليب ثم سيروه قائماً من بين الأموات، وفي هذا قال: " إنكم ستبكون وتنوحون ... ولكن حزنكم يتحول إلى فرح " (يو ١٦: ٢٠)، وأعطاهم مثل المرأة التي جاءها المخاض لتلد. والأمر الثاني: كان يشير إلى صعوده إلى السماء بعد القيامة وإرساله الروح القدس، وقال لهم في ذلك: " خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ... إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق ... ذاك يمجدني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم. كل ما للآب هو لي. لهذا قلت: أنه يأخذ مما لي ويخبركم " (يو ١٦: ٧-١٥)، وعن هذا قال: " بعد قليل لا تبصرونني، ثم بعد قليل أيضاً ترونني، لأنني ذاهب إلى الآب " (يو ١٦: ١٦)، أي سيروه بالروح القدس.

والمعلوم أن السيد المسيح أمضى مع التلاميذ أربعين يوماً قبل صعوده إلى السماء وكان ذلك في صورة ظهورات حيث كان بجسد القيامة وفي خلال هذه الفترة كان " يتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله " (أع ١: ٣)، " وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم، بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني، لأن يوحنا عمّد بالماء، وأما أنتم فستعمّدون بالروح القدس " (أع ١: ٤-٥).

وهكذا نرى أنه في خلال الأربعين يوماً التي أمضاها معهم يظهر لهم ومن خلال الروح القدس الذي حل عليهم بعد عشرة أيام من صعوده أي في يوم الخمسين من قيامته. فقد توطدت أسس الكنيسة وشريعة العهد الجديد، وهى الأسرار التي من خلالها يصير الدخول إلى زمرة المؤمنين بالعمودية، والتناول من جسد الرب ودمه، ووضع اليد لنوال عطية الروح القدس ونظام خدمة كهنوت العهد الجديد إلى غير ذلك من أسرار الخدمة. وكانت آخر كلماته معهم قبل صعوده " دفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر " (مت ٢٨: ١٨-٢٠)،

" لكنكم ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض " (أع ١ : ٨).

أمّا عن كتاب العهد القديم بشريعته ووصاياه وأحكامه ونبواته ومزاميره، فقد رأينا السيد المسيح ليلة قيامته أنه التقى بالتلاميذ و" فتح ذهنهم ليفهموا الكتب " (لو ٢٤ : ٤٥)، وهكذا أصبح العهد القديم كمثّل كنز كان مغلقاً قد انكشفت أسرارهِ، ولمع بريق كلماتهِ ووعودهِ وعهودهِ، وأصبح معيناً لا ينضب على أفواه الآباء الرسل. والمعروف أن الكتبة كانوا يحفظون كل كلمة وكل نقطة في أسفار موسى والأنبياء والمزامير، حتى أن التوراة التي كانت في يد السامريين وهي أسفار موسى الخمسة فقط وكان السامريون قد اختلطت عبادتهم بالأشوريين أيام السبي إلا أن توراتهم مازالت مطابقة لما في يد اليهود إلى هذا اليوم.

وهكذا نرى بطرس يتحدث عما قاله داود في المزامير عن يهوذا الإسخريوطي الذي سلّم السيد المسيح وقت أن اختاروا متياس التلميذ بدلاً منه (أع ١ : ١٥ - ٢٥)، وتحدّث مرة أخرى عما قاله يوثيل النبي عن يوم الخمسين (أع ٢ : ١٤-٢١)، وكلّمهم عما قاله داود عن صعود السيد المسيح (أع ٢ : ٣٤ - ٢٥).

وبعد ذلك قام التلاميذ بممارسة سر المعمودية للآلاف الذين دخلوا الإيمان (أع ٢ : ٤١)، ومارسوا سر التناول في البيوت في ذلك الوقت (أع ٢ : ٤٢).

وقد أيد السيد المسيح التلاميذ بعمل المعجزات. ولما بُهت الشعب من إقامة رجل مُقعد قال لهم بطرس: " أيها الرجال الإسرائيليون، ما بالكم تتعجبون من هذا؟ ولماذا تُشخصون إلينا، كأننا بقوّتنا أو تقوّنا قد جعلنا هذا يمشي؟ إن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، إله آبائنا، مجدّ فتاه يسوع، الذي أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس، وهو حاكم بإطلاقه. ولكن أنتم أنكرتم القدس البار. وطلبتُم أن يوهّب لكم رجل قاتل. ورئيس الحياة قتلتموه، الذي أقامه الله من الأموات، ونحن شهود لذلك. وبالإيمان باسمه، شدّد اسمه هذا الذي تنظرونه وتعرفونه، والإيمان الذي بواسطته أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم. والآن أيها الإخوة، أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم، كما رؤساؤكم أيضاً. وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه، أن يتألم المسيح، قد تمّمه هكذا. فتوبوا وارجعوا لتُحمي خطاياكم، لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب ... إلى أزمنة ردّ كل شيء،

التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر. فإن موسى قال للآباء: أن نبياً مثلي سيقم لكم الرب إلهكم من إخوانكم. له تسمعون في كل ما يكلمكم به. ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تبأد من الشعب. وجميع الأنبياء أيضاً من صموئيل فما بعده، جميع الذين تكلموا، سبقوا وأنباؤا بهذه الأيام. أنتم أبناء الأنبياء، والعهد الذي عاهد به الله آباءنا قائلاً لإبراهيم: وبنسلك تبارك جميع قبائل الأرض. إليكم أولاً، إذ أقام الله فتاه يسوع، أرسله يُبارككم برد كل واحد عن شروره" (أع ٣: ١٢ - ٢٦).

وحين أوقفوا بطرس أمام رؤساء وشيوخ الشعب وكتبتهم قال لهم بطرس: "إن كنا نُفحص اليوم عن إحسان إلى إنسان سقيم، بماذا شُفيَ هذا، فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل، أنه باسم يسوع المسيح الناصري، الذي صلبتموه أنتم، الذي أقامه الله من الأموات، بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً. هذا هو: الحجر الذي احتقرتموه أيها البناؤون، الذي صار رأس الزاوية. وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء، قد أعطي بين الناس، به ينبغي أن نخلص" (أع ٤: ٩ - ١٢).

أمّا عن الروح القدس فقد كان هو المرشد للتلاميذ للانتقال من العوائد اليهودية إلى شريعة العهد الجديد، ومنها حلول الروح القدس على الوثنيين الذين آمنوا بعد أن أرشد الله بطرس لقبول الوثنيين برؤيا خاصة "فاندش المؤمنون الذين من أهل الختان" (أعمال أصحاب ١٠)، وكان من عمل الروح القدس أيضاً حل المشكلة أن بعض اليهود تصوروا ضرورة ختان اللحم حسب العوائد اليهودية للمداخلين الإيمان، فاجتمع الآباء الرسل لينظروا هذا الأمر فكان قرارهم النهائي: "قد رأى الروح القدس ونحن، أن لا نضع عليكم ثِقلاً أكثر، غير هذه الأشياء الواجبة: أن تمتنعوا عمّا ذُبِح للأصنام، وعن الدم، والمخنوق، والزنا" (أع ١٥: ٢٨ - ٢٩).

ولما قام بعض المدوّنين لسيرة السيد المسيح وكان بعض منهم من الذين يتمسكون بالعوائد اليهودية أو من الفنوسيين الفلاسفة، كان الروح القدس مرشداً للآباء الرسوليّين باعتماد الأناجيل الأربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنا وسفر الأعمال الذي كتبه لوقا البشير والتي ظهر فيه وحي الروح القدس بقوة، واستبعدوا الكتب التي تأثرت بآراء كاتبيها.

ولما تأسست الكنائس في ربوع العالم وأقيم لها أساقفة وقسوس، كتب الآباء الرسل لهم رسائل رُسِّخت مفهوم الخلاص وتناولت الترتيبات الخاصة بالكنيسة، وشرحوا فيها بوضوح عمل الروح القدس في الإنسان المؤمن، مع الوصايا التي تليق بالإنسان المسيحي في المجتمع والعلاقات الزوجية (وهو ما سنعرضه في العظات القادمة). ولهذا فقد تضمَّن كتاب العهد الجديد هذه الرسائل مع البشائر الأربعة السابق ذكرها مع سفر الأعمال. وأخيراً كان هناك رؤيا للرسول الذي أحبه السيد المسيح وهو يوحنا البشير وفيها كشف الله له أسرار كثيرة (سوف نتناولها أيضاً) ولهذا ضُمّت إلى باقي الأسفار لينتهي بها كتاب العهد الجديد.

وبعدما انتشر الإيمان في أنحاء العالم المعروف حتى أصبح الإمبراطور قسطنطين أيضاً مؤمناً، كان قد دخل بعض الفلاسفة إلى الإيمان وكعادتهم حاولوا فحص سر الآب والابن والروح القدس وإخضاعه للعقل، كما بدأوا يتفحصون سر التجسد الإلهي وطبيعة السيد المسيح كإله متأنس، فأنحرفوا بذلك عن الإيمان الصحيح. وهنا كان وجود الأباطرة المؤمنين وسيلة لالتأم المجمع حتى وُضع قانون الإيمان الذي تعترف به إلى الآن كل الطوائف المسيحية بأنواعها.

الآب والابن والروح القدس، والشريعة المسيحية

العظة (٥٤)

ارتقاء الوصية

إذا ما رجعنا إلى العظات (من ٢٥ إلى ٤٢) سنرى كيف أن استعلان سر الآب والابن والروح القدس كان هو أساس هزيمة الشيطان وهزيمة الخطية وهو ما يقود الإنسان إلى سلام مع نفسه ومع الآخرين ومع الله. وقد تأكد لنا أن السلوك حسب المسيح يفوق ما يسمى بالدعوة إلى الأخلاق، بما يقارن القدرة الإلهية بالقدرة الإنسانية، حيث يقود روح الله الساكن في الإنسان إلى ما يشهد له أنه ابن لله.

وقد رأينا أن السلوك حسب المسيح ليس لمجرد اقتناء الفضيلة، أو التظاهر بما يجعل الإنسان مقبولاً أمام الناس، ولكنها ثمر مباشر لعمل روح الله في الإنسان وموت الطبيعة الشريرة العتيقة التي يرثها وذلك بقبول معمودية المسيح.

وقد رأينا أيضاً عجز الإنسان أمام الوصايا حتى ولو كانت إلهية، لأنها تستلزم ختانا روحياً لغرلة الطبيعة التي ورثت معرفة الشر. ورغم هذه العطية الإلهية فقد ترك الله الإنسان لحريته في أن يقبلها أو يتركها. لأنه خلق الإنسان للبنوة وليس للعبودية.

وقد رأينا أن الهدف من هذا كله هو مكان سمائي أعدّه الله للإنسان، ووراثته له في المسيح الذي اتخذ صورة إنسانية. وقد استغرق هذا الهدف عدة آلاف من السنين، عاقب فيها الله الإنسان مرة بعد أن ضل بشروره ليبين نقمته على الخطية، ثم دبّر بحكمته اختيار إبراهيم وشعب إسرائيل ليشرح خطته لإنقاذ الإنسان من شروره، وهو الأمر الذي أعدّه من قبل خلقة الإنسان، وظهر من خلال هذه المسيرة مقدار لطف الله ومحبه للبشر، ومحاولة تقويمه لكي يبعد الإنسان عن الشر، كما علّمه الشريعة التي تُكفّر عن خطاياهم، وأنبا عن حلوله في وسط البشر لكي يأتي ذلك اليوم الذي يستأصل فيه شأفة الخطية بظهوره متجسداً، كمثال للإنسان الكامل ولكي يكون ذبيحة سمائية قادرة على رفع عقاب الخطية، ثم تقديس الإنسان ليحيا بروح الله الذي سكبه على البشر، قادراً على هزيمة الشيطان والخطية.

وقد شرحنا كيف كان هذا الأمر مدعاة للفرح والسلام والعفاف والصلاح للإنسان نفسه ولأقرانه من البشر. وقد وجدنا أيضاً أن عمل الروح القدس في الإنسان يستعلن أيضاً سر الآب والابن والروح القدس والأمجاد التي تنتظر الإنسان بعد انتهاء العالَم، وهو ما يفوق فكر الإنسان بما لا يوجد له نظير في العالم المادي.

وأمام كل هذه العطايا التي لا يمكن التعبير عنها نجد أن لله مطلباً واحداً من الإنسان هو التوبة. وقد شرحنا أيضاً أن التوبة ليست هي مجرد عدم فعل الشر، لأن الإنسان يظل غير معصوم من الخطية طالما يحيا بالجسد. ولكن التوبة حسب الإيمان بالسيد المسيح هي عمل إيجابي، يسعى فيه الإنسان لاستثمار محبة الله

ونعمته وفدائه وسُكنى روح الله فيه، لينمو ويرتفع في معرفة السيد المسيح حتى يدخل إلى أعماق تكشف له أسرار علاقة الله بالإنسان.

ومن البديهي أن هذا السعي من جهة الإنسان إلى حياة التوبة التي بذاتها يلزمها معونة إلهية يمنحها الله للإنسان حسب فحص قلب الإنسان وتطلعه إلى حياة القداسة.

وعلى أساس هذا كله فإن الوصية حسب الشريعة المسيحية لا بد أن ترتقي فوق النهي عن فعل الشر، بل عن مجرد التفكير فيه. ولهذا كانت إحدى وصايا السيد المسيح ليس مجرد وصية لا تزن التي كتبها بإصبعه في العهد القديم بل ارتقت إلى مستوى "إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتيتها، فقد زنى بها في قلبه" (مت ٥ : ٢٨).

وما دامت الوصية تعلو إلى النهي عن مجرد النية في فعل الشر فهذا نجد أنها أيضاً تصل إلى صورة رمزية فائقة حينما يقول السيد المسيح: "فإن كانت عينك اليمنى تُعثرِك فاقْلَعْها وألقها عنك" (مت ٥ : ٢٩)، وهذا يدعو ليس لمجرد محاسبة النية بل الابتعاد عما يجذب الإنسان إلى هذه النية.

وهكذا نرى أن وصية العهد القديم رغم ما استعرضنا من سموها ورفعة مبادئها إلا أن عطية الروح القدس في العهد الجديد لم تنقضها بل ارتفعت بها إلى آفاق تعلو وتعلو إلى ما يصل إلى السماء. وعلى أساس هذا كله كان لا يمكن أن تكون الشريعة المسيحية على مستوى ما يفرض على الإنسان بل على مستوى يفوق الفريضة والأمر والنهي، أو على حسب قول بولس الرسول عما هو حلال للإنسان "كل الأشياء تحل لي ولكن ليس كل الأشياء توافق" (١ كو ٦ : ١٢)، أي أن هناك ما يُدعى حلالاً لكنه لا يتفق مع المستوى الروحي الذي يصل إليه الإنسان، وعلى سبيل^(١) المثال:

فإن الصوم معروف بفائدته الروحية ليس بكونه حرماناً من الطعام والشراب، بل طاقة إيجابية من جهة الاحتمال والصبر وصفو المشاعر. كما أن الإنسان ربما يفرضه على نفسه نذراً أو تذلاً أو استرضاء (قض أصحاح ١٩، ٢٠)، (٢ صم ١ : ١١ - ١٢) (أخ ٢٠ : ١ - ٣٠). وقد يصوم أناس مثل البوذيين وغيرهم من أجل صفاء النفس. ولكننا نسمع صوت الله على لسان إشعياء النبي في العهد القديم "يقولون: لماذا صمنا ولم ننظر،

(١) انظر الفصل الرابع من كتاب المسيحية والتاريخ الجزء الثاني للمؤلف.

ذلَّلنا أنفسنا ولم تلاحظ؟ ها إنكم في يوم صومكم تُوجدون مسرَّة ... ها إنكم للخصومة والنزاع تصومون ... أمثل هذا يكون صوم أختاره، ... هل تُسمِّي هذا صوماً ويوماً مقبولاً للرب؟ أليس هذا صوماً أختاره: حلَّ قيود الشر، فكَّ عُقدِ النير، وإطلاق المسحوقين أحراراً ... أليس أن تكسر للجائع خبزك ... إذا رأيت عرباناً أن تكسوه، وأن لا تتغاضى عن لحملك " (إش ٥٨: ٣-٧)، وهكذا يظهر الصوم عملاً إيجابياً تجاه الآخرين أكثر منه فضيلة شخصية!

أما عن الصوم الذي صامه السيد المسيح فقد صامه لأنه اشترك معنا في اللحم والدم، كما قدَّم ذاته للصليب عنا لرفع حكم الموت، هكذا صام أيضاً عنا لتكون مقبولين لدى الله. كذلك نرى الآباء الرسل أيضاً قد صاموا استعداداً للخدمة (أع ١٣: ٢-٣)، (أع ١٤: ٢٣، ٢٧: ٩)، (٢كو ٦: ٤ - ١١، ٥: ٢٧).

وقد وضع آباء الكنيسة الأولى أياماً محددة للأصوام ليشارك فيها أعضاء الكنيسة كجسد واحد، ولكننا نرى أفراداً كثيرين يعتبرون هذه الأصوام حداً أدنى، محبة لله ونسكاً، وينطبق الأمر على الصلاة فنسمع عن السيد المسيح أنه كان يختلي كثيراً للصلاة ولكنه لأنه هو قابل الصلاة فإنه كان أيضاً يصلي عنا. أما عن الصلوات الليتورجية لخدمة أسرار الكنيسة فكما سبق وذكرنا فإن السيد المسيح هو الذي أشار للآباء الرسل بمبادئها ولهذا نجد لها واحدة في كل الطوائف. كما وصفت الكنيسة أيضاً صلوات وتسابيح ليشارك فيها المؤمنون وتكون أيضاً حداً أدنى.

ومنذ العهد القديم كان التسبيح يعتبر ذبيحة شفاه " فأذبح في خيمته ذبيحة الهتاف " (مز ٢٧: ٦)، " لك أذبح ذبيحة حمد " (مز ١١٦: ١٧)، أما الشريعة المسيحية فتقول: " الروح أيضاً يُعين ضعفاتنا، لأننا لسنا نعلم ما نُصلي لأجله كما ينبغي. ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها. ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح " (رو ٨: ٢٦-٢٧).

ويحكي تاريخ الكنيسة عن أبرار كثيرين ارتفعت بهم الصلاة إلى مستويات عالية من المكاشفات الروحية وأعطوها أسماء خاصة ليس هنا مجالها، وعلى ذلك فإن الشريعة المسيحية رغم الحد الأدنى لها مما يقوم به الإنسان المؤمن، ولكنه لا سقف لحدودها ويعود هذا كله إلى استعلان سر الآب والابن والروح القدس والتجسد الإلهي وعطية الروح القدس الذي يسكن الإنسان.

الآب والابن والروح القدس، والشرعية المسيحية

العظة (٥٥)

المؤمن حسب الشرعية المسيحية

رأينا فيما سبق أن الشرعية التي كانت مكتوبة على حجر في العهد القديم قد صارت مكتوبة في العهد الجديد على قلب الإنسان الذي يؤمن بالسيد المسيح وذلك بالروح القدس. ورأينا أيضاً كيف عَجَزَ الإنسان في العهد القديم أن يتمم الناموس، ثم رأينا ختان قلبه بالروح القدس في العهد الجديد، ليحيا في مخافة الله وحرية مجد أولاد الله. وقد رأينا أيضاً أن هذا التحول كان هو العهد الذي تعهد به الله للإنسان على فم عديد من أنبياء العهد القديم. وعلى أساس هذا كان تأكيد السيد المسيح على وسيلة العبور إلى العهد الجديد وهو عمل المعمودية لدخول الإنسان في رحاب الإيمان بالسيد المسيح. ويظهر بوضوح من هذه الإشارات التي ذكرناها أن عمل المعمودية ليس مجرد إشهار للإيمان ولكنه موت ودفن للخليقة العتيقة العارفة للشر. أي أنه أساساً هو عمل إلهي في الإنسان بقبول السيد المسيح فادياً ومخلصاً وذلك بالروح القدس. وهنا يتضح أن سر الآب والابن والروح القدس ليس هو هذه المشكلة الفكرية التي تُحير الإنسان ولكنها حقيقة لازمة لنوال الخلاص. ولهذا أشار السيد المسيح إلى أمور تسبق قبول المعمودية وتحدث مع الإنسان. ولعله لا يكون متنبهاً إليها لأنها في الحقيقة ليست اقتناعاً فكرياً بحقيقة الآب والابن والروح القدس، بل كما سبق وذكرنا (عظة ١٢) أنها دعوة من الله الآب للإنسان التائب. وهكذا يقول السيد المسيح: "كل ما يُعطيني الآب فأني يُقبل، ومن يُقبل إليّ لا أخرجته خارجاً" (يو ٦: ٣٧)، "لا يقدر أحد أن يُقبل إليّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني ... إنه مكتوب في الأنبياء: ويكون الجميع مُتعلّمين من الله. فكل من سمع من الآب وتعلّم يُقبل إليّ" (يو ٦: ٤٤-٤٥).

أي أنه إن كان الدخول في المسيحية هو دعوة إلهية، لكنها تأتي على أساس استعداد الإنسان للتوبة. وهذا أمر منطقي تماماً، لأنه إذا كان الإنسان سيسير حسب شرعية سمائية فكيف يحيا فيها وهو يُضمر الشر. وهل يمكن أن يتقدّس إنسان وهو ليس على استعداد للتوبة؟ وكما سبق وأكدنا فإن التوبة لا تعني مجرد عدم فعل

الشر بل هي اشتياق داخلي لحياة التقوى، ولهذا يتدخل الله ليعين الإنسان بعمل المعمودية، ليعبر الإنسان شوكة الخطية والموت، ويتبرر بدم ذبيحة السيد المسيح، ويتقدس بها ليحيا حسب الشريعة المسيحية. (ولهذا نرجو العودة إلى العظات من ٢٢ إلى ٢٨ عن التبرير والتقديس) أما ما يتبع ذلك أي المعمودية فهو أعظم، لأن عمل الروح القدس في المعمودية يُثبت المؤمن في السيد المسيح ويكشف له سر الآب والابن والروح القدس كشفاً استعلائياً، بينما هو يعجز كيف يُعبر عنه. وفي هذا يقول يوحنا الرسول: "أما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم، ولا حاجة لكم إلى أن يُعلمكم أحد، بل كما تُعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء، وهي حق وليست كذباً. كما علمتكم تثبتون فيه" (١يو ٢: ٢٧). وعلى ذلك كيف تكون صورة الإنسان إذا ظل في حياة التوبة وممتهلاً من روح الله القدوس؟ ماذا تنتظر من هذا الإنسان؟ إننا لا يمكننا هنا أن ننقل كل ما قاله الكتاب المقدس عن الإنسان الذي يقبل المعمودية أو عن السلوك الذي ينتهجه. وقد ذكرنا بعض من ذلك في العظات التي تتحدث عن السلوك المسيحي (العظات من ٢٨ إلى ٤٢)، ولكن يمكننا هنا أن نرسم صورة سريعة لما يكون عليه المؤمن المسيحي بنوالة المعمودية:

أولاً: عن قبول المعمودية في الإنسان:

"إن قلنا: إنه ليس لنا خطية نُصل أنفسنا وليس الحق فينا. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (١يو ١: ٨-٩).

"المعمودية. لا إزالة وسخ الجسد، بل سؤال ضمير صالح عن الله، بقيامة يسوع المسيح" (١بط ٣: ٢١).

"أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة" (٢بط ١: ٣).

"ألقوا رجاءكم بالتنام على النعمة التي يؤتي بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح ... نظير القدوس الذي دعاكم، كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة. لأنه مكتوب: كونوا قديسين لأنني أنا قدوس" (١بط ١: ١٣-١٦).

"لأنه قد ظهرت نعمة الله المُخلصة لجميع الناس، مُعلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر" (تي ٢: ١١-١٢).

" حين ظهر لطف مُخلّصنا الله وإحسانه. لا بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبته بغنى علينا يسوع المسيح مخلصنا " (تي ٣: ٤-٦).

" لأن هذا هو العهد الذي أعهدته مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب: أجعل نواميسي في أذهانهم، وأكتبها على قلوبهم، وأنا أكون لهم إلهاً، وهم يكونون لي شعباً. ولا يعلمون كل واحد قريبه، وكل واحد أخاه قائلاً: اعرف الرب، لأن الجميع سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم. لأنني أكون صفوحاً عن آثامهم، ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد " (عب ٨: ١٠-١٢).

" كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، قدّمنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح من الأموات، بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جِدَّة الحياة؟ لأنه إن كنا قد صرنا مُتحدّين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته. عالمين هذا: أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية " (رو ٦: ٣-٦).

وهكذا نجد تعبيرات متعددة عن عمل المعمودية مثل "الميلاد الثاني" و"الخليقة الجديدة" أو أن يصير الإنسان "هيكل للروح القدس" (٢ كو ٦: ١٦)، أو أن الإنسان قد "لبس المسيح" (غل ٣: ٢٧)، أو "ختان القلب بالروح القدس" وكلها تشير إلى عمل الله الداخلي بالمعمودية.

وكما سبق وذكرنا فإن عمل المعمودية لا يجعل الإنسان معصوماً. لأن هذا معناه أن الله سحب حرية الإنسان، ولهذا يتحدث الكتاب المقدس عن الذين "يحزنون الروح" (أف ٤: ٣٠)، بل "يطفئون الروح" (١ تس ٥: ١٩)، وعبر عنهم أنهم "زدرى بروح النعمة" (عب ١٠: ٢٩)، وعن هذا يقول القديس بطرس: "خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر، من أنهم بعدما عرفوا، يرتدّون عن الوصية المقدسة المُسلّمة لهم. قد أصابهم ما في المثل الصادق: كُلب قد عاد إلى قيئه، وخنزيرة مُتّسلة إلى مراغة الحمأة " (٢ بط ٢: ٢١-٢٢).

ثانياً: الحياة حسب الشريعة المسيحية:

حينما تكون الشريعة حسب مستوى العمل الإلهي في قلب الإنسان فهي في ذلك لا تحتاج أكثر من الاستمرار في حياة التوبة، حتى يظل روح الله القدوس هو القوة التي تقود الإنسان في مسيرة الحياة. وقد رأينا أنه حتى الصلاة تتشع بالمعونة الإلهية.

ولهذا يقول الكتاب: "لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون، ولكن إن كنتم بالروح تُميتون أعمال الجسد فستحيون. لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله. إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ: يا أبا الآب. الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله" (رو ٨: ١٣-١٦). ثم تأتي المحبة في أول الوصايا "فالمحبة هي تكميل الناموس" (رو ١٣: ١٠)، "كل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس" (كو ٣: ٢٣)، وأن "نحتمل أضعاف الضعفاء ولا نُرضي أنفسنا" (رو ١٥: ١)، "احملوا بعضكم أثقال بعض وهكذا تَمِّمُوا ناموس المسيح" (غل ٦: ٢).

ثم تعلق الوصية إلى أن تصل أن أجسادنا هي أعضاء لجسد السيد المسيح (اكوا: ١٥)، وعلى ذلك فلا بد للإنسان أن يحفظ إناءه، أي جسده بقداسة وكرامة (اتس: ٤: ٤)، كما أن "محبة المال أصل لكل الشرور" (١ تي ٦: ١٠)، وأخيراً فإن "الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يضطهدون" (٢ تي ٣: ١٢).

وما دامت الوصية على هذا المستوى فهي تعني أنها لا تقدر أن تقوم بها قوة بشرية ولهذا فإنه "إن كنا نسلك في الجسد، لسا حسب الجسد نحارب إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية، بل قادرة بالله على هدم حصون" (٢ كو ١٠: ٣)، وفي هذا يكون "فضل القوة لله لا منا" (٢ كو ٤: ٧)، وبتعبير آخر "اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد" (غل ٥: ١٦)، "لأن ثمر الروح هو في كل صلاح وبر وحق" (أف ٥: ٩).

ولعلنا نرى في الموعظة على الجبل التي نطق بها السيد المسيح قمة الوصايا (مت إصحاح ٥، ٦، ٧). وللحفاظ على هذا المستوى لابد أن تكون الوصية متجهة إلى أن يظل الإنسان ثابتاً في حياة الروح بالصوم والصلوات والاتحاد بجسد السيد المسيح ودمه والابتعاد عن الشهوات الجسدية التي تحارب النفس.

ويعوزنا المقام لسرد الوصايا حسب الشريعة المسيحية التي نطق بها السيد المسيح والآباء الرسل في الكتاب المقدس، وأعظمها أن السيد المسيح هو الكرمة ونحن الأغصان ولهذا يطالبنا بالثمر وإلا نقطع. وبهذه الصورة نكون سفراء للسيد المسيح ونوراً للعالم وشهادة لعمل الله في الإنسان واستعلاناً لسر الآب والابن والروح القدس. وقد اعتبر السيد المسيح أن عطية الروح القدس المعطاة للإنسان المؤمن في المعمودية هي بمثابة

أمانة في عنقه، وعليه أن يتاجر بها ويربح وإلا يحاسب على إهمالها وهو ما نطق به في مثل الوزنات (مت ٢٥: ١٤-٢٠)، كما أن على الإنسان أن يداوم على الثبات في هذه النعمة للاحتفاظ بفاعليتها وذلك بالمواظبة على التوبة والأصوام والصلوات والتناول من جسده ودمه وهو ما نطق به في مثل العذارى الحكيمات والجاهلات (مت ٢٥: ١-١٣).

الآب والابن والروح القدس، والشريعة المسيحية العظة (٥٦)

المؤمن مع المؤمنين حسب الشريعة المسيحية

إذا آمن الإنسان بالآب والابن والروح القدس وبالتجسد الإلهي وفداء السيد المسيح وعمل الروح القدس فإن الشريعة المسيحية تصف علاقته مع إخوته المؤمنين، من خلال عدة محاور الأول: هو وصية المحبة، كما أحب الله الإنسان وتجسد الابن وفداء من الموت وقُدَّسه بالروح القدس، وذلك رغم معصية الإنسان وشروره، والمحور الثاني: هو وحدانية المؤمنين في جسد السيد المسيح كأعضاء في جسده وهو الرأس، والمحور الثالث: هو أن مجموع المؤمنين صاروا بمثابة عروس مجهزة لعريسها السمائي حيث مسكن الله مع الناس في السماء مع الملائكة، والمحور الرابع: هو أن المؤمنين هم بمثابة أحجار حية في مسكن واحد صار هيكلًا لله بالروح القدس.

أمَّا عن المحور الأول: وهو وصية المحبة يقول السيد المسيح: "هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم. ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو ١٥: ١٢-١٣)، وهو يلمح هنا إلى تقديم ذاته على الصليب فداء للإنسان. ويقول أيضاً "كما أحببتكم أنا تُحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً. بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي: إن كان لكم حب بعضاً لبعض" (يو ١٣: ٣٤-٣٥)، وقد وصل الأمر بالسيد المسيح أن يغسل أرجل تلاميذه قبل أن يقدم لهم جسده ودمه كخبز وخمر، وقال لهم: "فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأنني أعطيتكم مثلاً، حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً. الحق الحق أقول لكم: أنه ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول

أعظم من مُرسِلِه " (يو ١٣: ١٤-١٦)، ولعله في غسل أرجلهم قبل العشاء الرباني كان يقدسهم ليتأهلوا لنوال جسده. أما آخر عبارة نطق بها السيد المسيح في صلاته المسموعة للآب قبل الصليب فقد نطق وقال: "عرَّفْهُمْ اسمك وسأعرِّفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببني به، وأكون أنا فيهم" (يو ١٧: ٢٦).

أمّا عن الآباء الرسل، فقد ذكرنا تحت عنوان نظرة الآباء الرسل للناموس (عظة ٥٠) أن القديس يوحنا قال أن الوصية القديمة هي التي من البدء، ثم يقول عن الشريعة المسيحية: "وصية جديدة أكتب إليكم، ما هو حق فيه وفيكم: أن الظلمة قد مضت، والنور الحقيقي الآن يضيء. من قال: إنه في النور وهو يُبغض أخاه، فهو إلى الآن في الظلمة. من يُحب أخاه يُثبت في النور وليس فيه عثرة" (١ يو ٢: ٨-١٠)، "المحبة هي من الله، وكل من يحب فقد وُلِدَ من الله ويعرف الله. ومن لا يحب لم يعرف الله، لأن الله محبة" (١ يو ٤: ٧-٨).

ويقول القديس بولس: "لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلا بأن يُحب بعضكم بعضاً، لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس... المحبة لا تصنع شراً للقريب، فالمحبة هي تكميل الناموس" (رو ١٣: ٨-١٠)، كما أفرد أصحاباً بأكمله للحديث عن المحبة (١ كو ١٣) قال فيه: "إن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال، ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً" (١ كو ١٣: ٢).

والأهم في الأمر أن المحبة في الشريعة المسيحية ليست مجرد مشاعر، بل هي في حقيقتها فعل حقيقي حتى أن السيد المسيح يطالب بها للأعداء "أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيك، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات" (مت ٥: ٤٤-٤٥)، كما كان يشترط تقديم المحبة قبل الذبيحة "إن قدّمت قُربانك إلى المذبح، وهناك تذكّرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قُربانك قُدام المذبح، واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعال وقَدِّم قُربانك" (مت ٥: ٢٣-٢٤)، وتحدّث بالمثل عن السيد الذي أعفاه سيده من الدّين، ولكن ذلك العبد لم يعفِ أخاه العبد الآخر حينئذ أسلمه سيده للمُعذّبين (مت ١٨: ٢٣-٣٤) وقال: "هكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته" (مت ١٨: ٣٥).

كما يُحدّر السيد المسيح تحذيراً شديداً عن إدانة الآخرين فيقول: "لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينك فلا تَفْطَن لها" (مت ٧: ٣).

وإذا أتينا إلى الآباء الرسل فإنهم يوجهون المحبة للبنيان " فليرض كل واحد منا قريبه للخير، لأجل البنيان. لأن المسيح أيضاً لم يرض نفسه ... لأن كل ما سبق فكتب كتب لأجل تعليمنا " (رو ١٥: ٢-٤)، " لا يطلب أحد ما هو لنفسه، بل كل واحد ما هو للآخر " (١ كو ١٠: ٢٤)، (في ٢: ٤)، ويرجعون ذلك كشبه عمل السيد المسيح الذي كان في صورة الله وأخلى نفسه كإنسان من أجل الفداء (في ٢: ٤ - ١٨)، ويقولون أيضاً: " احمِلوا بعضكم أثقال بعض، وهكذا تَمَمُّوا ناموس المسيح " (غل ٦: ٢)، ويؤكدون " لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت، هكذا الإيمان أيضاً بدون أعمال ميت " (يع ٢: ٢٦)، ويقول بطرس الرسول " ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة، يخدم بها بعضكم بعضاً، كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة " (١ بط ٤: ١٠) كما يقولون: " لا تنسوا إضافة الغراء ... اذكروا المقيدين كأنكم مقيّدون معهم " (عب ١٣: ٢-٣)، ويحذّر الآباء الرسل " لا يذم بعضكم بعضاً " (يع ٤: ١١)، بل حتى " لا يئن بعضكم على بعض أيها الإخوة لئلا تدانوا " (يع ٥: ٩)، ويقول يوحنا الرسول: " من لا يحب أخاه يبق في الموت. كل من يبنض أخاه فهو قاتل نفس " (١ يو ٣: ١٤-١٥).

أما عن المحور الثاني في الشريعة المسيحية لعلاقة المؤمن بأخيه فهو عضوية كل المؤمنين في جسد المسيح، وهو ما سبق وشبهه السيد المسيح بأنه الكرامة ونحن الأغصان " أنا الكرامة ... وأنتم الأغصان ... بهذا يتمجد أبي: أن تأنوا بثمر كثير فتكونون تلاميذي ... إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي، كما أنني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته " (يو ١٥: ١-١٠)، حتى أنه يقول في صلاته الأخيرة للآب السابق ذكرها: " ليكون الجميع واحداً، كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا " (يو ١٧: ٢١).

هكذا يقول بولس الرسول: " نحن الكثيرون: جسد واحد في المسيح، وأعضاء بعضنا لبعض، كل واحد للآخر. ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا " (رو ١٢: ٥-٦)، ويقول أيضاً: " لأننا أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه " (أف ٥: ٣٠)، " إياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة، التي هي جسده " (أف ١: ٢٢-٢٣)، ويرجع ذلك حسب قوله: " كأس البركة التي نباركها، أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره؟ أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرون خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد " (١ كو ١٠: ١٦-١٧).

أما المحور الثالث: في علاقة المؤمنين بعضهم البعض فهو في أنهم صاروا عروساً للسيد المسيح، وهو تعبير يترجم نبوءة حزقيال (أصحاح ١٦) و هوشع (أصحاح ٢) اللتين تشيران إلى قبول الله للبشر الخطاة ليكونوا له قديسين. فيقول بولس الرسول: "خطبتكم لرجل واحد، لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" (٢ كو ١١: ٢)، ويقول أيضاً: "أيها الرجال، أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها ... هذا السر عظيم، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة" (أف ٥: ٢٥-٣٢).

أما المحور الرابع: في علاقة المؤمنين ببعضهم هو أنهم صاروا هيكلًا لله بالروح القدس. كما تحدثنا سابقاً فيقول بطرس الرسول: "كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً، كهنوتاً مقدساً، لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله يسوع المسيح" (١ بط ٢: ٥)، ويقول بولس الرسول: "أم أستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس" (١ كو ٦: ١٩)، ثم يقول "مبنيين على أساس الرُّسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية، الذي فيه كل البناء مُركباً معاً، ينمو هيكلًا مقدساً في الرب. الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً، مسكنًا لله في الروح" (أف ٢: ٢٠-٢٢).

هكذا نرى أن رباط المؤمن بالمؤمنين هو رباط إلهي يعلو عن كل وصية مكتوبة. بل هو رباط روح الله القدوس الذي انسكب على البشر بسبب فداء السيد المسيح وهكذا يتأكد لنا أن سر الآب والابن والروح القدس هو أساس الحب والسلام بين الله والناس وبين المؤمنين بعضهم البعض.

الآب والابن والروح القدس، والشريعة المسيحية

العظة (٥٧)

المؤمن وغير المؤمن حسب الشريعة المسيحية

كما رأينا، فإن استعلان سر الآب والابن والروح القدس، والتجسد الإلهي للابن وفدائه، هو الذي جعل الإنسان المؤمن خليفة جديدة في المسيح (٢ كو ٥: ١٧)، ومع عطية الروح القدس في المعمودية التي تجعل الإنسان المؤمن "يلبس المسيح" فإن هذا الوضع الفريد أي "النعمة" التي صارت للإنسان بالدخول في الإيمان، كل هذا جعل الإنسان

المؤمن سفيراً عن السيد المسيح على الأرض (٢كو ٥: ٢٠)، وهو ما عبّر عنه السيد المسيح بقوله: "أنتم نور العالم" (مت ٥: ١٤)، إشارة إلى رؤية العالم للمسيح في الإنسان المؤمن، كما قال: "أنتم ملح الأرض" (مت ٥: ١٣)، إشارة إلى الحكمة والعمل الصالح الذي يحيا فيه الإنسان المؤمن تجاه الآخرين.

وعلى ذلك يوصي الكتاب المقدس: "لا تقبلوا نعمة الله باطلاً... في كل شيء تظهر أنفسنا كخدام الله، في صبر... في طهارة، في علم، في أناة، في لطف، في الروح القدس، في محبة بلا رياء،" (٢كو ٦: ١-٦)، ويقول أيضاً: "لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة. افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة، لكي تكونوا بلا لوم، وبسطاء، أولاد الله بلا عيب في وسط جبل معوج وملتبو، تضيئون بينهم كأنوار في العالم" (في ٢: ١٣-١٥)، ويقول أيضاً: "كونوا مُتمثلين بالله كأولاد أحبباء" (أف ٥: ١)، "لأننا رائحة المسيح الذكية لله، في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون" (٢كو ٢: ١٥)، "لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدّها لكي نسلك فيها" (أف ٢: ١٠)، "لكي يُعطيكم بحسب غنى مجده، أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم" (أف ٣: ١٦-١٧)، "اسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا، قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة" (أف ٥: ٢).

والخلاصة من هذا كله، أن الإنسان المؤمن يحيا في العالم بنعمة الروح القدس شاهداً للسيد المسيح بأعماله، فيثمر لله وهكذا يتمم الشريعة المسيحية.

وعلى ذلك تتجه وصايا الآباء الرسل للثبات في هذه النعمة...

"فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق، لا كجهلاء بل كحكماء، مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة. من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هي مشيئة الرب. ولا تسكروا بالخم الذي فيه الخلاعة، بل املئوا بالروح" (أف ٥: ١٥-١٨)، "ليُرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصباح وتجديف مع كل خبث. وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين، متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح" (أف ٤: ٣١-٣٢).

وهنا لا ينس الآباء الرسل أن يكون المؤمن شاهداً للسيد المسيح العامل فيه... "قدسوا الرب الإله في قلوبكم، مستعدين دائماً لمجوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم، بوداعة وخوف" (١بط ٣: ١٥)، كما يؤكد الآباء الرسل أن هذه المسيرة حسب

الشرعية المسيحية يلزمها الصلاة " فأطلب أول كل شيء، أن تقام طلبات وصلوات وابتهاالات وتشكرات لأجل جميع الناس " (١ : ٢) .

ويعد ذلك يعطي الآباء الرسل نماذج عملية لتطبيق السلوك المسيحي ...
فيقول بطرس الرسول: " فاحضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب. إن كان للملك فكمن هو فوق الكل، أو للولاة فكمرسلين منه للانتقام من فاعلي الشر، وللمدح لفاعلي الخير. لأن هكذا هي مشيئة الله: أن تفعلوا الخير فُتسكتوا جهالة الناس الأغبياء. كأحرار، وليس كالذين الحرية عندهم سُترة للشر، بل كعبيد الله. أكرموا الجميع. أحبوا الإخوة. خافوا الله. أكرموا الملك " (١ بط ١٣ : ١٧) .
ويقول بولس الرسول: " لتخضع كل نفس للسلطين الفاتقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلطين الكاتنة هي مُرتبة من الله، حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة. فإن الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل الشريرة ... لذلك يلزم أن يُخضع له، ليس بسبب الغضب فقط بل، أيضاً بسبب الضمير ... فأعطوا الجميع حقوقهم ... الجباية لمن له الجباية ... والإكرام لمن له الإكرام " (رو ١٣ : ١ - ٧) .

ثم يوجه الآباء الرسل وصاياهم للخُدام والأسياذ فيقولون ...
" أيها الخُدام، كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة، ليس للصالحين المُترَفِّقين فقط، بل للعنفاء أيضاً. لأن هذا فضل، إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله، يحتمل أحزاناً متألماً بالظلم " (١ بط ٢ : ١٨ - ١٩) ، " أيها العبيد، أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة، في بساطة قلوبكم كما للمسيح، لا بخدمة العين كمن يرضي الناس، بل كعبيد المسيح، عاملين مشيئة الله من القلب، خادمين بنية صالحة كما للرب، ليس للناس. عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب، عبداً كان أم حُرّاً. وأنتم أيها السادة، افعلوا لهم هذه الأمور، تاركين التهديد، عالمين أن سيديكم أنتم أيضاً في السموات، وليس عنده محابة " (أف ٦ : ٥ - ٩) .

ثم يوجه الآباء الرسل نصائح لتليق بالشرعية المسيحية ...
" إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس " (رو ١٢ : ١٨) .
" ليكن حلمكم معروفاً عند جميع الناس " (في ٤ : ٥) .

" مُعتنين بأمور حسنة، ليس قدام الرب فقط، بل قدام الناس أيضاً " (٢ كو ٨ : ٢١) .
" اسلكوا بحكمة من جهة الذين هم من خارج " (٥ : ٤) .

" لا تفشلوا في عمل الخير " (٢ تس ١٣).

" من هو حكيم وعالم بينكم، فليُر أعماله بالتصُرُف الحسن " (يع ٣ : ١٣).

" كل ما هو حق، كل ما هو جليل، كل ما هو عادل، كل ما هو ظاهر، كل ما هو مُسرُّ كل ما

صيته حسن، إن كانت فضيلة وإن كان مدح، ففي هذه افكروا " (في ٤ : ٨).

" أن تكون سيرتكم بين الأمم حسنة " (١ بط ٢ : ١٢).

" وأن تحرصوا على أن تكونوا هادئين، وتمارسوا أموركم الخاصة، وتشتغلوا بأيديكم أنتم كما

أوصيناكم، لكي تسلكوا بلياقة عند الذين هم من خارج، ولا تكون لكم حاجة إلى أحد "

(١ تس ٤ : ١١ - ١٢)، " لأن: من أراد أن يُحب الحياة، ويرى أياماً صالحة، فليكف لسانه عن الشر،

وشفتيه أن تتكلما بالمكر، ليُعرض عن الشر، ويصنع الخير، ليطلب السلام، ويَجِدَ في أثره ... فمن

يؤذيكم إن كنتم متمثلين بالخير؟ " (١ بط ٣ : ١٠ - ١٣)، " كونوا بلا عثرة " (١ كو ١٠ : ٣٢).

ثم يقدم الآباء الرسل تحذيرات ...

" فسيروا زمان غربتكم بخوف " (١ بط ١ : ١٧).

" فاطرحوا كل حُبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمة " (١ بط ٢ - ١).

" لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم، بل كل ما كان صالحاً للبنين " (أف ٤ : ٢٩).

" أما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يُسمَّ بينكم كما يليق بقديسين، ولا القباحة ولا كلام السفاهة

والهزل التي لا تليق " (أف ٥ : ٣ - ٤).

كما لا ينس الآباء الرسل أن يشجعوا المؤمنين أمام ضيقات العالم :

" إن عُبِّرتم باسم المسيح، فطوبى لكم، لأن روح المجد والله يحل عليكم ... ولكن إن كان

كمسيحي، فلا يخجل، بل يُمجد الله من هذا القبيل " (١ بط ٤ : ١٤، ١٦).

" لا تتعجبوا يا إخوتي إن كان العالم يُبغضكم " (١ يو ٣ : ١٣).

" لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء، بل أعطوا مكاناً للغضب، لأنه مكتوب: لي النعمة أنا أجازي،

يقول الرب " (رو ١٢ : ١٩).

وهكذا نجد الشريعة المسيحية في استعلان سر الآب والابن والروح القدس تفوق

كل ما يمكن أن يكتب في دساتير العالم. بل هي سلوك بحسب عطية روح الله وبذلك

يُعد الإنسان أن يكون ابناً لله في السماء بيسوع المسيح.

الآب والابن والروح القدس، والشريعة المسيحية

العظة (٥٨)

الرجل والمرأة حسب الشريعة المسيحية

تبدأ العلاقة بين الرجل والمرأة في الكتاب المقدس من قبل سقوط آدم وحواء في المعصية " بنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم. فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تُدعى امرأة لأنها من امرئٍ أخذت. لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً. وكانا كلاهما عريانين، آدم وامرأته، وهما لا يخجلان " (تك ٢: ٢٢ - ٢٥)، ويلفت النظر في هذا النص أنهما كانا عريانين ولا يخجلان. وهذا يعني أنه رغم اختلاف الجنس لم يكونا يخجلان. أما الأمر الأعظم هو التعبير " ويكونان جسداً واحداً " وهو تعبير يجعل الجنس شيئاً مقدساً عظيماً وذلك قبل أن يأكلا من شجرة معرفة الخير والشر، لأن هذا يعطي المعنى أن كل جسد يكمل الآخر دون أن يكون هناك شهوة، وهو الأمر الذي نلمحه بعد أن أكلوا من الشجرة وعرفوا الشر فصارا يخجلان. وكان عقاب المرأة هو " إلى رجلِك يكون اشتياكك وهو يسودُ عليك " (تك ٣: ١٦).

وهكذا صارت وصية الآباء الرسل للنساء " أن النساء يُزَيَّنَّ ذواتهنَّ بلباس الحشمة، مع ورع وتَعَقُّل، لا بضفائر أو ذهب أو لآلئٍ أو ملابس كثيرة الثمن، بل كما يليق بنساء مُتَعَاهِدَات بتقوى الله بأعمالٍ صالحةٍ " (١ تي ٢: ٩ - ١٠).

وتقول الوصية أيضاً: " لا تكن زينتكُ الزينة الخارجية، من صفر الشعر والتَّحلي بالذهب ولبس الثياب، بل إنسان القلب الخفي في العديمة الفساد، زينة الروح الوديع الهادئ، الذي هو قدام الله كثير الثمن. فإنه هكذا كانت قديماً النساء القديسات أيضاً المتوكِّلات على الله، يُزَيَّنَّ أنفسهنَّ خاضعاتٍ لرجالهنَّ، كما كانت سارة تُطيع إبراهيم داعيةً إياه "سيدها" (١ بط ٣: ٦ - ٣).

وهكذا تتحول علاقة المرأة بالرجل إلى خضوع محبة ووقار وليس بإثارة الرجل بالزينة الخارجية بل زينة القلب الهادئ.

ومن التعبيرات الرائعة لعلاقة الرجل بالمرأة هو ما يطلق عليه كلمة " معرفة ". فيقول الكتاب المقدس: " عَرَفَ آدم حواءَ امرأته فحبَّلت وولدت قايين " (تك ٤: ١)،

ثم يعود ويقول: "عرف آدم امرأته أيضاً، فولدت ابناً دعت اسمه شيثاً" (تك ٤: ٢٥)، ويقول عن قايين أيضاً: "عرف قايين امرأته فحبلت وولدت حنوك" (تك ٤: ١٧)، وبهذا يكون التعبير "عرف" هو أرقى وأزكى ما يمكن أن يقال عن العلاقة الزوجية. ويتأكد لنا هذا الأمر حينما نأتي لأيام نوح حيث أصبحت العلاقة شهوة فيقول الكتاب المقدس: "حدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض، وُولدَ لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهنَّ حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. فقال الرب: لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد، لزيغانه، هو بشر ... ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض: وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم" (تك ٦: ١-٥)، وهو ما دعى الله إلى إهلاك الأرض بالطوفان. ولعلنا نلاحظ أن نوح وأولاده الثلاثة كان لكل منهم امرأة واحدة حتى أن الحيوانات "دُخِلت ذكراً وأنثى، من كل ذي جسد، كما أمره الله" (تك ٧: ١٦).

ومنذ البداية وضع الله الشريعة الأدبية في قلب الإنسان لعدم الزنا وهو ما حققه يوسف الصديق. وكان ذلك قبل ناموس موسى، أما رأوبين أخوه فقد حُرِم من البكورية بسبب زناه (تك ٣٥: ٢٢ - ٢٤)، (١ أخ ٥: ١).

ثم جاءت وصية الله على يد موسى "لا تزنا" ولهذا نجد في العهد القديم أن داود النبي قد فضحت نساؤه بسبب وقوعه في الزنا (٢ صم ١٦: ٢٢)، وانقسمت مملكة سليمان بسبب زيغانه أو آخر حياته (١ مل ١١: ١١).

أما بعد استعلان الآب والابن والروح القدس فإنه كما سبق وذكرنا قول السيد المسيح: "من ينظر إلى امرأة ليشتتها، فقد زنى بها في قلبه" (مت ٥: ٢٨)، أما بولس الرسول فيقول عن الزنا: "ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح؟ أفأخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية؟ حاشا! أم لستم تعلمون أن من التصق بزانية هو جسد واحد؟ لأنه يقول: يكون الاثنان جسداً واحداً ... اهربوا من الزنا. كل خطية يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد، لكن الذي يزني يُخطئ إلى جسده. أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم؟ لأنكم قد اشتريتم بثمن" (١ كو ٦: ١٥-٢٠)، وهو يشير هنا إلى جسد السيد المسيح ودمه اللذين بُذلا على الصليب من أجل قداسة الإنسان.

أما الملاحظ أنه منذ أن وجد الإنسان على الأرض فإنه على قدر ابتعاده عن معرفة الله يسقط في الشهوة والزنا. وفي هذا يقول الكتاب المقدس: "لأنهم لمّا عرفوا الله لم يمجّدوه أو يشكّروه كإله، بل حمقوا في أفكارهم، وأظلم قلبهم الغبي ... لذلك أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة، لإهانة أجسادهم بين ذواتهم ... لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان، لأن إنانهم استبدلن الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة، وكذلك الذكور أيضاً تاركين استعمال الأُنثى الطبيعي، اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض، فاعلين الفحشاء ذكوراً بذكور، وناثلين في أنفسهم جزاء ضلالهم المُحقّق" (روا: ٢١-٢٢).

وعلى النقيض من هذه الصورة البغيضة يرفع الكتاب المقدس العلاقة بين الرجل والمرأة لتشابه علاقة السيد المسيح بالكنيسة "أيها النساء، اخضعن لرجالكنّ كما للرب، لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة، وهو مُخلّص الجسد. ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح، كذلك النساء لرجالهنّ في كل شيء. أيها الرجال، أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكي يُقدّسها، مُطهّراً إياها بغسل الماء بالكلمة ... كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يحب امرأته يحب نفسه. فإنه لم يبغيض أحد جسده قط" (أف ٥: ٢٢-٢٩).

وفي أدب جم يصف القديس بولس العلاقة بين الرجل والمرأة بقوله: "ليكن لكل واحد امرأته، وليكن لكل واحدة رجُلها. يُؤفّ الرجُل المرأة حقها الواجب، وكذلك المرأة أيضاً الرجل. ليس للمرأة تسلّط على جسدها، بل للرجل. وكذلك الرجُل أيضاً ليس له تسلّط على جسده، بل للمرأة. لا يسلب أحدكم الآخر، إلا أن يكون على موافقة، إلى حين، لكي تتفرّغوا للصوم والصلاة، ثم تجتمعوا أيضاً معاً ... ولكن أقول هذا على سبيل الإذن لا على سبيل الأمر" (١كو ٧: ٢-٦). وفيما يتحدّث عن أن الرجل والمرأة ليس لهما تسلّط على جسديهما يقول أيضاً: "لا تشركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحري وبخوها. لأن الأمور الحادثة منهم سرّاً، ذكرها أيضاً قبيح" (أف ٥: ١١-١٢).

وإن أتينا إلى قول الله لحواء بسبب معصيتها أن الرجل "يسود عليك" (تك ٣: ١٦)، إلا أننا نجد الصورة بعد استعلان سر الآب والابن والروح القدس والتجسد الإلهي أن "رأس كل رجل هو المسيح، أما رأس المرأة فهو الرجُل، ورأس المسيح هو الله ... كل امرأة

تصلي أو تتبأ ورأسها غير مُعْطَى، فتشين رأسها ... فإن الرَّجُل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده. وأما المرأة فهي مجد الرَّجُل. لأن الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرَّجُل. ولأن الرَّجُل لم يُخلق من أجل المرأة، بل المرأة من أجل الرَّجُل. لهذا ينبغي للمرأة أن يكون لها سلطان على رأسها، من أجل الملائكة. غير أن الرَّجُل ليس من دون المرأة، ولا المرأة من دون الرَّجُل في الرب ... احكموا في أنفسكم: هل يليق بالمرأة أن تصلي إلى الله وهي غير مغطاة؟ أم ليست الطبيعة نفسها تعلمكم أن الرجل إن كان يرخي شعره فهو عيب له؟ وأما المرأة إن كانت ترخي شعرها فهو مجد لها، لأن الشعر قد أعطي لها عوض بُرقع " (١ كو ١١: ٣-١٥).

وهكذا نرى أن سيادة الرجل على المرأة في شريعة العهد الجديد لا تكون إلا بالتدبير. حيث أن رأس الرجل هو المسيح كما أن رأس المسيح أي الابن المتجسد هو الله. ونرى تغطية رأس المرأة وقت الصلاة هو لحضور الملائكة. على أن كل ذلك لا يجعل هناك تمييزاً للرجل أو للمرأة أمام الله. ولكن بولس الرسول يقول: "لست آذنُ للمرأة أن تُعلم ولا تتسلط على الرَّجُل، بل تكون في سكوت، لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء، وآدم لم يُغوَ، لكن المرأة أُغويت فحصلت في التعدي. ولكنها ستخلص بولادة الأولاد، إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل " (١ تي ٢: ١٢-١٥).

أما عن الطلاق فقد كان أمر السيد المسيح القاطع "من طلق امرأته إلا لعلّة الرّئي يجعلها تّزني" (مت ٥: ٣٢)، وأشار إلى أن شريعة موسى التي أعطاها الله لم تبح الطلاق. ولكنها ذكرت الطلاق في نطاق أنه إذا طلق رجل امرأته "متى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر، فإن أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ... أو إذا مات الرجل الأخير الذي اتخذها له زوجة، لا يقدر زوجها الأول الذي طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست " (ث ٢٤: ٢-٤)، أي أن هنا لم يكن سماحاً بالطلاق بل لمنع عودة المطلقة إلى زوجها الأول لأن ذلك "رجس لدى الرب" (ث ٢٤: ٤). ولهذا حينما عاود الفريسيون سؤال السيد المسيح عن هذا الأمر قال لهم: "أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى؟ وقال: من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً. إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد. فالذي جمعه الله لا يُفَرِّقه إنسان" (مت ١٩: ٤-٦).

وهكذا نرى أن الشريعة المسيحية تناولت الإنسان في حياته وفي علاقته بالمؤمنين، وعلاقته بغير المؤمنين، وعلاقة الرجل بالمرأة، وتهدف من هذا كله أن يكون الإنسان مهياً لحياة سمائية، بعد أن أعلن الله عن ذاته كآب وابن وروح قدس وبعد أن تجسد الابن وصار إنساناً، ليُعيد خلقه الإنسان بفدائه وانسكاب روح الله القدوس على البشر.

الآب والابن والروح القدس، وكرازة الرسل

العظة (٥٩)

المنهج

السيد المسيح أرسل تلاميذه أولاً إلى شعب بني إسرائيل، ليعلنوا للشعب أن الله تجسد حسب النبوات، ولهذا قال لهم: "إلى طريق أُممٍ لا تَمضُوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا" (مت ١٠: ٥).

أمّا بعد فدائه على الصليب وقيامته وقبل صعوده فقد كانت آخر وصية هي قوله لهم: "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. وعلمّوهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به" (مت ٢٨: ١٩ - ٢٠).

وفي الإرسالية الأولى لم يكن الروح القدس قد أعطى بعد ولكنه "أعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء أمراضٍ، وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى. وقال لهم: لا تحملوا شيئاً للطريق: لا عصاً ولا مزوداً ولا خبزاً ولا فضة" (لو ٩: ١ - ٣)، "مجاناً أخذتم، مجاناً أعطوا ... ها أنا أرسلكم كنتم في وسط ذئاب، فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمائم. ولكن احذروا من الناس ... لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم ... ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى ... ليس التلميذ أفضل من المعلم، ولا العبد أفضل من سيده ... إن كانوا قد لقبوا رب البيت بعلزبول، فكم بالحري أهل بيته! فلا تخافوهم" (مت ١٠: ٨ - ٢٦).

وقد رأينا فيما سبق كيف أن السيد المسيح نفخ في وجوه تلاميذه ليفهموا كتب العهد القديم، وقبل لحظه صعوده عنهم قال لهم: "لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض" (أع ١: ٨)،

وكان قد سبق وأبلغهم "أما المُعزي، الروح القدس، الذي سَيُرْسِلُهُ الآب باسمي، فهو يُعَلِّمُكم كل شيء، ويُذكِّرُكم بكل ما قلته لكم" (يو ١٤: ٢٦).

وإذا تذكَّرنا أن كل تلاميذ السيد المسيح كانوا من البسطاء والصيادين فإننا نرى أن كل ذخيرة التلاميذ التي بها سينادون ويدعوا العالم كله كانت هي محبة من الآب وتجسد وفداء الابن وقوة وسلطان الروح القدس لفهم مقاصد الله كما أعطاهم غلبة على الشياطين. أضيف إليها معرفة للغات الأرض التي بها تكلموا لكل الشعوب كل واحد حسب لغته (أع ٢: ١-١١). وهنا أدرك التلاميذ أن هناك سرّاً كبيراً يحملونه في قلوبهم وكان عليهم أن يشهدوا له وذلك بقوة الروح القدس الساكن فيهم.

ويتحدّث بولس الرسول وهو الذي حفظ الناموس ودرس العلوم وكان يهودياً فريسياً متمزناً وهائجاً ضد المسيحيين، لكن غيرته تجاه الله جعلت السيد المسيح يغمره بعطفه ليووجهه إلى الطريق الصحيح لمعرفة أهداف الله من اختياره لشعب اليهود ومن إرساله للناموس، فظهر له ليصحح مساره. وهنا يقول بولس: "أُعرِّقُكم أيها الأخوة الإنجيل^(١) الذي بَشَرْتُ به، إنه ليس بحسب إنسان. لأنني لم أقبله من عند إنسان ولا علَّمْتُه. بل بإعلان يسوع المسيح. فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية، أني كنتُ أضطهد كنيسة الله بإفراطٍ وأتلفها" (غل ١: ١١-١٣)، "أنه بإعلان عَرَفَنِي بالسر... الذي بحسبه حينما تقرأونه، تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح. الذي في أجيالٍ آخر لم يُعرَف به بنو البشر، كما قد أُعلن الآن لرُسُلِهِ القديسين وأنبيائه بالروح: أن الأمم شركاء في الميراث والجسد^(٢) ونوال موعده في المسيح بالإنجيل. الذي صرْتُ أنا خادماً له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي حسب فعل قوته. لي أنا أصغر جميع القديسين، أُعطيَت هذه النعمة، أن أبشِّر بين الأمم بِنَيْي المسيح الذي لا يُستَقْصَى، وأنبِرَ الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح. لكي يُعرَف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات، بواسطة الكنيسة، بحكمة الله المتنوعة، حسب قَصْدِ الدهور الذي صَنَعَهُ في المسيح يسوع ربنا" (أف ٣: ٣-١١).

(١) يقصد البشارة المفرحة بالسيد المسيح.

(٢) يقصد جسد المسيح ودمه.

ونجد شهادة بولس الرسول هي ذات الشهادة التي نطق بها بطرس الرسول تلميذ السيد المسيح يوم الخمسين بقوله: "أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري رَجُلٌ قد تبرهن لكم من قِبَلِ اللَّهِ بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم، كما أنتم أيضاً تعلمون. هذا أخذتموه مُسَلِّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق، وبأيدي أئمة صلبتموه وقتلتموه. الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت، إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه ... فيسوع هذا أقامه الله، ونحن جميعاً شهود لذلك. وإذا ارتفع بيمين الله، وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونونه ... فلمّا سمعوا نُحْسُوا في قُلُوبِهِمْ، وقالوا لبطرس ولسائر الرسل: ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟ فقال لهم بطرس: توبوا وليتَّعِمِد كل واحدٍ منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فَتَقْبَلُوا عطية الروح القدس. لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بعد، كل من يدعوه الرب إلينا" (أع ٢: ٢٢-٣٩).

ويشهد أيضاً يوحنا الرسول عن هذا السر الذي تحدث به بولس وبطرس فيقول "الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة. فإن الحياة أظهرت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا. الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً ... أكتب إليكم أيها الأولاد، لأنه قد غُفِرَتْ لكم الخطايا من أجل اسمه ... وهذا هو الوعد الذي وعدنا هو به: الحياة الأبدية ... انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدْعَى أولاد الله! ... لأجل هذا أظهر ابن الله لكي يَنْقُضَ أعمال إبليس.. بهذا قد عَرَفْنَا المحبة: إن ذاك وضع نفسه لأجلنا.. وبهذا نعرف أنه يَثْبُتُ فينا: من الروح الذي أعطانا ... بهذا أظهرت محبة الله فينا: أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا ... ووصاياه ليست ثقيلة، لأن كل من وُلِدَ من الله يَغْلِبُ العالم ... العالم كله قد وُضِعَ في الشرير. ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق. ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية" (رسالة يوحنا الأولى كلها).

ولعلنا نتأكد الآن أن كل منهج الآباء الرسل كان هو استعلان سر الآب والابن والروح القدس، والتجسد والفداء، وعطية الروح القدس، والحياة الأبدية، وغلبة العالم والخطية، والسلطان على الشيطان، وعمل المعمودية وشركة جسد المسيح.

ومن الواضح أن كل هذه هي أسرار تفوق العقل وهي تُعطى للتائبين الذين يقول عنهم بطرس الرسول: "الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً مساوياً لنا، ببرّ إلها والمُخلص يسوع المسيح ... كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة، لكي نصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية، هارين من الفساد الذي في العالم بالشهوة ... لأننا لم نتبع خرافات مُصنّعة، إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجينه، بل قد كنا مُعانيين عظمتة ... وعندنا الكلمة النبوية، وهي أثبتت، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها، كما إلى سراج مُنير في موضع مُظلم" (٢بط ١: ١-١٩).

وقد كتب الآباء الرسل رسائل إلى شعوب مختلفة أو إلى اليهود الذين في الشتات وبها يتضح منهجهم في الكرازة حسب ما ذكرنا ... وقد كانت بعض الرسائل إجابة على بعض الأمور التي كان يستفسر عنها المؤمنون. وسنرى في العظات القادمة كيف كانت هذه الرسائل دستوراً للحياة المسيحية، كما ظهر فيها ترتيب الكنيسة من الداخل وأسلوب خدمتها. وهذا غير ما ذكرناه عن السلوك المسيحي والشرعية المسيحية والفهم الحقيقي للعهد القديم وأحداثه ونبواته. ورغم هذا كله فإن الرسائل نجدها بسيطة في أسلوبها ومنهجها ولكن تظهر فيها قوة وسلطان الروح القدس والتي جعلت منها جزءاً من كتاب العهد الجديد مضافاً إلى البشائر الأربعة. ولكننا نشير هنا إلى أنهم لم يطرحوا قضية تسمى "ثالوث" وكذلك لم يذكرها كلمة "أقنوم"، حيث أنها أعطيت كشرح لسر الآب والابن والروح القدس حينما التأمّت المجامع في القرن الرابع لمناقشة سر الإيمان، حتى أن كلمتي ثالوث وأقنوم لم تُذكر في قانون الإيمان نفسه.

أما الآباء الرسل فقد ظهر من منهجهم في الرسائل التأكيد على وحدانية الله مع تمايز الآب والابن والروح القدس، ثم شرحوا في أسلوب بسيط وغير متكلف عمل الآب والابن والروح القدس في خلاص الإنسان وعودته إلى أحضان الله ليحيا مع الملائكة القديسين. وإذا اتخذنا ذات الأسلوب الذي اتخذه الآباء الرسل لإظهار محبة الله ونعمة الابن الوحيد وعطية الروح القدس. فإننا سنتحدث عن تعبيرات الآباء الرسل التي أشاروا إليها في رسائلهم لشرح عمل الله تجاه الإنسان مثل "النعمة" و"الخليقة الجديدة"

و" الميلاد الثاني " إلى آخر تلك التعبيرات التي توضح هذه العطية للإنسان، التي أجزلها له الله بكل حكمة وفطنة ليعرفنا سر مشيئته ويمنح البشر القداسة التي بدونها لن يعاين أحد الرب.

وكمثال على منهج الآباء الرسل في التعبير فإنه حينما تأتي كلمة " الله " يربطونها بكلمة " المسيح "، وحينما يذكرون كلمة " الآب " يربطونها بكلمة " الابن " وهكذا نسمع

" شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح " (٢ كو ٢ : ١٤).

" لأننا رائحة المسيح الذكية لله " (٢ كو ٢ : ١٥).

" لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع " (غل ٣ : ٢٦).

" السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح " (أف ٣ : ٩).

ثم نعود ونسمع ...

" هذا هو ضد المسيح، الذي يُنكر الآب والابن " (١ يو ٢ : ٢٢).

" من يعترف بالابن فله الآب أيضاً " (١ يو ٢ : ٢٣).

" إن ثبت فيكم ما سمعتموه من البدء، فأنتم أيضاً تثبتون في الابن وفي الآب " (١ يو ٢ : ٢٤).

" نعمة ورحمة وسلام من الله الآب ومن الرب يسوع المسيح، ابن الآب بالحق والمحبّة " (١ يو ٣).

وهكذا صارت كلمات الآباء الرسل المسوحة بالروح القدس استعلاناً لسر الله

والمسيح، وشرحاً لخلاص الإنسان، وإظهاراً لبنوة الإنسان لله في المسيح، وهداية لكل

إنسان يسعى إلى التوبة.

الآب والابن والروح القدس، وكرازة الرسل

العظة (٦٠)

شخصية الكارزواتجاهات الكرازة

لعل من يقرأ رسائل الآباء الرسل في الإنجيل المقدس سوف يدرك على الفور أن

شخصية كل كاتب في الرسائل هي بذاتها كرازة! وهذه نتيجة طبيعية لمعرفة

السيد المسيح ولعمل الروح القدس الناري في قلوبهم حتى أن كل كاتب الرسائل تعذبوا واستشهدوا من أجل المسيح فيما عدا يوحنا الذي أنقذه الله من الموت بعد العذاب وكتب لنا سفر الرؤيا. وقد كان احتمال الرسل للألم نابع من إدراكهم محبة المسيح التي فجّرت في قلوبهم ينابيع محبة تجاه الله والناس. وسنستشهد ببعض العبارات التي في الرسائل لتتعرّف على مشاعر الكاتب، ثم ننتقل بعد ذلك إلى بعض العبارات الأخرى الذي فيها غاية الكرازة واتجاهاتها.

أما عن مشاعر الرسول الكارز فنسمع ...

"مُصَلِّين بكل صلاة وطلبه كل وقت في الروح ... لأجلي، لكي يُعطي لي كلام عند افتتاح فمي، لأُعَلِّمَ جِهَاراً بَسْرَ الْإِنْجِيلِ" (أف ٦: ١٨-١٩)، وهنا يطلب الصلاة من أجل الكرازة.

"هكذا إذ كنا حانين إليكم، كنا نَرْضَى أن نعطيكم، لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضاً، لأنكم صرثُم مَحْبُوبِينَ إِلَيْنَا" (١ تس ٢: ٨).

"فإننا لسنا نكرز بأنفسنا، بل بالمسيح يسوع رباً، ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع"

(٢ كو ٤: ٥).

"إن كنت أنسكب أيضاً على ذبيحة إيمانكم وخدمته، أسر وأفرح معكم أجمعين" (في ٢: ١٧).

"فإني إذ كنت حراً من الجميع، استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين" (١ كو ٩: ١٩).

"أسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح. لأنني حينما أنا ضعيف فحينئذٍ أنا قوي" (٢ كو ١٢: ١٠).

"إذ لنا هذه الخدمة كما رُحِمْنَا لا نفشل، بل قد رفضنا خفايا الخزي، غير سالكين في مكر، ولا غاشين كلمة الله، بل بإظهار الحق، مادحين أنفسنا لدى ضمير كل إنسان قدام الله" (٢ كو ٤: ١-٢).

"لأننا لسنا كالكثيرين غاشين كلمة الله، لكن كما من إخلاص، بل كما من الله نتكلّم أمام الله في المسيح" (٢ كو ٢: ١٧).

"في كل شيء نَظْهِرُ أَنْفُسَنَا كخدام الله، في صبر كثير: في شدائد، في ضرورات، في ضيقات، في ضربات، في سجون، في اضطرابات، في أتعاب، في أسهار، في أصوام، في طهارة، في عِلْم، في أناة، في لطف، في الروح القدس، في محبة بلا رياء، في كلام الحق، في قوة الله بسلاح البر لليمين واليسار. بمجد وهوان، بصيت رديء وصيت حسن. كمُضِلِّين ونحن صَادِقُونَ، كمجهولين ونحن

مَعْرُوفُونَ، كَمَا تَتَيْنِ وَهَذَا نَحْنُ نَحْيَا، كَمَا تُدَبِّينَ وَنَحْنُ غَيْرُ مَقْتُولِينَ، كَحَزَانِي وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ.
كَفَقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ، كَأَنَّ لَا شَيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ. فَمِنَّا مَفْتُوحٌ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا
الْكُورَنْثِيُّونَ. قَلْبُنَا مُتَّسِعٌ " (٢ كو ٦: ٤-١١).

" إِنْ إِنْجِيلُنَا لَمْ يَصِرْ لَكُمْ بِالْكَلَامِ فَقَطْ، بَلْ بِالْقُوَّةِ أَيْضًا، وَبِالرُّوحِ الْقُدُسِ، وَبِيقِينَ شَدِيدٍ "
(١ تس ١: ٥). " أَنْتُمْ رِسَالَتُنَا، مَكْتُوبَةٌ فِي قُلُوبِنَا، مَعْرُوفَةٌ وَمَقْرُوءَةٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ. ظَاهِرِينَ أَنْكُمْ
رِسَالَةُ الْمَسِيحِ، مَخْدُومَةٌ مِنَّا، مَكْتُوبَةٌ لَا بِحَبْرِ بَلْ بِرُوحِ اللَّهِ الْحَيِّ، لَا فِي أَلْوَا حِجْرِيَّةٍ بَلْ فِي
أَلْوَا حِ قَلْبٍ لِحِمِيَّةٍ " (٢ كو ٣: ٣-٢).

" لَيْسَ أَنَّنَا كُفَاءَةٌ مِنْ أَنْفُسِنَا أَنْ نَفْتَكِرَ شَيْئًا كَأَنَّهُ مِنْ أَنْفُسِنَا، بَلْ كَفَايَتُنَا مِنَ اللَّهِ، الَّذِي جَعَلَنَا كُفَاءَةً
لَأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ. لَا الْحَرْفُ بَلِ الرُّوحُ " (٢ كو ٣: ٥-٦).

" أَمَّا أَنَا فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَتَفَقُّ وَأَتَفَقُّ لِأَجْلِ أَنْفُسِكُمْ، وَإِنْ كُنْتُ كَلِمًا أَحْبَبْتُمْ أَكْثَرَ أَهْلًا أَهْلًا! فَيَلَكُنْ "
(٢ كو ١٢: ١٥-١٦). " لَأَنَّنا نَفْرَحُ حِينَمَا نَكُونُ نَحْنُ ضَعْفَاءَ وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ أَقْوِيَاءَ " (٢ كو ١٣: ٩).

وَهَكَذَا لَا يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُلْقَى عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ إِلَّا أَنْ يَقُولَ أَنْ كَاتِبَهَا لَا
يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ بَلْ بِرُوحِ إِلَهِي يَشْتَعِلُ حُبًّا فِي قَلْبِهِ، وَعَلَى اسْتِعْدَادِ أَنْ يَشَابِهَ سَيِّدَهُ الْمَسِيحَ فِي
أَنْ يَكُونَ ذَبِيحَةً مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ !

أَمَّا إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَتَطَّلَعَ إِلَى غَايَةِ الْآبَاءِ الرُّسُلِ مِنَ الرِّسَالِ، فَهَذَا يَعِيدُنَا إِلَى قَوْلِ
السَّيِّدِ الْمَسِيحِ " الْكَلَامُ الَّذِي أَكَلَمَكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحْيَاةٌ " (يو ٦: ٦٣)، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الرُّوحَ
الْقُدُسَ يَتَكَلَّمُ لِيُعْطِيَ حَيَاةً! وَعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ كَلِمَاتِ الرِّسَالِ تُعْطِي الْحَيَاةَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ
خِلَالِ اسْتِعْلَانِ سِرِّ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَقَدْ عَبَّرُوا عَنْ ذَلِكَ بِتَعْبِيرَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ
تُكْشِفُ عَمَلَ هَذَا السِّرِّ فِي الْإِنْسَانِ وَهُوَ مَا سَنَتَحَدَّثُ عَنْهُ فِي الْعِظَاتِ الْقَادِمَةِ، وَلَكِنْ
يَهْمُنَا هُنَا أَنْ نَلْمَحَ إِلَى بَعْضِ اتِّجَاهَاتِ الْآبَاءِ الرُّسُلِ فِي الرِّسَالِ ...

" لِأَنَّ فَخْرَنَا هُوَ هَذَا: شَهَادَةُ ضَمِيرِنَا أَنَّنا فِي بَسَاطَةٍ وَإِخْلَاصٍ لِلَّهِ، لَا فِي حِكْمَةٍ جَسَدِيَّةٍ بَلْ فِي
نِعْمَةِ اللَّهِ، تَصَرَّفْنَا فِي الْعَالَمِ، وَلَا سِيْمَا مِنْ نَحْوِكُمْ " (٢ كو ١: ١٢).

" لِأَنَّ وَعِظَنَا لَيْسَ عَنْ ضَلَالٍ، وَلَا عَنْ دَنْسٍ، وَلَا بِمَكْرٍ، بَلْ كَمَا اسْتَحْسَنَّا مِنَ اللَّهِ أَنْ نُؤْتِمَنَ
عَلَى الْإِنْجِيلِ، هَكَذَا نَتَكَلَّمُ، لَا كَأَنَّنا نُرْضِي النَّاسَ بَلِ اللَّهِ الَّذِي يَخْتَبِرُ قُلُوبَنَا. فَإِنَّمَا لَمْ نَكُنْ قَطْ فِي
كَلَامٍ تَمْلُقُ كَمَا تَعْلَمُونَ، وَلَا فِي عِلَّةٍ طَمَعٍ، اللَّهُ شَاهِدٌ. وَلَا طَلَبْنَا مَجْدًا مِنَ النَّاسِ، لَا مِنْكُمْ وَلَا مِنْ

غيركم مع أننا قادرون أن نكون في وقار كرسل المسيح. بل كنا مُترفقين في وسطكم كما تُربي
المرضة أولادها" (١ تس ٢: ٣-٧).

"أنتم شهود، والله، كيف بطهارة وبر وبلا لوم كنا بينكم أنتم المؤمنين. كما تعلمون كيف كنا
نعظ كل واحد منكم كالأب لأولاده، ونُشجّعكم، ونُشهدكم لكي تسلكوا كما يحق لله الذي دعاكم
إلى ملكوته ومجده" (١ تس ٢: ١٠-١٢).

"لأنني لست أستحي بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن" (رو ١: ١٦).
"حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم، مُباشراً لإنجيل الله ككاهن، ليكون قربان
الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس" (رو ١٥: ١٦).

"وأنا لما أثبت إليكم أيها الإخوة، أثبت ليس بسمو الكلام أو الحكمة منادياً لكم بشهادة الله،
لأنني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً ... كلامي وكراتي لم يكونا بكلام
الحكمة الإنسانية المُقنع بل ببرهان الروح والقوة، لكي لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة
الله" (١ كو ١: ٥).

"الذي رأيناه وسمعناه نُخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع
الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً" (١ يو ٣: ٤).
"الأمر الذي لأجله نُصلي أيضاً كل حين من جهتكم: أن يؤهّلكم إلهنا للدعوة، ويكْمُل كل
مسرة الصلاح وعمل الإيمان بقوة" (١ تس ١: ١١).

"أما نحن فينبغي لنا أن نشكر الله كل حين لأجلكم أيها الإخوة المحبوبون من الرب، أن الله
اختاركم من البدء للخلاص، بتقديس الروح وتصديق الحق. الأمر الذي دعاكم إليه بإنجيلنا، لاقتناء
مجد ربنا يسوع المسيح" (٢ تس ١٣: ١٤).

"أمين هو الله الذي به دُعيتُم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا" (١ كو ١: ٩).
وفي حديث الآباء الرسل عن وحدانية الله يقولون ...

"لنا إله واحد: الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له. ورب واحد: يسوع المسيح، الذي به
جميع الأشياء، ونحن به" (١ كو ٨: ٦)، "لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس:
الإنسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع" (١ تي ٢: ٥ - ٦)، ويظهر هنا أنه
صار إنساناً حتى يمكن له أن يفدي الجميع بتجسده.

وكانت طلبة الآباء الرسل من الله لأجل المؤمنين هي ...

"كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح، أبو المجد، روح الحكمة والإعلان في معرفته" (أف ١: ١٧).

"لكي يعطيكم بحسب غنى مجده، أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، ليحلّ

المسيح بالإيمان في قلوبكم ... لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله" (أف ٣: ١٦ - ١٩).

وكانت دعوتهم للقداسة ...

"إذ أعتقتم من الخطية، وصرتم عبيداً لله، فلكم ثمركم للقداسة، والنهاية حياة أبدية" (رو ٦: ٢٢).

"مُكَمِّلِينَ الْقِدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللَّهِ" (١ كو ٢: ١).

"لأن هذه هي إرادة الله: قَدَّاسَتَكُمْ" (١ تس ٤: ٣).

"القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب" (عب ١٢: ١٤).

"أن تُقدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مُرْضِيَةً عِنْدَ اللَّهِ، عِبَادَتَكُمْ الْعَقْلِيَّةَ.

وَلَا تُشَاكِلُوا هَذَا الدَّهْرَ" (رو ١٢: ١ - ٢).

"امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ" (أف ٥: ١٨).

وأعلنوا أن حياة الإنسان هي ملك للسيد المسيح ...

"فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق ... لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع

المسيح في الله" (١ كو ٣: ١).

"إن عشنا فللرب نعيش، وإن متنا فللرب نموت. فإن عشنا وإن مُتْنَا فللرب نحن" (رو ٨: ١٤).

"وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم، بل للذي مات لأجلهم وقام"

(١ كو ٥: ١٥).

كما تكلم الآباء الرسل عن الاحتمال من أجل اسم السيد المسيح ...

"قد وُهِبَ لَكُمْ لِأَجْلِ الْمَسِيحِ لَا أَنْ تَوَافُوا بِهِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضاً أَنْ تَتَأَلَّمُوا لِأَجْلِهِ" (في ١: ٢٩).

كما دعوا المؤمنين للوحدانية في المسيح ...

"جسد واحد، وروح واحد، كما دُعيتُمْ أَيْضاً فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ" (أف ٤: ٤).

"ليملك في قلوبكم سلام الله الذي إليه دُعيتُمْ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ" (كو ٣: ١٥).

كما أكدوا وقوفنا أمام السيد المسيح للحساب في اليوم الأخير ...

"لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح" (رو ١٤: ١٠).

كما أعلن الآباء الرسل أن ...

" غاية الوصية هي المحبة من قلب طاهر، وضمير صالح، وإيمان بلا رياء" (١ تي ٥ : ١).

وشجّعوا المؤمنين للوقوف ضد الشر...

" البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكائد إبليس ... لكي تقدروا أن تقاوموا

في اليوم الشرير ... فاثبتوا مُمنطقين أحقاءكم بالحق، ولا بسين درع البر، وحاذين أرجلكم

باستعداد إنجيل السلام. حاملين فوق الكل ترس الإيمان ... وخذوا خوذة الخلاص، وسيف الروح

الذي هو كلمة الله. مصلين بكل صلاة وطلبية" (أف ٦ : ١١ - ١٨).

أمّا الآن فيمكننا أن ننقل إلى العضات التي تتحدث عن تعبيرات الآباء الرسل

والتي تكشف لنا سر الآب والابن والروح القدس.

الآب والابن والروح القدس، وتعبير الكتاب المقدس عن سره

العضة (٦١)

تعبير: الخلاص

كما رأينا، فإن استعلان سر الآب والابن والروح القدس كشف بوضوح سر

علاقة الله بالإنسان من خلال تجسد الابن وفدائه. وهكذا تخلص الإنسان من عقبة

الموت والخطية والخضوع للشيطان واكتسب جسد القيامة بقيامة السيد المسيح، ونال

عطية الابن أي السيد المسيح بالروح القدس في المعمودية.

وحيثما أراد الله أن يعطي اسماً لمجمل هذه العطية للإنسان أسماها " خلاصاً"،

لأن بها تخلص الإنسان من عبودية الشيطان إلى حرية مجد أولاد الله، وتخلص الإنسان

من فساد معرفة الشر إلى القداسة التي ينالها في شركة الله المتجسد القدوس،

وتخلص من الجسد الترابي الذي ينتهي إلى التراب إلى جسد القيامة الذي به يحيا

كملائكة الله في السماء. لهذا فهو خلاص من كل الوجوه.

وهكذا مع ولادة يوحنا المعمدان الذي هيا الطريق أمام السيد المسيح تنبأ أبوه

زكريا قائلاً: " مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه، وأقام لنا قرن خلاص

في بيت داود فتاه. كما تكلم يفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر، خلاص من أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا. ليصنع رحمة مع آبائنا ويذكر عهده المقدس، القسم الذي حلف لإبراهيم أبينا: أن يعطينا إننا بلا خوف، مُنقذين من أيدي أعدائنا، نعبده بقداسة وبرّ قدامه جميع أيام حياتنا " (لوا: ٦٨-٧٥).

ومن هنا أبلغ الملاك جبرائيل السيدة العذراء مريم في بشارته بتجسد الابن في بطنها بالروح القدس، أن قال لها تسمينه "يسوع" (لوا: ٣١)، وتعني مخلص "لأنه يُخلص شعبه من خطاياهم" (مت ٢١: ١).

كما نطقت السيدة العذراء بتسبحتها وهي تحمل السيد المسيح في بطنها وقالت أمام أليصابات: "تُعظم نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله مخلصي" (لوا: ٤٦-٤٧)، أي أن الروح القدس الذي حل عليها أعلمهما بأسرار هذا الخلاص.

وحينما أرسل الله الرعاة ليحققوا من ميلاد السيد المسيح أي "الحمل" أو "الخروف" الذي سيفتدي الإنسان، وقف بهم ملاك الرب قائلاً: "فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب: أنه وُلد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب" (لوا: ١٠-١١).

وحينما صعدت السيدة العذراء مريم إلى الهيكل لتقدم السيد المسيح حسب أوامر الناموس في اليوم الأربعين لولادته، كان ينتظرهم سمعان الشيخ الذي طالت به الأيام لكي يرى السيد المسيح حسب وعد الله له وهنا "أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال: الآن تُطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك، الذي أعددتَه قدام وجه جميع الشعوب. نور إعلان للأمم، ومجداً لشعبك إسرائيل" (لوا: ٢٨-٣٢).

ومادام هذا الخلاص قد أعدّه الله من "قبل تأسيس العالم" (أف ٤: ١)، (١ بط ٢٠: ١) فمن الطبيعي أن يكون هو محور حديث الأنبياء الذين أرسلهم الله قبل التجسد الإلهي، ومن هنا يقول بطرس الرسول: "نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس. الخلاص الذي فُتِّش وبحث عنه أنبياء، الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم، باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح، والأمجاد التي بعدها. الذين أعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم، بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور

التي أخبرتم بها أنتم الآن، بواسطة الذين بشّروكم في الروح القدس المُرسَل من السماء " (بط ١: ٩-١٢).

وإن كانت أحداث العهد القديم ونبواته كلها تصب في اتجاه هذا الخلاص، إلا أن أكثر من تحدث عن كلمة الخلاص هما سفرَي المزامير وإشعياء اللذان ذكرناهما في عظه (٢) و (٣).

وكم كنا نود أن نذكر كل ما جاء بالعهد القديم عن حقيقة الخلاص ولكن لا يمكننا سوى أن نشير إلى بعض جوانبه ...

فيقول سفر المزامير:

١ - يشير أولاً إلى احتياج الإنسان للخلاص: "إلى متى يا رب تنساني كل النسيان؟ إلى متى تحجب وجهك عني؟... إلى متى يرتفع عدوي علي؟... أنر عيني لئلا أنام نوم الموت، لئلا يقول عدوي قد قويت عليه ... أما أنا فعلى رحمتك توكلت. يبتهج قلبي بخلاصك. أغني للرب لأنه أحسن إليّ" (مز ١٣: ١-٦).

٢ - يتعجّل المزمور التجسد الإلهي لإتمام الخلاص: "يا جالساً على الكروبيم أشرق. قدام أفرايم وبنيامين ومنسى أيقظ جبروتك، وهلمّ لخلاصنا. يا الله أرجعنا، وأنر بوجهك فنخلص ... يا إله الجنود، أرجعنا. اطلع من السماء وانظر وتعهّد هذه الكرمة، والغرس الذي غرسه يمينك، والابن الذي اخترته لنفسك ... لتكن يدك على رَجُل يمينك، وعلى ابن آدم الذي اخترته لنفسك ... أنر بوجهك فنخلص" (مز ٨٠: ١-١٩).

٣ - ثم يتحدّث المزمور عن الضياء: "أحبك يا رب، يا قوتي ... إلهي صخرتي به أحتمي. تُرسي وقرن خلاصي وملجأِي. أدعو الرب الحميد، فأخلص من أعدائي. اكتفتني جبال الموت، وسيول الهلاك أفرعتني ... طأطأ السموات ونزل ... ركب على كروبيوطار ... أرعد الرب من السموات، والعليّ أعطى صوته ... فظهرت أعماق المياه، وانكشفت أسس المسكونة ... أرسل من العليّ فأخذني ... أنقذني من عدوي القوي، ومن مبغضيّ. لأنهم أقوى مني ... أخرجني إلى الرحب. خلصني لأنه سرّ بي ... لأنك أنت تُخلص الشعب البائس ... من هو إله غير الرب؟... وتجعل لي تُرس خلاصك ويمينك تعضدني" ثم يكمل نفس المزمور عن السيد المسيح على لسان داود: "تصرّع تحتي القائمين على ... أسحقهم كالغبار قدام

الريح ... تجعلني رأساً للأمم. شعب لم أعرفه يتعبد لي ... حي هو الرب، ومبارك صخرتي،
ومُرتفع إله خلاصي ... الذي يُخضع الشعوب تحتي ... برج خلاص لملكه، والصانع رحمة
لمسيحه، لداود ونسله إلى الأبد " (مز ١٨ : ١ - ٥٠).

٤ - وعن الصليب والقيامة يقول المزمور: " كثيرون قائمون عليّ. كثيرون يقولون لنفسي: ليس
له خلاص بإلهه ... أنا اضطجعت ونمت. استيقظت لأن الرب يعضدني ... قم يا رب! خلصني
يا إلهي! ... للرب الخلاص على شعبك بركتك. سيلاه " (مز ٣ : ١ - ٨).

٥ - وعن عمل الروح القدس يقول المزمور: " يقوم الله. يتبدد أعداؤه ويهرب مُبغضوه من أمام
وجهه ... صعدت إلى العلاء. سبيت سبياً. قُلبت عطايا بين الناس ... مبارك الرب، يوماً فيوماً
يُحملنا إله خلاصنا ... الله لنا إله خلاص، وعند الرب السيد للموت مخارج. ولكن الله يسحق
رؤوس أعدائه ... يا ممالك الأرض غنوا لله. رنموا للسيد ... مخوف أنت يا الله من مقدسك.
إله إسرائيل هو المُعطي قوة وشدة للشعب. مُبارك الله! " (مز ٦٨ : ١ - ٣٥).

٦ - وعن عمل السيد المسيح للإنسان يقول المزمور: " أحمداً الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد
رحمته ... الرب لي فلا أخاف. ماذا يصنع بي الإنسان؟ الرب لي بين معيني، وأنا سآري
بأعدائي ... الاحتماء بالرب خير من التوكُّل على الرؤساء ... قوتي وترثمي الرب، وقد صار لي
خلاصاً. صوت ترنم وخلص في خيام الصديقين: يمين الرب صانعة بياس. لا أموت بل أحيأ
وأحدثُ بأعمال الرب. تأديباً أدبني الرب، وإلى الموت لم يُسلمني. افتحوا لي أبواب البر.
أدخل فيها وأحمد الرب. هذا هو الباب للرب. الصديقون يدخلون فيه. أحمداً لأنك استجبت
لي وصرت لي خلاصاً. الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية ... هذا هو اليوم الذي
صنعه الرب، نبتهج ونفرح فيه. آه يارب خلّص! آه يارب أنقذ! مبارك الآتي باسم الرب ... احمداً
الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته " (مز ١١٨ : ١ - ٢٩).

٧ - وعن الكنيسة يقول المزمور: " قم يارب إلى راحتك، أنت وتابوت عزك. كهنتك يلبسون
البر، وأتقيأوك يهتفون ... أقسم الرب لداود بالحق لا يُرجع عنه: من ثمرة بطنك أجعل على
كرسيك ... لأن الرب قد اختار صهيون. اشتهاها مسكناً له: هذه هي راحتي إلى الأبد. ههنا
أسكن لأنني اشتيتها. طعامها أبارك بركة. مساكنها أشبع خبزاً. كهنتها ألبس خلاصاً ... رتبت
سراجاً لمسيحي " (مز ١٣٢ : ٨ - ١٧).

ويتحدث إشعياء عن الخلاص فنذكر منه ...

١ - إن الخلاص هو مقصد الله من البدء: "مقاصدك منذ القديم أمانة وصدق ... يبلغ الموت إلى الأبد، ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه، وينزع عار شعبه عن كل الأرض، لأن الرب قد تكلم ... ويقال في ذلك اليوم: هوذا هذا إلهنا. انتظرناه فخلصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلصه" (إش ٢٥: ١-٩).

٢ - ثم يتحدث عن مجيئه من شعب إسرائيل: "حقاً أنت إله مُحْتَجِب يا إله إسرائيل المُخَلِّص ... أنا الرب وليس آخر. لم أتكلم بالخفاء في مكان من الأرض مُظْلِم. لم أقل لنسل يعقوب: باطلاً اطلبوني ... أليس أنا الرب ولا إله آخر غيري؟ إله بار ومُخَلِّص. ليس سواي. التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض، لأنني أنا الله وليس آخر" (إش ٤٥: ١٥-٢٢).

٣ - وعن التجسد من أجل الخلاص يقول إشعياء: "اصغوا أيها الأمم من بعيد: الرب من البطن دعاني. من أحشاء أُمِّي ذكر اسمي ... وقال لي: أنت عبدي إسرائيل الذي به أتمجد ... فقد جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض ... في وقت القبول استجبتك، وفي يوم الخلاص أعنتك. فأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ... لا يجوعون ولا يعطشون ... وإلى ينابيع المياه يُوردهم" (إش ٤٩: ١-١٠)، وهو يشير هنا أيضاً إلى جسد الرب ودمه وإلى المعمودية.

٤ - ويشير إشعياء إلى الخلاص للعالم كله: "أنصتوا إليّ يا شعبي ... لأن شريعة من عندي تخرج، وحقي أثبتته نوراً للشعوب. قريبٌ يرّي. قد برز خلاصي، وذراعي يقضيان للشعوب" (إش ٥١: ٤-٥).

٥ - وعن فداء السيد المسيح يقول إشعياء: "ها إن يد الرب لم تقصُر عَنْ أَنْ تُخَلِّص ... فرأى أنه ليس إنسان، وتخيّر من أنه ليس شفيع. فخلّصت ذراعه لنفسه، وبرّه هو عضده. فلبس البر كدرع، وخوذة الخلاص على رأسه ... ويأتي الفادي إلى صهيون ... أما أنا فهذا عهدي معهم. قال الرب: روحي الذي عليك، وكلامي الذي وضعته في فمك لا يزول من فمك" (إش ٥٩: ١-٢١).

٦ - وعن عمل الروح القدس في الخلاص يقول إشعياء: "هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب، لأن ياه يهوّه قوّتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصاً. فتستقون مياهاً

بفرح من ينابيع الخلاص" (إش ١٢: ٢-٣)، وقد سبق وذكرنا أن المياه تشير إلى الروح القدس.

٧ - وعن عمل المعمودية يقول إشعياء: "روح السيد الرب عليّ، لأن الرب مسحني لأبشّر المساكين ... لأنادي للمسيبين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق ... أما أنتم فتدعون كهنة الرب، تسمون خدام إلهنا ... فرحاً أفرح بالرب. تبتهج نفسي بإلهي، لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص. كساني رداء البرّ، مثل عريس يتزين بعمامة، ومثل عروس تتزين بحليها" (إش ٦١: ١-١٠).

والمعروف أن إشعياء تنبأ عن طريق الخلاص الذي كان يعدّه يوحنا المعمدان أمام السيد المسيح بقوله: "صوت صارخ في البرية: اعدّوا طريق الرب ... وببصر كل البشر خلاص الله" (لو ٣: ٤-٦)، (إش ٤٠: ٣).

والآن، ماذا قال السيد المسيح عن الخلاص ...

١ - "لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم. الذي يؤمن به لا يدان، والذي لا يؤمن قد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد. وهذه هي الدينونة: إن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة" (يو ٣: ١٧-١٩).

٢ - "أنا هو الباب. إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى" (يو ١٠: ٩).

٣ - "لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يخلص ما قد هلك" (مت ١٨: ١١).

٤ - وعن تجسده من شعب اليهود قال للسامرية: "لأن الخلاص هو من اليهود" (يو ٤: ٢٢).

٥ - وعن تأكيده للمعمودية "من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يُدن" (مر ١٦: ١٦).

٦ - وعن احتمال المؤمنين والرسل في العالم "الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص" (مت ١٠: ٢٢).

٧ - أما حين اعترف زكا بالسيد المسيح إلهاً وتاب عن خطاياهم. قال له السيد المسيح: "اليوم حصل خلاص لهذا البيت" (لو ١٩: ٩).

أما إذا أتينا إلى ما قاله الآباء الرسل عن الخلاص فلا يمكن هنا أن نحيط بكل ما ذكره ولكننا نشير إلى اتجاهاته ...

١ - الخلاص هو بمعرفة الآب والابن والروح القدس: " الله لم ينظره أحد قط ... بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا: أنه قد أعطانا من روحه. ونحن قد نظرنا ونشهد أن الآب قد أرسل الابن مُخَلِّصاً للعالم " (١٠ - ١٢ : ٤ يو).

٢ - الخلاص مُعدّ من قبل تأسيس العالم: " الذي خَلَصنا ودعانا دعوة مُقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أظهرت الآن بظهور مُخَلِّصنا يسوع المسيح، الذي أبطل الموت وأُناّر الحياة والخلود بواسطة الإنجيل " (١ - ٩ : ١٠ تي).

" أن الله اختاركم من البدء للخلاص، بتقديس الروح وتصديق الحق " (٢ : ١٣ نس).

٣ - الخلاص هو بالفداء: " لأنه لا قَ بذالك الذي مِن أجله الكل وبه الكل، وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد، أن يَكْمِلَ رئيس خلاصهم بالآلام " (عب ٢ : ١٠).

٤ - عمل الخلاص نناله بالمعمودية: " حين ظهر لطف مُخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خَلَصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سَكَبَه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا " (تي ٣ : ٤ - ٦).

٥ - الخلاص هو باعتراف الإنسان بفداء السيد المسيح: " لأنك أن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خَلَصْتَ. لأن القلب يؤمن به للبر، والفم يعترف به للخلاص " (رو ١٠ : ٩ - ١٠)، ولكن يلزم قبول عمل الخلاص بالمعمودية كما سبق القول.

٦ - الخلاص بذبيحة السيد المسيح وكهنوته: " إذ كُمل صار لجميع الذين يطيعونه، سبب خلاص أبدي، مدعواً من الله رئيس كهنة على رُتبة ملكي صادق " (عب ٥ : ٩ - ١٠).

٧ - الخلاص يلزمه جهاد من جهة الإنسان للثبات فيه: " تَمِّمُوا خلاصكم بخوف وورعة " (في ٢ : ١٢).

" إن كان البار بالجهد يَخْلَصُ، فالفاجر والخاطيء أين يَظْهَران؟ " (١ بط ٤ : ١٨)، " كيف نجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟ قد ابتدأ الرب بالتكلم به، ثم تثبت لنا من الذين سمعوا، شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس، حسب إرادته " (عب ٢ : ٣ - ٤).

الآب والابن والروح القدس، وتعبير الكتاب المقدس عن سره

العظة (٦٢)

تعبير: القوة، والنعمة

ذكرنا سابقاً أن السيد المسيح أظهر لاهوته من خلال أقواله وأفعاله وأعلن بوضوح أنه صورة الله الغير منظور (يو ٥: ١٧)، (يو ٨: ٥٤)، (في ٢: ٦)، (كو ١: ١٥) وبذلك أطلق على ذاته ابن الله وابن الإنسان. كما أشار إلى أن الروح القدس الذي سيرسله إلى البشر هو الذي سيستعلن لكل إنسان خلاص الله وتجسده وهو الذي سيقدر الإنسان بميلاد ثانٍ ليؤهله لسكنى السماء. وقد رأينا أن إعلان السيد المسيح عن ذاته أنه هو الله الظاهر في الجسد، كان هذا هو ذات الاتهام الذي وجهه إليه اليهود وقدموه به إلى الصليب.

وقد سبق وذكرنا أن الآباء الرسل اتخذوا منهج السيد المسيح في الكرازة باسمه فأعلنوا وحدانية الله وتجسد الابن الوحيد، وأيدهم الروح القدس في كرازتهم حسب قول السيد المسيح: "لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم" (مت ١٠: ٢٠)، وقد رأينا أن الآباء الرسل استخدموا بعض التعبيرات للإعلان عن هذا السر الذي للآب والابن والروح القدس دون أن يقحموا أنفسهم في شرح السر بل أظهروا فاعليته في الإنسان. وكان أول التعبيرات التي ذكرناها هي حقيقة الخلاص. ثم وجدنا أن معنى الخلاص له جذوره في العهد القديم حتى أن السيد المسيح كان اسمه حسب قول الملاك المخلص أي يسوع. وبعد ذلك نجد تعبيرين للآباء الرسل أحدهما يشرح عمل الله وهو القوة، والثاني يشرح أثره في الإنسان وهو النعمة. ثم يتضح من استخدامهم لهذه التعبيرات أنها ليست أوصاف بل هي فعل حقيقي.

أمّا عن القوة ...

يتحدث بولس الرسول إلى أهل تسالونيكي ويقول: "أن إنجيلنا لم يصبر لكم بالكلام فقط، بل بالقوة أيضاً، وبالروح القدس، وبيقين شديد" (١ تس ١: ٥).

ويقول لأهل كورنثوس: "كلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المُنقّع،

بل ببرهان الروح والقوة، لكي لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله" (١ كو ٢: ٤-٥).

كما يتحدث عن الصليب أي الفداء بقوله: "إن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المُخلّصين فهي قوة الله" (١كو١: ١٨).

ثم يقول أيضاً: "لأن ملكوت الله ليس بكلام، بل بقوة" (١كو٤: ٢٠).

كما يقول عن الإنجيل أي البشارة بالسيد المسيح: "لأنني لست أستحي بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص" (رو١: ١٦).

ثم يتحدث عن شفاعة السيد المسيح الكفارية وكنهوته أنه: "بحسب قوة حياة لا تزول" (عب ٢: ١٦).

وهكذا يتضح أن القوة هي فعل سري غير مُدرك تظهر أثارها في الكرازة، وفي الصليب، وفي الإنجيل، وكنهوت السيد المسيح.

ومن البديهي أن أي قوة لا تظهر إلا في فاعليتها، وعلى ذلك فالمجد الذي لهذه القوة الإلهية الغير المُدرّكة تظهر فاعليتها في الإنسان بعمل الإيمان. وهكذا يكشف الآباء الرسل السر بقولهم: "لكي يعطيكم بحسب غنى مجده، أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم" (أف ٣: ١٦-١٧)، ويظهر هنا في هذه العبارة بوضوح قوة الروح القدس في استعلان الابن ليحل في قلب الإنسان، وهي أمور كلها غير منظورة لكنها تظهر في حياة الإنسان بل ويكون الإنسان مسئولاً أن يتاجر ويربح بهذه الوزنة.

ولهذا يصلي الآباء الرسل من أجل هذا الأمر ويقولون: "كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح، أبو المجد، روح الحكمة والإعلان في معرفته... لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين، حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح" (أف ١: ١٧-٢٠).

كما يقولون أيضاً: "الله قد أقام الرب، وسيقيمنا نحن أيضاً بقوة" (١كو ٦: ١٤)، "القادر أن يفعل كل شيء، أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر، بحسب القوة التي تعمل فينا" (أف ٣: ٢٠). وعن هذه القوة يتحدث يوحنا الرسول: "كتبت إليكم... لأنكم أقوياء، وكلمة الله ثابتة فيكم، وقد غلبتم الشرير" (١يو ٢: ١٤)، وهنا تظهر القوة في غلبة الشر والشرير.

كما تظهر هذه القوة أيضاً في المحبة: "لأن الله لم يُعطينا روح الفشل، بل روح القوة والمحبة والنصح" (٢ تي ١: ٧)، "الأمر الذي لأجله نُصلي أيضاً كل حين من جهتك: أن

يُوهِّلَكُمْ إلهنا للدعوة، وَيُكَمِّلُ كلَّ مَسْرَّةِ الصَّلاحِ وعَمَلِ الإيمانِ بقوة، لكي يَتِمَّجِدَ اسمُ ربِّنا يسوع المسيح فيكم " (٢ تس ١: ١١-١٢)، "مُتَّقَوِّينَ بكلِّ قُوَّةٍ بحسبِ قُدْرَةِ مَجْدِهِ، لكلِّ صَبْرٍ وطولِ أناةٍ بفرح" (١ كو ١١: ١).

وتَصْبِحُ هذهُ القُوَّةُ كسلاحٍ لِلإنسانِ طالما يَتَمَسَّكُ بها الإنسانُ: "تَقَوَّوْا في الربِّ وفي شِدَّةِ قُوَّتِهِ. البسوا سلاحَ اللَّهِ الكاملِ لكي تَقْدُرُوا أَنْ تُثَبِّتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إبليس. فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ" (أف ٦: ١٠-١٢).

وهكذا يظهرُ فِعْلُ هذهِ القُوَّةِ في غَلَبَةِ الشَّرِّيرِ، وفي المَحَبَّةِ، وفي الصَّلاحِ، وفي الصَّبْرِ، بل وحتى في الخِدْمَةِ: "إِنْ كَانَ يَخْدُمُ أَحَدٌ فَكَأَنَّهُ مِنْ قُوَّةِ يَمْنَحُهَا اللَّهُ، لكي يَتِمَّجِدَ اللَّهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِيسوع المسيح" (١ بط ٤: ١١).

ولعلَّه من المَلاحِظ أن كلَّ أَعْمَالِ القُوَّةِ تَتَجَهُّ لِمَجْدِ اللَّهِ وذلكَ لأنَّه في حَقِيقَةِ الأَمْرِ أَنَّ هذهَ القُوَّةَ في الإنسانِ - كما يوضِّحُ الرِّسَلُ - هي من عَمَلِ نِعْمَةٍ ...
والآنَ عن النِّعْمَةِ ...

يقول بولس الرسول: "فَتَقَوَّ أَنْتَ يَا ابْنِي بِالنِّعْمَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (٢ تي ٢: ١).
ويقول بطرس الرسول: "أَلْقُوا رَجَاءَكُمْ بِالْتِمَامِ عَلَى النِّعْمَةِ الَّتِي يُؤْتِي بِهَا إِلَيْكُمْ عِنْدَ اسْتِعْلَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١ بط ١: ١٣).

وهو الأَمْرُ الَّذِي يُوَكِّدُهُ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ: "بِدُونِي لَا تَقْدُرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً" (يو ١٥: ٥)،
"إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا إِنِّي أَنَا هُوَ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ" (يو ٨: ٢٤).

وهكذا يشرح بولس الرسول: "لَنَا هَذَا الْكَنْزُ فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ، لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ لِلَّهِ لَا مِثْلاً" (٢ كو ٤: ٧)، ويذكر قول السَّيِّدِ الْمَسِيحِ لَهُ: "تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لِأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكَمِّلُ" (٢ كو ١٢: ٩)، وهذا ما دَفَعَهُ لِلْقَوْلِ: "أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي" (في ٤: ١٣)، وحسب قول بطرس الرسول: "أَنْتُمْ الَّذِينَ بِقُوَّةِ اللَّهِ مَحْرُوسُونَ بِإِيمَانٍ، لَخَلَاصٍ مُسْتَعِدُّ أَنْ يُعْلَنَ فِي الزَّمَانِ الْآخِرِ" (١ بط ١: ٥).

والعجيب أن السَّيِّدَةَ الْعِذْرَاءَ في بَسَاطَةِ تَسْبِيحَتِهَا أَمَامَ أَلْيَصَابَاتِ اسْتُعْلُنَ لَهَا هَذَا الأَمْرُ وَقَالَتْ: "صَنَعَ قُوَّةً بِذِرَاعِهِ" (لوا ١: ٥١)، كما تَبَيَّنَ عَنْ ذَلِكَ إِشْعِيَاءُ بِقَوْلِهِ: "أَنْصَتُوا إِلَيَّ يَا شَعْبِي ... قَدْ بَرَزَ خَلَاصِي ... اسْتَيْقِظِي، اسْتَيْقِظِي! الْبَسِي قُوَّةَ يَا ذِرَاعِ الرَّبِّ!" (إش ٥١: ٩-٤).

كما قال داود: "أحبك يارب، يا قوتي. الرب صخرتي وحصني ومنقذي" (مز ١٨: ١-٢)،
"الإله الذي يُمنطقني بالقوة ويُصَيِّر طريقِي كاملاً" (مز ١٨: ٣٢).

وهكذا تم وعد السيد المسيح يوم القيامة: "ها أنا أرسل إليكم موعد أبي. فأقيموا في
مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالي" (لو ٢٤: ٤٩)، ثم وعده مرة ثانية قبل صعوده
"لكنكم ستنالون قوّة متى حل الروح القدس عليكم" (أع ١: ٨).

والآن لعلنا تأكدنا ما سبق قوله أن عمل القوة بالمسيح في الإنسان هو عمل نعمة
كما ذكرنا في قول بولس الرسول: "فتقوّ أنت يا ابني بالنعمة التي في المسيح يسوع"
(٢ تي ٢: ١)، وفي قول بطرس الرسول: "ألقوا رجاءكم بالتبتم على النعمة التي يؤتي بها إليكم
عند استعلان يسوع المسيح" (١ بط ١: ١٣).

وهنا يتضح أيضاً أن النعمة لا يُقصد بها مجرد بركة بل هي فعل حقيقي سري
يمنح القوة التي تحدثنا عنها، وهي أيضاً ما يناله الإنسان بالإيمان: "فإذ قد تبررنا
بالإيمان لنا سلام مع الله ربنا يسوع المسيح الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه
النعمة التي نحن فيها مقيمون" (رو ٥: ١-٢)، وذلك لأن تبرير الإنسان من وراثة الخطية هو
عمل نعمة: "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدّمه الله كفارة بالإيمان
بدمه" (رو ٣: ٢٤-٢٥) ... وهي أساس وراثة الحياة الأبدية "حتى إذا تبررنا بنعمته، نصير
ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية" (٢ تي ٣: ٧)، لأنها تُطلق على عمل الخلاص "بالنعمة أنتم
مُخلّصون" (أف ٢: ٥)، "لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون، فبالأولى كثيراً نعمة الله، والعطية
بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح، قد ازدادت للكثيرين!" (رو ٥: ١٥)، "حتى كما ملكت
الخطية في الموت، هكذا تملك النعمة بالبر، للحياة الأبدية، بيسوع المسيح ربنا" (رو ٥: ٢١)،
"ربنا نفسه يسوع المسيح، والله أبونا الذي أحبنا وأعطانا عزاءً أبدياً ورجاءً صالحاً بالنعمة،
يُعزّي قلوبكم" (٢ تس ٢: ١٦-١٧).

هكذا نرى النعمة أيضاً أنها عمل حقيقي يعطي التبرير من حكم الموت،
ويعطي الخلاص، والرجاء في حياة أبدية، ووراثة السماء، وعزاءً أبدياً، وبهذا تتحقق
كلمة يوحنا المعمدان "لأن الناموس بموسى أُعطي، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا"
(يو ١: ١٧)، حتى أن من يظن أنه يتبرر بالناموس من حكم الموت دون خلاص

السيد المسيح فقد سقط من النعمة (غل ٥: ٤)، "فكم عقاباً أشد تظنون أنه يُحسب مُستحقاً مَنْ داس ابن الله، وحسب دم العهد الذي قُدِّسَ به دَيْساً، وازدري بروح النعمة؟" (عب ١٠: ٢٩). وهكذا نصل إلى الحقيقة أن تعبير القوة وتعبير النعمة كانا يعبران عن أسرار حقيقية غير منظورة تشرح سر الآب والابن والروح القدس، وتنتهي بالإنسان إلى تبرير، وخلص، وقدرة على مواجهة الشر، ورجاء في حياة أبدية، وعزاء، وصلاًحاً، وتقديساً، وبنوة لله، وثباتاً فيه وفي المحبة، وفي كل هذا يكون فضل القوة لله لا منا!

أما العجيب حقاً أن يطلب الآباء الرسل من المؤمن أن "ينمو في النعمة" ويربطون هذا النمو بالعمق في معرفة السيد المسيح أكثر وأكثر فيقول بطرس الرسول: "انموا في النعمة وفي معرفة ربنا ومُخلصنا يسوع المسيح" (٢بط ٣: ١٨)، وهو يماثل ما نطق به السيد المسيح في مثل الوزنات التي يطالب بها الإنسان أن يتاجر ويربح (مت ٢٥: ١٤ - ٣٠)، أي أن النعمة وإن كانت عطية إلهية إلا أنها تزداد بالمداومة على التوبة وحياة الشركة في المسيح.

الآب والابن والروح القدس، وتعبير الكتاب المقدس عن سره العظة (٦٢)

تعبير: الشركة في المسيح

رأينا أن الآباء الرسل وقد عرفوا بالروح القدس أنه: "إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة" (١كو: ٢١)، "ما كان منهم سوى أن يشرحوا سر الآب والابن والروح القدس من خلال عمله في الإنسان و"الأمجاد التي بعدها" (١بط ١: ١١). ورأينا كيف أنهم قد صاغوا التعرف على هذا السر في عدة تعبيرات، ذكرنا منها الخلاص والقوة والنعمة، والآن نأتي إلى تعبير آخر وهو الشركة في المسيح. وقد نشأ هذا التعبير عن أمر عظيم وبسيط في ذات الوقت، فإنه كيف يكون هناك شركة بين السماء والأرض، أو الخالق والمخلوق، أو الله الكلي القداسة مع

الإنسان الذي عرف الشر والخطية. وكيف يكون هناك شركة بين الله الروح الغير منظور والإنسان الترابي الملموس ما لم يتجسد الله ويصير إنساناً!! إذاً فتعبير الشركة بسيط ولكنه خطير! لأنه يحمل معنى التجسد، والتقديس للإنسان، وفتح طريق سمائي للإنسان الذي كان ينتهي إلى التراب.

والآن نرى كيف استخدم الآباء الرسل هذا التعبير:

١ - يقول بولس الرسول: "أشكر إلهي في كل حين من جهتك على نعمة الله المُعطاة لكم في يسوع المسيح ... وأنت مُتوقِّعون استعلان ربنا يسوع المسيح ... أمين هو الله الذي به دُعيتُم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا" (١ كو: ٤ - ٩)، وفي هذا النص يذكر بولس "النعمة" التي سبق الحديث عنها، وعن الاستعلان الذي سبق الحديث ذكره عن القديس بطرس (١ بط: ١٢) ثم عن الشركة في المسيح يسوع ويذكر في ذلك ضمناً الله الأب والابن!

٢ - ويقول يوحنا الرسول والبشير: "فإن الحياة أظهرت، وقد رأينا ونشهد ونُخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الأب وأظهرت لنا. الذي رأيناه وسمعناه نُخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الأب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً" (١ يو: ١ - ٢ - ٤)، وفي هذا النص ليست الشركة فقط مع السيد المسيح بل مع الأب من خلال الابن المتجسد. الذي رأيناه بعيوننا ولمسته أيدينا وفي هذه الشركة أُستعلن للإنسان حقيقة الحياة الأبدية التي صارت للإنسان بهذه الشركة. ثم امتدت الشركة لتربط كافة الذين يؤمنون بالسيد المسيح ليكونوا واحداً فيه. ومع الشركة في الله القدوس ماذا تكون النتيجة سوى أن يكون فرح الإنسان كاملاً!

٣ - "الذي وُضِعَ قليلاً عن الملائكة، يسوع، نراه مُكللاً بالمجد والكرامة، من أجل أتم الموت، لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد ... لأن المُقدَّس والمُقدَّسين جميعهم مِن واحد، فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة، قائلاً ... ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله. فإذا تشارك الأولاد في اللحم والدَّم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يُبِيدَ بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس ... مِن ثَمَّ كان ينبغي أن يُشبه إخوته في كل شيء، لكي يكون رحيماً،

ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يُكفّر خطايا الشعب" (عب ٢: ٩-١٧)، وفي هذا النص يظهر أن الله الغير مدرك صار في تجسده في صورة أقل من الملائكة، ثم اشترك مع الإنسان في اللحم والدم لكي يصير فداءً وكفارة عن البشر ويرفع عنهم حكم الموت ثم يأخذ صورة رئيس كهنة سمائي، مكفراً بذبيحته السمائية هؤلاء الذين اشترك معهم في اللحم والدم، ولم يستح أن يدعوهم إخوة له بل قدّسهم بقداسته وجعلهم أولاداً له.

٤ - "شاكرين الآب الذي أهّلنا لشركة ميراث القديسين في النور، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته، الذي لنا فيه الفداء، بدمه غفران الخطايا الذي هو صورة الله غير المنظور ... الكل به وله قد خلق ... لأنه فيه سرّ أن يجلّ كل الملاء، وأن يُصالح به الكل لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه ... قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت، ليُحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه، السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال ... الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد" (كو ١٢: ٢٧)، في هذا النص نجد أن الشركة في المسيح كانت سرّاً مكتوماً من قبل الدهور. ولكن هذا السر قد كشف لنا حينما تجسد الله الغير منظور، الذي به الكل والذي خلق له الكل. ثم صالحنا مع الله، وجعلنا قديسين بقداسته لأن فيه حل كل ملء الله. ولهذا وجب أن نشكر الآب الذي أهّلنا لشركة ميراث القديسين.

ورغم وحدانية الآب والابن في الجوهر فقد تجسد الابن وذاق الموت مثل كل إنسان وأهّلنا لميراث القديسين، ونقلنا إلى ملكوته السمائي. وهذا كله لأنه صارت لنا شركة فيه بمعنى "المسيح فيكم رجاء المجد".

٥ - ولئلا نخسر هذه العطية يحذّرنا الآباء الرسل:

"جربوا أنفسكم، هل أنتم في الإيمان؟ امتحنوا أنفسكم. أم لستم تعرفون أنفسكم، أن يسوع المسيح هو فيكم، إن لم تكونوا مرفوضين؟" (٢ كو ١٣: ٥)، وفي تحذير آخر: "يا ابني، لا تحتقر تأديب الرب ... لأن الذي يُحبّه الرب يُؤدبه، ويجلد كل ابن يقبله... ثم قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدّبين، وكنا نهايهم. أفلا نخضع بالأولى جداً لأبي الأرواح، فنحيا؟ لأن أولئك أدّبونا أياماً قليلة حسب استحسانهم، وأمّا هذا فلأجل المنفعة، لكي نشترك في قداسته" (عب ١٢: ٥-١٠)،

وهذا معناه أن هذه الشركة تحتاج من جهة الإنسان إلى توبة مستمرة، وإلى تأديب وتقويم للعصاة، كمحبة من الله لئلا نفقد هذه الشركة وبالتالي نبتعد عن الاشتراك في قداسته.

٦ - " لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح، لتتقدم إلى الكمال، غير واضعين أيضاً أساس التوبة من الأعمال الميتة، والإيمان بالله، تعليم المعموديات، ووضع الأيادي، قيامة الأموات، والدينونة الأبدية ... لأن الذين استُنبِروا مرةً، وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي، وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة " (عب ٦: ١-٦)، وفي هذا النص يظهر أن الشركة مع السيد المسيح بعمل المعمودية ووضع الأيادي ونوال الموهبة السماوية تجعل الإنسان أيضاً شريكاً للروح القدس، كما تظهر أيضاً وحدانية الآب والابن والروح القدس وأن الشركة في السيد المسيح هي شركة أيضاً في الروح القدس.

٧ - يقول بطرس الرسول: " كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والتمينة، لكي نصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية، هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة " (٢ بط ١: ٣-٤). ويظهر من هذه النصوص أن الإيمان بالسيد المسيح وبعمل المعمودية يعطي الإنسان عطية هائلة غير منظورة في البر والتقديس كسر عظيم يفوق العقل البشري ويصعب التعبير عنه ولكن لأنه يغير الإنسان الداخلي إلى خليقة جديدة فقد أطلق عليه الآباء الرسل شركة مع المسيح. بالتالي شركة مع الروح القدس أو شركة مع الطبيعة الإلهية، رغم أن الإنسان يلزمه التوبة والجهاد، ويبقى تحت التأديب الإلهي لئلا يفقد هذه العطية.

هذا وقد أخذ التعبير عن الشركة في المسيح معانٍ أخرى في رسائل الآباء الرسل مثل القول: " لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح " (غل ٣: ٢٧).

وفي قول آخر: " انظروا أن لا يكون أحد يسيبكم بالفلسفة وبغرور باطل، حسب تقليد الناس، حسب أركان العالم، وليس حسب المسيح. فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً. وأنتم مملوؤون فيه " (كو ٢: ٨-١٠).

كما أن التعبير أننا أعضاء في جسد المسيح (١ كو ١٢: ١٢ - ١٣)، أو قول السيد المسيح: "إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً" (يو ١٤: ٢٣)، كل هذا يعطي المعنى أننا لنا شركة في المسيح يسوع، كما تؤيده النبوات أيضاً (انظر إش ٩: ١٤، ٦: ٢٤، ٩: ٢٣).

ولأن السيد المسيح هو صورة الله الغير منظور واتخذ له جسداً بشرياً من الروح القدس والعذراء مريم وتمم به الخلاص والفداء، ولأنه صعد إلى السماء ليصير رئيس كهنة حقيقي عن جنس البشر إلى أن تنتهي حياة الإنسان على الأرض، لهذا فلكي يكون لنا شركة فيه بصورة ملموسة ولكي يكون لنا اشتراك في ذبيحته السماوية فإنه أعطى الإنسان أن يشترك فيه وفي ذبيحته على هيئة خبز وخمر. وقدمها قبل صعوده على الصليب ليكون فصحاء أيضاً للإنسان يعبر به من عبودية الفساد وهكذا أمر تلاميذه أن يقدموا لنا هذه العطية إلى أن يجيء مرة ثانية للدينونة.

الآب والإبن والروح القدس، وتعبير الكتاب المقدس عن سره

العظة (٦٤)

تعبير: سر الله الآب والمسيح

تحدث الآباء الرسل عن سر الله والمسيح من خلال نظرتهم إلى السيد المسيح قبل وبعد حلول الروح القدس، فقد اختار السيد المسيح التلاميذ من بسطاء الناس، ووجه الدعوة إلى معظمهم بكلمة واحدة "اتبعني" (مت ٩: ٩)، (يو ١: ٤٣)، وتبعه البعض الآخر بسبب توجييه يوحنا المعمدان (يو ١: ٣٥-٤٢)، ثم أعطاهم سلطاناً وقوة لشفاء الأمراض وإخراج الشياطين (مت ١٠: ٨)، ورغم قوة الجذب في كلمة اتبعني، ورغم القوة التي حصلوا عليها بشفاء الأمراض، فإننا لا نعرف - عند دعوتهم - مدى إدراكهم أنه هو الله الظاهر في الجسد، فقد كان قولهم عن السيد المسيح عند اللقاء به أنه هو "الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء" (يو ١: ٤٥). ولعلهم ظنوا أنه على يديه ستعود مملكة إسرائيل إلى مجدها وظل هذا الفكر يراودهم حتى بعد الصليب والقيامة وقبل

صعود السيد المسيح إلى السموات بلحظات (أع ١: ٦) ولعلمهم ظنوا أن قوة إخراج الشياطين التي منحها لهم السيد المسيح هي تمييز خاص بهم فكانوا يمنعون من يعمل مثلهم (مر ٩: ٢٨ - ٢٩)، كما أنهم كانوا أحياناً يتحاجون مع بعضهم "من هو أعظم" (مر ٩: ٣٤)، (لو ٢٢: ٢٤)، وبعد ذلك كان موقفهم في البستان وقت القبض على السيد المسيح اختباراً حقيقياً لإيمانهم من هو السيد المسيح، وذلك رغم ما شاهدوه من أفعال السيد المسيح في إقامة الموتى وخلق عينين من طين ورغم أقوال السيد المسيح الصريحة "أنا والآب واحد" (يو ١٠: ٣٠)، أو "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يو ٨: ٥٨).

كما أن السيد المسيح لم يخف حقيقته عنهم بل أعلنها لهم على لسان بطرس الرسول وذلك حينما سألهم: "من يقول الناس إنني أنا ابن الإنسان؟ فقالوا: قوم: يوحنا المعمدان وآخرون: إيليا، وآخرون: إرميا أو واحد من الأنبياء. قال لهم: وأنتم، من تقولون إنني أنا؟ فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي! فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا، إن لحمًا ودمًا لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السموات" (مت ١٦: ١٣-١٧).

وكان بعض من الرؤساء بسبب معرفتهم بأقوال الأنبياء أدركوا أنها تنطبق على السيد المسيح "لكن مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء أيضاً، غير أنهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به، لئلا يصيروا خارج المجمع، لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله" (يو ١٢: ٤٢-٤٣).

رغم ذلك كله لا نقدر أن نقطع بما كان يدور في خلد كل أحد عن السيد المسيح أنه بالحقيقة هو الله الظاهر في الجسد، فقد كانت صورته الإنسانية رغم كل ما يؤكد به أنه هو الله، تشكل صعوبة أن يتصوروا أن الله يأخذ صورة إنسان. ولعل هذا كان أحد المقاصد للتجسد الإلهي، فبجانب أن تكون صورته الإنسانية هي ما يناسب فداء الإنسان بموته وقيامته. فيقيم الإنسان معه، إلا أن هذه الصورة الإنسانية كانت هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن للإنسان أن تمتد يده إليه ليصلبوه، لأنهم "لو عرفوا لما صلبوا رب المجد" (١ كو ٢: ٨)، وكان هذا هو "سر المسيح".

وبالتأكيد كان كل هذا في علم السيد المسيح، لهذا في صعوده إلى أورشليم ليُصلب تجلّى السيد المسيح على الجبل وظهر مع موسى وإيليا بمجد عظيم بصورة حتى أنه لم يمكن للتلاميذ بطرس ويعقوب ويوحنا أن ينظروا إليه، وكان يتحدث مع

موسى وإيليا عن أحداث الصليب والقيامة، ولكنه أبلغ التلاميذ أن لا يتحدثوا عن هذا الأمر إلا بعد القيامة من الأموات رغم أنهم لم يدركوا ما هى القيامة في هذا الوقت (مت ١٧: ١-٩)، (مر ٩: ٢-١٠).

على أن الحائل الحقيقي الذي منع شعب اليهود من معرفة سر المسيح كان غلاظة قلوبهم والتي سبق أن تنبأ بها إشعياء النبي، وفي هذا يقول يوحنا البشير: "مع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها، لم يؤمنوا به، لئتم قول إشعياء النبي الذي قاله: يارب، من صدق خبرنا؟ ولمن استعلنت ذراع الرب؟ لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا. لأن إشعياء قال أيضاً: قد أعمى عيونهم، وأغلق قلوبهم، لئلا يبصروا بعيونهم، ويشعروا بقلوبهم، ويرجعوا فأشفيهم. قال إشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه" (يو ١٢: ٣٧-٤١)، وتظهر هنا حكمة الله في أنه يستخدم قساوة قلب الإنسان لتؤدي إلى خلاصه بالمسيح. وكان هذا أيضاً أحد جوانب "سر المسيح" الذي لم يخف حقيقة ذاته حينما "سأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له: أنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع: أنا هو. وسوف تُبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة، وآتياً في سحاب السماء. فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال: ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ قد سمعتم التجاديف! ما رأيكم؟ فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت" (مر ١٤: ٦١-٦٤).

أما حينما حل الروح القدس على التلاميذ فإنه تكشف لهم بوضوح هذا السر العظيم، وهو "سر الله الآب والمسيح" وسر التجسد الإلهي وكيف تمم الله فداء الإنسان بكل هذا التدبير وهذه الحكمة، وفي هذا استعلن سر الآب والابن والروح القدس ليكشف للإنسان مقدار محبة الله وغفرانه ومقاصده من خلقه الإنسان ليكون وارثاً للسماء.

وإن كان التلاميذ قد شاركوا السيد المسيح خلال وجوده على الأرض، فيما عدا بولس الرسول إلا أن القديس بولس قد كشف له الله ذات السر ولكن بموجب إعلان خاص، حيث كان بولس الرسول متعمقاً في جذور العهد القديم وأنبيائه وناموسه وكان متشدداً في التمسك بأصوله. وبسبب هذه الغيرة القوية تجاه الله، فإن السيد المسيح أرشده إلى أهداف هذا الناموس وهذه النبوات فنجدته في النهاية يتحدث بنفس ما تكلم به بقية التلاميذ عن "سر الله الآب والمسيح" فكان حديثه على النحو التالي:

١ - تقول رسالة رومية: "وللقادر أن يُبَنِّتكم، حسب إنجيلي والكراسة يسوع المسيح، حسب إعلان السر. الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلية، ولكن ظهر الآن، وأُعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الإله الأزلي، لإطاعة الإيمان" (رو ١٦: ٢٥ - ٢٦)، ويظهر في النص كيف كان هذا السر مكتوماً رغم ما تحدثت به النبوات ثم تم كشفه مع عطية الروح القدس.

٢ - وتقول الرسالة الأولى إلى كورنثوس: "لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر، ولا من علماء هذا الدهر، الذين يبطلون. بل نتكلم بحكمة الله في سر: الحكمة المكتومة، التي سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا، التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر، لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد. بل كما هو مكتوب: ما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان: ما أعدّه الله للذين يُحِبُّونه. فأعلنه الله لنا نحن بروحه" (١ كو ٢: ٦-١٠).

٣ - وتقول الرسالة إلى أفسس: "مبارك الله أبوربنا يسوع المسيح ... كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لتكون قديسين وبلا لوم قدّامه في المحبة، إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه ... الذي فيه لنا الفداء بدمه، غُفران الخطايا، حسب غنى نعمته، التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة، إذ عَرَفْنَا بسرّ مشيئته، حسب مسرته التي قصدتها في نفسه" (أف ١: ٣-٩)، وهنا يظهر أهم أهداف السر وذلك في إتمام الفداء وبنوة الإنسان لله وتقديس الإنسان.

٤ - ويقول بولس الرسول في نفس الرسالة: "إنه بإعلان عَرَفْنِي بالسرّ. كما سبقت فكتبت بالإيجاز. الذي بحسبه حينما تقرأونه، تقدرون أن تفهموا درايتي بسرّ المسيح. الذي في أجيال آخر لم يُعَرَفْ به بنو البشر، كما قد أعلن الآن لرسلة القديسين وأنبيائه بالروح: أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال مواعده في المسيح بالإنجيل" (أف ٣: ٣-٦)، ويظهر هنا أن إعلان السر كان بهدف أن يكون كل الأمم - وليس شعب إسرائيل فقط - أن يكونوا شركاء في جسد السيد المسيح ويكون لهم بذلك ميراث السماء.

٥ - ويقول أيضاً: "أُعطيَت هذه النعمة، أن أُبَشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى، وأنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح. لكي يُعَرَفَ الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات، بواسطة الكنيسة، بحكمة الله المتنوعة، حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا ... لكي يعطيكم بحسب غنى مجده، أن

تأييدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم ... وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة، لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله " (أف ٣: ٨-١٩)، ويظهر هنا أن هذا السر تعلنه الكنيسة ويؤدي إلى أن يحل المسيح بروحه في قلب الإنسان، حتى يكون كل ما في الإنسان هو لله.

ويقول أيضاً في رسالة كولوسي: " الكنيسة، التي صيرت أنا خادماً لها، حسب تدبير الله المعطى لي لأجلكم، لتتميم كلمة الله. السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال، لكنه الآن قد أظهر لقديسيه، الذين أراد الله أن يُعرفهم ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم، الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد ... لكي تُحضر كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع " (كو ١: ٢٤-٢٨)، وهنا يعيد القول أن السر مُعلن بالكنيسة، ليحل المسيح في الإنسان والهدف أن يصير كل إنسان كاملاً مرضياً أمام الله بقداسة المسيح والروح القدس.

٦ - " لكي تتعزى قلوبهم مُقترنة في المحبة لكل غنى يقين الفهم، لمعرفة سر الله الآب والمسيح، المُذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم " (كو ٢: ٢-٣)، ويظهر هنا السر مصدراً لعزاء الإنسان، كما أنه دافع للمحبة، وتظهر فيه كنوز حكمة الله وعلمه.

٧ - وأخيراً يطلب بولس الرسول " واضربوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر، مُصلين في ذلك لأجلنا نحن أيضاً، ليفتح الرب لنا باباً للكلام، لتتكلم بسر المسيح " (كو ٤: ٢-٣).

أما عن الأنبياء الذين كانت أحشائهم تئن من وطأة معرفتهم للسر بروح النبوة فيقول إرميا النبي: " يا رجاء إسرائيل، مُخلصه في زمان الضيق ... لماذا تكون كإنسان قد تحير، كجبار لا يستطيع أن يُخلص؟ وأنت في وسطنا يارب، وقد دُعينا باسمك. لا تتركنا! " (إر ١٤: ٨ - ٩)، ويقول إشعياء: " اسمع لي يا يعقوب، وإسرائيل الذي دَعوته: أنا هو. أنا الأول وأنا الآخر، وبدي أسست الأرض، ويميني نشرت السموات ... تقدموا إليّ اسمعوا هذا: لم أتكلم من البدء في الخفاء. منذ وجوده أنا هناك والآن السيد الرب أرسلني وروحه " (إش ٤٨: ١٢-١٦)، وهنا يظهر الابن خالقاً ولم يتكلم في الخفاء بل أعلن ذاته بواسطة الأنبياء وأخيراً تجسد من الروح القدس والعذراء مريم، وأن الآب أرسله. ويقول سليمان في سفر الأمثال: " مَنْ صعد إلى السموات ونزل؟ مَنْ جَمَعَ الريح في حفنيه؟ مَنْ صَرَّ المياه في. ثوب؟ مَنْ ثَبَّتَ جميع أطراف الأرض؟ ما اسمه؟ وما اسم ابنه إن

عرفت؟" (أم ٣: ٤)، وهنا يصف سليمان النبي قدرة الابن الذي خلق السماء والأرض وكيف نزل إلى الأرض وصعد، وكيف أنه دُعي ابن الله وابن الإنسان. أمّا المزمور فيقول: "قال الرب لربي: اجلس عن يميني ... أقسم الرب ولن يندم: أنت كاهن إلى الأبد" (مز ١١٠: ٤-٤)، وهو يشير إلى تجسد الابن وفدائه وشفاعته الكفارية كرئيس كهنة سمائي.

الآب والابن والروح القدس، وتعبير الكتاب المقدس عن سره

العضة (٦٥)

تعبير: الميلاد الثاني، وخلق الإنسان العتيق، والخليعة الجديدة

إذا استرجعنا سيرة القديس بطرس الرسول قبل وبعد استعلان سر الآب والابن والروح القدس، وأقمنا مقارنة بين اندفاعه الذي كان يخفي ضعفاً وخوفاً قبل هذا الاستعلان، ثم جرأة و يقيناً بعمل الله الداخلي فيه بالروح القدس جعله يشهد بقوة أمام الرؤساء بفداء السيد المسيح و خلاصه، وإذا استرجعنا تهوُّر بولس الرسول ضد المسيحيين ثم استعداده لأن يبذل حياته من أجل المسيح بعد استعلان السيد المسيح له. فلا شك أنهما أدركا، مع بقية الآباء الرسل، أثر هذا التغيير الكامل في حياتهم ونظرتهم إلى الحياة وإلى الإنسان بصفة عامة قبل وبعد استعلان سر الآب والابن والروح القدس. ولهذا اشترك جميعهم في تعبير واحد وهو أن الإنسان بهذا الاستعلان يولد ميلاداً ثانياً. وأضاف بعضهم تعبيراً يكمل صورة الميلاد الثاني بأنه موت الإنسان العتيق الذي صار بالميلاد الجسدي الأول. وأضاف بعضهم تعبيراً آخر يعطي معنى إضافياً للميلاد الثاني وهو الخليعة الجديدة.

وقد كان هذا متفقاً تماماً مع قول السيد المسيح لنيقوديموس مُعلِّم اليهود أنه "إن كان أحد لا يُولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو ٣: ٥)، وهو تكرر لقوله "إن كان أحد لا يُولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله" (يو ٣: ٣)، وهو ما تعجَّب له نيقوديموس بقوله: كيف يمكن للإنسان أن يولد وهو شيخ. وحينما وبَّخ السيد المسيح

نيقوديموس على اعتراضه هنا فلعله قد ذكره بما جاء في سفر حزقيال: "كانت علي يد الرب، فأخرجني بروح الرب وأزّلني في وسط البُقعة وهي مَلانة عظاماً ... فقال لي: يا ابن آدم، أتحيا هذه العظام؟ فقلت: يا سيد الرب أنت تعلم. فقال لي: تنبأ على هذه العظام وقل لها: أيتها العظام اليابسة، اسمعي كلمة الرب: هكذا قال السيد الرب لهذه العظام: هأنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون ... وتعلمون أني أنا الرب ... ثم قال لي: يا ابن آدم، هذه العظام هي كل بيت إسرائيل ... وأطهرهم فيكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً. وداود عبدي يكون ملكاً عليهم، ويكون لجميعهم راعٍ واحد، فيسلكون في أحكامي ويحفظون فرائضي ويعملون بها ... وعبدي داود رئيس عليهم إلى الأبد. وأقطع معهم عهد سلام، فيكون معهم عهداً مؤبداً ... ويكون مسكني فوقهم، وأكون لهم إلهاً ويكونون لي شعباً. فتعلم الأمم إنني أنا الرب مُقدّس إسرائيل. إذ يكون مقدسي في وسطهم إلى الأبد" (حز أصحاح ٣٧).

وإن كان ظاهر النبوة أنها تتحدث عن شعب إسرائيل، ولكننا نسمع التفسير في رسالة رومية: "لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد. بل بإسحاق يُدعى لك نسل. أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله، بل أولاد الموعد يُحسبون نسلًا" (رو ٩: ٦-٨)، أي أنها تنطبق على المؤمنين بالسيد المسيح حيث سبق وأشرنا أن داود يرمز إلى السيد المسيح.

وقد كان من البديهي أن الخليقة الترابية العتيقة قد حُكِم عليها بالموت بسبب الخطية: "كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع" (رو ٥: ١٢)، وعلى ذلك فإن قيمة الميلاد الثاني هي في خَلْع أسباب موت الخليقة العتيقة وهي الخطية.

ولهذا يقول الآباء الرسل: "أن إنسانا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية" (رو ٦: ٦).

وقد كان لا بد للخليقة العتيقة أن تنجو من موت آخر. وكان ذلك بسبب ناموس موسى، الذي كان يحكم بالموت على من يتعداه. وفي هذا أيضاً يقول الآباء الرسل: "أنتم أيضاً قد مُتُم للناموس بجسد المسيح، لكي تصيروا لآخر، للذي قد أُقيم من الأموات لنثمر لهُ" (رو ٧: ٤)، وذلك لأن الميلاد الثاني يعطي عطية التقديس

بالروح القدس، فتخلق إنساناً مولوداً بالبر وقداسه الحق: "فإن الخطية لن تسودكم، لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة" (رو ٦: ١٤)، وهكذا يتضح سر الآب والابن والروح القدس: "فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يُرضوا الله. وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح، إن كان روح الله ساكناً فيكم ... إن كان المسيح فيكم، فالجسد ميت بسبب الخطية، وأما الروح فحياة بسبب البر. وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم. فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ٨-١١)، وبعبارة أخرى: "تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتجددوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق" (أف ٤: ٢٢-٢٤)، "لأنني مُت بالناموس للناموس لأحيا لله. مع المسيح صُلبت، فأحيا لأنا، بل المسيح يحيا فيّ. فما أحياء الآن في الجسد، فإنما أحياء في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي" (غل ٢: ١٩-٢٠)، أي أن الإنسان العتيق قد مات بموت السيد المسيح على الصليب، كما أخذ السيد المسيح حكم موت الناموس أيضاً وأعتق الإنسان من لعنته، حينما حمل المسيح لعنة الناموس بموته على الصليب.

كما شبّه الآباء الرسل أيضاً الميلاد الثاني بأنه ختان بالروح للإنسان العتيق ودخول في عهد جديد مع الله بحسب صورة إيمان إبراهيم: "لا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختانا ... وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان" (رو ٢: ٢٨-٢٩)، "وبه أيضاً خُنتم ختانا غير مصنوع بيد، بخلع جسم خطايا البشرية، بختان المسيح. مدفونين معه في المعمودية، التي فيها أنتم أقمتم أيضاً معه ... وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف جسديكم، أحياكم معه، مُسامحاً لكم جميع الخطايا" (كو ٢: ١١-١٣)، "مولودين ثانية، لا من زرع يقنى، بل مما لا يقنى. بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد" (١ بط ١: ٢٣)، وبعبارة أخرى "إذ خلعتكم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه" (كو ٣: ٩-١٠)، أي أنه بالميلاد الثاني يخلع الإنسان ضعفه أمام الخطية ويتقدّس بقداسة المسيح بتعرّفه على سر الآب والابن والروح القدس وتترفع منه خميرة الشر "نقوا منكم الخميرة العتيقة لكي تكونوا عجينة جديدة كما أنتم فطير^(١). لأن فصحننا أيضاً المسيح قد دُبج لأجلنا" (١ كو ٥: ٧)،

(١) وقد سبق وذكرنا الفرق بين الفطير والخبز.

كما يعطي الميلاد الثاني استنارة لمعرفة الحق " المولود من الله يحفظ نفسه، والشرير لا يمسّه ... ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق " (١ يو ٥ : ١٨ - ٢٠).

ولما كان عمل الروح القدس في الميلاد الثاني هو امتداد لعطية فداء السيد المسيح وموته وقيامته، فمن هنا أكد السيد المسيح على الميلاد من الماء والروح ليأخذ صورة الدفن والقيامة معه، كما يأخذ صورة الاغتسال من الإنسان العتيق.

وهكذا يشرح الآباء الرسل " كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح من الأموات، بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة؛ لأنه إن كنا قد صرنا مُتحدّين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته " (روم ٦ : ٣ - ٥).

" بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبّه بغنى علينا يسوع المسيح مخلصنا " (تي ٣ : ٥ - ٦).

" المعمودية. لا إزالة وسخ الجسد، بل سؤال ضمير صالح عن الله، بقيامة يسوع المسيح " (١ بط ٣ : ٢١).

" شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه " (يع ١ : ١٨).

" إن علمتم أنه بار هو، فاعلموا أن من يصنع البرّ مولود منه " (١ يو ٢ : ٢٩).

وهكذا بالميلاد الثاني ينال الإنسان الخليقة الجديدة " نحسب هذا: أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا. وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم، بل للذي مات لأجلهم وقام ... إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة " (٢ كو ٥ : ١٤ - ١٧).

" لأنه في المسيح ليس الختان (اللحمي) ينفع شيئاً ولا الثرلة، بل الخليقة الجديدة " (غل ٦ : ١٥).

" لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها " (أف ٢ : ١٠).

ومن التشبيهات الشهيرة للآباء الرسل عن الميلاد الثاني بالمعمودية أنها خلاص كمثل فُلْك نوح (١ بط ٣ : ٢٠ - ٢١)، وأنها نجاة من العدو الشرير، كما نجا شعب إسرائيل من فرعون بعبور البحر (١ كو ١٠ : ٢).

كما يُعبّرون عن سر الآب والابن والروح القدس في الميلاد الثاني " اغتسلتم، بل تقدستم، بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا " (١كو١: ١١).
 " حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع، لكي تُظَهَر حياة يسوع أيضاً في جسدنا ... المائت " (٢كو٤: ١٠-١١).

" فإننا نحن الذين في الخيمة نثنُّ مُثقلين، إذ لسا نريد أن نخلعها بل نلبس فوقها، لكي يُبتلع المائت من الحياة. ولكن الذي صنعنا لهذا عينه هو الله، الذي أعطانا أيضاً عربون الروح " (٢كو٥: ٤-٥).
 وهكذا نرى أن الميلاد الثاني بعمل المعمودية هو عمل حقيقي داخلي في الإنسان بالروح القدس، ليأخذ الإنسان عمل السيد المسيح الخلاصي على الصليب. وعلى ذلك فالمعمودية ليست مجرد إشهار إيمان، ولهذا وضعتها الكنيسة على أول قائمة الأسرار الكنسية، وبدونها لا يصبح الإنسان عضواً في جسد المسيح.

الآب والابن والروح القدس، وتعبير الكتاب المقدس عن سيره

العظة (٦٦)

تعبير : البنوة لله، والوراثة لله، والخطبة للمسيح، وعربون الروح

بنوة الإنسان لله هي إحدى أسرار خلقه الإنسان، وهي أحد عناصر " السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح " (أف ٣: ٩)، وهو الأمر الذي يجعل الله يتأسف حينما ينحرف الإنسان عن هذا الهدف - أي بنوة الإنسان له - وهو ما ظهر قبل أن يهلك الله الإنسان بالطوفان " أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا ... ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض " (تك ٦: ٢-٥).
 وحينما اختار الله شعب إسرائيل لكي يأتي اليوم الذي فيه يتجسد في وسطهم أبلغ موسى أن يقول لفرعون: " إسرائيل ابني البكر. فقلت لك: أطلق ابني ليعبدني " (خر ٤: ٢٢-٢٣).

وحينما انحرف شعب بني إسرائيل، أرسل إليهم قائلاً: " ارجعوا أيها البنون الغضاة، يقول الرب " (إر ٣: ١٤)، وعلى ذلك فإن الله يعلن منذ القديم أن الإنسان ابناً له، أما هذا

السر فلم يُكشَف على حقيقته إلا مع استعلان سر الآب والابن والروح القدس وتجسد الابن الوحيد، وهنا فَهِّمَت البشرية صورة البنوة الحقيقية لله، وتأكد ذلك في يوم الظهور الإلهي على نهر الأردن حينما سُمع صوت الآب: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت" (مت ٣: ١٧)، وظهر الروح القدس نازلاً على الطبيعة البشرية للسيد المسيح ليأخذ الإنسان هذه البنوة في المسيح يسوع. ومنذ هذا الزمان بدأ السيد المسيح يتمم ما أعدّه لتغيير الصورة العتيقة التي للإنسان ليمنحه الخليقة الجديدة بالميلاد الثاني حسب ما سبق وذكرنا، وذلك بالفداء والقيامة وانسكاب الروح القدس.

ومع هذا "الخلاص" أعطانا السيد المسيح "النعمة" و"القوة" ونلنا "الشركة فيه" وبهذا أعطى الإنسان السلطان على الشر والخطية وأمكن للإنسان أن ينفذ ناموس الله بقوة الروح القدس الساكن فيه، فرُفِعت لعنة الناموس الذي للعهد القديم والعبودية التي للحرف لنكون أبناء لله بيسوع المسيح، وبالتالي أمكن للإنسان وراثته السماء بالمسيح يسوع، وهكذا يقول الآباء الرسل: "مادام الوارث قاصراً لا يفرق شيئاً عن العبد، مع كونه صاحب الجميع. بل هو تحت أوصياء ووكلاء إلى الوقت المؤجل من أبيه. هكذا نحن أيضاً: لمّا كنا قاصرين، كنا مستعبدين تحت أركان العالم. ولكن لمّا جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التَّبَنِّي. ثم بما أنكم أبناء، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً: يا أبا الآب. إذأ لست بعد عبداً بل ابناً، وإن كنت ابناً فوارث لله بالمسيح" (غل ٤: ١-٧)، وفي موضع آخر "لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله. إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ: يا أبا الآب. الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو ٨: ١٤-١٧)، وهكذا يظهر بوضوح شديد سر الآب والابن والروح القدس في هذين النصين. ومن خلال هذا السر تُستعلن بنوة الإنسان لله ووراثته السماء، دون أن يتدخل الآباء الرسل في فرض نظريات لوحداية الله أو شرحاً لعلاقة الآب بالابن والروح القدس، ولكنهم يظهرون مدى الحب الإلهي في خلقه الإنسان وفدائه وإنقاذه من عثرة الخطية وحكم الموت، ثم منحه الحياة الأبدية وفي هذا يقول يوحنا الرسول: "انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله! ... ولم يظهر بعد ماذا

سكون. ولكن نعلم أنه إذا أظهر تكون مثله، لأننا سنراه كما هو. وكل من عنده هذا الرجاء به، يظهر نفسه كما هو طاهر" (١يو ٣: ١-٣)، أي أنه لا بد للإنسان أن يتقدس بقداسة السيد المسيح ويحفظ نفسه طاهراً بعمل الروح القدس.

ومن البديهي أنه حينما يكون الإنسان ابناً لله في المسيح، فهذا يصير المؤمنون إخوة. وفي هذا يقول الآباء الرسل: "الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مثابهين صورة ابنه، ليكون هو بكرًا بين إخوة كثيرين. والذين سبق فعينهم، فهؤلاء دعاهم أيضاً. والذين دعاهم، فهؤلاء بررهم أيضاً والذين بررهم فهؤلاء مجدّهم أيضاً" (رو ٨: ٢٩-٣٠)، وتساوى بذلك نسل إبراهيم بالجسد مع باقي الأمم "فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبراهيم، وحسب الموعد وورثة" (غل ٣: ٢٩).

ويقول بولس الرسول في عبارة يؤكد بها أن البنوة هي بسبب فداء الابن: "نعمة لكم وسلام من الله الآب ومن ربنا يسوع المسيح. الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا" (غل ١: ٣-٤).

ثم ينتقل الآباء الرسل إلى تعبير أكثر قوة في علاقة الله بالإنسان، وهي "خطبتنا للمسيح" فبعد أن يُظهروا حقيقة وحدة البشر كأبناء لله في يسوع المسيح، فإنهم يجعلونهم كشخص واحد قد ارتبط بالله في رباط مقدس لا ينقسم. فجعلوا من كل المؤمنين عذراء قد ارتبطت بالسيد المسيح كعروس: "لأنني خطبتكم لرجل واحد، لأقدم عذراء عفيفة للمسيح. ولكنني أخاف إنه كما خدعت الحية حواء بمكرها، هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح" (٢كو ١١: ٢-٣)، وفي موضع آخر يقول: "أيها الرجال، أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكي يُقدسها، مُطهرًا إيها بغسل الماء بالكلمة، لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة، لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدسة وبلا عيب ... هذا السر عظيم، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة" (أف ٥: ٢٥-٣٢)، وهكذا أخذت الكنيسة مبدأ الزوجة الواحدة التي ترتبط برجلها بالروح القدس، كما يظهر في قول الرسول: "مطهرًا إيها بغسل الماء بالكلمة" إشارة إلى عمل الروح القدس. كما أن هذا الرباط لا ينقسم لأنه رباط إلهي بالروح القدس.

والعجيب أن الله يعتبر ابتعاد الإنسان عنه إلى عبادة أخرى هي نوع من أنواع الزنا. ويظهر ذلك في سفر هوشع حينما يتحدث عن عقابه لشعب بني إسرائيل فيشير إليهم بزوجة قد زنت. ولكن في توبتهم يقول: "أخطبك لنفسي إلى الأبد. وأخطبك لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم. أخطبك لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب" (هو ٢: ١٩ - ٢٠)، وفي هذا الوقت يتحدث عنهم ويقول: "يكون عوضاً عن أن يُقال لهم: لستم شعبي، يُقال لهم: أبناء الله الحي" (هو ١: ١٠).

ثم يتحدث الآباء الرسل عن سر بنوة الإنسان لله في المسيح وعن خطبة المؤمنين للمسيح. وهو يتم بعمل الروح القدس فيصرون عطية الروح القدس للإنسان أنها "عربون" يضمن به الإنسان البنوة والوراثة لله. وارتباطه بالمسيح من خلال الروح القدس وهو ما يكشف وحدانية الله في سر الآب والابن والروح القدس بصورة تعجز عنها الشروحات الفكرية والعقلية ولكنها ترفع الإنسان وهو هنا على الأرض إلى معرفة تفوق إدراكه الإنساني، ولا يمكن التعبير عنها بلغة بشرية وهو ما يظهر من القول: "كما هو مكتوب: ما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان: ما أعدّه الله للذين يحبونه. فأعلنه الله لنا نحن بروحه. لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله. لأن مَنْ مِنَ الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه؟ هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله. ونحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذي من الله، لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله" (١ كو ٢: ٩ - ١٢)، وعلى ذلك يقول الآباء الرسل عن المعمودية وقبول الروح القدس: "إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس، الذي هو عربون ميراثنا، لفداء المُقْتَنَى، لمدح مجده" (أف ١: ١٣ - ١٤)، وفي موضع آخر يقول: "الذي يُثَبِّتُنَا معكم في المسيح، وقد مسحنا، هو الله الذي ختمنا أيضاً، وأعطى عربون الروح في قلوبنا" (٢ كو ١: ٢١ - ٢٢)، وعلى ذلك فهذا العربون هو ما يجعلنا نعبر بركة هذا العالم بآلامه بصبر ورجاء إلى أن ننال الميراث وهو ما يظهر في القول: "لأننا نعلم أنه إن نُقِضَ بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السموات بناء من الله، بيت غير مصنوع بيد، أبدي... فإننا نحن الذين في الخيمة نُنْثَنُ مُثْقَلِينَ، إذ لسنا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها، لكي يُبْتَلَعَ المائت من الحياة. ولكن الذي صنعنا لهذا عينه هو الله الذي أعطانا أيضاً عربون الروح. فإذا نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد، فنحن متغربون عن

الرب" (٢كو ٥: ١٦). وفوق هذا كله يكفي المؤمنين أن السيد المسيح علّمنا الصلاة بأن يدعو الإنسان الله بقوله "أبانا الذي في السموات" (مت ٦: ٩)، وأنه حينما يحيا المؤمنون حسب إرادة السيد المسيح فحينئذ يرى الناس: "أعمالكم الحسنة، ويُمجّدوا أباكم الذي في السموات" (مت ٥: ١٦)، ولهذا يوصينا: "فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل" (مت ٥: ٤٨).

الآب والابن والروح القدس، وتعبير الكتاب المقدس عن سره

العظة (٦٧)

تعبير: قصد الله، والمصالحة، والدعوة

لعلنا لاحظنا أن التعبيرات التي يتحدّث بها الآباء الرسل عن سر الآب والابن والروح القدس وعلاقته بالإنسان، فإنها تتشابه لأنها تهدف لأمر واحد هو عودة الإنسان إلى أحضان الله. فلو راجعنا بعض المعاني السابق ذكرها سنجد أن تعبير "الخلاص" هو عمل "نعمة" ويكشف "سر الله الآب والمسيح" وينتهي "بالشركة في المسيح" و"موت الإنسان العتيق" و"ميلاد ثانٍ" للإنسان أو "خليقة جديدة" إلى آخر تلك التعبيرات التي سبق وذكرناها.

وهكذا يتحدّث الآباء الرسل عن "قصد الله" وهو التعبير الذي يجمع معاني متعددة تكشف سر الآب والابن والروح القدس.

فتقول رسالة رومية: "أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يُحبون الله، الذين هم مدعوون حسب قصده" (رو ٨: ٢٨)، أي أن الأساس الذي يجعل الإنسان أن يحقق قصد الله هو محبته لله، وهى ما تعني توبة الإنسان، فإن رغبة الإنسان في التوبة هى الترجمة العملية لمحبة الإنسان لله، وهو ما يجعل الله يحوّل كل الأشياء لتتجه لصالح هذا الإنسان، حتى ولو كان في الأساس بعيداً عن الإيمان كما سبق وتحدّثنا عن القائد الوثني كرنيليوس. لهذا تُكمّل هذه الرسالة إلى رومية وتقول: "لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مثابهين صورة ابنه، ليكون هو بكرأ بين إخوة كثيرين. والذين سبق فعينهم،

فهؤلاء دعاهم أيضاً. والذين دعاهم، فهؤلاء برّهم أيضاً. والذين برّهم، فهؤلاء مجّدهم أيضاً" (رو ٨: ٢٩-٣٠)، ولهذا تتم هذه الدعوة حتى لو لم تكن أعمالنا تستحق هذا الشرف الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية" (٢ تي ١: ٩)، أي أن هذا هو قصد الله من الإنسان من قبل أن يخلقه أن يعطيه الخلاص بالفداء بيسوع المسيح.

وهكذا يستعلن سر الآب والابن والروح القدس من خلال قصده في خلاص الإنسان كما تشرح رسالة أفسس "مبارك الله أبورنا يسوع المسيح، الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لتكون قديسين ... إذ سبق فعيّنا للتبني بيسوع المسيح لنفسه ... الذي فيه لنا الفداء بدمه، غفران الخطايا ... حسب مسرته التي قصدها في نفسه، لتدبير ملء الأزمنة، ليجمع كل شيء في المسيح" (أف ١: ٣-١٠)، وتكمل الرسالة أيضاً "لكي يُعرَف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات، بواسطة الكنيسة، بحكمة الله المتنوعة، حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا. الذي به لنا جراءة وقُدوم بإيمانه عن ثقة" (أف ٣: ١٠-١٢).

ثم يتحدث الآباء الرسل عن قصد الله في عودة الإنسان إليه أنه نوع من "المصالحة"، وذلك حينما تجسد الابن ليخلع من الإنسان سطوة معرفة الشر ويعطيه السلطان على الشيطان ويسبغ عليه من قداسه. فتقول رسالة كولوسي: "وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنيبين وأعداء في الفكر، في الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت، ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه" (كو ١: ٢١-٢٢)، وبعبارة أخرى في الرسالة الثانية لكورنثوس: "الكل من الله، الذي صالحنّا لنفسه بيسوع المسيح، وأعطانا خدمة المصالحة، أي إن الله كان في المسيح مُصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم، وواضعاً فينا كلمة المصالحة" (٢ كو ٥: ١٨-١٩)، وهو تعبير يكشف سر الآب والابن والروح القدس من خلال مصالحة الله للإنسان حينما يقول: "أن الله كان في المسيح" وهو ما يكشف سر التجسد وسر الفداء من خلال المصالحة.

أما اللطيف أيضاً أن المصالحة قد امتدت لتشمل الشعب اليهودي مع الأمم بعد أن ظن بنو إسرائيل أن "المسيا" أي السيد المسيح يخصهم فقط كشعب قد ميزه الله عن

بقية الشعوب. فتقول رسالة أفسس: "لأنه هو سلامنا، الذي جعل الاثنين واحداً، ونقض حائط السياج المتوسط، أي العداوة. مُبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً، صانعاً سلاماً، ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب، قاتلاً العداوة به" (أف ٢: ١٤-١٦).

وهكذا كانت هذه المصالحة خلاصاً لكل البشرية رغم عدم استحقاقهم: "لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولى كثيراً ونحن مُصالحون نُخلّص بحياته! وليس ذلك فقط، بل نفتخر أيضاً بالله، برّبنا يسوع المسيح، الذي نلنا به الآن المصالحة" (رو ٥: ١٠-١١)، وهو ما يشير إلى عمل النعمة في الإنسان بعد أن يسمح الله بموت ابنه لخلاص الإنسان. وهكذا يطلب الآباء الرسل " نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله" (٢ كو ٥: ٢٠).

وبعد أن يعلن الآباء الرسل مقاصد الله من الإنسان ومصالحته للبشر من خلال موت ابنه فإنهم يدعون كل إنسان لنوال هذه النعمة القائمة التي برر بها الله الإنسان مجاناً فيقولون: "مُستبصرة عيون أذهانكم، لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين، حسب عمل شِدَّة قوته" (أف ١: ١٨-١٩)، "الذي خلصنا ودعانا دعوة مُقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أظهرت الآن بظهور مُخلصنا يسوع المسيح، الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل" (٢ تي ١: ٩-١٠)، وقد وُجّهت هذه الدعوة لكل البشر يهوداً وأمم "من ثم أيها الإخوة القديسون، شركاء الدعوة السماوية، لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع، حال كونه أميناً للذي أقامه، كما كان موسى أيضاً في كل بيته. فإن هذا قد حُسب أهلاً لمجد أكثر من موسى، بمقدار ما لباني البيت من كرامة أكثر من البيت" (عب ٣: ١-٣)، هكذا جعلت هذه الدعوة من كل البشر أعضاء في جسد المسيح "جسد واحد، وروح واحد، كما دُعيتهم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة، إله وآب واحد للكل، الذي على الكل وبالكل وفي كلكم" (أف ٤: ٤-٦)، ولهذا يطلب بولس الرسول "لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين. لأنكم إذا فعلتم ذلك، لن تزلوا أبداً" (٢ بط ١: ١٠)، "نظير القدوس الذي دعاكم، كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة" (١ بط ١: ١٥)، ويضيف بولس

الرسول " تُشهِدُكُمْ لِكَيْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلَّهِ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَى مَلِكُوتِهِ وَمَجْدِهِ " (١٢: ٢)،
" الأَمْرُ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَيْهِ بِإِنْجِيلِنَا، لِاقْتِنَاءِ مَجْدِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ " (٢: ١٤)، ولهذا يقول عن
نفسه: " أَسْعَى لِعَلِّي أُدْرِكُ الَّذِي لِأَجْلِهِ أُدْرِكُنِي أَيْضاً الْمَسِيحُ يَسُوعَ ... أَسْعَى نَحْوَ الْغَرَضِ لِأَجْلِ
جَعَالَةِ دَعْوَةِ اللَّهِ الْعَلِيَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ " (في ٣: ١٢ - ١٤).

الآبُ وَالْإِبْنُ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ، وَتَعْبِيرُ الْكِتَابِ الْقُدُسِ عَنْ سِرِّهِ

العظة (٦٨)

تعبير: الوعد، والشهادة

يتحدّث الآباء الرسل عن استعلان سر الآب والإبن والروح القدس والآثار والنتائج
المتربّية عن هذا الاستعلان أن هذا هو "العهد" أو "الوعد" أو "الموعد" الذي عاهد به
الله الإنسان. وبدأ به الله حين لعن الحية التي أوقعت الإنسان، وقال: " أضع عداوة بينك
وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك. وأنتِ تسحقين عقبه " (تك ٣: ١٥).

ثم توالى الوعود مثلما صار لإبراهيم عن أرض لم يرثها وكشفت عن ميراث
سمائي، ووعد آخر لداود عن مُلك أبدي وكشف ذلك عن ملكوت سمائي، ووعود
لشعب إسرائيل كشفت عن بنوة الإنسان لله لكافة شعوب الأرض يهوداً وأمم،
ثم عهد بناموس مكتوب على قلب الإنسان بروح الله بدلاً من وصية مكتوبة على حجر،
كما يصحب هذا الناموس الروحي معرفة حقيقية لله بروحه القدوس (إش ٥٤: ١٣)
(إر ٣١: ٣١)، (مي ٤: ٢)، (زك ٨: ٨)، ثم بدأ تحقيق الوعود بوعد السيد المسيح: " ها أنا
أرسل إليكم موعداً أبي. فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالي " (لو ٢٤: ٤٩)،
كما أشار إلى تلاميذه بقوله: " ها ملكوت الله داخلكم " (لو ١٧: ٢٠)، وقد أعلن ذلك
بطرس الرسول يوم الخمسين بقوله: " يسوع أن يُقال لكم جهاراً عن رئيس الآباء داود إنه مات
ودُفن، وقبره عندنا حتى هذا اليوم. فإذا كان نبياً، وعلم أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صُلبه
يُقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه، سبق فرأى وتكلّم عن قيامة المسيح، أنه لم تُترك
نفسه في الهاوية ولا رأى جسده فساداً. فيسوع هذا أقامه الله، ونحن جميعاً شهود لذلك. وإذا ارتفع

بيمين الله، وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونَه" (أع ٢: ٢٩ - ٣٣)، وهكذا تحدّث بطرس عن الآب والابن المتجسد وقيامته وصعوده وعن الروح القدس من خلال تحقيق وعد الله الذي تم بانسكاب الروح القدس على البشر.

كما تحدّث بولس الرسول أمام مجمع اليهود في إنطاكية بسيدية بآسيا الصغرى. وبعد أن استعرض لهم قصة بني إسرائيل ووصل إلى داود قال: " أقام لهم داود ملكاً ... من نسل هذا، حسب الوعد، أقام الله لإسرائيل مُخلصاً، يسوع ... إليكم أرسلت كلمة هذا الخلاص. لأن الساكنين في أورشليم ورؤساءهم لم يعرفوا هذا. وأقوال الأنبياء التي تُقرأ كل سبت تَمُمُوها، إذ حكموا عليه ... ولما تَمُمُوا كل ما كُتب عنه، أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبر. ولكن الله أقامه من الأموات. وظهر أياماً كثيرة للذين صعدوا معه من الجليل إلى أورشليم، الذين هم شهوده عند الشعب. ونحن نُبشِّرُكم بالموعد الذي صار لآبائنا، إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم، إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضاً في المزمور الثاني: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك ... ولذلك قال أيضاً في مزمور آخر: لن تدع قُدوسك يرى فساداً ... بهذا يُنادى لكم بغفران الخطايا، وبهذا يتبرر كل من يؤمن من كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى" (أع ١٣: ٢٢ - ٣٩).

ثم يكمل بولس الرسول في رسالة رومية عن هذا الوعد " فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثاً للعالم، بل ببر الإيمان. لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة، فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد (رو ٤: ١٣ - ١٤).

ثم يعود ويؤكد في رسالة غلاطية " المسيح اقتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون كل من عُلِقَ على خشبة. لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع، لننال بالإيمان موعد الروح" (غل ٣: ١٣ - ١٤)، ثم يكمل " أما المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله، لا يقول: وفي الأنسال كأنه عن كثيرين، بل كأنه عن واحد: وفي نسلك الذي هو المسيح. وإنما أقول هذا: إن الناموس الذي صار بعد أربعمئة وثلاثين سنة، لا يَنسخ عهداً قد سبق فتمكّن من الله نحو المسيح حتى يُبطل الموعد. لأنه إن كانت الوراثة من الناموس، فلم تكن أيضاً من موعد. ولكن الله وهبها لإبراهيم بموعد" (غل ٣: ١٦ - ١٨)، أي أن المواعيد التي أُعطيت لإبراهيم كانت عن السيد المسيح ولم تقتصر على شعب بني إسرائيل أو الناموس الذي أُعطي له بل

بالإيمان ببسوع المسيح مثلما آمن إبراهيم فصار له ذلك براً. وهكذا يكرر الأنبياء كلمة العهد "لأن هذا هو العهد الذي أعهدته مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب: أجعل نواميسي في أذهانهم، وأكتبها على قلوبهم، وأنا أكون لهم إلهاً، وهم يكونون لي شعباً. ولا يُعلمون كل واحد قريبه، وكل واحد أخاه قائلاً: اعرف الرب، لأن الجميع سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم. لأنني أكون صفوحاً عن آثامهم، ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد" (عب ٨: ١٠ - ١٢)، (إش ٥٤: ١٣)، (إر ٣١: ٣١)، (مي ٤: ٢)، (زك ٨: ٨).

وهكذا يتضح أن الموعد هو لكل من يؤمن بخلاص وفداء السيد المسيح ويؤمن بسر الآب والابن والروح القدس. ولهذا يحذر الرسول "فَلتخف، أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته، يرى أحد منكم أنه قد خاب منه!" (عب ٤: ١)، "لأجل هذا هو وسيط عهد جديد، لكي يكون المدعوون إذ صار موت لفداء التَّعْذِيات التي في العهد الأول ينالون وعد الميراث الأبدي" (عب ٩: ١٥).

كما يشير بولس الرسول أن هذا الوعد يحتاج إلى الصبر ومداومة التوبة: "فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة. لأنكم تحتاجون إلى الصبر، حتى إذا صنعتُم مشيئة الله تنالون الموعد" (عب ١٠: ٣٥ - ٣٦).

ويؤكد بطرس الرسول على ذلك بقوله: "لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التَّبَاطُؤ، لكنه يتأنى علينا، وهو لا يشاء أن يهلك أناس، بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة" (٢ بط ٣: ٩)، ثم يشير إلى حقيقة الوعد بقوله: "لكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة، وأرضاً جديدة، يسكن فيها البر" (٢ بط ٣: ١٣).

ويؤكد على ذلك يوحنا الرسول بقوله: "إن ثبت فيكم ما سمعتموه من البدء، فأنتم أيضاً تثبتون في الابن وفي الآب. وهذا هو الوعد الذي وعدنا هو به: الحياة الأبدية" (١ يو ٢: ٢٤ - ٢٥). وهكذا يرتبط الوعد بالآب والابن والروح القدس وينتهي إلى ميراث سمائي وحياة أبدية.

ونأتي الآن إلى تعبير "الشهادة" التي تشهد لهذا الوعد الذي حققه الله من أجل الإنسان وكشفه باستعلان سر الآب والابن والروح القدس، وهذه الشهادة هي من الله الآب، ومن الابن يسوع المسيح نفسه، ومن فم الأنبياء الذين نطقوا بالروح القدس،

ومن الكتب، ومن شهود الصليب والقيامة، ومن كل إنسان يؤمن بفداء الابن .
وسُكنى الله فيه بالروح القدس.

فيتحدث الله على فم إشعياء النبي ويقول: " الآن هكذا يقول الرب، خالقك يا يعقوب
وجابلك يا إسرائيل: لا تخف لأنني فديتك. دعوتك باسمك. أنت لي ... اجتمعوا يا كل الأمم معاً
ولتلتئم القبائل. من منهم يخبر بهذا ويعلمنا بالأوليات؟ ليقدموا شهودهم ويتبرروا. أو لسمعوا فيقولوا:
صدق. أنتم شهودي، يقول الرب، وعبدي الذي اخترته، لكي تعرفوا وتؤمنوا بي وتفهموا إنني أنا
هو. قبلي لم يصور إله وبعدي لا يكون. أنا أنا الرب، وليس غيري مُخلص. أنا أخبرت وخلصت
وأعلمت وليس بينكم غريب. وأنتم شهودي، يقول الرب، وأنا الله " (إش ٤٣: ١، ٩-١٢)، وهنا
يتحدث الله عن خلاصه بفداء فتاه يسوع المسيح الذي يأتي من شعب بني إسرائيل وهم
شهود بذلك، وعن هذا تتحدث الرسالة إلى العبرانيين " موسى كان أميناً في كل بيته
كخادم، شهادة للعتيد أن يُتكلم به. وأما المسيح فكان على بيته " (عب ٣: ٥-٦).

كما يتحدث بطرس الرسول عن شهادة الأنبياء بقوله: " باحثين أي وقت أو ما
الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح، والأمجاد
التي بعدها. الذين أعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم، بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أخبرتم بها
أنتم الآن، بواسطة الذين بشروكم في الروح القدس المرسل من السماء " (١بط ١: ١١-١٢).

وقد شهد الله الأب على مسمع من يوحنا المعمدان في الأردن وقت عماد
السيد المسيح " إذا السموات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه، وصوت
من السموات قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت " (مت ٣: ١٦-١٧)، " وشهد يوحنا قائلاً:
إنني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه. وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني
لأعمد بالماء، ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذي يُعمد بالروح
القدس. وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله " (يو ٣: ٣٢-٣٤).

أما عن شهادة شعب بني إسرائيل، فلم يكن السيد المسيح يكثرث بها. لأنه
عارف بغلاظة قلوبهم ولأنهم لن يعترفوا بها حسب قوله " أنت تشهد لنفسك. شهادتك ليست
حقاً " (يو ٨: ١٣)، ولهذا " لما كان في اورشليم في عيد الفصح، آمن كثيرون باسمه، إذ رأوا الآيات
التي صنع. لكن يسوع لم يأتهم على نفسه، لأنه كان يعرف الجميع. ولأنه لم يكن محتاجاً أن يشهد

أحد عن الإنسان، لأنه علم ما كان في الإنسان" (يو ٢: ٢٣-٢٥)، وكذلك قال أيضاً: "إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً. الذي يشهد لي هو آخر، وأنا أعلم أن شهادته التي يشهد بها لي هي حق. أنتم أرسلتم إلي يوحنا فشهد للحق. وأنا لا أقبل شهادة من إنسان، ولكني أقول هذا لتخلصوا أنتم ... وأما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا، لأن الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها، هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني. والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي. لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتهم هيئته، وليست لكم كلمته ثابتة فيكم، لأن الذي أرسله هو لستم أنتم تؤمنون به. فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية. وهي التي تشهد لي" (يو ٥: ٣١-٣٩). وهنا يخبرهم السيد المسيح أنهم لن يقبلوا شهادته عن نفسه حتى لو صنع لهم معجزات، وهو ما حدث حينما طلبوا من بيلاطس أن يُصلب. ولكنه أشار إلى أن الشهادة الحقيقية له هي من الآب، وذلك في عمل الخلاص والفداء الذي سيتممه الذي تجسد من أجله. وهكذا يشهد له الآب الذي لا يقدر أن يسمعوا صوته. لهذا يُحيلهم السيد المسيح إلى كتب الأنبياء التي تتحدث عن هذا الخلاص حتى وإن لم يؤمنوا بالأعمال التي تؤكد لهم أنه هو الله الظاهر في الجسد.

ثم نجد بعد ذلك أنه حينما كلمهم مرة ثانية قائلاً: "أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة. فقال له الفريسيون: أنت تشهد لنفسك. شهادتك ليست حقاً. أجاب يسوع وقال لهم: وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق، لأنني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب. وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتي ولا إلى أين أذهب. أنتم حسب الجسد تدنسون، أما أنا فلست أدين أحداً. وإن كنت أدين فدينونتي حق، لأنني لست وحدي، بل أنا والآب الذي أرسلني. وأيضاً في ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق: أنا هو الشاهد لنفسي، ويشهد لي الآب الذي أرسلني. فقالوا له: أين هو أبوك؟ أجاب يسوع لستم تعرفوني أنا ولا أبي. لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً" (يو ٨: ١٢-١٩)، وهكذا فإن السيد المسيح حينما يتحدث عن نفسه كابن متجسد فله كيانه الذي يشهد به عن نفسه، ولكن لأنه لم يكن الروح القدس قد حلّ بعد فلم يكن لهم أن يدركوا حقيقته أو حقيقة الآب، وهي الحقيقة التي لا تُعرف إلا بالروح القدس. لهذا قال لهم: "لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً" ولهذا قال أيضاً لتلاميذه الذين كانوا شهوداً لصليبه وقيامته: "متى جاء المُعزي الذي سأرسله أنا إليكم من

الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء" (يو ١٥: ٢٦-٢٧)، وهذا ما كان يؤكدّه يوحنا المعمدان: "الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع... وما رآه وسمعه به يشهد، وشهادته ليس أحد يقبلها. ومن قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق، لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله. لأنه ليس بكيل يُعطي الله الروح. الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده" (يو ٣١: ٣٥).

وعلى ذلك يقول يوحنا الرسول: "الروح هو الذي يشهد، لأن الروح هو الحق. فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، والروح القدس. وهؤلاء الثلاثة هم واحد... إن كنا نقبل شهادة الناس، فشهادة الله أعظم، لأن هذه هي شهادة الله التي قد شهد بها عن ابنه. من يؤمن بابن الله فعنده الشهادة في نفسه. من لا يصدق الله، فقد جعله كاذباً، لأنه لم يؤمن بالشهادة التي قد شهد بها الله عن ابنه. وهذه هي الشهادة: أن الله أعطانا حياة أبدية، وهذه الحياة هي في ابنه. من له الابن فله الحياة، ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة" (١ يو ٥: ٦-١٢).

كما يقول بولس الرسول: "الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو ٨: ١٦-١٧).

ويقول بطرس الرسول: "كُتبت إليكم بكلمات قليلة واعظاً وشاهداً، أن هذه هي نعمة الله الحقيقية التي فيها تقومون" (١ بط ٥: ١٢).

وهكذا يقول بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس: "لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع، الشهادة في أوقاتها الخاصة" (١ تي ٢: ٥-٦)، وذلك لأنه لم يكن له أن يتمم الضداء إن لم يتخذ جسداً إنسانياً. كما يقول لأهل كورنثوس: "أنا لما أتيت إليكم أيها الأخوة، أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة مُنادياً لكم بشهادة الله، لأنني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً" (١ كو ٢: ١-٢)، كما يثني على أهل كورنثوس بقوله: "أشكر إلهي في كل حين من جهتكم على نعمة الله المُعطة لكم في يسوع المسيح، أنكم في كل شيء قد استغنيتم فيه في كل كلمة وكل علم، كما تُبَيَّن فيكم شهادة المسيح، حتى إنكم لستم ناقصين في موهبة ما، وأنتم متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح، الذي سيثبتكم أيضاً إلى النهاية" (١ كو ٤: ٨)، كما يثني على أهل تسالونيكي "ينبغي لنا أن نشكر الله كل حين من جهتكم أيها الإخوة كما يحق،

لأن إيمانكم ينمو كثيراً، ومحبة كل واحد منكم جميعاً بعضكم لبعض تزداد ... الصِّيقَات التي تحتملونها، بَيِّنَة على قضاء الله العادل، أنكم تؤهلون لملكوَت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً ... متى جاء ليتمجِّد في قديسيه ويُعجب منه في جميع المؤمنين. لأن شهادتنا عندكم صِدَقَتْ في ذلك اليوم. الأمر الذي لأجله نُصلي أيضاً كل حين من جهتكم: أن يؤهلكم إلها للدعوة، ويُكَمِّل كل مسرَّة الصلاح وعمل الإيمان بقوة " (٢ تس ١: ٣ - ١١).

الآب والابن والروح القدس، وتعبير الكتاب المقدس عن سيره

العظة (٦٩)

تعبير: الوديعَة الصالحة ومعرفة الله

في حديث السيد المسيح إلى التلاميذ قبل أن يتقدَّم إلى الصليب قال لهم عن الآب: " لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً. ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه ... الذي رأيته فقد رأي الآب ... صدقوني أنني في الآب والآب فيّ، وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها " (يو ١٤: ٢٠ - ١١)، ويقول عن الروح القدس: " أنا أطلب من الآب فيعطيكُم مُعزِياً آخر ليُمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكن معكم ويكون فيكم ... في ذلك اليوم تعلمون أنني أنا في أبي، وأنتم فيّ، وأنا فيكم " (يو ١٤: ١٦ - ٢٠)، ويقول عن نفسه: " إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويُحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً " (يو ١٤: ٢٣).

وهذه العبارات والتي تجمع الآب والابن والروح القدس وتجعل الإنسان مسكناً لهم، ماذا يمكن أن نطلق عليها من اسم؟ وهل الآب والابن والروح القدس في هذه الحالة ثلاثة أم واحد؟ وماذا تعني هذه السُّكنى في الإنسان؟ أليس هذا أعظم من أن يُعبَّر عنه الإنسان بكلمات؟ أليس هذا هو " سر الله الآب والمسيح "، الذي يعلو عن كل فكر وقول، ولكنه في الحقيقة يحمل أبعاداً روحية، فهو يجعل من النور والحق والقداسة والقوة والنعمة والبنوة والأسرار الإلهية كائنة في أنية بشرية ضعيفة أي الإنسان، ولكنها حافظة له، قادرة، كاشفة لحقائق لا يمكن التعبير عنها. ولهذا أطلق عليها

الآباء الرسل " الوديعه الصالحه ". وهكذا صارت وصية بولس الرسول إلى تيموثاوس " يا تيموثاوس، احفظ الوديعه، مُعرضاً عن الكلام الباطل الدنس، ومخالفات العلم الكاذب الاسم، الذي إذ تظاهر به قوم زاغوا من جهة الإيمان " (١ تي ٢: ٢٠ - ٢١)، أي أن هذه الوديعه غير خاضعة للجدال لأنها أعظم من أن يُعبّر عنها بكلام بشري، أمّا إذا اتخذ الإنسان سبيل الشرح والتأويل حسب الفكر الإنساني عن عمل إلهي يغيّر طبيعة الإنسان، ففي هذه الحالة ما أسهل أن ينحرف الإنسان من جهة الإيمان، خاصة إذا كان هذا العمل الإلهي ينقل الإنسان من الشرور إلى القداسة ومن الموت إلى الحياة وهذا أمر يفوق إمكاناته الإنسانية لأنها عمل إلهي داخلي في الإنسان.

ثم يعيد بولس الرسول الوصية في رسالته الثانية لتيموثاوس: " الذي خلّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أظهرت الآن بظهور مُخلّصنا يسوع المسيح، الذي أبطل الموت وأُناز الحياة والخلود بواسطة الإنجيل. الذي جعلت أنا له كرازاً ... لست أخجل، لأنني عالم بمن آمنتم، ومُوقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم. تمسّك بصورة الكلام الصحيح الذي سمعته مني، في الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع. احفظ الوديعه الصالحه بالروح القدس الساكن فينا " (٢ تي ١: ٩ - ١٤).

ومادامت هذه الوديعه هي سُكنى الله في الإنسان بالروح القدس بالإيمان بيسوع المسيح وفدائه وخلصه، ومادام هذا يكشف أسرار الحياة والخلود فهذا ينقلها إلى تعبير آخر وهو " معرفة الله " وفي هذا يقول الآباء الرسل: " لأن مَنْ مِنَ الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه؟ هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله. ونحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذي من الله، لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله، التي نتكلم بها أيضاً، لا بأقوال تُعلمها حكمة إنسانية، بل بما يُعلّمه الروح القدس " (١ كو ٢: ١١ - ١٣)، ويظهر هنا بوضوح أن معرفة الله لا تعني مجرد معرفة أنه موجود من عدمه، أو تعني قدرة الإنسان أن يحيط بجوهر الله الغير مدرك. حاشا، بل هي معرفة لمشيئة الله في الإنسان وهي قادرة أن تدفع الإنسان لسلوك حسب مشيئة الله بقوة الروح الساكن في الإنسان، وهي معرفة كاشفة لأسرار الخلود لا يمكن أن يُعبّر عنها الإنسان وهي معرفة

قادرة لفهم الكتب والنبوت وأسرار الخلاص والفداء. أي باختصار هي معرفة تكشف مقدار محبة الله للإنسان، والتي يجب أن يستجيب لها الإنسان بالتوبة حتى يتأهل لهذه المعرفة، ثم الاستمرار في حياة التوبة حتى ينمو في هذه المعرفة. وفي هذا يقول الآباء الرسل: "نشكر الله وأبنا ربنا يسوع المسيح كل حين، مُصلين لأجلكم، إذ سمعنا إيمانكم بالمسيح يسوع ... من أجل الرجاء الموضوع لكم في السموات ... وهو مُثمر كما فيكم أيضاً منذ يوم سمعتم وعرفتم نعمة الله بالحقيقة ... لم نزل مُصلين و طالبين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته، في كل حكمة وفهم روحي، لتسلكوا كما يحق للرب، في كل رضى، مُثمرين في كل عمل صالح، وننامين في معرفة الله" (كو١: ٣-١٠)، ويتضح من هذا النص أثر معرفة الله في سلوك الإنسان.

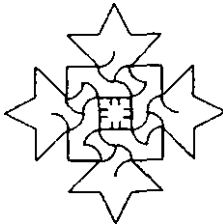
ويوضح يوحنا الرسول أن أهم أثر للمعرفة لله، هي المحبة "أيها الأحباء، لُحِب بعضنا بعضاً، لأن المحبة هي من الله، وكل من يُحِب فقد وُلِدَ من الله ويعرف الله. ومن لا يحِب لم يعرف الله، لأن الله محبة." (١يو٤: ٧-٨)، وهذه المعرفة قادرة أن تهزم معرفة الشرير الإنسان "أكتب إليكم أيها الآباء، لأنكم قد عرفتم الذي من البدء. أكتب إليكم أيها الأحداث، لأنكم قد غلبتم الشرير. أكتب إليكم أيها الأولاد، لأنكم قد عرفتم الأب. كتبت إليكم أيها الآباء، لأنكم قد عرفتم الذي من البدء. كتبت إليكم أيها الأحداث، لأنكم أقوياء، وكلمة الله ثابتة فيكم، وقد غلبتم الشرير" (١يو٢: ١٣-١٤).

كما يتضح أن هذه المعرفة تبتعد عن الجدل العقلي بل تحتاج إلى "كل حكمة وفهم روحي" (كو١: ٩)، "قارنين الروحيات بالروحيات" (١كو٢: ١٣)، وهكذا تتعزى القلوب مقترنة في المحبة "لكل غنى يقين الفهم، لمعرفه سر الله الأب والمسيح، المُدْخَر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم" (كو٢: ٢-٣)، ولهذا يقول بولس الرسول: "إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خَسِرْتُ كل الأشياء، وأنا أحسبها ثفاية لكي أربح المسيح ... لأعرفه، وقوة قيامته، وشركة الآمه، مُتَشَبِّهاً بموته، لعلني أبلغ إلى قيامة الأموات ... لعلني أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع" (في٣: ٨-١٢)، ويصف بطرس الرسول أن هذه المعرفة هي نعمة ويجب أن ينموا فيها الإنسان "انموا في النعمة وفي معرفة ربنا ومُخلصنا يسوع المسيح" (٢بط٣: ١٨).

أما السيد المسيح فيصف هذه المعرفة لله أنها حياة أبدية تُستعلن للإنسان فيقول " هذه هي الحياة الأبدية: أن تعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته " (يو ١٧: ٣)، " أيها الآب البار، إن العالم لم يعرفك، أما أنا فَعَرَفْتُكَ، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني. وعَرَفْتُهُمْ اسمك وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم " (يو ١٧: ٢٥ - ٢٦)، أي أن هذه المعرفة تكشف سر الحب الذي به خلق الله الإنسان، واقتدى الله الإنسان من موته وشروره بفداء الابن الوحيد، بل أنه سيظل يسقينا من هذه المعرفة " عرفتهم اسمك وسأعرفهم " ليزداد الإنسان في القداسة وكشف أسرار محبة الله.

أما أعظم ما في هذه المعرفة أنها تُستعلن حتى للأطفال وهو ما نطق به السيد المسيح وتهلل من أجله وقال: " أحمدها أيها الآب، رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفُهاء وأعلنتها للأطفال. نعم أيها الآب، لأن هكذا صارت المسرة أمامك. والتفت إلى تلاميذه وقال: كل شيء قد دُفع إليَّ من أبي. وليس أحد يعرف من هو الابن إلا الآب، ولا من هو الآب إلا الابن، ومن أراد الابن أن يُعلن له " (لو ١٠: ٢١ - ٢٢).

أما إذا أردنا أن نعرف من هم الذين يعلن لهم الابن ذاته حسب قوله فسنجد في سيرة السيد المسيح أن التائبين هم الذين عرفوه دون أن يخبرهم أحد، مثل تلك المرأة الخاطئة التي بكّت عند قدميه ومسحتهما بشعرها ودهنتهما بالطيب (لو ٧: ٣٦ - ٥٠)، أو مثل زكا العشار والذي دعا السيد المسيح إلى بيته وقال: " ها أنا يارب أعطي نصف أموالي للمساكين، وإن كنت قد وُشيت بأحد أرد أربعة أضعاف " (لو ١٩: ٨)، بينما نجد أن الذين اعتمدوا على يَرِ أنفسهم واستكبروا أن يتوبوا بمناداة يوحنا المعمدان فإنهم هم بذاتهم الذين قالوا عن السيد المسيح حينما خلق عينين من طين في يوم السبت "إن هذا الرجل خاطيء" (يو أصحاح ٩).



الآب والابن والروح القدس، وتعبير الكتاب المقدس عن سره

العظة (٧٠)

تعبير: رجاء الحياة الأبدية

تحدثنا سابقاً عن الحياة الأبدية (في العظات من ٣٠ إلى ٣٤)، ورأينا أن الله قد دبرها للإنسان من قبل خلقته وأنها أظهرت مع استعلان سر الآب والابن والروح القدس، وقد حصل عليها الإنسان بسبب التجسد والفداء والقيامة التي للابن الوحيد الذي صار إنساناً. وتحدثنا عن نوال هذه النعمة بالعمودية المقدسة، وأنه إن كنا ننال هذا المجد فإنه بسبب نعمة السيد المسيح الذي أخذ صورتنا. على أنه ينبغي أن نجاهد في هذه الحياة لتناهل لهذا المجد.

هكذا فإن الإنسان حينما ينال عطية الروح القدس، ويلبس المسيح فإن لديه عربون أو رجاء الحياة الأبدية. إذا فنحن نحيا الآن على هذا الرجاء، وهكذا حينما يكتب بولس الرسول إلى تلميذه تيطس يقول: " لأجل إيمان مُختاري الله ومعرفة الحق، الذي هو حسب التَّقْوَى، على رجاء الحياة الأبدية، التي وعد بها الله المُنزّه عن الكذب، قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أظهر كلمته في أوقاتها الخاصة، بالكراسة " (تي ١ : ١-٣)، أي أن هذا الرجاء أساسه معرفة الحق أي معرفة سر الله الآب والابن والروح القدس وهو الذي يمنح الإنسان حياة التقوى الحقيقية، التي تشمل كل ثمار الروح الساكن في الإنسان.

وفي هذا يقول بولس الرسول أيضاً: "لأنه قد ظهرت نعمة الله المُخلّصة لجميع الناس، مُعلّمة إيانا أن نُنكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتَّعْقُل والبرّ والتقوى في العالم الحاضر، مُنتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح " (تي ٢ : ١١-١٣)، وفي تعبير آخر يقول: " حين ظهر لطف مُخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن، بل بمَقْتَضَى رحمته خلصنا بغُسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبهُ بغنى علينا بيسوع المسيح مُخلصنا. حتى إذا تبررنا بنعمته، نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية " (تي ٣ : ٤-٧)، ويتبين هنا أن هذا الرجاء لم يُن على أساس فضيلة من جهة الإنسان، بل هي قوة الروح القدس التي تحفظ الإنسان في مواجهة الشرور بنعمة السيد المسيح والثبات فيه، وبالتالي يُهيئ ذلك الإنسان أن يكون وارثاً للملكوت السمائي بالمسيح.

ولهذا تؤكد الرسالة إلى رومية "الرجاء لا يُخزي، لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا" (رو ٥: ٥)، أي أن ما يُثبت هذا الرجاء هو محبة الله للإنسان. وبذلك نكون "فرحين في الرجاء" (رو ١٢: ١٢)، ومع الحياة المقدسة التي يحياها الإنسان بقوة الروح "لنكون لمذبح مجده، نحن الذين قد سبق رجاؤنا في المسيح" (أف ١: ١٢).

ولعله من البديهي أنه لا رجاء بدون إيمان لأن "الإيمان فهو الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا تُرى" (عب ١١: ١)، ولهذا يصلي الرسول قائلاً: "ليملاككم إله الرجاء كل سرور وسلام في الإيمان، لتزدادوا في الرجاء بقوة الروح القدس" (رو ١٥: ١٣)، كما يقول: "أما الآن فيُثبت: الإيمان والرجاء والمحبة، هذه الثلاثة ولكن أعظمهنَّ المحبة" (١ كو ١٣: ١٣)، ذلك لأن محبة الله للإنسان هي التي تمكّن الإنسان في الإيمان والرجاء، ومحبة الإنسان لله هي التي تدفع الإنسان لحياة التقوى، فيزداد الإيمان والرجاء.

وكذلك يقارن الرسول بين وصايا الناموس وعمل النعمة التي بالروح القدس في الإيمان بسر الآب والابن والروح القدس فيقول: "إذ الناموس لم يُكَمِّل شيئاً، ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقرب إلى الله" (عب ٧: ١٩)، لأن كهنوت السيد المسيح "قد صار ليس بحسب ناموس وصية جسدية، بل بحسب قوة حياة لا تزول" (عب ٧: ١٦)، كما يقول: "موسى كان أميناً في كل بيته كخادم، شهادة للعتيد أن يُكَلِّم به. وأما المسيح فكان على بيته. وبيته نحن إن تَمَسَّكنا بثقة الرَّجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية" (عب ٣: ٥-٦)، ولكن هذا ليس معناه أن العهد القديم كان بلا رجاء، لأنه حينما اشتكى اليهود القديس بولس لفيلكس الوالي كانت إجابته: "أقر لك بهذا: أنني حسب الطريق الذي يقولون له شريعة، هكذا أعبد إله آبائي، مؤمناً بكل ما هو مكتوب في الناموس والأنبياء. ولي رجاء بالله في ما هم أيضاً ينتظرونه: أنه سوف تكون قيامة للأَمْوات، الأبرار والأثمة. لذلك أنا أيضاً أدرب نفسي ليكون لي دائماً ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس" (أع ٢٤: ١٤-١٦)، "لأن كل ما سبق فكتب كُتب لأجل تعليمنا، حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء" (رو ١٥: ٤).

ومن الواضح أن هذا الرجاء ليس بلا ثمن، ولذلك يقول الرسول: "لأننا لهذا نتعب ونُعَبِّر، لأننا ألقينا رجاءنا على الله الحي، الذي هو مُخَلِّص جميع الناس، ولا سيما المؤمنين" (١ تي ٤: ١٠)، "لأنه ينبغي للحرّاث أن يحث على رجاء، وللدّارس على الرجاء أن يكون شريكاً في

رجائه " (١كو: ٩: ١٠). لهذا يطلب بولس الرسول " لكننا نشتهي أن كل واحد منكم يُظهر هذا الاجتهاد عينه ليقين الرجاء إلى النهاية، لكي لا تكونوا مُتباطئين بل مُتمثلين بالذين بالإيمان والأناة يَرثون المواعيد " (عب ١١: ١٢)، " لئُمسك بالرجاء الموضوع أمامنا، الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة، تدخل إلى ما داخل الحجاب، حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا " (عب ٦: ١٨ - ٢٠)، ولهذا يصلي الرسول إلى أهل تسالونيكي ويقول: " ربنا نفسه يسوع المسيح، واللّه أبونا الذي أحبنا وأعطانا عزاءً أبدياً ورجاءً صالحاً بالنعمة، يُعزّي قلوبكم ويُبشّرُكم في كل كلام وعمل صالح " (٢س ١٦: ٢ - ١٧)، " متذكرين بلا انقطاع عمل إيمانكم، وتعب محبتكم، وصبر رجائكم، ربنا يسوع المسيح، أمام اللّه وأبينا " (١س ٣: ١)، أي أن الإيمان له عمل، والمحبة لها تعب، والرجاء له صبر.

وهكذا نرى أننا " لأننا بالرجاء خَلَصنا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاءً، لأن ما ينظره أحد كيف يَرجوه أيضاً؟ ولكن إن كنا نرجو ما لسا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر. وكذلك الروح أيضاً يُعين ضعفاتنا " (رو ٨: ٢٤ - ٢٦).

الآب والابن والروح القدس، وتعبير الكتاب المقدس عن سره

العظة (٧١)

تعبير: النور، والحرية، والميراث

النور حسب حواس الإنسان المخلوق من التراب هو الضوء. والظلمة لديه هي انعدام النور. وهنا يستخدم الإنسان حواسه الأخرى كالسمع واللمس أو الشم ليتعرّف على الأشياء أو الطريق. والكتاب المقدس إن كان أحياناً يتحدث عن هذا النوع من النور في بعض الأحداث، إلا أنه يعتبر النور الحقيقي شيئاً آخر غير الضوء، فيذكر سفر التكوين أن اللّه خلق النور في اليوم الأول، ولم تكن الشمس أو القمر قد خُلقا بعد لأنهما خُلقا مع النجوم في اليوم الرابع. ويتحدث المزمور عن اللّه أنه: " اللابس النور كثوب " (مز ١٠٤: ٢). فإن كان النور هو ثوبه فما هي طبيعته؟ إذاً فلا مجال للبحث! بل يتحدث

مزمو ر آخر إلى الله ويقول: " الظُّلْمة أيضاً لا تُظْلِمُ لَدَيْكَ، والليل مثل النهار يُضيء. كالظُّلْمة هكذا النور" (مز ١٣٩: ١٢).

هكذا يتحدّث يوحنا الرسول عما سمعه عن السيد المسيح: "إن الله نور وليس فيه ظُلمة البتّة" (١ يوا ٥)، كما يتحدّث بولس الرسول عن الله في مجده "المبارك العزيز الوحيد: ملك الملوك ورب الأرباب، الذي وحده له عدم الموت، ساكناً في نور لا يُدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية" (١ تي ٦: ١٥ - ١٦). ويقول يعقوب الرسول: "كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق، نازلة من عند أبي الأنوار، الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران. شاء فَوَلَدَنَا بكلمة الحق لكي نكون باكوراً من خلائقه" (يع ١: ١٧ - ١٨). وحينما فقد الإنسان معرفة الله الحقيقة بمعصية آدم، فإن تطلّع الإنسان هو دائماً إلى هذا النور. لهذا يصف الكتاب المقدس عودة الإنسان إلى إشراقة هذا النور أنه هو بعينه "الخلاص" فيقول المزمور: "بنورك نرى نوراً" (مز ٣٦: ٩)، "الرب نوري وخلصي" (مز ٢٧: ١)، "أتر بوجهك فخلص" (مز ٨٠: ٣)، "إلهي ينير ظلمتي" (مز ١٨: ٢٨).

كما أن كل طريق يؤدي إلى عودة الإنسان إلى الله هو نور، فيقول المزمور: "سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي" (مز ١١٩: ١٠٥)، كما يقول سفر الأمثال: "الوصية مصباح والشرعة نور" (أم ٦: ٢٣).

وحينما تحدّث الأنبياء عن تجسد الابن في سر الآب والابن والروح القدس، يقول إشعياء: "جليل الأمم. الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً. الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور" (إش ٩: ١ - ٢).

وقال ملاخي النبي: "لكم أيها المتّقون اسمي تُشرق شمس البر والشفاء في أجنتها" (ملا ٤: ٢). ولهذا يقول يوحنا البشير عن هذا الأمر: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، والنور يُضيء في الظلمة، والظلمة لم تُدركه" (يوا ١: ١ - ٥)، كما قال عن يوحنا المعمدان أنه جاء: "ليشهد للنور" (يوا ١: ٧).

وهكذا بدأت تتكشف معاني النور وهي "الحياة"، بما تحمل من معاني هزيمة الموت والشر والخطية.

وقد تحدّث السيد المسيح عن ذاته أنه "نور العالم"، ولنا أن نتابع في أي موقف تحدّث فيه عن ذاته كنور في الإنجيل المقدس:

لقد قالها مرة حينما خلق للرجل الأعمى عينين من طين (يو ٩: ٥). مما يعني أنه خلق للإنسان عينين نوريتين ليتعرّف الإنسان على خلاص الله ليسير في طريق السماء. وعبر السيد المسيح أيضاً عن ذاته أنه النور (يو ١٢: ٣٥، ١٢: ٤٦)، حينما أشار إلى موته على الصليب (يو ١٢: ٢٠ - ٤٦)، وقالها مرة ثالثة (يو ٨: ١٢). حينما قدموا إليه المرأة التي أمسكت في الخطية. وقالوا له: أن موسى أوصانا أن مثل هذه ترجم فكان رده "من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر!" (يو ٨: ٧)، وهو يشير هنا إلى نوره الذي يشرق في الإنسان ويجعله هازماً للخطية فلا يقع تحت طائلة الناموس، وفي مرة أخيرة قالها لنيقوديموس عن الدينونة: "هذه هي الدينونة: إن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة" (يو ٣: ١٩).

ولأن سر المسيح يكتمل في الإنسان بسكنى روح الله فيه لهذا قال في موعظته على الجبل: "أنتم نور العالم ... فليضي نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويُمجّدوا أبائكم الذي في السموات" (مت ٥: ١٤-١٦).

وهكذا يقول بولس في رسالته إلى تيموثاوس: "الذي خلّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أظهرت الآن بظهور مُخلّصنا يسوع المسيح، الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل" (٢ تي ١: ٩-١٠)، ثم يقول لأهل فيلبّي: "تمّموا خلاصكم بخوف ورعدة، لأن الله هو العامل فيكم أن تُريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة. افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مُجادلة، لكي تكونوا بلا لوم، وبسطاء، أولاداً لله بلا عيب في وسط جيل مُعوّج ومُلتو تُضيئون بينهم كأنوار في العالم" (في ٢: ١٢-١٥).

ويقول بطرس الرسول: "أما أنتم فجنس مُختار، وكهنوت مُلوّكي، أمة مقدّسة، شعب اقتناء، لكي تُخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب" (١ بط ٢: ٩).

ويقول يوحنا الرسول: "إن سلطنا في النور كما هو في النور، فلنا شركة بعضنا مع بعض، ودم يسوع المسيح ابنه يُطهرنا من كل خطية" (١ يو ١: ٧)، كما يتحدّث يوحنا أيضاً أن

سُكِنَى اللهُ فِي الْإِنْسَانِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَحَرَصَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَحْيَا بِهِ هُوَ النُّورُ وَجَوْهَرُ وَصِيَّةِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ فَيَقُولُ: " أَيْضاً وَصِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ، مَا هُوَ حَقٌّ فِيهِ وَفِيكُمْ: أَنْ الظُّلْمَةُ قَدْ مَضَتْ، وَالنُّورُ الْحَقِيقِيُّ الْآنَ يُضِيءُ. مَنْ قَالَ: إِنَّهُ فِي النُّورِ وَهُوَ يُبْغِضُ أَخَاهُ، فَهُوَ إِلَى الْآنَ فِي الظُّلْمَةِ. مَنْ يَحِبُّ أَخَاهُ يَثْبُتَ فِي النُّورِ وَلَيْسَ فِيهِ عَثْرَةٌ " (١ يوحنا ٢: ٨ - ١٠)، كَمَا يَقُولُ بُولُسُ الرَّسُولُ: " اللَّهُ الَّذِي قَالَ: أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لِإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللَّهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ " (٢ كورنثوس ٤: ٦)، وَلِهَذَا يُصَوِّرُ رَافِضِي السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَنَّ " إِلَهَ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِثَلَاثِ نِصْفِ لَهْمِ إِنَارَةِ أَنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ " (٢ كورنثوس ٤: ٤).



أَمَّا إِذَا أَتَيْنَا إِلَى تَعْبِيرِ " الْحَرِيَّةِ " فِي الْكِتَابِ الْقُدُسِ فَهِيَ تَعْنِي الْإِنْطِلَاقَ مِنْ كُلِّ قَيْدٍ يَعْبِقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْعُودَةِ إِلَى أَحْضَانِ اللَّهِ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ الْإِنْسَانُ عَبْدًا حَقِيقِيًّا مُشْتَرَى بِالْمَالِ، وَهَكَذَا يَقُولُ بُولُسُ الرَّسُولُ عَنْ قَبُولِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ: " دُعِيتُ وَأَنْتَ عَبْدٌ فَلَا يَهْمُكَ. بَلْ وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَصِيرَ حُرًّا فَاسْتَعْمَلْهَا بِالْحَرِيِّ. لِأَنَّ مِنْ دُعَايِ فِي الرَّبِّ وَهُوَ عَبْدٌ، فَهُوَ عَتِيقُ الرَّبِّ، كَذَلِكَ أَيْضاً الْحُرُّ الْمَدْعُوُّ هُوَ عَبْدٌ لِلْمَسِيحِ. قَدْ اشْتَرَيْتُمْ بِثَمَنِ، فَلَا تَصِيرُوا عِبِيداً لِلنَّاسِ " (١ كورنثوس ٧: ٢١ - ٢٣)، بَلْ إِنَّهُ يَعْتَبِرُ الْعِبُودِيَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ هِيَ عِبُودِيَّةٌ لِلْخَطِيئَةِ: " أَنْتُمْ عِبِيدٌ لِلَّذِي تُطِيعُونَهُ: إِمَّا لِلْخَطِيئَةِ لِلْمَوْتِ أَوْ لِلطَّاعَةِ لِلرَّبِّ؟ " (رومية ٦: ١٦)، "لأنكم لمَّا كنتم عبيد للخطية، كنتم أحراراً من البر. فأي ثمر كان لكم حينئذ من الأمور التي تَسْتَحُونَ بِهَا الْآنَ؟ لِأَنَّ نَهَايَةَ تِلْكَ الْأُمُورِ هِيَ الْمَوْتُ " (رومية ٦: ٢٠ - ٢١). حَتَّى إِنَّهُ يَدْعُو إِلَى عِبُودِيَّةٍ أُخْرَى وَهِيَ الَّتِي لِلرَّبِّ " كَمَا قَدَّمْتُمْ أَعْضَاءَكُمْ عِبِيداً لِلنَّجَاسَةِ وَالْإِثْمِ لِلْإِثْمِ، هَكَذَا الْآنَ قَدِمُوا أَعْضَاءَكُمْ عِبِيداً لِلرَّبِّ لِلْقِدَاسَةِ " (رومية ٦: ١٩). أَمَّا الْعَجِيبُ أَنَّهُ يُعْلَنُ اسْتِعْدَادُهُ لِلْعِبُودِيَّةِ مِنْ أَجْلِ الْكَرَازَةِ بِاسْمِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ "فَإِنَّا لَسْنَا نَكُورُزُ بِنَفْسِنَا، بَلْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبًّا، وَلَكِنْ بِنَفْسِنَا عِبِيداً لَكُمْ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ " (٢ كورنثوس ٥: ٥).

وَقَدْ تَحَدَّثَ إِشْعِيَاءُ النَّبِيُّ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ عَنْ هَذِهِ الْحَرِيَّةِ. أَمَّا الْعَجِيبُ أَنَّهُ حِينَمَا كَانَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ فِي الْمَجْمَعِ وَقَدَّمْ لَهُ السَّفَرُ لِيَقْرَأَ فَكَانَتْ هِيَ هَذِهِ النَّبُوءَةُ نَفْسَهَا " رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لِأَنَّهُ مَسَّحَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لِأَشْفِيَ الْمُسْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لِأُنَادِيَ لِلْمَآسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ وَلِلْعَمِيِّ بِالْبَصَرِ، وَأَرْسَلَ الْمُنْسَحَقِينَ فِي الْحَرِيَّةِ، وَأَكْرَزُ بَسَنَةَ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةَ " (لوقا ٤: ١٨ - ١٩)، وَهُوَ مَا ذُكِرَ فِي سَفَرِ إِشْعِيَاءَ (أصحاح ٥٨).

وقد أعلن السيد المسيح لليهود الذين آمنوا به "إنكم إن ثبتتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي. وتعرفون الحق والحق يحرركم" (يو ٨: ٣١-٣٢)، وحينما اعترضوا وقالوا: "إننا ذرية إبراهيم، ولم نُستعبد لأحد قط! ... أجابهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية. والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد. فإن حررركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً" (يو ٨: ٣٣-٣٦).

ويقول بولس الرسول: "الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح ... لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله" (رو ٨: ١٦-٢١)، حتى إنه يقارن بين وصية العهد القديم وعمل الروح القدس في الإنسان في العهد الجديد أن الأولى ترمز إلى عبودية هاجر أمة إبراهيم التي أنجبت إسماعيل وهو يقابل أورشليم الحاضرة "أما أورشليم العليا، التي هي أمتنا جميعاً، فهي حرة" (غل ٤: ٢٦)، لهذا يؤكد: "فانبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها، ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية" (غل ٥: ١)، ولكنه يعود ويقول: "فإنكم إنما دُعيتُم للحرية أيها الإخوة. غير أنه لا تُصَيِّرُوا الحرية فرصة للجسد ... وإنما أقول: اسلكوا بالروح فلا تُكَمِّلُوا شهوة الجسد" (غل ٥: ١٣-١٦). وهو ما يؤكد أيضاً بطرس الرسول: "كأحرار، وليس كالذين الحرية عندهم سُترة للشر، بل كعبيد الله" (١ بط ٢: ١٦).

أما يعقوب الرسول فإنه يطلق على عمل الروح القدس في الإنسان أنه هو "ناموس الحرية"، ولهذا يقول: "هكذا تكلموا وهكذا افعلوا كعبيدين أن تُحَاكَمُوا بناموس الحرية" (يع ٢: ١٢)، وهو ما أطلق عليه أيضاً: "الناموس الكامل" (يع ١: ٢٥)، و"الناموس الملوكي" (يع ٢: ٨).

كما يتحدث بطرس الرسول عن الحرية الكاذبة التي ينادي بها الأنبياء الكذبة "إذ ينطقون بعتائم البُطل، يخدعون بشهوات الجسد في الدُّعارة، من هرب قليلاً من الذين يسرون في الضلال، واعدن إياهم بالحرية، وهم أنفسهم عبيد الفساد" (٢ بط ٢: ١٨-١٩).



أما إذا أتينا إلى تعبير "الميراث" الذي تحدّث عنه الآباء الرسل فهو الذي يشير إلى الحياة السماوية مع نهاية الأرض وما عليها، وهو أيضاً ما لا يستطيع فكر الإنسان أن

يصل إلى صورته، لذلك يقولون: " ما لم ترَ عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان: ما أعدّه الله للذين يُحبونه. فأعلنه الله لنا نحن بروحه. لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله ... ونحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذي من الله، لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله " (١كو٢: ٩-١٢)، وهكذا يتضح أن سر الأب والابن والروح القدس هو أساس الاستعلان الحقيقي لتلك الحياة التي يتطلّع إليها البشر والتي صورتها حسب إدراكاتهم العقلية أو شهواتهم الطبيعية، بينما هي تعلو عن كل فكر ولكنها تُستعلن بالروح القدس.

كما أن سقوط آدم وسماح الله بذلك كان من أجل أن يدرك الإنسان حقيقة القداسة، التي بدونها لا يعاين أحد الرب، فيحيا حياته بخوف الرب وينهل من عطية الخلاص والفداء الذي صار بالابن الوحيد، وهو الذي ذهب إلى النفوس التي كانت في الجحيم منذ آدم إلى الصليب، رفع الأبرار إلى الفردوس حتى نهاية الأيام، ثم صار على الإنسان بعد ذلك أن يؤمن بخلاص السيد المسيح، ويعتمد على اسمه، لينال عطية الروح القدس وقداسة المسيح فينال ميراث السماء.

وقد عبّر الآباء الرسل عن هذا الميراث بتعبيرات متعددة، منها " تدبير ملء الأزمنة " فيقول بولس الرسول عن السيد المسيح: " الذي فيه لنا الفداء بدمه، غُفران الخطايا، حسب غنى نعمته، التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة، إذ عرّفنا بسر مشيئته، حسب مسرّته التي قصدتها في نفسه، لتدبير ملء الأزمنة، ليجمع كل شيء في المسيح، ما في السموات وما على الأرض، في ذلك " (أف ١: ٧-١٠)، وهذا يعني أن كل زمان الإنسان على الأرض التف حول السيد المسيح لينتهي بالإنسان إلى ميراث السماء.

كما أطلقوا أيضاً على الميراث اسم " المُقْتَنَى "، فتقول رسالة أفسس: " إذ سَمِعْتُم كلمة الحق، إنجيل خلاصكم، الذي فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس، الذي هو عُربون ميراثنا، لفداء المُقْتَنَى، لمدح مجده " (أف ١: ١٣-١٤)، وهو ما يعني أن نقنتي الميراث بفداء السيد المسيح وختم الروح القدس.

كما أطلقوا أيضاً تعبير " قصد الدهور " (أف ٣: ١١)، على هذه الحياة السماوية، وأنها هي السر الذي كان مكتوماً منذ سقوط آدم، فتقول نفس الرسالة: " أُعْطِيت هذه

النعمة، أن أُبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى، وأنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع يسوع المسيح ... حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا " (أف ٣: ٨-١١). وهو ما وصفه بطرس الرسول أيضاً بقوله: " بحسب وعده ننتظر سموات جديدة، وأرضاً جديدة، يسكن فيها البير " (٢ بط ٣: ١٣). وهكذا نجد في استعلان سر الآب والابن والروح القدس استتارة بالنور الإلهي الذي لا يُعبَّر عنه. فأنار للإنسان طريق الحياة والخلود، وهو الذي منحه حل قيود الموت والخطية فأكسبه حرية مجد أولاد الله، وذلك بالتبني بيسوع المسيح، وصار في النهاية وارثاً للسموات كملأئكة الله في السماء.

الآب والابن والروح القدس، ونوال الإنسان عطية استعلانه

العظة (٧٢)

الأسرار الكنسية

رأينا في تعبيرات الآباء الرسل عن سر الآب والابن والروح القدس أنها تتحدث عن أمور تعلو عن فكر الإنسان وترفع روحه إلى آفاق سماوية لا يمكن التعبير عنها. ولكن الروح القدس أرشدهم إلى الكلمات التي احتوت معاني هذه العطية لتقود الإنسان في مسيرة خلاصه من العالم وآلامه، وتمنحه عربوناً لحياة سماوية وهو كائن على الأرض، وهو ما سبق وشرحناه في العظات السابقة مثل القوة والنعمة ... إلخ.

وهكذا كان لزاماً أن يكون هناك سبيل محسوس بسبب طبيعة الإنسان الترابية، لينال بها هذه العطية الغير منظورة في الإيمان بالآب والابن والروح القدس، وهو تماماً نفس السبب الذي بسببه اتخذ السيد المسيح صورة إنسان من الروح القدس والعذراء مريم لننال فيه الخلاص من الموت والخطية ونتقدس به، وهو ما تعبَّر عنه الكنيسة في تسبحتها " أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له " .

ولما كان هذا السبيل المحسوس يمنح الإنسان عطية غير منظورة لهذا سُمي "سراً"، حتى وإن كان أحياناً يبدو وكأنه متعارض مع الفكر البشري، مثلما حدث

مع نيقوديموس معلم الناموس حينما أبلغه السيد المسيح بالميلاد من فوق من الماء والروح (يو: ٣).

وقد كان طبيعياً أن يكون هناك من يقوم بإتمام هذه الأسرار لينالها الإنسان. وهو ما أوضحه السيد المسيح حينما نفخ في وجوه تلاميذه وقال لهم: "اقبلوا الروح القدس. من غفرتكم خطاياهم تغفر له، ومن أمسكتكم خطاياهم أمسكت" (يو ٢٠: ٢٢-٢٣)، وهو ما عُرف "بسر الكهنوت"، وهو ما قال عنه الإنجيل: "لكي يُعرف الآن عند الرؤساء والساطين في السماويات، بواسطة الكنيسة، بحكمة الله المتنوعة، حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا" (أف ٣: ١٠-١١).

ومن الواضح أن السيد المسيح نفسه هو مؤسس هذه الأسرار وهو ما نراه في كلمات السيد المسيح القاطعة في حديثه عن المعمودية وتقديم جسده كخبز وخمر مما يجعل من هذه الأسرار عمل حقيقي سري وداخلي في الإنسان من خلال وسائل ملموسة ومنظورة، وأن هذه الأسرار ليست مجرد ممارسات شكلية أو مجرد إشهار للإيمان أو إظهاراً للاعتراف به، ولكنها هي السبيل للحصول على العطية الغير منظورة التي تليق بالخلقة الجديدة فتكتسب نصيباً سمائياً.

وقد كان السيد المسيح في الفترة التي تلت قيامته حتى صعوده إلى السماء بعد أربعين يوماً يظهر للتلاميذ "ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله" (أع ١: ٣)، ولا شك أنه شرح لتلاميذه حقيقة الأسرار الكنسية بعد أن يحل الروح القدس عليهم وهو ما ذكره سفر الأعمال عن قول السيد المسيح لهم: "لأن يوحنا عمّد بالماء، وأما أنتم فستعمّدون بالروح القدس، ليس بعد هذه الأيام بكثير" (أع ١: ٥).

وهكذا كان على رأس هذه الأسرار والتي أطلق عليها "الأسرار الكنسية" هو "سر المعمودية"، وقد كانت كلمات السيد المسيح لنيقوديموس عن المعمودية: "إن كان أحد لا يُولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله ... الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يُولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح ... الريح تهب حيث تشاء، وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا كل من وُلد من الروح" (يو ٣: ٨).

والعجيب أن حقيقة المعمودية وصفها الآباء الرسل في اتجاهات متعددة فقد شبهها القديس بطرس بفلك نوح الذي أنقذه من الهلاك وقال: "الذي مثاله يُخَلِّصنا نحن الآن، أي المعمودية. لا إزالة وَسَخ الجسد، بل سؤال ضمير صالح عن الله، بقيامة يسوع المسيح" (١بط ٣: ٢١). وهنا أعطى المعمودية قوة الاغتسال من الخطية، وقوة القيامة من الأموات. كما يشبهها بولس الرسول بالموت مع السيد المسيح والدفن معه ليُبْطَل جسد الخطية "كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، قَدْفَنَّا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات، بمجد الآب، هكذا نُسَلِّكُ نحن في جِدَّة الحياة؟ لأنه إن كنا قد صرنا مُتَّحِدِينَ معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته. عالمين هذا: أن إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه ليُبْطَل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية" (رو ٦: ٣-٦)، وهذا الأمر هو ما يدعو الكنيسة الأرثوذكسية للتعميد بطريقة التغطيس في الماء ثلاث مرات باسم الآب والابن والروح القدس، لتأخذ المعمودية صورة الدفن والقيامة مع المسيح.

كما شبَّه الآباء الرسل المعمودية "بعهد ختان العهد الجديد" بالروح القدس إشارة إلى العهد الذي أخذه إبراهيم بختان الغرلة، فتنقل إلى الصورة الروحية في العهد الجديد بختان القلب بالروح القدس، لذلك يقول بولس الرسول أن السيد المسيح: "فيه يَحُلُّ كل ملء اللاهوت جسدياً. وأنتم مملوؤون فيه، الذي هو رأس كل رئاسة وسلطان. وبه أيضاً خُتِنْتُمْ خَتَاناً غير مصنوع بيد، بخلق جسم خطايا البشرية، بختان المسيح. مدفونين معه في المعمودية، التي فيها أقمتم أيضاً معه" (كو ٢: ٩-١٢)، وأن "ختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان" (رو ٢: ٢٩).

وقد أخذت المعمودية أيضاً صورة "الاغتسال" لأن بها يتبرر الإنسان من خطاياها السالفة، ومن حُكْم الموت الأبدي بقيامة المسيح، ولهذا يلزمها التوبة قبل التقدم إليها، كما قال بطرس يوم الخمسين: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فَتَقْبَلُوا عطية الروح القدس" (أع ٢: ٣٨)، وهكذا نُخَس السامعون لعظته يوم الخمسين وانضم في ذلك اليوم إلى المسيح ثلاثة آلاف نفس (أع ٢: ٢٧-٤١).

وعن هذا الاغتسال والتبرير يقول بولس الرسول: "لا تضلوا: لا زُناة ولا عَبْدَة أوثان ولا فاسقون ولا مأبُونون ولا مضاجعو ذُكُور، ولا سارقون ولا طمَّاعون ولا سكيرون ولا شَتَّامون

ولا خاطفون يرثون ملكوت الله. وهكذا كان أناس منكم. لكن اغتسلتم، بل تقدّستم، بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا" (اكو ٦: ٩-١١).

كذلك أخذت المعمودية شبه "غسل الميلاد الثاني" "حين ظهر لطف مُخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال في برّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبهُ بغنى علينا يسوع المسيح مُخلصنا. حتى إذا تبررنا بنعمته، نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية" (تي ٣: ٤-٧).

وكانت عطية الروح في المعمودية تُعطى بوضع اليد على الرأس، كما نقرأ في سفر الأعمال: "لما سمع الرُّسُل الذين في أورشليم أنّ السَّامرة قد قبلت كلمة الله، أرسلوا إليهم بطرس وبوحنا، اللذين لما نزلا صلياً لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس ... حينئذ وضعوا الأيادي عليهم فقبلوا الروح القدس" (أع ٨: ١٤-١٧)، ومع كثرة الداخلين إلى المسيحية صارت الموهبة تُعطى بمسحة الدهن، كمثّل ما كان يُمسح الكهنة والمذبح في العهد القديم، وقد أضيف عليها الأطياب التي صارت على جسد السيد المسيح عند دفنه.

وهكذا يقول يوحنا الرسول: "أما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم، ولا حاجة بكم إلى أن يُعلِّمكم أحد. بل كما تُعلِّمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء، وهي حق وليست كذباً. كما علِّمكم تثبتون فيه" (١ يو ٢: ٢٧)، وفي هذا تحقق عهد الله على فم أنبيائه في العهد القديم: "لأن هذا هو العهد الذي أعهدته مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب: أجعل نواميسي في أذهانهم، وأكتبها على قلوبهم، وأنا أكون لهم إلهاً، وهم يكونون لي شعباً. ولا يُعلِّمون كل واحد قريبه، وكل واحد أخاه قائلاً: اعرف الرب، لأن الجميع سيعرفوني من صغيرهم إلى كبيرهم" (عب ٨: ١٠-١١).

كما تأخذ المعمودية معنى عظيم حينما يقول بولس الرسول: "كل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد، كذلك المسيح أيضاً. لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد، يهوداً كنا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سقينا روحاً واحداً" (اكو ١٢: ١٢-١٣).

أما عن "سرا التناول" وهو ما يُعرف باسم سر الشكر، وهو ما يشير إلى ذبيحة الشكر في العهد القديم، والتي كان يأكل منها مقدّمها، كما يعرف أيضاً

بسر الشركة لأنه شركة المؤمنين في جسد واحد الذي هو ابن الله الوحيد المتجسد، والذي قدّم ذاته فداءً على الصليب وقدّم لنا جسده ودمه لنشارك فيهما لننال غفرانه وقداسته. وقد أشار السيد المسيح إلى هذا السر بعد أن أشبع الجموع الذين بالآلاف من خمسة أرغفة وسمكتين وقال لهم: "آبَاؤُكُمْ أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِيَّةِ وَمَاتُوا ... أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ" (يو ٦: ٤٩ - ٥١)، وهنا يشير السيد المسيح إلى المَن الذي نزل على بني إسرائيل في بَرِيَّةِ سِينَاء لِيَحْيُوا، لأنه كَانَ يَشِيرُ إِلَى جَسَدِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ الْمَقْدَمِ لِحَيَاةِ الْعَالَمِ. وَرَغْمَ أَنْ بَعْضَ تَلَامِيذِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ رَجَعُوا عَنْهُ بَعْدَ هَذَا الْقَوْلِ وَقَالُوا: "إِنْ هَذَا الْكَلَامُ صَعْبٌ! مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَهُ؟" (يو ٦: ٦٠)، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَهْتَمْ بِاعْتِرَاضِهِمْ حَتَّى أَنَّهُ سَأَلَ تَلَامِيذَهُ الْاِثْنَيْ عَشَرَ إِنْ كَانُوا يَرِيدُونَ أَيْضاً أَنْ يَمَضُوا (يو ٦: ٦٠ - ٦٩).

وهكذا فإن السيد المسيح قبل أن يتقدم إلى الصليب مباشرة وفي يوم الفصح أعطى تلاميذه جسده ودمه على هيئة خبز وخمر "وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز، وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا كلوا. هذا هو جسدي. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كُلُّكُمْ، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفَرَةِ الْخَطَايَا" (مت ٢٦: ٢٦ - ٢٨).

وقد سبق وذكرنا أن ذبيحة السيد المسيح في الخبز والخمر تجمع كافة الذبائح التي أمر بها الله في العهد القديم مثل ذبيحة المحرقة التي تمثل حُكْمَ الموت على الإنسان وذبيحة الإثم والخطية التي تكفر عن الخطايا وذبيحة الشكر والسلامة التي يتناول منها الإنسان، كما أنها تمثل ذبيحة القربان والذبيحة السنوية التي يقدمها رئيس الكهنة في يوم الغفران وذبيحة الفصح وذبيحة الأعياد إلى كل ما ذكرناه سابقاً.

كما أن ذبيحة السيد المسيح كخبز وخمر في العهد الجديد يحمل سرّاً آخر عظيماً حسب قول بولس الرسول: "كأس البركة التي تُباركها، أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي تكسره، أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرون خُبْزٌ واحد، جسد واحد، لأننا جميعاً نشترك في الْخُبْزِ الْوَاحِدِ" (١ كو ١٠: ١٦ - ١٧).

أما عن "سر الكهنوت" الذي سبق وذكرناه فكان يتم بوضع اليد. فحينما اختار الآباء الرسل الشمامسة السبعة " أقاموهم أمام الرُّسل، فصلُّوا ووضعوا عليهم الأيادي " (أع ٦: ٦)، وفي إنطاكية " بينما هم يخدمون الرب ويصومون، قال الروح القدس: أفرزوا لي بَرْنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه. فصاموا حينئذ وصلُّوا ووضعوا عليهما الأيادي، ثم أطلقوهما " (أع ١٣: ٢-٣)، كما يقول بولس الرسول لتيموثاوس: " لا تُهمل الموهبة التي فيك، المُعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدي المشيخة " (١ تي ٤: ١٤)، كما ينصحه أيضاً: " لا تضع يداً على أحد بالعجلة " (١ تي ٥: ٢٢)، ويقول له في رسالته الثانية: " أذكرك أن تُضرم أيضاً موهبة الله التي فيك بوضع يدي " (٢ تي ١: ٦)، مما يؤكد أن وضع اليد له موهبة خاصة بالروح القدس مُسلَّمة سابقاً من السيد المسيح لتلاميذ الرسل.

وعن "سر التوبة والاعتراف" يقول سفر الأعمال: " كان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مُقرِّين ومُخبرين بأفعالهم " (أع ١٩: ١٨).

وعن "سر مسح المرضى" تقول رسالة يعقوب: " أمرض أحد بينكم؟ فليدع شيوخ الكنيسة فيصُلُّوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب، وصلاة الإيمان تشفي المريض، والرب يُقيمه، وإن كان قد فعل خطية تُغفر له " (يع ٥: ١٤-١٥).

وعن "سر المسحة أو الميرون أو سر التثبيت" فقد سبق وذكرناه في سر المعمودية. كما اعتبرت الكنيسة أيضاً أن "الزواج" هو سر من أسرارها حيث يرتبط الزوجان بالروح القدس ليكون كلاهما جسداً واحداً (أف ٥: ٣١-٣٢).

الآب والابن والروح القدس، ونهاية الإنسان

العظة (٧٢)

حقيقة الراقيدين والقيامة من الموت

لقد سبق وذكرنا (انظر مقدمة الكتاب للمؤلف) أن عدم معرفة الله الحقيقية تؤدي بالضرورة إلى إخفاق الإنسان في معرفة نهايته بعد الموت، بل أنها تُفقد الإنسان بُوصلته حياته على الأرض أين يمضي وأين يتوجّه.

وقد سبق وذكرنا أن رغبة الإنسان في حياة التوبة هي التي تقود الإنسان في اتجاه معرفة الله، وبالتالي معرفة نهايته بعد الموت. لذلك نجد أن الإنسان المستبيح يقول: " نأكل ونشرب لأننا غدا نموت ".

كما أن الإنسان الذي يستخدم عقله ويرى أن الإنسان لا تفنى حياته مثل الحيوان، ولكنه لا يعرف الله المعرفة الحقيقية سينتهي به الأمر إلى فكرة قيامة أيضاً، ولكنه يتصورها أيضاً حسب ما يراها عقله، فقد يروجها مأكلاً ومشرباً وشبعاً جسدياً مثل ما ذكرنا عن المبتدع "ماني"، أو تكون قيامة غامضة مثل ما تصورها قدماء المصريين، أو أن الروح تنتقل إلى كائن آخر. وكما سبق وذكرنا أيضاً أنه كما أن روح الله هو الذي يستكشف للإنسان سر الآب والابن والروح القدس فإن روح الله أيضاً يكون " العربون " (٢كو ١: ٢٢)، الذي يملأ به الإنسان قبضته فيثق في حياة سمائية يأخذ نصيبها في ابن الله المتجسد الذي مات وقام بجسد ممجد ليأخذ الإنسان خليفة جديدة تليق بالسمايين بشركته في جسد ابن الله.

وقد سبق أيضاً وذكرنا أن عمل ابن الله المتجسد على الصليب امتد إلى هؤلاء الذين رقدوا منذ آدم حينما نزل السيد المسيح بروحه الإنسانية المتحدة بلاهوته إلى الجحيم، فأصعد هؤلاء الذين أرضوا الله بحياتهم وتوبتهم مع الذين تمموا الناموس، ثم أدخلهم إلى الفردوس مع اللص اليمين الذي اعترف وندم وهو على خشبة الصليب، فكان هذا الفردوس هو مستقر النفوس الصالحة إلى أن تكمل الحياة على الأرض، بينما بقى الأشرار في مكانهم بالجحيم إلى يوم محاسبة الجميع.

وقد سبق وذكرنا أيضاً أن حقيقة القيامة كانت معلنة منذ العهد القديم حينما ذكرنا كلمات دانيال النبي: " كثيرون من الراقيدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للأزدياء الأبدية ... والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور " (١٢: ٢-٣). كما ذكرنا نبوة حزقيال عن الأمر نفسه (حز ٣٧: ١ - ١٤)، هذا غير ما يذخر به سفر المزامير من الاستعلانات لما بعد الموت. ولهذا حينما تقدّم إلى السيد المسيح بعض من طائفة الصدوقيين الذين يقاومون أمر القيامة وسألوه ساخرين أن امرأة تزوجت سبعة رجال فلمن تكون زوجة له في القيامة فأجابهم يسوع: " تضلون إذ

لا تعرفون الكتب ولا قوة الله " (مت ٢٢ : ٢٩)، ويكمل قائلاً: " أبناء هذا الدهر يزوجون ويزوجون. ولكن الذين حسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يزوجون ولا يزوجون ... إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً، لأنهم مثل الملائكة، وهم أبناء الله، إذ هم أبناء القيامة. وأما أن الموتى يقومون، فقد دل عليه موسى أيضاً في أمر العليقة كما يقول الرب: إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب. وليس هو إله أموات بل إله أحياء، لأن الجميع عنده أحياء " (لو ٢٠ : ٣٤-٣٨)، وعلى ذلك فقد اعتبر السيد المسيح أن الموت هو نوم، ولهذا حينما علم بروحه أن لعازر الذي كان قد طلبوه ليشفيه أنه قد مات حينئذ قال لتلاميذه: " لعازر حبيبنا قد نام. لكني أذهب لأوقظه. فقال تلاميذه: يا سيد، إن كان قد نام فهو يُشفى. وكان يسوع يقول عن موته، وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم. فقال لهم يسوع حينئذ علانية: لعازر مات " (يو ١١ : ١١-١٤).

وهكذا نجد أن الصليب والقيامة هما محور انتقال البشر من الصورة الترابية إلى سُكنى السماء ولهذا عبّر السيد المسيح عن ذلك بقوله: " أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد " (يو ١١ : ٢٥-٢٦).

كما يربط السيد المسيح سر قيامة الأبرار باستعلان سر الآب والابن والروح القدس بقوله: " هذه مشيئة الآب الذي أرسلني: أن كل ما أعطاني لا أُلْف منه شيئاً، بل أقيمهُ في اليوم الأخير. لأن هذه مشيئة الذي أرسلني: أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمهُ في اليوم الأخير " (يو ٦ : ٣٩-٤٠).

كما يربط السيد المسيح أيضاً سر قيامة الإنسان بعمل صليبه وذلك بقوله: " كما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يُرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم. الذي يؤمن به لا يُدان، والذي لا يؤمن قد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد " (يو ٣ : ١٤-١٨).

وكذلك يربط السيد المسيح قيامة الأبرار بالتناول من جسده ودمه الذي يقدمه كخبز وخمر فيقول: " من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمهُ في اليوم

الأخير، لأن جسدي مأكّل حق ودمي مشرب حق ... كما أرسلني الآب الحي، وأنا حي بالآب، فمن يأكلني فهو يحيا بي. هذا هو الخبز الذي نزل من السماء. ليس كما أكل آباؤكم المَنَّ وماتوا. من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد" (يو ٦: ٥٤ - ٥٨).

كما يكشف السيد المسيح أيضاً أسرار القيامة والدينونة في صور متعددة، وذلك بما أعلنه عن نفسه وعن عمل الروح القدس والمعمودية وعلاقته بالآب، فيقول في مواضع مختلفة...

"إن كان أحد لا يُؤثّر من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو ٣: ٥).

"ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء" (يو ٣: ١٣).

"كما أن الآب يُقيم الأموات ويُحيي، كذلك الابن أيضاً يُحيي من يشاء. لأن الآب لا يدين أحداً، بل قد أعطى كل الدينونة للابن" (يو ٥: ٢١ - ٢٢).

"كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً، لأنه ابن الإنسان. لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (يو ٥: ٢٦ - ٢٩).

"فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً! الروح هو الذي يُحيي ... الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة" (يو ٦: ٦٢ - ٦٣).

"من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حيّ. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مُزمعين أن يقبلوه، لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد، لأن يسوع لم يكن مُجدّ بعد" (يو ٧: ٣٨ - ٣٩)، ويقصد بالمجد أنه يُصلب ويقوم.

وأخيراً يُجمل السيد المسيح هذه الأقوال وغيرها حينما يقول: "الحق الحق أقول لكم: إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد" (يو ٨: ٥١)، أي أن السيد المسيح ربط حقيقة الموت والقيامة بعمل الصليب والمعمودية والتناول من جسده ودمه والإيمان بأن السيد المسيح والآب واحد، وأن عمل الروح القدس يمنح الإنسان عطية المسيح ويكشف له سر الآب والابن والروح القدس وسر الموت والقيامة.

أما إذا أتينا إلى الآباء الرسل ليشرحوا لنا سر الموت والقيامة فنجد بطرس الرسول يقول: "فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يُقَرَّبنا إلى الله، مُماتاً في الجسد ولكن مُحيى في الروح، الذي فيه أيضاً ذهب فَكَّرَ للأرواح التي في السجن" (ابط ٣: ١٨ - ١٩)، وهو ما سبق وذكرناه عن نزول السيد المسيح إلى الجحيم لإطلاق الأبرار وذلك من قِبَل الصليب. ويؤكد ذلك بطرس الرسول مرة أخرى "فإنه لأجل هذا بُشِّرَ الموتى أيضاً، لكي يُدانوا حسب الناس بالجسد، ولكن ليحيوا حسب الله بالروح" (ابط ٤: ٦)، ويقول يوحنا الرسول: "الله لم ينظره أحد قط ... بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا: أنه قد أعطانا من روحه. ونحن قد نظرنا ونشهد أن الآب قد أرسل الابن مُخلِّصاً للعالم ... بهذا تكملت المحبة فينا: أن يكون لنا ثقة في يوم الدين" (١يو ٤: ١٢-١٧).

أما عن بولس الرسول فيؤكد حقيقة القيامة أنها أُعلنت في العهد القديم حينما وقف يدافع عن نفسه أمام فليكس الوالي ورئيس الكهنة بقوله: "أنني حسب الطريق الذي يقولون له شيعة، هكذا أعبد إله آبائي، مؤمناً بكل ما هو مكتوب في الناموس والأنبياء. ولي رجاء بالله في ما هم أيضاً ينتظرونه: أنه سوف تكون قيامة للأَمْوات، الأبرار والأثمة" (أع ٢٤: ١٤ - ١٥)، كما أفرد بولس حديثاً طويلاً عن القيامة في رسالته الأولى إلى كورنثوس "فإن لم تكن قيامة أَمْوات فلا يكون المسيح قد قام! وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم ... أنتم بعد في خطاياكم! ... لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع ... المسيح باكورة، ثم الذين للمسيح في مجيئه ... آخر عدو يُبطل هو الموت" (١كو ١٥: ١٣-٢٦)، ويقول لهم في رسالته الثانية: "عالمين أن الذي أقام الرب يسوع سيقيمنا نحن أيضاً بيسوع" (٢كو ٤: ١٤)، ويقول في رسالة العبرانيين: "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشتراك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يُبَيِّد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس، ويُعتَق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية" (عب ٢: ١٤ - ١٥).

كما يتحدث بولس الرسول عن يوم القيامة ويقول: "إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام، فكَذلك الراقدون بيسوع، سيُحضرهم الله أيضاً معه. فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب: أننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب، لا نسبق الراقدين. لأن الرب نفسه بهُتاف، بصوت رئيس ملائكة

وبوق الله، سوف ينزل من السماء. والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب" (١ تس ٤: ١٤-١٧). ويقول أيضاً: "هكذا سير أقوله لكم: لا نرقد كلنا، ولكننا كلنا نَتَغَيَّرُ، في لحظة في طرفة عين، عند البوق الأخير. فإنه سَيَبُوقُ، فيقام الأموات عديمي فساد، ونحن نَتَغَيَّرُ. لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت ... فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة: ابتلع الموت إلى غَلَبَةٍ. أين شوكتك يا موت؟ أين غَلَبَتُكَ يا هاوية؟" (١ كو ١٥: ٥١-٥٥)، وهكذا يتحدث الرسول عن تغيير الطبيعة الترابية للإنسان إلى صورة أخرى سماوية تناسب سُكُنَى السماء سواء الذين كانوا في القبور أو الذين ظلوا أحياء إلى اليوم الأخير.

ويؤكد الآباء الرسل أن هذا كان نتيجة تلقائية للتجسد الإلهي في السيد المسيح وغلبته للموت وقيامته بجسد القيامة، ليأخذ الإنسان عطية الجسد السمائي فيقول بولس الرسول: "فإن سيرتنا نحن هي في السموات، التي فيها ننتظر مُخْلَصاً هو الرب يسوع المسيح، الذي سَيُغَيِّرُ شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده، بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء" (في ٣: ٢٠-٢١)، أي أن السيد المسيح لأنه هو الله الظاهر في الجسد أمكنه أن يُخضع الجسد البشري الذي للإنسان لإرادته ليكسبه جسداً سماوياً. ويؤكد بولس على ذلك ويقول: "لأننا نعلم أنه إن نُقْضَ بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السموات بناء من الله، بيت غير مصنوع بيد، أبدي" (١ كو ٥: ١).

ولأن هذه الصورة أعلى بكثير مما يخطر على بال الإنسان، فإن يوحنا الرسول يقول عنها: "الآن نحن أولاد الله، ولم يُظَهَرْ بعد ماذا ستكون. ولكن نعلم أنه إذا أُظْهِرَ نكون مثله، لأننا سنراه كما هو" (١ يو ٣: ٢)، أي أننا سنأخذ جسداً على شبه جسد السيد المسيح المقام من الأموات لهذا تقول رسالة رومية: "فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقَاسُ بالمجد العتيد أن يُسْتَعْلَنَ فينا. لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله ... لأن الخليقة نفسها سَتُعْتَقُ من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله" (رو ٨: ١٨-٢١).

وهنا يتساءل بولس الرسول: "يقول قائل: كيف يُقام الأموات؟ وبأي جسم يأتون؟" (١ كو ١٥: ٣٥)، ثم يجيب "الذي تزرعه لا يحيا إن لم يَمُت. والذي تزرعه، لست تزرع الجسم الذي سوف يصير، بل حبة مُجَرَّدَة، ربما من حنطة أو أحد البواقي. ولكن الله يُعْطِيها جسماً كما أراد ...

للناس جسد واحد، وللبهائم جسد آخر ... وأجسام سماوية، وأجسام أرضية. لكن مجد السماويات شيء، ومجد الأرضيات آخر ... هكذا أيضاً قيامة الأموات: يُزرع في فساد ويُقام في عدم فساد. يُزرع في هوان ويُقام في مجد ... يُزرع جسماً حيوانياً ويُقام جسماً روحانياً ... هكذا مكتوب أيضاً: صار آدم، الإنسان الأول، نفساً حية، وادم الأخير روحاً مُحيياً ... الإنسان الأول من الأرض تُرابي. الإنسان الثاني الرب من السماء ... وكما لبسنا صورة الترابي، سنلبس أيضاً صورة السَّماوي. فأقول هذا أيها الإخوة: إن لحمًا ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله، ولا يرث الفساد عدم الفساد" (١كو ١٥: ٣٦ - ٥٠).

وهكذا نجد أن سر الآب والابن والروح القدس هو مفتاح باب السماء، وذلك بتجسد الابن وفدائه وقيامته ومنحه جسد القيامة للبشر، وذلك بعبودية الروح القدس للإنسان. وبذلك تحققت حكمة الله وعلمه حينما عاد الجسد الترابي إلى التراب حسب وعيد الله، وكان الموت سبيلاً لتجديد الخليقة وسكناها السماء حسب وعد الله أيضاً.

الآب والابن والروح القدس، والدينونة

العظة (٧٤)

الدينونة على لسان السيد المسيح

رأينا كيف أن سر استعلان الآب والابن والروح القدس هو الذي كشف طريق الأمجاد السماوية للأبرار، وحل لغز حياة الإنسان على الأرض. ورأينا أن تجسد الابن وفدائه وقيامته وصعوده إلى السماء هو الذي مهّد الطريق للإنسان أن يأخذ طبيعة جسد القيامة في اليوم الأخير ليتأهل لسُكنى السماء. ولهذا قيل عن السيد المسيح أنه: "أقامنا معه" (أف ٢: ٦)، "وسُحضرنا معه" (١ تس ٤: ١٤)، وأنه "باكورة الراقيدين" (١كو ١٥: ٢٠)، (١كو ١٥: ٢٣).

ثم يشرح الإنجيل المقدس كيف أن السيد المسيح بصعوده إلى السماء صار رئيس كهنة سمائي يتشفع عن جنس البشر، وهو الذي رفع طبيعتهم وأصعدها معه ووصف ذلك بأنه جلس عن يمين أبيه. وأعطى الكهنة الذي أقامهم على الأرض ليقدموا ذبيحته كخبز وخمر (عب أصحاح ٨، ٩) إلى أن تنتهي أيام الأرض المنظورة ويكون

السيد المسيح نفسه هو الديان للبشر لأنه صار "ابن إنسان" (يوه : ٢٦ - ٢٧)، لأن "الله لم ينظره أحد قط" (١يوه ٤: ١٢)، "ساكناً في نور لا يُدنى منه" (١تي ٦: ١٦)، وهكذا نقترّب كثيراً إلى سر تجسد الابن الذي صار وسيطاً بين الله والناس (عب ٨: ٦)، وهو الذي "فيه يحل ملء اللاهوت جسدياً" (كو ٢: ٩)، ليكشف لنا بعضاً من أسرار خلقه الإنسان ويكشف لنا آفاقاً لم يصل إليها فكر أو قلب بشر. وكان السيد المسيح يعلم أنه بدون الروح القدس لا يمكن أن يقترب فكر الإنسان إلى هذه الأقداس، لهذا نجد أن معظم أحاديث السيد المسيح عن الدينونة والحياة السمائية كانت على صورة أمثال، وقبل كل شيء أعلن هو عن ذاته بكل وضوح من هو:

"أنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (يوه ٥: ٢٨ - ٢٩).

"من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة" (يوه ٥: ٢٤)، "لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني: أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمهم في اليوم الأخير" (يوه ٦: ٤٠).

"هذه هي الدينونة: إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة" (يوه ٣: ١٩).

"كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاها سلطاناً أن يدين أيضاً، لأنه ابن الإنسان" (يوه ٥: ٢٦ - ٢٧).

"فكل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السموات، ولكن من يُكفّرني قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات" (مت ١٠: ٣٢ - ٣٣).

وفي صلاة مسموعة يقول: "أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم" (يوه ١٧: ٢٤).

وقال لتلاميذه: "في بيت أبي منازل كثيرة... أنا أمضي لأعد لكم مكاناً، وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وأخذكم إليّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً" (يوه ١٤: ٢ - ٣).

"فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يُجازي كل واحد حسب عمله" (مت ١٦: ٢٧).

وفي آخر مرة كان فيها السيد في الهيكل قبل الصليب تنبأ لهم في حديث طويل عن خراب الهيكل في اورشليم، وجعل من ذلك رمزاً لأحداث تحدث على مدى الزمان، ثم ذكر في النهاية علامات مجيئه لبيدين الإنسان ولهذا قال: "الحق أقول لكم: لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله" (مت ٢٤: ٢٤)، وقال في نفس النبوة: "حينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض، ويُبصرون ابن الإنسان آتياً على سحب السماء بقوة ومجد كثير. فيُرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح، من أقصاء السموات إلى أقصائها" (مت ٢٤: ٣٠ - ٣١). أي أن هناك تشابه متكرر في صورة الأحداث حيث كان أول الأحداث التي تحققت حسب هذه النبوة أنه نقض هيكل جسده على الصليب حسب قوله: "انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيام أقيمه" (يو ٢: ١٩)، وحدث وقتها أن أظلمت الشمس، وكان الحدث الثاني حينما دخل تيطس القائد الروماني وأخرب الهيكل سنة ٧٠ ميلادية، وهكذا أعطى السيد المسيح شجرة التين كمثال "متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها، تعلمون أن الصيف قريب" (مت ٢٤: ٣٢)، إشارة إلى تحقيق النبوة في عدة أحداث إلى أن ينتهي تحقيقها في اليوم الأخير، ولهذا لم يحدد ساعة محددة لتحقيق النبوة، ولكنه وضع العلامات التي تسبق كل حدث، ليأخذ كل جيل حذره، كما أنه شبه العلامات على الأحداث بالنسور التي تحوم محلقة في السماء إشارة إلى وجود جثة على الأرض (مت ٢٤: ٢٨).

أما عن الأمثال التي تحدت بها السيد المسيح عن الدينونة، ففي إحداها شبه العالم بحقل زرع إنسان، ويقصد بالإنسان هو بذاته السيد المسيح وقد زرع زرعاً جيداً. فأتى عدو ويقصد به الشيطان فزرع زواناً في الحقل. وحينما أراد العبيد أن يجمعوه قال لهم لا، لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه. دعوها إلى وقت الحصاد فيُجمع الزوان ويُحرق، والحنطة تذهب إلى مخزنه. ثم شرح لهم المثل "الحقل هو العالم. والزرع الجيد هو بنو الملكوت. والزوان هو بنو الشرير. والعدو الذي زرعه هو إبليس. والحصاد هو انقضاء العالم. والحصادون هم الملائكة. فكما يُجمع الزوان ويُحرق بالنار، هكذا يكون في انقضاء هذا العالم: يُرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع الماعثر وفاعلي الإثم، ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. حينئذ يُضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم" (مت ١٣: ٣٨ - ٤٣).

وفي مثل آخر قال: " أيضاً يُشبه ملكوت السموات شبكة مطروحة في البحر، وجامعة من كل نوع. فلما امتلأت أصدعوها على الشاطئ، وجلسوا وجمعوا الجياد إلى أوعية، وأمّا الأردياء فطرحوها خارجاً. هكذا يكون في انقضاء العالم: يُخرج الملائكة ويُفرزون الأشرار من بين الأبرار، ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان " (مت ١٣: ٤٧ - ٥٠).

وفي مثل آخر قال عن صاحب كَرَمٍ استدعى فعلة لكرمه أول النهار ثم آخرين خلال ساعات النهار حتى الساعة الحادية عشر أي آخر النهار. وكان قد اتفق مع الأولين على دينار في اليوم ثم أمر وكيله أن يبدأ بالفعلة الآخرين وأعطاهم ديناراً أيضاً. فلما احتج الأولون قال لهم: " يا صاحب، ما ظلمتك! أمّا اتفقت معي على دينار؟... أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بما لي؟ أم عينك شريفة لأنني أنا صالح؟ هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين، لأن كثيرين يُدعون وقليلين يُنتخبون " (مت ٢٠: ١٣ - ١٦).

وإن كانت الدينونة هي في نهاية أيام العالم وتُفاجئ البشر، فهكذا أيضاً تُفاجئ كل إنسان نهايته، لهذا قال هذا المثل: " أنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس، حتى إذا جاء وقَرَعَ يَفْتَحُونَ له للوقت. طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين ... وإنما اعلّموا هذا: أنه لو عَرَف رب البيت في أية ساعة يأتي السارق لسهر، ولم يدع بيته يُنقب. فكونوا أنتم إذا مُستعدين، لأنه في ساعة لا تَظُنون يأتي ابن الإنسان " (لو ١٢: ٣٦ - ٤٠).

ثم يحذر أصحاب التقوى الزائفة بقوله: " اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق، فإني أقول لكم: أن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون من بعد ما يكون رب البيت قد قام وأغلق الباب، وابتدأتم تقفون خارجاً وتقرعون الباب قائلين: يارب، يارب! افتح لنا. يُجيب، ويقول لكم: لا أعرفكم من أين أنتم! حينئذ تبتدون تقولون: أكلنا قدامك وشربنا، وعلمت في شوارعنا! فيقول: أقول لكم: لا أعرفكم من أين أنتم، تباعدوا عني يا جميع فاعلي الظلم! هناك يكون البكاء وصرير الأسنان، متى رأيتم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء في ملكوت الله، وأنتم مطروحون خارجاً. ويأتون من المشارق ومن المغارب ومن الشمال والجنوب، ويتكثرون في ملكوت الله. وهؤلاء الآخرون يكونون أولين، وأولون يكونون آخرين " (لو ١٣: ٢٤ - ٣٠).

وفي حثّه على عمل الخير قال هذا المثل: " متى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيُميَّز

بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم. لأنني جُعت فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني. كنت غريباً فأويتموني. عرياناً فكسوتهموني. مريضاً فرزتموني. محبوساً فأتيتم إليّ ... الحق أقول لكم: بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم. ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار: اذهبوا عني يا ملأعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملأئكته ... فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية" (مت ٢٥: ٣١-٤٦).

ولئلا ينخدع الإنسان بتقواه ويهمل التوبة، والثبات في المسيح بالتناول من جسد الرب ودمه، قال هذا المثل عن عشر عذارى، خمس جاهلات وخمس حكيماوات. وأخذت الحكيمات زيتاً في أنيتهن مع مصابيحهن وحينما تأخر العريس نغسن جميعهن ونمن. وحينما أتى العريس فكانت مصابيح الجاهلات تنطفئ. وحينما ذهب لبيتعن زيتاً دخلت الحكيمات إلى العرس وأغلق الباب. وحينما جاءت الجاهلات قلن: "يا سيد، يا سيد، افتح لنا! فأجاب وقال: الحق أقول لكن: أني ما أعرفكن. فاسهروا! إذا لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الإنسان (مت ٢٥: ١١-١٣).

كما شبه السيد المسيح المواهب التي يعطيها الله للإنسان بوزنة يلزم أن يتاجر بها ويربح من أجل مجد الله. فمن يربح بوزنته يقول له سيده: "نعماً أيها العبد الصالح والأمين! كنت أميناً في القليل فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك"، أما من يخفى وزنته، يقول له سيده: "أيها العبد الشرير والكسلان، عرفت أني أحصد حيث لم أزرع ... فكان ينبغي أن تضع فضتي عند الصيارفة، فعند مجيئي كنت أخذ الذي لي مع رباً. فخذوا منه الوزنة وأعطوها للذي له العشر وزنات. لأن كل من له يُعطى فيزداد، ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه. والعبد البطال اطرحوه إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصراير الأسنان" (مت ٢٥: ٢١-٣٠)، وهذا يعني أنه حتى ولو لم يأخذ الإنسان مواهباً فإن إيمانه بالسيد المسيح يجب أن يكون ظاهراً كشهادة حياة لحياة السيد المسيح فيه. وإلا يُحاسب الإنسان، وهو ما قصده السيد المسيح بفائدة الربا.

وفي مثل آخر يؤكد فيه ضرورة المعمودية لنوال الملكوت. تحدث عن ملكاً صنع عُرساً لابنه. وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين فتكاسل البعض عن الحضور فغضب عليهم الملك وقال للعبيد: " فاذهبوا إلى مفارق الطرق، وكل من وجدتموه فادعوه إلى العرس. فخرج أولئك العبيد إلى الطرق، وجمعوا كل الذين وجدوهم أشراراً وصالحين. فامتأل العرس من المتكئين. فلما دخل الملك لينظر المتكئين، رأى هناك إنساناً لم يكن لابساً لباس العرس حينئذ قال الملك للخدام: اربطوا رجله ويديه، وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وضرب الأسنان. لأن كثيرين يدعون وقليلين يُنتخبون " (مت ٢٢ : ٩ - ١٤).

ولأن الله يمتلك كل شيء، فإن الإنسان حتى إذا أجحف في حق ما يؤديه إلى الله في سبيل أن يعطيه للبشر فهذا يشفع له في الدينونة، وهو مثل وكيل الظلم الذي وُشي به لسيده أنه يبدّر أمواله، فما كان من الوكيل سوى أن أخذ الصكوك التي لسيده من عبيده وأعطاهم صكوكاً أخرى بقيمة أقل ليسترضيهم إذا ما طرده سيده. وهنا قال السيد المسيح: "... وأنا أقول لكم: اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم، حتى إذا فُتيم يقبلونكم في المظال الأبديّة " (لو ١٦ : ٩). والمعلوم أن الله لا يقبل عطية مصدرها شرير (تث ٢٢ : ١٨).

ويمكننا أن نختم بمثل أعطى فيه السيد المسيح لأحد أفراد المثل اسماً وهو لعازر، مما يعطي واقعية لحقيقة المثل. وهو أن إنسان غني كان يسكن أمامه إنسان فقير اسمه لعازر. كانت الكلاب تلحس قروحه بينما يشتهي أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغني ومات كلاهما فحملت الملائكة لعازر لحضن إبراهيم. أما الغني فذهب إلى الهاوية. فنادى وقال: " يا أبي إبراهيم، ارحمني، وأرسل لعازر لبيل طرف إصبه بماء ويبرد لساني، لأنني مُعذّب في هذا اللهب. فقال إبراهيم: يا ابني، أذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك، وكذلك لعازر البلبا. والآن هو يتعرّى وأنت تتعذّب. وفوق هذا كله، بينا وبينكم هوة عظيمة قد أُبُتت، حتى إن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرّون، ولا الذين من هناك يجتازون إلينا. فقال: أسألك إذاً، يا أبت، أن تُرسله إلى بيت أبي، لأن لي خمسة إخوة، حتى يشهد لهم لكي لا يأتوا هم أيضاً إلى موضع العذاب هذا. قال له إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء، ليسمعوا منهم. فقال: لا، يا أبي إبراهيم، بل إذا مضى إليهم واحد من الأموات

يتوبون. فقال له: إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء، ولا إن قام واحد من الأموات يُصدقون" (لو ١٦: ٢٤ - ٣١).

وأخيراً حينما أراد السيد المسيح أن يُظهر مجد الذين يقبلونه في مقابل هؤلاء الذين يرفضونه، فإنه أعلن أسفه على رؤساء اليهود الذين سيقفون في خجل أمام هؤلاء الصيادين البسطاء في يوم الدينونة. فقال لتلاميذه: "الحق أقول لكم: أنكم أنتم الذين تبغتموني، في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيّاً تُدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر ... ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين، وآخرون أولين" (مت ١٩: ٢٨ - ٣٠).

الآب والابن والروح القدس، والدينونة

العظة (٧٥)

الدينونة على لسان الآباء الرسل (أ) أسرار حول الدينونة

السيد المسيح حينما ظهر لتلاميذه والأبواب مغلقة ليلة قيامته، كانت مشاعرهم مزيجاً من الفرح والخوف. وقد ظل يُلقنهم أسرار ملكوت السموات في ظهوراته لهم طوال أربعين يوماً. أمّا حينما صعد عنهم إلى السماء، كانت مشاعرهم مزيجاً من الدهشة والترقب. فقد أبلغهم لحظة صعوده أنهم سيتعمدون بالروح القدس، وسينالون بذلك قوة ويكونون له شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض. وقد ظلوا ينظرون إلى السماء إلى أن أخفته سحبته عن أعينهم. ولكنهم ظلوا يراقبون السماء إلى أن وقف بهم رجلان بلباس أبيض، وقالا: "أيها الرجال الجليليون، ما بالكُم واقفين تنظرون إلى السماء؟ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه مُنتظلاً إلى السماء" (أع ١: ١١)، ولعلمهم في هذه اللحظات تذكروا قول السيد المسيح: "في بيت أبي منازل كثيرة ... أنا أمضي لأعد لكم مكاناً، وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وأخذكم إليّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً" (يو ١٤: ٢ - ٣)، كما أن وقوف الملاكين بهم، لعله ذكرهم أيضاً بقوله: "فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته. وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله" (مت ١٦: ٢٧).

أما حينما حلَّ عليهم الروح القدس فقد أدركوا أن الأرض ليست موطنهم إلى الدرجة أن "الأملّك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع، كما يكون لكل واحد احتياج" (أع ٢: ٤٥)، كما كشف لهم الروح القدس أسرار الملكوت السّمائي وذكّرهم بكل ما تحدّث إليهم به السيّد المسيح بهذا الخصوص ...

فيقول بطرس: "مُبارك الله أبوربنا يسوع المسيح، الذي حَسَبَ رحمته الكثيرة وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءِ حَيِّ، بَقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الْأَمْوَاتِ، لِمِيرَاثٍ لَا يَفْنَى وَلَا يَتَدَنَّسُ وَلَا يَضْمَحَلُّ مَحْفُوظٍ فِي السَّمَوَاتِ لِأَجْلِكُمْ، أَنْتُمْ الَّذِينَ بِقُوَّةِ اللَّهِ مَحْرُوسُونَ، بِإِيْمَانٍ، لِخَلَاصٍ مُسْتَعِدٍّ أَنْ يُعْلَنَ فِي الزَّمَانِ الْآخِرِ" (١بط ١: ٣-٥)، ويقول أيضاً: "مُنْتَظَرِينَ وَطَالِبِينَ سُرْعَةَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الَّذِي بِهِ تَنْحَلُّ السَّمَوَاتُ مُلْتَهَبَةً، وَالْعَنَاصِرُ مَحْتَرَقَةٌ تَذُوبُ. وَلَكِنَّا بِحَسَبِ وَعْدِهِ نَنْتَظِرُ سَمَوَاتٍ جَدِيدَةً، وَأَرْضاً جَدِيدَةً، يَسْكُنُ فِيهَا الْبَرُّ" (٢بط ٣: ١٢-١٣).

ويقول يهوذا الرسول: "القادر أن يحفظكم غير عاثرين، ويوقفكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج" (يه ٢٤).

ويتحدّث يعقوب الرسول عن الإنسان الذي "إذا تركي ينال إكليل الحياة الذي وعد به الرب" (يع ١: ١٢)، كما يقول: "افعلوا كمتيدين أن تُحاكموا بناموس الحربة" (يع ٢: ١٢)، ويقول أيضاً: "فأتأناو أيها الإخوة إلى مجيء الرب ... هوذا الديان واقف قدام الباب" (يع ٥: ٧-٩). ويقول يوحنا الرسول: "الآن أيها الأولاد اثبتوا فيه، حتى إذا أظهر يكون لنا ثقة، ولا نخجل منه في مجيئه" (١يو ٢: ٢٨)، ويقول أيضاً: "الآن نحن أولاد الله، ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو" (١يو ٣: ٢).

ولعله من الطبيعي أن تحتشد الدينونة بأسرار كثيرة لا يمكن أن يصل إليها فكر الإنسان. ولكن الله كشف عن بعض أسرارها التي تهم البشر أن يعرفوها. وذلك عن طريق شخصين، كان الأول هو بولس الرسول الذي "أُخْتُطِفَ إِلَى الْفَرْدُوسِ، وسمع كلمات لا يُنْطَقُ بِهَا، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها" (٢كو ١٢: ٤)، ولكنه أعلن عن بعض أسرار الدينونة والتي سنذكرها الآن، وكان الشخص الثاني هو يوحنا الرسول الذي كشف له السيّد المسيح أسراراً كثيرة أيضاً. ولعدم وجود ما هو نظير لها في الأرض ليشبهها بها فقد صارت له في رؤيا وهو في الروح. وكانت ممثلة بالرموز وقال له الرب

"فاكتب ما رأيت، وما هو كائن، وما هو عتيد أن يكون بعد هذا" (رؤ ١: ١٩)، وهو ما سنفرد له العظات الثلاثة التالية (كما أصدرنا كتاباً بهذا الخصوص بعنوان "مفتاح سفر الرؤيا (أو) علو الرؤية في سفر الرؤيا" للمؤلف).

أما عن الأسرار التي تحدث بها بولس الرسول فتوجزها في الآتي:

١- كان من أهم ما أعلنه القديس بولس الرسول هو أن الإنسان في القيامة، سيأخذ جسداً يكون على صورة جسد السيد المسيح، الذي تمجد به بالصليب والقيامة فقال: "الذي سيُغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده، بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء" (في ٣: ٢١)، وهو ما شرحه أيضاً في رسالة كورنثوس الأولى: هكذا أيضاً قيامة الأموات: يُزرع في فساد ويُقام في عدم فساد. يُزرع في هوان ويُقام في مجد. يُزرع في ضعف ويُقام في قوة. يُزرع جسماً حيوانياً ويُقام جسماً روحانياً. يوجد جسم حيواني ويوجد جسم روحاني. هكذا مكتوب أيضاً: صار آدم الإنسان الأول نفساً حية، وادم الأخير روحاً محيياً. لكن ليس الروحاني أولاً بل الحيواني، وبعد ذلك الروحاني. الإنسان الأول من الأرض تُرابي. الإنسان الثاني الرب من السماء ... وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي. فأقول هذا أيها الإخوة. إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ولا يرث الفساد عدم الفساد" (١كو ١٥: ٤٢ - ٥٠).

٢- يذكر أيضاً بولس الرسول حالة البشر الأحياء وقت القيامة، فيقول: "هوذا سر أقوله لكم: لا نرقد كلنا، ولكننا كلنا نتغيّر، في لحظة في طرفة عين، عند البوق الأخير. فإنه سيُبوق فيقام الأموات عديمي فساد، ونحن نتغيّر. لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت" (١كو ١٥: ٥١ - ٥٣).

ويكمّل السر في رسالة تسالونيكي الأولى "إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام، فكذلك الراقدون بيسوع، سيُحضرهم الله أيضاً معه. فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب: إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نُسبق الراقدين. لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة وبوق الله، سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سُخْطَف جميعاً معهم في السُحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب" (١ تس ٤: ١٤ - ١٧)، ويكمّل الشرح في رسالة كورنثوس الثانية "ونحن جميعاً نأظرين مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآة نتغيّر إلى تلك الصورة عنها، من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح" (٢ كو ٣: ١٨).

٣ - يذكر بولس الرسول إمكانية معاقبة الله للإنسان على الأرض على خطية قد ارتكبها لكي يلفت نظره ويؤدبه وبالتالي يعفيه من عقاب قد يلحق به في الدينونة. فيذكر عن الذين يتقدمون إلى التناول من جسد الرب ودمه بدون استحقاق أي بدون اعتراف وتوبة أو بعدم إيمان في السر فيقول: "من أكل من هذا الخبز، أو شرب كأس الرب، بدون استحقاق، يكون مجرمًا في جسد الرب ودمه. ولكن ليمتنح الإنسان نفسه، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس. لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه، غير مميز جسد الرب. من أجل هذا فيكم كثيرون ضُعفاء ومرضى، وكثيرون يرقدون. لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا، ولكن إذ قد حكم علينا، نؤدب من الرب لكي لا نُدان مع العالم" (١ كو ١١: ٢٧ - ٣٢).

٤ - يشرح القديس بولس كيفية محاسبة الله للذين لم يكن لهم ناموس، والذين صار لهم الناموس وهم اليهود، والذين حصلوا على نعمة الإيمان بخلاص السيد المسيح ونالوا موهبة الروح القدس. وهو قانون كان السيد المسيح قد أعلنه بقوله: "فكل من أعطي كثيراً يطلب منه كثير، ومن يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر" (لو ١٢: ٤٨)، فيقول بولس في رسالة رومية: "الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله ... لأن ليس عند الله مُحَابَاة ... لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس، متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم، الذين يُظهرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم، شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مُشْتَكِيَةً أو مُحتَجَّةً، في اليوم الذي يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي يسوع المسيح" (رو ٢: ٦، ١١، ١٤ - ١٦)، "لأن كل من أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك. وكل من أخطأ في الناموس فبالناموس يُدان" (رو ٢: ١٢).

٥ - يوضح بولس الرسول أيضاً أنه في الدينونة سيضع الله تقديماً لما يضعه الإنسان لخدمة الله فيقول: "إنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وضع، الذي هو يسوع المسيح. ولكن إن كان أحد يبني على هذا الأساس: ذهباً، فضة، حجارة كريمة، خشباً، عُشْباً قشاً، فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيُبينه. لأنه بنار يُستعلن، وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو. إن بقي عمل أحد قد بناه عليه فسيأخذ أُجْرَةً. إن احترق عمل أحد فسيخسر، وأما هو فسيخلص، ولكن كما بنار" (١ كو ٣: ١١ - ١٥).

٦- يتحدث بولس الرسول عن عمل شيطاني ضد المسيح تبلغ ذروته قبل مجيء السيد المسيح الثاني، ويتسبب في ارتداد المؤمنين. وإن كان بولس الرسول يتحدث عن "إنسان الخطية ابن الهلاك" (٢ تس ٢: ٣)، فلا شك أن هذا الإنسان سيفرض معتقداً خاطئاً يضلل به الناس عن خلاص السيد المسيح. ويكشف بولس الرسول أن جذور المعتقد الخاطئ مبثوثة منذ أيام بولس نفسه "لأن سر الإثم الآن يعمل فقط، إلى أن يُرفع من الوسط الذي يحجز الآن" (٢ تس ٢: ٧)، وهو ما يؤكد يوحنا الرسول بقوله: "كل روح لا يعترف يسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد، فليس من الله وهذا هو روح ضد المسيح الذي سمعتم أنه يأتي، والآن هو في العالم" (١ يو ٤: ٣)، ولهذا، لعل ما يتحدث عنه بولس الرسول وقت مجيء السيد المسيح ربما هو الشخص نفسه أو المعتقد، ولهذا يكمل ويقول: "حينئذ سيُستعلن الأثيم، الذي الرب يُبيده بنفخة فمه، ويُبطله بظهور مجيئه. الذي مجيئه بعمل الشيطان، بكل قوة، وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم، في الهالكين، لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا. ولأجل هذا سُرسل إليهم الله عمل الضلال، حتى يُصدّقوا الكذب، لكي يُدان جميع الذين لم يُصدّقوا الحق، بل سُرّوا بالإثم" (٢ تس ٢: ٨-١٢)، ولأن هذا الضلال تزداد سطوته قبل مجيء المسيح فإن بولس الرسول يكشف هذا السر بقوله: "نسألكم أيها الإخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه، أن لا تتزعزعا سريعا عن ذهنكم، ولا تتراعوا، لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا: أي أن يوم المسيح قد حضر. لا يخدعكم أحد على طريقة ما، لأنه لا يأتي إن لم يأت الارتداد أولاً، ويُستعلن إنسان الخطية، ابن الهلاك، المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى إلهاً أو معبوداً" (٢ تس ٢: ١-٤)، والمعروف أن سفر الرؤيا يؤيد القديس بولس الرسول بهذا الخصوص.

٧- يكشف بولس الرسول أمراً عجيباً حينما يقول: "أستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم؟ فإن كان العالم يُدان بكم، أفانتم غير مُستأهلين للمحاكم الصُغرى؟ أستم تعلمون أننا سَدين ملائكة؟ فبالأولى أمور هذه الحياة! فإن كان لكم محاكم في أمور هذه الحياة، فاجلسوا المحقرين في الكنيسة قضاة!" (١ كو ٦: ٢-٤)، ولا شك أن القديس بولس لا يقصد أننا سنحاكم الملائكة على أفعالهم، بل إن قداسة القديسين من البشر ستقف مصدر خزي للملائكة الذين سقطوا، وذلك لأن الدينونة هي للسيد المسيح وحده. ولكن ما

ذكره القديس بولس الرسول كان لكي يحث أهل كورنثوس أن لا يكون هناك خلاف بين المؤمنين، فيستدعيهم ذلك إلى أن يقفوا أمام محاكم العالم بدلاً من أن يتصالحوا بحكمة السيد المسيح.

هكذا نرى أن هناك أسراراً كثيرة تحيط بحقيقة الدينونة. ولهذا فإن الآباء الرسل قد أشاروا إليها بتعبيرات عن حقائقها وذلك كمثل ما تحدثوا عن سر الآب والابن والروح القدس الغير مُدرك بتعبيرات متعددة قد سبق وذكرناها. والآن إلى هذه التعبيرات عن الدينونة.

الآب والابن والروح القدس، والدينونة

العظة (٧٦)

الدينونة على لسان الآباء الرسل (ب) تعبیر الدينونة ومعانيها

كلمة "الدينونة" تعني ذلك اليوم الذي يظهر فيه ابن الله الوحيد الذي تجسد وفدى البشر، وصعد بجسد القيامة وأرسل الروح القدس ليعطي الإنسان الخليقة الجديدة. وكان هو شافعاً عن جنس البشر أمام الله أبيه، إلى هذا اليوم الذي فيه سيحاسب البشر الأحياء والأموات - حتى الملائكة الأشرار - الذين لم يحفظوا رئاستهم (يه ٦). وفي هذا اليوم سيعرف كل واحد مصيره الأبدي، ولهذا فإن تعبير "الدينونة" قد يُطلق أيضاً على تلك الحياة التي ستبغ ذلك اليوم العظيم. أي أن ما سبق وتحدثنا به عن الحياة الأبدية ينطبق على الحياة بعد دينونة ذلك اليوم العظيم.

فاذا أتينا إلى تعبير يوم الدينونة فإن الآباء الرسل يعطونه التعبيرات الآتية:

أولاً: "زوال العالم" يقول بولس الرسول: "الوقت منذ الآن مُقصر، لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم، والذين يكون كأنهم لا يكون، والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون، والذين يشتررون كأنهم لا يملكون، والذين يستعلمون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه. لأن هيئة هذا العالم تزول" (١ كور ٢٩: ٢٩ - ٣١)، وهو ما عبّر عنه يعقوب الرسول بقوله: "ما هي حياتكم؟ إنها بخار، يظهر قليلاً ثم يضمحل" (يع ٤: ١٤)، إشارة إلى زوال العالم بالنسبة لكل إنسان

يفارق الحياة. ثم نجد ما قال عنه بطرس الرسول: "سيأتي كلص في الليل، يوم الرب، الذي فيه تزول السموات بضجيج، وتنحل العناصر مُحترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها" (٢ بط ٣: ١٠).

ثانياً: يُسمى أيضاً اليوم الأخير أنه يوم "ظهور المسيح" أو "انتظار المسيح" أو "مجيء المسيح"، ولأن ظهوره سيكون بمجد عظيم يقال أيضاً أنه: "ظهور مجد ربنا يسوع المسيح". وكما أن يوم مجيء الرب يكون مفاجئاً لهذا فإن التعبير ينطبق أيضاً على نهاية حياة كل إنسان على الأرض.

أما النصوص عن المجيء فتقول: "أما الأزمنة والأوقات فلا حاجة لكم أيها الإخوة أن أكتب إليكم عنها، لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلص في الليل هكذا يجيء. لأنه حينما يقولون: سلام وأمان، حينئذ يفاجئهم هلاك بفتنة، كالمخاض للحبلى، فلا ينجون" (١ تس ٥: ١-٣). "لكي يُثبت قلوبكم بلا لوم في القداسة، أمام الله أبينا في مجيء ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه" (١ تس ٣: ١٣).

"والله السلام نفسه يُقدّسكم بالتمام. ولتُحفظ روحيكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح" (١ تس ٥: ٢٣).

"فتأثروا أيها الإخوة إلى مجيء الرب. هوذا الفلاح ينتظر ثمر الأرض الثمين، مُتأنياً عليه حتى ينال المطر المبكر والمتأخر. فتأثروا أنتم وثبتوا قلوبكم، لأن مجيء الرب قد اقترب" (يع ٥: ٧-٨). أما النصوص عن يوم الدينونة كظهور للسيد المسيح فتقول:

"أوصيك أمام الله الذي يُحيي الكل، والمسيح يسوع الذي شهد لدى بيلاطس البنطاي بالاعتراف الحسن: أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح" (١ تي ٦: ١٣-١٤). "لأنه قد ظهرت نعمة الله المُخلّصة لجميع الناس، مُعلّمة إيانا أن نُنكر الفجور والشهوات العالمية... مُنتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح" (١ تي ٢: ١١-١٣). "وكما وُضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة، هكذا المسيح أيضاً، بعدما قُدّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه" (عب ٩: ٢٧-٢٨).

"قد ذاع إيمانكم بالله... وتنتظروا ابنه من السماء، الذي أقامه من الأموات، يسوع، الذي يُنقذنا من الغضب الآتي" (١ تس ١: ٨-١٠).

"عادل عند الله أن الذين يُضايقونكم يُجازيهم ضيقاً، وإياكم الذين تتضايقون راحةً معنا، عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوّته، في نار لهيب، مُعطيّاً ثَمّةً للذين لا يعرفون الله، والذين لا يُطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيُعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوّته، متى جاء ليتمجد في قدّيسه ويُعجّب منه في جميع المؤمنين" (٢ تس ١: ٦-١٠).

"فإن كنتم قد قُمتُم مع المسيح فاطلبوا ما فوق، حيث المسيح جالس عن يمين الله ... لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مُسترة مع المسيح في الله. متى أظهر المسيح حياتنا، فحينئذ نُظهِرون أنتم أيضاً معه في المجد" (كو ٣: ١-٤).

"القادر أن يحفظكم غير عاثرين، ويوقفكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج" (به ٢٤).
أما إذا أتينا إلى تعبير "الدينونة" بمعنى الحياة بعد ذلك اليوم العظيم، فإنه بالنسبة للأبرار فإن الحياة مع المسيح على الأرض - كما سبق وذكرنا - هي "عربون" للحياة الأبدية، لهذا فإن بعض التعبيرات التي تتحدث عن معرفه سر الآب والابن والروح القدس والتي ذكرناها في العظات من (٦١) إلى (٧١) لتعبّر عن هذا السر، فإنها تنطبق على تعبيرات الحياة في السماء ومنها تعبير "البنوة لله" و"الوراثة لله" و"الخطبة للمسيح" و"الوعد" و"معرفه الله" و"الميراث" إلى آخر تلك التعبيرات السابق ذكرها. ولكن الآباء الرسل يتحدثون عن الحياة مع المسيح في السماء بتعبيرات أخرى لكي يقتربوا من وصف تلك الحياة التي لا تخطر على بال إنسان. ومن هذه التعبيرات:

نملك مع المسيح : "أنا أصبر على كل شيء لأجل المُختارين، لكي يحصلوا هم أيضاً على الخلاص الذي في المسيح يسوع، مع مجد أبدي. صادقة هي الكلمة: أنه إن كنا قد مُتنا معه فسنحيا أيضاً معه. إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه" (٢ تي ٢: ١٠-١٢).

الملكوت والمجد: "نشهدكم لكي تسلكوا كما يحق لله الذي دعاكم إلى ملكوته ومجده" (٢ تس ٢: ١٢).

لذلك ونحن قابلون ملكوتاً لا يترزعزع، ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمه مُرضية (عب ١٢: ٢٨)، "لأنه لاق بذاك الذي من أجله الكل وبه الكل، وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد، أن يُكمل رئيس خلاصهم بالآلام" (عب ٢: ١٠).

لبس الإكليل: "جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيراً قد وُضع لي إكليل البرّ، الذي يهبه لي في ذلك اليوم، الرب الديّان العادل، وليس لي فقط، بل لجميع الذين يُحبّون ظُهوره أيضاً" (٢ تي ٤ : ٧-٨).

متى ظهر رئيس الرُعاة تالون إكليل المجد الذي لا يبلى " (١ بط ٥ : ٤).
لدخول إلى راحته: "فلنخف، أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته، يُرى أحد منكم أنه قد خاب منه!... فلنجهّد أن ندخل تلك الراحة، لنلا يسقط أحد في عبرة العصيان هذه عينها" (عب ٤ : ١، ١١).

الدخول إلى ما وراء الحجاب: (إشارة إلى حجاب الهيكل الذي لم يكن يدخله إنسان سوى رئيس الكهنة مرة واحدة في السنة) "لنمسك بالرجاء الموضوع أماناً، الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة، تدخل إلى ما داخل الحجاب، حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا، صائراً على رُتبة ملكي صادق، رئيس كهنة إلى الأبد" (عب ٦ : ١٨-٢٠).

"فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كَرَّسه لنا حديثاً حياً، بالحجاب، أي جسده، وكاهن عظيم على بيت الله" (عب ١٠ : ١٩-٢١)، ولهذا حدث حينما أسلم السيد المسيح الروح على الصليب أن حجاب الهيكل قد انشق.
الوطن السماوي: "بلايمان إبراهيم لما دُعِيَ أطاع ... بالإيمان تَقَرَّب في أرض الموعد ... لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات، التي صانعها وبارئها الله" (عب ١١ : ٨ - ١٠).

في الإيمان مات هؤلاء أجمعون، وهم لم ينالوا المواعيد، بل من بعيد نظروها وصدّقوها وحيّوها، وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض ... ولكن الآن يتبنون وطناً أفضل، أي سماوياً. لذلك لا يستحي بهم الله أن يدعى إلههم، لأنه أعد لهم مدينة" (عب ١١ : ١٣-١٦).

لأن ليس لنا هنا مدينة باقية، لكننا نطلب العتيدة" (عب ١٣ : ١٤).
مدينه الله، جبل صهيون، محفل ملائكة، كنيسة أبرار، أورشليم السماوية:
"قد أتيتم إلى جبل صهيون، وإلى مدينة الله الحي، أورشليم السماوية، وإلى ربوات هم محفل ملائكة، وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات، وإلى الله ديّان الجميع، وإلى أرواح أبرار مكملين، وإلى وسيط العهد الجديد، يسوع" (عب ١٢ : ٢٢-٢٤).

"كان لإبراهيم ابنان، واحد من الجارية والآخر من الحرّة ... لأن هاتين هما العهدان، أحدهما من جبل سيناء، الوالد للعُبودية، الذي هو هاجر ... ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة، فإنها مُستعبدة مع بنيتها. وأما أورشليم العلّيا، التي هي أُمّا جميعاً، فهي حرّة" (غل ٤: ٢٢-٢٦).

بناء من الله وتغيير الصورة: ويقصد بها الجسد السماوي:
"لأننا نعلم أنه إن نُقِض بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السموات بناء من الله، بيت غير مصنوع بيد، أبدي" (٢كو ٥: ١).

"ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآة، نتغير إلى تلك الصورة عينها، من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح" (٢كو ٣: ١٨).

الخلود: "الذي خَلَصنا ودعانا دعوة مُقدّسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنّعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أظهرت الآن بظهور مُخلّصنا يسوع المسيح، الذي أبطل الموت وأثار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل" (٢تي ١: ٩-١٠).

الآب والابن والروح القدس، وسفر الرؤيا^(١)

العظة (٧٧)

ملاح سفر الرؤيا

ذكرنا في حديثنا عن الدينونة أنه أتيح لشخصين أن يطلعا على بعض أسرارها من خلال استعلان روحي، وهما بولس الرسول الذي أُختطف إلى الفردوس، فذكر لنا كثيراً من أحداث اليوم الأخير كما ذكرنا في العظة (٧٥)، ثم يوحنا البشير الذي كتب سفر الرؤيا الذي بدأه بقوله ..

"إعلان يسوع المسيح، الذي أعطاه إياه الله، ليُري عبده ما لا بُد أن يكون عن قريب ... سلام من الكائن والذي كان والذي يأتي، ومن السبعة الأرواح التي أمام عَرْشه، ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين، البكر من الأموات، ورئيس ملوك الأرض: الذي أحبنا، وقد غَسَلنا من خطايانا بدمه، وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبوه" (رؤا ١: ٦-٦).

(١) انظر كتاب مفتاح سفر الرؤيا (أو) علو الرؤية في سفر الرؤيا للمؤلف.

وأكمل يقول: "كنت في الجزيرة التي تُدعى بطمُس من أجل كلمة الله، ومن أجل شهادة يسوع المسيح. كنت في الروح في يوم الرب،^(٢) وسمعت ورائي صوتاً عظيماً كصوت بوق قائلاً: أنا هو الألف والياء. الأول والآخر. والذي تراه، اكتب في كتاب" (رؤ ١: ٩-١١).

ثم قال أيضاً: "فالتفتُ لأنظر الصوت الذي تكلم معي. ولما التفتُ رأيت ... شبه ابن إنسان، مُتسربلاً بثوب إلى الرِّجلين، ومُتمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب. وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج، وعيناه كلهيب نار. ورجلاه شبه النحاس اللّقي كأنهما محميتان في أتون. وصوته كصوت مياه كثيرة ... وسيف ماضي ذو حدين يخرج من فمه، ووجهه كالشمس وهي تُضيء في قوتها. فلما رأيته سقطت عند رجله كميث، فوضع يده اليمنى عليّ قائلاً لي: لا تخف، أنا هو الأول والآخر، والحيُّ وكنت ميتاً، وما أنا حيٌّ إلى أبد الأبدين! آمين. ولي مفاتيح الهاوية والموت. فاكتب ما رأيته، وما هو كائن، وما هو عتيد أن يكون بعد هذا" (رؤ ١: ١٢-١٩).

كان يوم الرب هو أول الأسبوع الذي يكسر فيه التلاميذ الخبز (أع ٢٠: ٧)، وكان يوحنا منفياً في جزيرة بطمس بسبب إيمانه وتبشيره. ثم عبّر عن رؤياه أنه "كان في الروح" وهو تعبير يعني أنه فقد إحساسه بالعالم المنظور. وكانت أول رؤياه هي استعلان السيد المسيح له بصورة ممجدة، لم يقوَ على الوقوف أمامها. وكانت لا تضاهي بما رآه يوم أن كان على الجبل مع بطرس ويعقوب ولم يحتملوا أيضاً أن ينظروا إليه. فقد رآه هنا في الرؤيا بصورة شبه ابن إنسان بأوصاف عجيبة تفوق بكثير عما رآه على الجبل. لأنه ظهر ببعض من صورته الإلهية. فقد كان متمنطقاً عند حقويه بمنطقة من ذهب تفوق زنار رئيس الكهنة في العهد القديم (خر ٣٩: ٥). ورأسه وشعره كالصوف الأبيض كالثلج لأنه الأزلي القديم الأيام كما رأى دانيال (دا ٧: ٩)، وعيناه كلهيب نار لأنه فاحص القلوب والكلى (مز ٧: ٩)، (رؤ ٢: ٢٣)، وصوته كصوت مياه كثيرة لأنه حياة متدفقة منسكبة كما قال: "إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب" (يو ٣٧: ٢)، وسيف حاد ذو حدين يخرج من فمه لأنه كلمة الله الفاصل بين حكم الموت والحياة "من يسمع كلامي ... فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة" (يو ٥: ٢٤)، ووجهه كالشمس في قوتها لأنه "ساكناً في

(٢) يقصد يوم الأحد.

نور لا يُدنى منه " (١٦: ٦)، وهو رئيس ملوك الأرض لأنه " جعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه " (رؤا ٦: ١) .

ويمكننا هنا من هذه الفقرة القصيرة من سفر الرؤيا أن نتعرف على بعض ملامح سفر الرؤيا. لأن الرؤيا ليست أحداثاً تاريخية متتابعة، كما أنه ليس بالضرورة أن تأخذ الصورة التي نراها في الواقع الذي نعيش فيه، ولكننا - كما رأينا - فإن الصورة التي رآها يوحنا للسيد المسيح تحمل ملامح من أوصاف الأنبياء له في العهد القديم وهو ما جعل من سفر الرؤيا أن يكون جامعاً لأسرار العهد القديم التي تحققت في العهد الجديد. وأن مجموع الأسرار في العهدين هي ومضات لحقائق سمائية سوف تستعلن للإنسان بعد أن يخلع جسده الترابي، وهو ما جعل يوحنا يرى مثل هذه الرؤيا "وهو في الروح" وقد سمع يوحنا صوت السيد المسيح في الرؤيا كصوت بوق والمعروف أن البوق لا يتحدث بكلمات ولعل هذا يوحي بأن المخاطبة في السماء لا تحتاج إلى لغة محددة بل هي انتقال فكر إلى فكر كحديث!

ولأننا هنا سنكتفي فقط بملامح سر الأب والابن والروح القدس في سفر الرؤيا لكن يلزمنا أن نشير إلى بعض خصائص هذا السفر...

فالسفر يتحدث عن رسائل يرسلها السيد المسيح إلى كنائس سبعة ومنها يشجعهم مقابل متاعبهم، ويوبخهم على أخطائهم ويقدم لهم وصيته ثم يكشف لهم بعض من مكافآتهم السمائية، وبذلك يلفت النظر إلى حقائق سمائية لا تخلو من الرمز مثل الأكل من شجرة الحياة التي في فردوس الله (رؤ ٢: ٧) والأكل من المن الخفي (رؤ ٢: ١٧) أي الشعب بالسيد المسيح ونوال الإنسان كوكب الصبح (رؤ ٢: ٢٨)، أي الاستتارة، ويسكن الإنسان أورشليم الجديدة (رؤ ٢: ١٢) أي الوجود في حضرة الله. كما تظهر أيضاً صوراً أخرى فائقة تنتهي بأن يجلس الإنسان مع السيد المسيح في عرشه (رؤ ٣: ٢١)، وهو معنى يفوق الفكر الإنساني ولم يخطر يوماً ببال إنسان. ولهذا قال السيد المسيح في رؤياه أنه جعلنا ملوكاً وكهنة.

كما أن سفر الرؤيا يتحدث بصورة نبوية عن أحداث تحدث في الزمان على غرار ما تحدث به أنبياء العهد القديم مثل دانيال، بل أنه يتحدث بلغة دانيال حينما يتكلم

عن زمان وزمانين ونصف زمان (دا ١٢: ٧)، (رؤ ١٢: ١٤)، كما يصف يوحنا صورة عجيبة لعرس في السماء تتفق مع ما ذكره حزقيال وإشعيا في نبواتهم. وكذلك سمع تسابيح قيلت في نبوة إشعيا. أضيف إليها تسابيح جديدة مع إتمام فداء السيد المسيح. وكذلك نرى في سفر الرؤيا الصراع القائم بين النور والظلمة، ونرى صوراً متعددة للشيطان المشتكي على جنس البشر. ثم نرى في النهاية سقوطه الأبدى مع كافة الأشرار. ومع نهاية السفر نجد السيد المسيح منتصراً وغالباً ثم نرى مشاهد رمزية لأورشليم السماوية أي مسكن الله مع الناس. على أن هناك بعض ما رآه يوحنا لم يُسمح له أن يكتبه. مثل ما قالته الرعود السبعة (رؤ ١٠: ٤)، والآن نتابع بعض ملامح السفر عن الآب والابن والروح القدس.

الآب والابن والروح القدس، وسفر الرؤيا

العظة (٧٨)

السيد المسيح في سفر الرؤيا

تحدثنا سابقاً عن سر المسيح، وهو الابن في سر الآب والابن والروح القدس الذي صار وسيطاً بين الله والناس، وهو الذي تجسد في الزمان وكان هذا التجسد سرّاً مكتوماً من قبل خلقه العالم والإنسان. كما كان التجسد استعلاناً لمحبة الله الخالقة والفادية التي جعلت للكائنات المخلوقة شركة ووراثة في المجد السمائي. وقد ذكرنا مراراً أن الجوهر الإلهي غير منظور حتى أن الملائكة تخفي وجوهاً أمام مجده. وعلى ذلك فإن سر المسيح هو الذي أوجد هذه العلاقة بين الله والناس، حيث أنه لم ينفصل عن جوهر الله ولكنه جعله ملموساً ومنظوراً، وجعل البشر يلتحفون بمجد السمائيات. ومع تمجيد السيد المسيح للعجينة البشرية التي أخذها من السيدة العذراء بالروح القدس، وذلك من خلال صليبه وقيامته وصعوده إلى السماء، فقد جعل هذا أيضاً سبيلاً للملائكة أن تنظره.

وقد ذكرنا أيضاً أن السيد المسيح بجسده الممجّد في السماء صار رئيس كهنة شفيعاً عن جنس البشر بذبيحته، طالما كانت هذه الأرض قائمة، وهذا أيضاً أحد

جوانب سر المسيح. وهكذا كانت رؤيا يوحنا استطلاعاً لبعض جوانب هذا السر. ولهذا بعث بسلامه من السماء بعد رؤياه: "من يسوع المسيح الشاهد الأمين، البكر من الأموات، ورئيس ملوك الأرض: الذي أحبنا، وقد غسلنا من خطايانا بدمه، وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه، له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين. آمين. هوذا يأتي مع السحاب، وستنظرونه كل عين، والذين طعنوه ... أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي، القادر على كل شيء" (رؤ ١: ٥-٨).

وقد رأى يوحنا السيد المسيح في الرؤيا بشيء من مجده الإلهي كما سبق وذكرنا، وهو ما لم يقدر أن يتحمّله فوق كميته عند قدميه ولكن السيد المسيح أقامه قائلاً "لا تخف" (رؤ ١٧: ١٧). وقد كان في الصورة المجدة التي رآها يوحنا للسيد المسيح ملامح مما ذكره الأنبياء في العهد القديم، مما يؤكد قول الآباء الرسل أن الله "إذ سبق قَتِينَا للتبني يسوع المسيح لنفسه، حسب مَسْرَّة مشيئته" (أف ١: ٥)، ويعيرون النبوة كانت رؤية الأنبياء للسيد المسيح قبل زمن الفداء هي حسب قول السيد المسيح: "ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء" (يو ٣: ١٣)، أي بمعنى آخر أنه لا توجد رؤية للجوهر الإلهي إلا في المسيح. ولعل هذا هو السبب في تعبير يوحنا في رؤيته لهذه الصورة بقوله: "شبه ابن إنسان" (رؤ ١: ١٣).

وبعد ذلك تصف الرؤيا السيد المسيح كأسد وقد كان هذا التعبير عن هذا السر في الرؤيا بالصورة التالية "ورأيت على يمين الجالس على العرش سيفراً مكتوباً من داخل ومن وراء، مختوماً بسبعة خُتوم. ورأيت ملاكاً قوياً يُنادي بصوت عظيم: من هو مستحق أن يفتح السَّفر ويفك ختومه؟. فلم يستطع أحد في السماء ولا على الأرض ولا تحت الأرض أن يفتح السَّفر ولا أن ينظر إليه. فصرت أنا أبكي كثيراً، لأنه لم يوجد أحد مُستحقاً أن يفتح السَّفر ويقراه ولا أن ينظر إليه. فقال لي واحد من الشيوخ: لا تبك. هوذا قد غَلَبَ الأسد الذي من سبط يهوذا، أصل داود، ليفتح السَّفر ويفك ختومه السَّبعة" (رؤ ٥: ١-٥)، وهكذا يتضح أن كل البشر إن لم يتعرفوا على السيد المسيح - الأسد من سبط يهوذا - سوف يظلون باكين ومتحسرين ومتخبطين لا يدركون هدف وجودهم ولا حقيقة نهايتهم، حتى يروا هذا السفر مفتوحاً بيد ذلك الأسد لكي يفهموا مقاصد الله.

والعجيب أننا إذا عدنا لسفر التكوين سنرى الآتي "دعا يعقوب بنيه وقال: اجتمعوا لأنبئكم بما يُصيبكم في آخر الأيام ... يهوذا، إياك يَحْمَدُ إخوتك، يدك على قَفا أَعْدَانك، يسجد لك بَنُو أَيْبِكَ. يهوذا جَرَّوْ أَسَد، من فريسة صعدت يا ابني، جَثًّا وَرَبَضْ كَأَسَدٍ وَكَلْبَوَّةٌ. من يُنْهَضُهُ؟ لا يزول قضيب من يهوذا ومُشْتَرَعٌ مَن بَيْنَ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شَيْلُون^(١) وله يكون خضوع شعوب. رابطاً بالكرمة جَحْشُهُ، وبالْجَفْنَةِ ابْنِ أَثَانِهِ، غَسَلَ بِالْخَمْرِ لِبَاسَهُ وَبَدَمَ الْعَنْبَ ثَوْبَهُ" (تك ٤٩: ١-١١)، ولعل اللسان يقف عاجزاً عن التعبير حينما يرى أول أسفار الكتاب المقدس تتحدث عن الأسد من سبط يهوذا ثم يعود ذكره في آخر أسفار الكتاب المقدس ذاكراً القضيبي إشارة إلى الملك، والمُشْتَرَع إشارة إلى عمل الروح القدس في القلب، والكرمة التي صرنا أغصاناً لها، والجحش وابن الأتان الذي دخل بهما إلى أورشليم كملك. ودمه الذي تخضب به جسده ولباسه، والخمر أي دم العنب الذي قدّمه لتلاميذه كدمه قبل أن يقدمه على الصليب!! وعلى أساس هذا العمل الفدائي الذي للسيد المسيح والذي وصفته النبوة "بالأسد" فإن هذه الصورة المجددة التي رآها يوحنا في "شبه ابن إنسان" والتي لم يتحمل رؤيتها، نجدها تتحول مباشرة في الرؤيا إلى "خروف" كالآتي:

"ورأيت فإذا في وسط العرش والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح، له سبعة قُرُونٌ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللَّهِ الْمُرْسَلَةِ إِلَى كُلِّ الْأَرْضِ. فَاتَى وَأَخَذَ السُّفْرَ مِنْ يَمِينِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ. وَلَمَّا أَخَذَ السُّفْرَ خَرَّتِ الْأَرْبَعَةُ الْحَيَوَانَاتُ وَالْأَرْبَعَةُ وَالْعَشْرُونَ شَيْخاً أَمَامَ الْخُرُوفِ، وَلَهُمْ كُلٌّ وَاحِدٌ قَبْثَارَاتٌ وَجَامَاتٌ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٌ بِخُوراً هِيَ صَلَوَاتُ الْقَدِيسِينَ. وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ: مُسْتَحَقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السُّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لِأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا لِلَّهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ، وَجَعَلْتَنَا لِإِلَهِنَا مُلُوكاً وَكَهَنَةً" (رؤ ٥: ٦-١٠).

ثم تستمر الرؤيا ليرى يوحنا بعدها مائة وأربعة وأربعون ألفاً من أسباط بني إسرائيل، وقد ختموا على جباههم بختم الله الحي وبعد هذا يرى "جَمْعٌ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعْدَهُ، مِنْ كُلِّ الْأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَاللُّسُنَةِ، وَاقْفُودٌ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْخُرُوفِ، مُتَسَرِّبِينَ بِثِيَابٍ بَيْضٍ وَفِي أَيْدِيهِمْ سَعَفُ النَّخْلِ وَهُمْ يَصْرُخُونَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ: الْخَلَاصُ لِإِلَهِنَا الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخُرُوفِ" (رؤ ٧: ٩-١٠).

(١) أي أمان وسلام.

وبعد ذلك يظهر السيد المسيح في صورته الأولى الممجة حينما يعاقب هؤلاء الذين يسجدون للوحش - أي يتبعون الشيطان وأعماله - فيراه يوحنا بهذه الصورة " ثم نُظِرْتُ وإذا سحابة بيضاء، وعلى السحابة جالس شبه ابن إنسان، له على رأسه إكليل من ذهب، وفي يده منجلٌ حادٌ. وخرج ملاك آخر من الهيكل، يصرخ بصوت عظيم إلى الجالس على السحابة: أرسل منجلك واحصد، لأنه قد جاءت الساعة للحصاد، إذ قد يَبَس حصيد الأرض. فألقى الجالس على السحابة منجله على الأرض، فحُصِدَت الأرض " (رؤ ١٤: ١٦).

ثم تستمر الرؤيا ليرى فيها يوحنا هزيمة الشيطان أمام السيد المسيح بالصورة الآتية: " ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا فرس أبيض والجالس عليه يُدعى أميناً وصادقاً، وبالعدل يَحْكُم ويُحارب. وعيناه كلهيب نار، وعلى رأسه تيجان كثيرة، وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو. وهو مُتسربل بثوب مغموس بدم، ويدعى اسمه كلمة الله. والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض، لابسين بزاً أبيض ونقيّاً. ومن فمه يخرج سيف لكي يضرب به الأمم. وهو سيرعاهم بعضاً من حديد، وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء. وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب: ملك الملوك ورب الأرباب ... ورأيت الوحش وملوك الأرض وأجنادهم مُجتمعين ليصنعوا حرباً مع الجالس على الفرس ومع جنده. فقبض على الوحش والنبي الكذاب معه، الصانع قُدَّامه الآيات التي بها أضلَّ الذين قبلوا سمّة الوحش والذين سجدوا لصورته. وطُرح الاثنان حيَّين إلى بُحيرة النار المُتقدِّمة بالكبريت. والباقيون قُتلوا بسيف الجالس على الفرس الخارج من فمه " (رؤ ١٩: ١١-٢١).

وأخيراً حينما تقترب الرؤيا من نهايتها نجد يوحنا يقول: " ثم رأيت سماءً جديدةً وأرضاً جديدةً، لأن السماء الأولى والأرض الأولى مَضَتْ، والبحر لا يوجد فيما بعد. وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مُهيأة كعروس مُزينة لِرَجُلِهَا. وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً: هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم ... وقال الجالس على العرش: ها أنا أصنع كل شيء جديداً! وقال لي: اكتب: فإن هذه الأقوال صادقة وأمينة. ثم قال لي: قد تمَّ! أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية. أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً. من يَغلب يرث كل شيء، وأكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً. وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعَبَدَةُ

الأوثان وجميع الكذبة، فنُصِيبُهُم في البحيرة المُتَقَدَّة بنار وكبريت، الذي هو الموت الثاني" (رؤيا: ٢١: ٨-١).

الآب والابن والروح القدس، وسفر الرؤيا

العظة (٧٩)

الوحدانية في رؤى العرش، والتسابيح، وأورشليم السمائية

رأينا السيد المسيح في سفر الرؤيا بصورته المجددة، وبصفته أسداً وخروفاً، ثم رأيناه بصورة ممجدة أخرى وهو يعاقب الخطاة ويهزم الشيطان، ثم رأيناه جالساً على العرش في أورشليم السمائية. وقد سبق وأشرنا أن الجوهر الإلهي غير منظور، وذكرنا أن رؤية السيد المسيح هي بذاتها رؤية الآب، وأن عطية الروح القدس هي تكشف لنا من هو السيد المسيح وتمنحنا فداءً وغفرانه. وعلى ذلك فإن كان يوحنا لم يذكر رؤية للآب أو الروح القدس لكننا مما سمعه يوحنا ورآه ودوَّنه يمكننا أن نستطلع وحدانية الابن في الآب والروح القدس، وهو ما يمكن أن نستعلنه في رؤى العرش، والتسابيح، ومسكن الله مع الناس.

أولاً: رؤى العرش:

أن يوحنا حينما أرسل للكنائس رسائله التي كلّفه بها السيد المسيح فإنه يقول: "نعمة لكم وسلام من الكائن والذي كان والذي يأتي، ومن السبعة الأرواح التي أمام عرشه. ومن يسوع المسيح" (رؤيا: ٤-٥)، أي من الآب والروح القدس والابن. ثم يكملّ قوله عن السيد المسيح: "هوذا يأتي مع السحاب... أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي، القادر على كل شيء" (رؤيا: ٧-٨)، أي أن الوصف الذي وُصف به الآب وُصف به الابن. كما يتحدث عن الصوت العظيم الذي سمعه كصوت بوق ويقول "أنا هو الألف والياء. الأول والآخر" (رؤيا: ١١)، ولكن الآب لم يُرَ بل وُصف كل منهما "بالكائن الذي كان والذي يأتي".

وفي رؤية أخرى يقول يوحنا: "رأيت على يمين الجالس على العرش سِفراً مكتوباً من داخل ومن وراء، مختوماً بسبعة ختموم" (رؤيا: ٥: ١)، ثم يكملّ "ورأيت فإذا في وسط العرش

والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح، له سبعة قرون وسبع أعين، هي سبعة أرواح الله المُرسلَة إلى كل الأرض. فأتى وأخذ السَّفر من يمين الجالس على العرش" (رؤ ٥: ٦ - ٧). وبمقارنة بسيطة من قوله السابق الذي أرسله إلى الكنائس "ومن السبعة الأرواح التي أمام عَرشه" (رؤ ٤: ٦)، ثم قوله أن الخروف له "سبع أعين، هي سبعة أرواح الله المُرسلَة إلى كل الأرض" (رؤ ٥: ٦)، فهذا يصوّر بكل وضوح إرساله الروح القدس لينسكب على البشر، لأن السبعة أرواح التي أمام العرش هي السبعة أعين التي أرسلها الخروف إلى الأرض.

أمّا في قوله: "ورأيت على يمين الجالس على العرش سِفرًا مكتوبًا" (رؤ ٥: ١)، ثم يعود ويقول: "فإذا في وسط العرش ... خروف قائم كأنه مذبوح، له سبعة قرون وسبع أعين" (رؤ ٥: ٦)، إذاً، فالذي أخذ السفر من على يمين الجالس على العرش هو بذاته الذي رآه يوحنا في وسط العرش!! مع ملاحظة هامة أخرى أن يوحنا لم يرَ "شخصاً" جالساً على العرش ولكنه أبصر مجداً ولهذا يقول: "ولوقت صيرت في الروح، وإذا عَرش موضوع في السماء، وعلى العرش جالس. وكان الجالس في المنظر شبه حجر الشبّ والعقيق، وقوس قُزح حول العرش في المنظر شبه الزُمرد" (رؤ ٤: ٢-٣)، وهذا الموقف يشبه ما ذكره موسى حينما قال أنه رأى الله، هو وشيوخ إسرائيل، فنجد موسى يتحدث أيضاً عن عقيق أزرق فيقول: "ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة ... فرأوا الله وأكلوا وشربوا" (خر ٢٤: ٩-١١)، أي أنه مع رؤية المجد يعتبرون أنهم رأوا الله. وهو أيضاً ما رآه حزقيال من العقيق الأزرق "كمُنظر شبه عَرش" (حز ١٠: ١)، ويمكن أيضاً أن نعود إلى دانيال (دا ٧: ٩-١٠) وإشعيا (٦). وهكذا نجد في خضم هذا المجد العظيم أن الخروف الذي عن يمين العرش هو الذي في وسط العرش، وهو الذي يرسل من عيونه السبعة، سبعة أرواح الله المُرسلَة إلى الأرض!! أي وحدانية تامة بين الأب والابن والروح القدس.

ثانياً : التسابيح :

يذكر يوحنا في رؤياه أربعة فئات من المسبحين لله: الأربعة حيوانات (رؤ ٤: ٦-٨) والأربعة والعشرون قسيساً (رؤ ٤: ٤)، وملائكة ربوات ربوات (رؤ ٥: ١١)، وأخيراً كل خليقة مما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض (رؤ ٥: ١٢).

ويمكننا أن نضيف بعض الملاحظات الهامة والتي لها دلالة قوية :

الأولى: أن الذين رأوا العرش من أنبياء العهد القديم لم يروا الأربعة والعشرين قسيساً، بل رأوا فقط الأربعة الحيوانات. ويشير هؤلاء الأربعة وعشرين قسيساً إلى كهنوت العهد الجديد. والذي يؤكد ذلك أن يوحنا ذكرهم قبل رؤية الخروف " جالسين مُتسربلين بثياب بيض، وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب " (رؤ ٤ : ٤)، أما بعد رؤيتهم للخروف رآهم " ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخوراً هي صلوات القديسين " (رؤ ٥ : ٨)، أي أن الشفاعة التوسلية لهؤلاء القسوس الأربعة والعشرين، الذين لم يوجدوا في العهد القديم هم الكهنوت السمائي الذي يرفع صلوات القديسين والذي نشأ بعمل الكفارة بيسوع المسيح.

أما عن التسابيح نفسها فإن الأربعة الحيوانات في العهد القديم كما يقول إشعياء كانت تسبحتهم: " قُدُّوس، قُدُّوس، قُدُّوس رب الجنود. مجده ملء كل الأرض " (إش ٦ : ٣)، وكانت تسبحتهم للجالس على العرش قبل ظهور الخروف " قُدُّوس، قُدُّوس، قُدُّوس، الرب الإله القادر على كل شيء، الذي كان والكانن والذي يأتي " (رؤ ٤ : ٨)، أما تسبحتهم مع الأربعة والعشرين قسيساً بعد ظهور الخروف فكانت: " مُسْتَحَقُّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السَّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتْمَهُ لَأَنَّكَ ذُبَحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا لِلَّهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ، وَجَعَلْتَنَا لِإِلَهِنَا مُلُوكاً وَكَهَنَةً، فَسَمِّيكَ عَلَى الْأَرْضِ " (رؤ ٥ : ٩ - ١٠)، وهذا يعني أنهم ينوبون عن البشر. وكانت تسبحتهم مع كافة الخليقة للجالس على العرش والخروف " مُسْتَحَقُّ هُوَ الْخُرُوفُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ! " (رؤ ٥ : ١٢)، وكانت تسبحتهم الأخيرة رداً على هتاف المختومين القائلين: " الْخَلَاصُ لِإِلَهِنَا " هي استبدال كلمة الغنى بالشكر في قولهم: " الْبَرَكَةُ وَالْمَجْدُ وَالْحِكْمَةُ وَالشُّكْرُ وَالْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالْقُوَّةُ لِإِلَهِنَا إِلَى أَبَدِ الْآبَدِينَ. آمِينَ! " (رؤ ٧ : ١٢).

وهكذا نرى لغة التسبيح تقدم للجالس على العرش في معانٍ دقيقة، وأن التمجيد صار لذلك الجالس على العرش قبل الفداء وبعد الفداء بصورة تقدم له المجد والشكر على عطيته التي منحها للإنسان، وقد بلغت هذه التسابيح من الدقة أنه حينما اشتركت فيها الملائكة لم تذكر أن السيد المسيح قد فداها، لأنه لم

يُذبح من أجلهم فكانت تسبحتهم " القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة! " (رؤ ٥: ١٢).

أي أنه مع هذه التسابيح نرى أن المسبحين السمايين يدركون سر الآب والابن والروح القدس، وفداء الابن.

ثالثاً: رؤية المدينة أورشليم النازلة من السماء:

وهي " مَسْكَنُ اللَّهِ مع النَّاسِ " (رؤ ٢١: ٣). وهي رؤيا لحقيقة تعلو عن إدراك الإنسان يُرى فيها " عَرْشُ اللَّهِ والخروف " (رؤ ٢٢: ٣)، " وعبيده يخدمونه. وهم سينظرون وجهه، واسمه على جباههم. ولا يكون ليل هناك، ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس، لأنَّ الربَّ الإله يُنير عليهم، وهم سيملكون إلى أبد الآبدين " (رؤ ٢٢: ٣-٥). أما ما يميز هذه المدينة هو هذا النهر الصافي من ماء حياة خارجاً من عرش الله والخروف، كما تعود شجرة الحياة التي حُرِّم منها الإنسان يوم سقوطه تظهر على هذا النهر. وكل هذه إشارات خفية تفوق العقل عن الآب والابن والروح القدس وعلاقته بالإنسان، حيث يشير ماء الحياة إلى الروح القدس والخروف إلى الابن الوحيد الفادي والمخلص.

الآب والابن والروح القدس، وخطة الله للخلاص

العظة (٨٠)

قبول الاستعلان، أو دينونة الإنسان

والآن، بعد هذا الحديث الطويل عن سر الآب والابن والروح القدس ماذا يمكننا أن نصل إليه من حقائق؟

١- إن الكتاب المقدس رغم كثرة أسفاره وتنوع كاتبيه والمدة الزمنية الطويلة التي استغرقتها كتابته، فإنه من أوله لآخره يتحدث عن أمر واحد. وهو عودة الإنسان الذي طُرد من الفردوس الأول وحُكِّم عليه بالموت، إلى خليفة جديدة وأرضاً جديدة وحياة بلا موت ولا ألم ولا خطية. وكان ذلك بخطة مُحْكَمَة وفطنة وحكمة بالغة رغم آلاف السنين التي استغرقتها الرحلة للإنسان.

٢ - إن معرفة الله الحقيقية، التي فقدتها الإنسان منذ أن حُرِمَ من حضرة الله التي كانت في الفردوس الأول، قد جعلت طبيعته الترابية عاجزة على أن تعود إلى هذه المعرفة. ونشأ عن ذلك فقدان الإنسان لمعرفه مغزى حياته التي تمتلئ بالآلام وتنتهي بالموت فلم يكن لها من مُخلَص إلا بمبادرة إلهية، لتعيده إلى صوابه وتزيل آثار المعصية والشرور حتى ينال الخليقة الجديدة ويعود إلى معرفة الله الحقيقية.

٣ - بسبب الهوة الهائلة بين الخالق والمخلوق، الروحاني والترابي أعد الله تدبيراً حكيماً به يقترب هو من الإنسان، ليرفع عنه ضعفه أمام الخطية والموت بدلاً من أن يعاقبه بالفناء.

٤ - كان هذا التدبير استعلاناً لمحبة لا نهائية من جهة الله الخالق حيث كان في إمكانه إفتاء الإنسان، أو إيجاد خليفة أخرى حسب مشيئته.

كما أن العفو عن موت الإنسان كان يتناقض مع عدل الله، فضلاً عن أن الطبيعة الشريرة لا تستحق أن يكون لها مكاناً في زمرة القديسين، هكذا كان الأمر يستدعي فداء لمحو آثار المعصية وتقديساً لتأهيل الإنسان للعودة إلى حضرة الله.

٥ - إن الله الخالق لم يكن غافلاً لكي تفاجئه الأحداث، لأن قدرته الإلهية لا تخضع لزمن ماضٍ أو حاضِر أو مستقبل، بل إن معرفته مطلقة للماضي والمستقبل. لهذا فإن سقوط الإنسان كان بسبب أنه أعطى الحرية للإنسان، حيث كان يُعدّ له بنوة سمائية وليس كالعبيد. كما أن سقوط الإنسان جعل الإنسان يدرك هذه المنحة الثمينة التي للحرية، ومقدار قيمة هذه الحياة التي قد أعدّها له الله. لهذا فليس أمام الإنسان سوى أن يتوب عن شروره في حرية كاملة ليس طمعاً في مكافأة بل استجابة بحب مقابل حب، وتأهيلاً لنوال هذه البنوة.

٦ - تجلّت حكمة الله في أن يعد شعباً ليتجسد في وسطه وأدّبهُ بناموس، كانت أول بنوده أن لا يتخذ الإنسان لنفسه آلهة أخرى. كما أنه أعطاه شريعة للتكفير عن خطاياهم أو إثمهم تجاه الناموس الذي أعطاه، وهكذا تحققت حكمة الله أن يكون هناك سبباً أن يحكموا عليه بالموت حال تجسده بسبب أنه إنسان قد جعل نفسه إلهاً، وبهذا يحقق الفداء. كما يكون هو بذلك ذبيحة تكفير لخطايا البشر حسب

الشرعية التي وضعها. أما طبيعته الإلهية فكانت كفيلة ألا يُمسك بالموت فلا بد له أن يقوم. وهكذا يعطي للإنسان خليفة جديدة يرفع بها حكم الموت الأول ويمنح الإنسان طبيعة جديدة بالقيامة ليتأهل لبنوة الله وسُكنى السماء.

٧ - كان لابد لعطية الله في الفداء أن تمتد لكل البشر منذ الإنسان الأول إلى نهاية العالم وقد حقق الله ذلك بحكمته وهو أيضاً التدبير أن ينزل الله المتجسد حال موته كذبيحة إلى الأموات ليبشرهم برفع حكم الموت الأبدي عنهم. وبعد ذلك ظل يمنح عطيته للبشر حتى نهاية الأيام حين سكب روحه القدوس عليهم بعد رفع حكم الموت بفدائه، وجعل ذبيحته حاضرة دائماً للتكفير عن البشر حين قدم جسده ودمه على هيئة خبز وخمر ليتحولوا إلى جسد حقيقي ودم حقيقي له وذلك بروحه القدوس أيضاً.

والى الآن، قد يكون هذا الكلام وكأنه فلسفة عقلية ناشئة عن عجز الإنسان وضعفه أمام الموت والشرور، ولكنه حتى لو كان كلاماً فلسفياً فهو منطقي وقريب جداً لفهم الإنسان. ورغم ذلك فإن الله لا ولم يعتمد على حكمة بشرية في قبول عطيته، لأنه أعد هذه العطية للأطفال والجهلاء، أي أنه جعل معرفة فدائه استعلاناً للإنسان بروحه القدوس أيضاً. ولهذا أعد سبيلاً ملموساً بسبب طبيعة الإنسان الترابية لينال هذه العطية الغير منظورة بروحه القدوس، فحدد لذلك صورة للاغتسال من الشرور ودفن وقيامة على اسمه، وجعل هذا عن طريق المعمودية، وأرسل نبياً خاصاً قبل تجسده ليبشر بهذا السبيل، وهو يوحنا المعمدان. وهكذا كان اشتراط يوحنا المعمدان لقبول المعمودية هي التوبة، والاعتراف بالخطية وصار هذا هو الشرط أيضاً لقبول المعمودية السيد المسيح.

أما عن قبول هذا الشرط فمن البديهي أنه يحتاج إلى أمر واحد وهو الإيمان بفاعليته. هكذا نصل إلى حقيقة الإيمان في المسيحية.

فهو ليس مجرد الإيمان بوجود الله، لأن عدم الإيمان بوجوده هو جهل (مز ١٤: ١)، وهو ليس مجرد الإيمان بوحدانية الله، فهذه حقيقة منطقية وفطرية. فهل الإيمان يحتاج إلى كل هذا الشرح الذي قدمناه. كلا! لأن هناك من لا يستسيغه أو هناك من يعجز

عن فهمه مثل الأطفال، ولهذا قال السيد المسيح عبارة عجيبة: "من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله" (مر: ١٠: ١٥)، وعلى هذا لا يوجد سبيل لقبول الإيمان بالمعمودية سوى استعداد الإنسان للتوبة، وهنا تستعلن خفايا الخلاص والفداء الذي للسيد المسيح، ثم يتقدس الإنسان بغطية الروح القدس حتى يمكنه الوقوف أمام الشيطان والخطية بقوة روح الله وليس بقدرته الإنسانية الضعيفة، كما أن الروح القدس يستعلن للإنسان النهاية التي أعدها له الله.

إذا فالإيمان في المسيحية ليس مجرد فكرة بل هو حياة..

ولأنه يعطي تغييراً لطبيعة الإنسان الداخلية فهو "سر" (١ تي: ٢: ٩)...

ولأنه يستعلن للإنسان هدف الله من خلقته فهو "عطية" (أف: ٢: ٨)...

ولأنه يعطي استقراراً داخلياً للإنسان وعربوناً لرجاء أبدي فهو "نعمة" (أبطا: ١٣)

ولأنه يعطي الإنسان السلطان على الشر فهو سبيل للقداسة " (لا: ١١: ٤٤)، (أبطا: ١٥).

ولأنه يعيد الإنسان إلى معرفة حقيقية فهو مسيرة في "النور" (يو: ١٢: ٣٥)...

ولأنه يهدي خطوات الإنسان في الحق فهو "الطريق" المؤدي للسماء " (يو: ١٤: ٦)...

ولأنه يعطي رجاء في حياة مع الله بعد فهو "عربون الروح" (٢ كو: ١: ٢٢) ...

ولأنه يجعل شركة للإنسان في السيد المسيح فهو معرفة " للحق" (يو: ٨: ٣٢)...

وفوق هذا كله فقد أعطى الله للإنسان الحرية الكاملة في أن يقبل الإيمان

أو يرفضه ولهذا كان حكمه النهائي " هذه هي الدينونة: أن النور قد جاء إلى العالم، وأحبَّ

الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة" (يو: ٣: ١٩).

كتب أخرى للمؤلف

١- الإيمان في المسيحية للبسطاء والحكماء

وبه سبعة فصول:

الفصل الأول: ويتحدث عن معنى الإيمان بالله، إن كان فطرياً، أو فلسفياً أي عن طريق العقل، أو الإيمان الاستعلاني بواسطة الله نفسه كما في اليهودية والمسيحية.

كما يشرح أثر الإيمان في السلوك الإنساني في الطقوس، وحقيقة ما بعد الموت، ومقاومة الشيطان، كما يعطي نموذج الإيمان في سفر المزامير.

الفصل الثاني: ويتحدث عن علاقة الله بالإنسان في العهد القديم، وسبب اختيار شعب اليهود، ثم الشريعة والطقس في اليهودية وهدفها، ثم الهاوية والفردوس بعد الموت.

الفصل الثالث: ويتحدث عن السيد المسيح كما ينتظره اليهود، وعثرتهم فيه، وضرورة التوبة لاستعلان السيد المسيح، ثم نماذج للذين يطلبوه والذين يرفضوه.

الفصل الرابع: ويتحدث عن السيد المسيح وحقيقة جوهره الإلهي، وكيف أعلن ذاته وعلاقة ذلك بمصير الإنسان ونهايته.

الفصل الخامس: ويتحدث عن الحياة في المسيح وكيف يريد الله للبشر، ثم كيف فهم الآباء الرسل العهد القديم وسر الأب والابن والروح القدس. كما يتحدث عن الكنيسة في العالم والحياة الأبدية.

الفصل السادس: ويتحدث عن ثمر الإيمان بالمسيح في الخليقة الجديدة، والمصالحة مع الله، والتبرير والتقديس، وهزيمة الشيطان ثم معوقات الإيمان.

الفصل السابع: ويتحدث عن ممارسة الإيمان في الأسرار والطقس وضرورة ذلك لاستقامة الحياة في المسيح، بمعنى الأرثوذكسية

٢- أسرار وعقيدة وراء الصليب والقيامة

وهو يجمع أحداث الصليب والقيامة بداية من العشاء الأخير إلى صعود السيد المسيح وذلك من البشائر الأربع ولكن في قصة واحدة متكاملة وكأنها من بشارة واحدة، بدون تصرف في كلمات الإنجيل.

وهذا يكشف أسراراً كثيرة في قصة الصليب، كما ينفي أي تعارض في سردها بين ما دونته البشائر الأربع في تتابع الأحداث، وهو من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ويتضمن القصة كاملة من الإنجيل المقدس.

الفصل الثاني: ويشرح الملاحظات والتعليق على الأحداث ويفسر المواقف المختلفة لكل الأشخاص.

الفصل الثالث: ويكشف الأسرار وراء الأحداث. ومقاصد الله من هذا كله.

٣- مفتاح سفر الرؤيا (أو) علو الرؤية في سفر الرؤيا

وهو تفسير غير تقليدي لسفر الرؤيا، أي ليس شرحاً لآيات السفر آية آية بل نظرة علوية للسفر بمعنى النظر إلى الحقائق التي تبدو متباعدة ولكنها مرتبطة ولها أهدافها، مثل التسابيح، أو ما جاء عن الوحش. كما يقارن ما جاء بالسفر بما يقابله في العهد القديم وهذا يكشف كثيراً من الأسرار والكتاب من بابين:

الباب الأول: ويشرح كيفية قراءة السفر، وأسلوبه، وأهدافه، وأقسامه، وحقيقته كرؤيا ونبوة.

الباب الثاني: ويشرح تلميحات السفر إلى حقيقة السيد المسيح والآب والابن والروح القدس، ومقاومة الشيطان لمملكة المسيح، ثم متابعة التسابيح والرؤى ومغزاها، وقصة الكنيسة رمزياً حتى نهاية الأيام، ثم نهاية الشيطان والأشرار ثم أورشليم السمائية.

٤- المسيحية والتاريخ

تاريخياً، عقيدياً، كنسياً، وروحياً

الجزء الأول: من بدايات التاريخ حتى عصر الاستشهاد

ويحتوي سبعة فصول:

- الفصل الأول:** ويتحدث عن كتابة التاريخ ومصادره.
- الفصل الثاني:** ويتحدث عن الشعوب منذ التاريخ حتى مجئ السيد المسيح، فيعطي لمحة عن الشعوب الآسيوية بابل وأشور والفرس ثم شعب اليهود، وملخص عن تاريخ مصر منذ العهد الفرعوني ومعبوداتها.
- الفصل الثالث:** ويتحدث عن سبب اختيار الله لشعب اليهود وهدف الناموس وشرعية موسى .
- الفصل الرابع:** ويتحدث عن ميلاد الكنيسة وما واجهته من صعاب من اليهود والفلاسفة والهرطقة.
- الفصل الخامس:** ويتحدث عن العصر الرسولي في الكرازة والتعليم وتنظيم رتب الكنيسة والليتورجية والأسرار وخدمة المؤمنين.
- الفصل السادس:** ويتحدث عن تاريخ إنشاء الكراسي الرسولية الأولى ومدبريها وكنيسة مصر.
- الفصل السابع:** ويتحدث عن الاستشهاد في المسيحية، ومفهومه، وأسبابه وثماره، ونماذج من الشهداء.

٥- المسيحية والتاريخ

تاريخياً، عقيدياً، كنسياً، وروحياً

الجزء الثاني: الكنيسة في العصور الوسطى

من سنة ٣١٤ م - سنة ١٤٥٣ م

وبه أربعة فصول:

الفصل الأول: ويتحدث عن تاريخ الإمبراطورية البيزنطية التي بدأت بالإمبراطور

قسطنطين، ثم الإمبراطورية الفارسية التي عاصرتها وعلاقتها بالمسيحية، ثم الإمبراطورية العربية فتتحدث عن الجزيرة العربية، والعرب وأصولهم وأديانهم قبل الإسلام، وظهور الإسلام والخلافة، حروبهم ضد البيزنطيين والفرس والأندلس وشمال أفريقيا ثم مصر والفتح العربي وأثاره.

الفصل الثاني: ويتحدث عن ظهور الهرطقات والمجامع التي ناقشتها ومجمع خلقيدونية الانشقاقي وأثاره.

الفصل الثالث: ويتحدث عن تاريخ الطقوس الكنسية والمباني الكنسية وتاريخ الصلوات الطقسية والمناسبات والأعياد المسيحية والقوانين الكنسية وظهور علم الآباء وتاريخ البطارقة ثم متاعب الأقباط ومحنة اللغة القبطية.

الفصل الرابع: ويتحدث عن روحانيات الكنيسة وتاريخ الأصوام والصلوات وتاريخ الرهبنة والأديرة في مصر والخارج.

لماذا نؤمن بإله واحد الآب والابن والروح القدس

هذا الكتاب ..

هو ملخص لثمانين عظة ألقاها د. اسكندر القمص لوقا الأستاذ بالكلية الكليريكية بطنطا وذلك بكنيسة الشهيد مارجر جرس بقرية برما التابعة لطنطا على مدى سبع سنوات، وهي تعتبر منهجاً متكاملاً لشرح الإيمان المسيحي الأرثوذكسي بكلام سهل بسيط وواضح وبعيد عن البلاغة أو الفلسفة، متبعاً بذلك أسلوب السيد المسيح والآباء الرسل في كلامهم مع الفلاحين والبسطاء، والذي يجمع بين حقيقة الإيمان وأسس الحياة الروحية. ويصلح هذا الكتاب للدراسة وللخدام ولجميع الشعب.

مرفق DVD هدية للعظات الثمانين مع عشرين عظة أخرى
لشرح الإيمان المسيحي ألقاها المؤلف.

كتب أخرى للمؤلف :

- + الإيمان في المسيحية للبسطاء والحكماء.
 - + أسرار وعقيدة وراء الصليب والقيامة.
 - + مفتاح سفر الرؤيا (أو) علو الرؤية في سفر الرؤيا.
 - + المسيحية والتاريخ جـ ١ من بدايات التاريخ حتى عصر الاستشهاد.
 - + المسيحية والتاريخ جـ ٢ الكنيسة في العصور الوسطى.
- تُطلب الكتب من المؤلف ٠٤٠٣٣١٤٠٩٩ / ٠٤٠٣٣٣٣٠٩٥
ومن مطبعة دير مارمينا بمريوط

يُطلب هذا الكتاب من المؤلف ومن الناشر :

مطبوعات صوت الراعي ٠١٨/٥٩٦٨٠٢٨ - ٠٣/٥٩٠٣٥٢٩

زوروا موقعنا على الإنترنت : www.shepherdvoice.net